AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01593 3025

DT
107.2
A53
A3
1941

أعمالي بعد مذكراتي

بقلم

Aḥmad Shafīq
Aʿmāli baʿda mudhakkirāti



الحاج احمد شفيق باشا

رئيس الديوان الخديوي ووكيل الجامعة المصرية الأهلية سابقا
وخريج مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع لوازاشا (سابقا شارع الدواوين)
١٩٤١

07-B6516
14-11-07
OCLC
11076395
923.262
Sh13ma
B12733970
14235468
٩٢٠
س١٠١ع
26796

مؤلفات صاحب الكتاب

الـــرق فى الاســـــــلام : باللغة العربية طبعة ثانيـة وثمنه ٥ قروش

قنـــــاة الســـــــويس : باللغة العربية وبه خريطة وصور ثمنه ٥ ص

مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها : باللغـة الفرنسية وبه كثير من الصور والخرائط وثمنه ٣٠ قرشاً

حوليـــات مصر السياســـية : فى عشرة أجزاء منها الثلاثة الأولى تمهيد

التمهيد الأول : فذلكة من محمد على إلى نشوب الحرب . الحمـاية وتولية السلطان حسين . تأليف الوفد ونفى سعد وصحبه إلى مالطة . ثورة ١٩١٩ . إطلاق سراح سعد وصحبه وسفرهم لباريس . لجنة ملنر ومقاطعتها مفاوضات سـعد وملنر . الاعتداءات . (٨٧٢ ص و ٤١ صورة وأربع خرائط وثمنه ٥٠ قرشاً)

التمهيد الثـانى : الاتحاد المقدس . انقسام الوفد . سعد وعدلى يختلفان . المظاهرات وقمعها بالقوة . الوفد الرسمى بلنـدرة وإخفاقه . سـعد وصحبه فى سيشل . اعتقال أعضاء اللجنـة المركزية للوفد . ثروت وألنبى . (٩٢٧ ص و ٣٢ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

التمهيد الثـالث : تصريح ٢٨ فبراير ورجوع المنفيين . لجنـة تحضير الدسـتور . تعويض الموظفين الأجانب . تأليف حزب الأحرار الدستوريين . (٧٣٤ ص و ١٧ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً والباقى للبيع ٥٨ نسخة)

الحولية الأولى : الانتخابات . وزارة سعد . الخلافة . البرلمان . السودان . الاعتداء على سعد . مفاوضات سعد مع مكدونالد . مقتل السردار . الانذار البريطانى . حل البرلمان . (٦١١ ص و ١١٩ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً

الحولية الثانية : الوفد والعرش . تأليف حزب الاتحاد . إخلاء السودان . الانتخابات الثانية . افتتاح البرلمان وحله . استقالة ألنبى . النضال بين الأحزاب ووزارة زيور . الحكم فى قضية مقتل السردار . محاكمة الشيخ على عبـد الرازق . الدعوة إلى عقـد مؤتمر وطنى عام . تسليم جغبوب لإيطاليا . (١١٠٤ ص و ٧٤ صورة وثمنه ٤٠ قرشاً .

الحولية الثالثة : الأحزاب المؤتلفـة . الانتخابات الثالثـة . عدلى يخلف زيور . عيـد الجهاد الوطنى . (٧٠٦ ص و ١٩ صورة وثمنـه ٣٠ قرشاً

الحولية الرابعة: القضية المصرية والأحزب . ثروت يخلف عدلى . زيارة جلالة الملك رسمياً لإيطاليا وفرنسا وإنجلترا وبلجيكا . مفاوضة ثروت وتشمبرلن . وفاة سعد . افتتاح البرلمان . الامتيازات الأجنبية (٧٨٢ ص و ٦ صور وثمنه ٥٠ قرشاً)

الحولية الخامسة: ملك الأفغان فى مصر . أعمال البرلمان . ولى عهد إيطاليا فى مصر . النحاس يخلف ثروت . حالة الائتلاف بين الأحزاب . مشروع اتفاق ثروت مع انجلترا . وفاة حسين رشدى . النزاع الحزبى . محمد محمود يخلف النحاس . تعطيل البرلمان . النحاس فى الأقاليم . مشروعات الرى الكبرى فى مصر والسودان . وفاة ثروت . النضال بين الوفد والوزارة . محاكمة النحاس . (١٥٢٦ ص و ٢٤ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً)

الحولية السادسة: الاتفاق على مياه النيل . زيارة جلالة الملك لألمانيا وفرنسا وسويسرا وانجلترا . مفاوضات محمد محمود وهندرسون . تفتيش بيت الأمة . عدلى يخلف محمد محمود . عودة الحياة النيابية . الانتخابات الرابعة . (١٦٠٠ ص و ٢١ صورة وثمنه ٥٠ قرشاً)

الحولية السابعة: النحاس يخلف عدلى . افتتاح البرلمان وأعماله . مفاوضات النحاس وهندرسون . اسماعيل صدقى يخلف النحاس . تأجيل البرلمان . موقف الانجليز . تغيير الدستور وقانون الانتخابات . تأليف حزب الشعب (١٦٠٠ ص و ١٣ صورة)

وتتضمن هذه المجموعة الخطب والمحادثات السياسية وتعليقات الصحف على اختلاف نزعاتها ؛ فهى دائرة معارف سياسية جامعة .

الجزء الأول من مذكراتى فى نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى وفاة توفيق

فى يناير سنة ١٨٩٢ (٥٢٧ صفحة و ٣٥٥ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

القسم الأول من الجزء الثانى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٢

(٤٥٦ صفحة و ١٧٦ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً

القسم الثانى من الجزء الثانى من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤

(٤٤٩ صفحة و ٨٤ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

الجزء الثالث — عباس والحرب العظمى من سنة ١٩١٥ إلى ١٩٢٣

(٣٨٤ صفحة و ٨٩ صورة وثمنه ٣٠ قرشاً)

وهذه الأسعار غير أجرة البريد

فهرس الموضـــوعات

فى كتاب أعمالى بعد مذكراتى

المفاوضات بين مصر وانجلترا

صفحة

مفاوضات ملنر وسعد زغلول ١

فكرة عقد مؤتمر من المصريين فى أوربا ١

(رأيى فى أسس الاتفاق — فشل المؤتمر)

مفاوضات عدلى وكرزن ٢

تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ... ... ٢

موقفى من الخلافات الحزبيـة ٢

محادثات سعد ومكدونالد ٣

عبد العزيز عزت باشا وحقوق مصر فى السودان ٣

(مصر والسودان — تمهيد السبيل للمفاوضات — صدى الخطبة — فشل المفاوضات)

مشروع محمد محمود — هندرسون ٥

(نداء ورجاء — صدى النداء)

الجبهة الوطنية والمعاهدة ٩

(نظريتى تتحقق — كيف نستقبل عيد الاستقلال)

المعارضة من الوجهة الشكلية ١٢

علاقاتى بالسراى

فى عهد الملك فؤاد ١٣

فى عهد الفـاروق ١٧

التتـــويج ١٧

(الملوك الشبان فى أسرة محمد على — بلوغ جلالته سن الرشد)

صفحة

الأفراح الملكية

الملك يختار شريكته من الشعب ٢٠
(مفاجأة ملكية — هدايا جلالته لخطيبته — تهنئتى بالخطوبة الملكية)
اقتراح بتخليد ذكرى المهرجان ٢١
ابتهاج الشعب بالمهرجان ٢٤
(هدايا الملوك — هدايا الأمراء والاميرات — هدايا الطوائف والافراد — اشتراكي فى المهرجان — رسالة من المليك إلى شعبه)
مهرجانات مصر فى سبعين عاماً ٢٧
(مهرجان قناة السويس — مهرجان أفراح الأنجال)
المصاهرة الملكية بين مصر وإيران ٣٠
حلم للرابطة الشرقية يتحقق ٣٢
(ابتهاج الشعب — احتفاء الحكومة — عقد الزواج)
جمعية مصر — إيران ٣٩
(سفر العروسين — ساعة الوداع)
الأفراح فى طهران ٤١

صحيفة الاعلانات

إهمال الشئون الاقتصادية فى مصر ٤٣
(عقبات فى الترخيص — صدور العدد الأول — برنامج الصحيفة)

تكريم وتأبين

تكريم نابغة من الأسرة العلوية ٥٠
تشجيع مخترع مصرى ٥١
تكريم مؤلف تاريخى ٥٢
تكريم مفتى القدس ٥٣
مهرجان شوقى ٥٥

صفحة

كيف نبتت فكرة التكريم ٥٦
(دعوتى لبعض المفكرين لاستشارتهم — اللجنة العامة — اللجنة التنفيذية — نداء اللجنة التنفيذية — اتساع حفلات التكريم — اعتراض شوقى على الاشتراكات — اشتراك الأقطار الشرقية — تشكيل لجان التنظيم)

شمول حفلات التكريم بالرعاية الملكية ٦٣
(لجنة السيدات المصريات — المعارضة فى حضور السيدات على مسرح الأوبرا — قرار اللجنة بقبول خطبة الآنسة إحسان أحمد — وفود البلاد العربية)

حفلة الأوبرا ٦٦
(كلمة الرئيس — كلمة السكرتير — زيارات الوفود — الحفلات التى أقيمت لهم — اغتباط شوقي وسرور الملك)

مقتطفات من خطب الكتاب والشعراء ٠٠٠
(كلمة الآنسة إحسان أحمد — من كلمة الأستاذ أنطون الجميل بك — من كلمة الأستاذ محمد كرد على — من كلمة الأستاذ فندرج البلجيكى — من خطبة الأستاذ إسعاف النشاشيبي — من كلمة الأستاذ أحمد محمد داود — قصيدة الأستاذ خليل مطران — قصيدة حافظ ابراهيم بك — من قصيدة شكيب أرسلان باشا — قصيدة قيصر المعلوف — من قصيدة الأستاذ شبلى ملاط — من قصيدة الأستاذ أنيس المقدسى — من قصيدة الأستاذ وديع البستانى — من قصيدة صالح ابن سعد بن سالم من لحج — من قصيدة بدر الدين النعسانى — من قصيدة الاستاذ عبد الحميد الرافعى من طرابلس — من قصيدة الاستاذ محمد خلف الله — من قصيدة اليوزباشى محمد توفيق على — من قصيدة الاستاذ عبد الفتاح السيد — من موشحة الاستاذ حسن جبره — قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي بك)

وداع الثعالبي وتكريمه ١٠٢

تكريم زعماء الشرق فى مؤتمر فلسطين ١١٣
(شكر وإعجاب — ذكريات — تضامن الشعوب الشرقية العربية — كلمة الامير شكيب أرسلان)

تكريم رجال الجامعة الأمريكية بالقاهرة ١١٩

تأبين على بهجت بك ١٢١

على قبر مدام بشاره تقلا ١٢٤

وفاة اسماعيل أباظه باشا وتأبينه ١٢٥
(تصريحات للخديو — تأبينه — كلمة رشدى باشا — كلمتى فى الاحتفال — رأى ثروت وعدلى فى كلمتي)

صفحة

حفاوة الرابطة بضيوف مصر

الشاعر تاجور فى مصر ١٣٠

استقبال ملك الأفغان فى مصر ١٣٣

(بيانى للأمة المصرية — هدية الرابطة للملك — مخاوف دبلوماسية — برقيات الرابطة — زيارة الرابطة الشرقية — خطاب السيد البكرى)

سلطان حضرموت فى مصر ١٣٧

مأدبتى لضيوف نجديين فى الرابطة الشرقية ١٣٨

تكريم السير دنسون روس ١٤٠

شئون التعليم فى مصر والبلاد العربية

مؤتمر التعليم الأولى الإجبارى ١٤١

(التعليم المشترك — محال التعليم — المعلمون — مناهج التعليم فى رياض الأطفال مواعيد الدراسة — الرياضة البدنية — كلمة الختام)

قرارات المؤتمر ١٥٠

(الغاية من التعليم الأولى — علاقة التعليم الأولى بغيره — نظام التعليم الأولى ومناهجه — التعليم الأولى الراقى — التعليم الأولى للبنات — مدارس المعلمين والمعلمات — أماكن الدراسة — الوسائل العملية لتحقيق إجبارية التعليم الأولى المركزية واللامركزية فى إدارة التعليم — توزيع النفقات — رغبات عامة)

توحيد برامج التعليم فى البلاد العربية ١٥٤

(حديثى مع الملك فيصل — مخابراتى مع الثعالبى — رسالتى للملك ابن السعود — مخابراتى مع السيد أمين الحسينى — مذكرتى لرئيس مجلس الوزراء — مقابلتي معه — وزير المعارف لا يؤيد الفكرة — بعث المشروع — جمعية الدراسات العربية — أعمال لجنة توحيد البرامج)

قضية اللغة العربية — تبسيط نحوها وصرفها وإصلاح هجائها وإملائها ... ١٦٥

(عناية بهى الدين بركات باللغة العربية — حديثى معه — لجنة تبسيط اللغة العربية — اعتراضات على مقترحات اللجنة — آراء جريئة) .

مشكلة التعليم المصرى ١٧٦

(التعليم فى مصر — تعليقاتى على آراء حافظ عفيفى)

صفحة

اجتماعيات

الإسلام وأصول الحكم ١٨١

(اتهام المؤلف فى دينه — التماس الجلالة الملك — استقالة الشيخ بخيت والشيخ الدجوى من الرابطة — الحكم باخراج المؤلف من زمرة العلماء — صدى الحكم فى الصحف والرأى العام — أثر الحكم فى علاقات الأحزاب)

الزى القومى ١٨٧

آراء واقتراحات فى المجتمع المصرى ١٨٨

(طابع الرجولة الذى أتخيره للشباب — المزج بين المدنيتين الشرقية والغربية — رأيى فى الأزياء — الزى الجديد — رأيى فى النساء والسفور والحجاب — عقد مؤتمر للعائلة الاسلامية — رأى مجلة المعرفة)

أزمة الزواج فى البلاد الإسلامية عامة ١٩١

آمالى بعد بلوغ سن الثمانين ١٩٦

(شعورى فى سن الثمانين)

وزارة على ماهر باشا والمجلس الاجتماعى الأعلى ١٩٨

جمعية الدراسات الاجتماعية ١٩٩

دعوة الأستاذ الأكبر لعلاج أمراض العالم الإسلامى ٢٠١

لا تسول ولا احتياج فى عهد فاروق ٢٠٢

ضيافتى لطلبة استراسبورج ٢٠٥

التهويش فى حفلات الطرب ٢٠٧

مدينة حلوان ٢٠٨

(منع مستشفى للأمراض الصدرية)

حفلات المواليد فى مصر ٢١٥

(حفلات الأسرة المالكة)

الزيارات فى الأعياد وتطور تقاليدها ٢١٧

الاحتفال بالعام الهجرى ٢١٩

شبابنا المتعطلون ٢٢١

صفحة

طرق النجاح فى الحياة ٢٢٤

التاريخ المصرى الحديث ٢٢٥

(العناية بالتاريخ القومي فى المدارس الثانوية)

الاختيار قبل الانتخاب

كلمة عن عبد العزيز عزت ٢٢٨

عيوب النظام الحزبى البرلمانى وعلاجها ٢٢٨

صدى الاقتراح ٢٣٦

رأيى فى الاقتراح ٢٣٩

رأى قليـنى فهمى ٢٤١

تأييد واعتراض ٢٤٣

تعقيب لعزت باشا ٢٤٤

كلمة أخـــيرة ٢٤٦

المؤتمرات الدولية فى مصر

مؤتمر الملاحـة ٢٤٧

مؤتمر القطن ٢٤٩

من هو أبو الوفد ؟ ٢٥١

التحكيم فى الجدل بين عباس ورشدى

آخر أيام الخديو فى مصر ٢٥٣

تصريح لرشدى باشا ٢٥٣

نشر مذكراتى بالأهرام ٢٥٥

عقـد اتفاق ٢٥٦

تصريح مرتضى باشا ٢٥٧

تصريح لعباس ٢٥٩

صفحة

تصريحات وأحاديث لرشدى وعباس ٢٦١
(رد رشدى على توكيد عباس — حديث بين كوكب الشرق ورشدى — التلغرافات — خيانة نيابة الملك — الاحتفاظ برياسة الوزارة — قبول الحماية — الاشتراك مع الحماية)
مناقشات بينى وبين رشدى باشا ٢٦٣
(رد رشدى باشا على انتقاداتى لسياسته — ردى على رد رشدى باشا — عرض العرش على الامير كمال الدين حسين ورفضه — مذكرتان لرشدى باشا عن أمور مختلفة — رأى ثروت باشا فى مذكراتى)
التحكيم ٢٧٢

البنك الحجازى وعلاقتى به

تعيينى مديراً للبنك ٢٧٥
استقالتى من البنك ٢٧٨

حجى ومحادثاتى مع ابن السعود

المشادة بين مصر والحجاز ٢٧٩
(سفرى إلى الحجاز وحديثى مع رئيس الديوان الحجازى)
رأيى فى حل الخلاف بين الحجاز واليمن ٢٨٠
(السفر إلى مكة)
الحالة الصحية والاجتماعية فى الحجاز ٢٨١
(مقابلتى للملك — مقابلتى لولى العهد — شعائر الحج — معلومات شخصية عن ابن السعود — معاملة الوهابيين للحجاج — آرائى فى المعاهدة بين الحجاز واليمن — مؤتمر الحجاز — تدمير محطة اللاسلكى)
حجى مع الملك والخلافات المذهبية ٢٨٥
العودة ٢٨٦
توحيد المذاهب بين جلالة ابن السعود وفضيلة الأستاذ الأكبر ٢٨٩
العلاقات بين جلالة ابن السعود وبينى ٢٨٩
رحلتى إلى قبرص ٢٩١

صفحة

روضة شفيق

إنشاؤها وافتتاحها ٢٩٦

المهرجان السبعينى

وصف الحفلة ٣٠١
هدية الرابطة ٣٠٢
قصيدة شوقى بك ٣٠٣
كلمة السيد عبد الحميد البكرى ٣٠٣
كلمة الأستاذ أحمد فهمى العمروسى بك ٣٠٤
كلمة الأستاذ صالح جودت بك ٣٠٦
كلمة فضيلة الشيخ محمد رشيد رضا ٣٠٧
كلمة الأستاذ نسيم صيبعة ٣٠٨
كلمة أحمد زكى باشا ٣٠٩
كلمتى فى المهرجان ٣٠٩
رسالة الأمير عمر طوسن ٣١٠
رسالة أنطون بك الجميل ٣١١
قصيدة مدام سان بوان ٣١٢
مقتطفات من أقوال الصحف عن الحفلة ٣١٣
(من جريدة الأهرام — من كوكب الشرق — من جريدة السياسة — من كلة الليبرتيه الفرنسية — من كلة الأنفورماسيون — من كلة الأجبسين)
تحية الآنسة مى ٣١٧

يقظة الشعور القومى

وعلاقته بالأحزاب والصحافة منذ القرن التاسع عشر

إيضاح ٣٢٢
تمهيد ٣٢٤
عهد الاحتلال الفرنسى ٣٢٤

صفحة

عهد محمد على ٣٢٥

عهد إسماعيل ٣٢٥

عهد توفيق ٣٢٦

عهد عباس ٣٢٧

ظهور مصطفى كامل ٣٢٨

حادثة دنشواى ٣٢٩

ظهور الأحزاب السياسية ٣٢٩

مد أجل امتياز قناة السويس ٣٣٠

قوة الروح الوطنية وأثرها ٣٣١

مقتل بطرس باشا ٣٣١

العدول عن مشروعات الإصلاح ٣٣١

انتهاء سياسة الوفاق ٣٣١

الجمعية التشريعية ٣٣٢

عهد الحماية والشعور المكتوم ٣٣٢

بعد الهدنة ٣٣٣

الانفجار والثورة الكبرى ٣٣٤

الافتخار بالقومية المصرية ٣٣٤

الافراج عن المعتقلين ٣٣٥

لجنة ملنر ومقاطعتها ٣٣٥

استقبال سعد باشا وأعضاء الوفد ٣٣٦

الانقسام ٣٣٦

+ تكوين الأحزاب الحديثة ٣٣٦

+ أثر هذه الأحزاب فى هبوط الشعور القومى ٣٣٧

وزارة على ماهر باشا والمعاهدة المصرية ٣٣٨

صفحة

كلمة عن مصطفى كامل باشا

عهد الفاروق وزعماء النهضة ٣٣٩
الشعور القومى قبل مصطفى كامل ٣٣٩
تعارف عباس ومصطفى ٣٤٠
اللجنة السرية ٣٤١
حديث مصطفى كامل مع الكولنيل بارنج ٣٤١
عبقرية مصطفى كامل فى الدعاية وعريضته لمجلس نواب فرنسا ٤٤٢
تعرفه إلى مدام جوليت آدام ٣٤٣
أول خطبة له بالاسكندرية ٣٤٣
انفصاله عن الخديو ٣٤٤
حادثة دنشواى وحسن استغلاله لها ٣٤٤
تأليف الحزب الوطنى ٣٤٥
كلمة عن أخلاق الفقيد ٣٤٥

متفرقات

معلوماتى عن عارف باشا والشيخ شاويش ٣٤٦
الحالة السياسية بعد وفاة سعد باشا ٣٤٧
بنك مصر واقتراح بزيادة رأس ماله ٣٤٨
حديثى مع مندوب مجلة الهلال ٣٥٠
(مصر الآن وفى عهد توفيق — ذكريات الاستانة — كيف ينهض الشرق — ابن السعود والخلافة — حوادث الافغان والرابطة الشرقية — الرابطة الشرقية والغرض منها — ما أدته من خدمات)
ردى على ممثل تركيا برفض رد ما صرف لى فى مدة الحرب ٣٥٦

مؤلفاتى وصداها عند الصحف والقراء

قناة السويس مفخرة القرن التاسع عشر ٣٥٩
حوليات مصر السياسية ٣٦٠
(جريدة البشير — الجرنال دوكير — جريدة لابورس إجيبسيان — جريدة البلاغ — جريدة الأهرام — جريدة المقطم — جريدة السياسة)

صفحة

مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها ٣٦٧

(جريدة الاجيبسيان غازيت — مجلة لاجيبت (المصرية) — مجلة الايماج — شكر ملك إيطاليا للمؤلف — الأهرام — مجلة الأسبوع المصرى)

مذكراتى فى نصف قرن ٣٧١

(الجزء الأول من مذكراتى فى نصف قرن — جريدة الأهرام — جريدة السياسة — جريدة الأهرام — مجلة الايماج — جريدة الاجيبسيان غازيت — جريدة لوكريبه دى جيبت الفرنسية — الجورنال ديجيبت — مجلة الرسالة — جريدة الجهاد — جريدة البلاغ — جريدة الأهرام — جريدة الأهرام — جريدة الأهرام — جريدة السياسة الأسبوعية — جريدة الأهرام — جريدة الدفاع السورية — مجلة الراديو — اشتراكى فى نادى القلم المصرى وتكريمى بمناسبة صدور المذكرات — رسالة النشاشيبى — أقوال الصحف عن الجزء الثانى من المذكرات — حفلة الصحافيين — كلمة المؤلف — جريدة الجهاد — جريدة الاجيبسيان غازيت — جريدة روز اليوسف اليومية — المقطم — الأهرام — المقطم — أقوال الصحف عن الجزء الثالث الأخير — السياسة الأسبوعية — الاجيبسيان غازيت)

مؤلفاتى بين يدى جلالة الملك

عطف ملكى كريم يتوج حياتى ومؤلفاتى ٤٣٤

كلمة المقطم عن هذا العطف السامى ٤٣٥

مرض المؤلف ووفاته

أيامه الأخيرة ٤٣٧

وفاته ونعيه وتشييع جنازته ٤٣٩

رثاؤه ٤٤١

(كلمة الاستاذ سيد قطب — كلمة الدكتور منصور فهمى بك — رسالة السيد أمين الحسينى)

فهرس الصور

فى كتاب أعمالى بعد مذكراتى

صفحة	بيان الصور
١٤	إسماعيل شرين بك
٢٢	الملك والملكة
٢٥	الملك وعروسه
٢٦	إبراهيم المراكشى
٣١	محمود جم يقبل يد الملك
٣٥	الملك وولى العهد والعروس مطلين من الشرفة
٣٨	الأميرة وعروسها
٤٠	الأميرة فوزية تصافح المؤلف
٤٢	الأميرة فوزية مع ملكة إيران
٤٣	محمد مسعود بك
٥٠	الأمير حيدر فاضل
٥٧	أنطون الجميل بك — إميل زيدان بك — داوود بركات بك الأستاذ محمد سعيد لطفى
٥٩	لجنة الاحتفال بتكريم شوقى
٦٠	رياض بك الصلح
٦١	إحسان بك الجابرى
٦٣	إبراهيم جلال بك
٦٧	افتتاح حفلات التكريم بدار الأوبرا
٧١	الرابطة الشرقية تكرم شوقى
٧٢	تكريم شوقى بالقرشية
١٠٢	حفلة تكريم الثعالبى
١١٣	حفلة زعماء الشرق
١١٦	الأمير شكيب أرسلان
١١٩	حفلة رجال الجامعة الأمريكية
١٢٦	عبد الحميد أباظه بك — عبد العزيز رضوان بك — أحمد رشدى بك المحامى — يوسف نحاس بك
١٣٥	الملك أمان الله خان وزوجته الملكة ثريا
١٣٧	احتفاء الرابطة بسلطان حضرموت
١٣٩	تكريم أعيان البحرين
١٤١	محمد لبيب الكردانى بك
١٤٣	الأستاذ محمد شفيق غربال — عبد الحميد العجاتى بك — الأستاذ السباعى بيومى — الأستاذ عبد الله أمين
١٤٥	الأستاذ محمد فريد أبو حديد — الأستاذ عبد الحميد حسن — أحمد فهمى العمروسى بك — الأستاذ أمين إبراهيم كحيل

صفحة	بيان الصور
١٥٨	الملك عبد العزيز آل سعود
١٧٣	الأستاذ حسن الشريف
١٨٧	المؤلف فى الزى الجديد
١٩٩	أحمد نجيب الهلالى بك
٢٠٠	السيدة برتا فهمى
٢٠٦	المؤلف بين طلبة استراسبورج
٢١٠	سيد بهنس بك
٢١١	الأستاذ محمود علام القاضى
٢٤٩	فؤاد أباظه باشا
٢٦٩	صورة الدعوة
٣٠٢	هدية جمعية الرابطة الشرقية
٣١٨	الآنسة مى
٤٢٤	المؤلف يلقى تمهيداً لمحاضرته بالقاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية
٤٢٧	عبد الرحمن الرافعى بك

فهرس الأعلام

فى كتاب أعمالى بعد مذكراتى

(ا)

الدكتور أباته باشا ٣٠٥
الشيخ إبراهيم أطفيش ١٣٨ و ٢٩٧
إبراهيم المويلحى ٤٢٤
إبراهيم الهلباوى بك ٥٦ و ٦٤ و ٦٥ و ١٠٢ و ٣٧٨
إبراهيم دسوقى أباظه بك ١٣٦
إبراهيم بسيونى الخطيب ١٧
إبراهيم راتب بك ٦٢ و ٢٨٥
إبراهيم بن معمر ٢٨٠ و ٢٨١
إبراهيم ناصف الوردانى ٣٣١
أبو الإقبال اليعقوبى ٦١
أبو الهدى الصيادى ٣٩٦ و ٤١٠ و ٤٢٤ و ٤٢٦
الآنسة إحسان أحمد ٦٤ و ٦٥ و ٦٩ و ٧٤
إحسان الجابرى بك ٦١
الشيخ أحمد إبراهيم الجداوى ٢٣
أحمد بن الحسين وزير حضرموت ١٣٧
الشيخ الشربينى ٢١٨
السيد أحمد الشريف السنوسى ٢٨٣
الأستاذ أحمد الصافى (من تونس) ١٠٨
أحمد العوامرى بك ٥٦
أحمد المنشاوى باشا ٧٢ و ١٣٧
أحمد أمين بك ٥٦ و ١٤٤ و ١٧٠ و ٣٩٩
أحمد حافظ عوض بك ٥٢ و ٥٦ و ٥٨ و ٦٠ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٠
الأستاذ أحمد حسن الزيات ٥٨ و ٣٩٩
أحمد حلمى باشا ٢٣٢
أحمد راتب باشا ٣٧٩
أحمد رشدى بك (المحامى) ١٢٧
أحمد رشدى بك (المهندس) ٦٣
أحمد زكى باشا ١٢١ و١٣٦ و٢٨٠ و٢٩١ و٢٩٢ و ٢٩٥ و٢٩٧ و٣٠٩ و٣١٧ و٣٥٥
أحمد زيور باشا ١٤ و ٣٦٠
أحمد شفيق زاهر بك ١٤٤
أحمد شوقى بك ٥١ و ٥٢ و ٥٦ و ٦٠ و ٩٩ و ١٢١ و ١٣٠ و ١٥٤ و ١٥٧ و ١٥٩ و ٢٨٨ و ٤١١

أحمد صادق بك ٢٧٣ و ٢٧٤
أحمد عرابى باشا ٣٧٥ و ٣٧٩ و ٣٨٤ و ٣٩٠
أحمد عبد السلام الكردانى بك ١٤٢ و١٦١ و ١٦٣
أحمد عبد الوهاب باشا ٦٢
أحمد عبود باشا ٦٠ و ٦٢
أحمد عمر بك ٥٦ و ٢٩٧
الأستاذ أحمد غلوش ١٠٢
أحمد فهمى العمروسى بك ٥٣ و ١٤٤ ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٣٠٤
أحمد فهمى القطان بك ٦٣ و ١٤٤
أحمد لطفى المكباتى بك ٢٦٩ و ٢٧١
أحمد متين دفراى (وزير عدل ايران) ٣٦
الأستاذ أحمد محمد داود ٨١
السيد أحمد مراد البكرى ١٣١ و ٢٩٨
أحمد لطفى السيد باشا ٧٠ و ١٤٢ و ١٥٨ و ١٦١ و٢٥١ و٢٥٢ و٣٢٩
أحمد مظلوم باشا ٣٤٨ و ٤٢٠
أحمد نجيب الهلالى ٥٦ و ١٩٩
أحمد نجيب براده بك ٥٦
ادجار جلاد ٤٠٤
إسعاف النشاشيبى بك ٦٥ و ٨٠ و ٢٩٤ و ٤٠٣
أسعد براده بك ٧٠
اسماعيل الخديو ٢١ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٦٨ و٣٧٧ و٣٨٧ و٣٨٩ و٣٩٢ و٣٩٣ و ٤١٠
إسماعيل أباظه باشا ١٢٥ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ٢٥٣ و ٣٩٦ و ٤١٣
اسماعيل الشيمى بك ٤٢٢
اسماعيل المفتى بك ١٣٨
اسماعيل سرى باشا ٢٤٧
اسماعيل شيرين بك ١٤ و ٦٢ و ٦٩
اسماعيل صدقي باشا ٣٣٧ و٣٣٨ و٣٧٠ و ٣١٠
اسماعيل فاضل باشا ٤٣١
السير افلنج بارنج ٤٠٨
أغا خان ٣
السير الدن غورست ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٤٤ و ٤١٢
الأستاذ السباعى السباعى بيومى ١٤٢
لورد اللنبى ٢
الملك أمان الله خان ١٣٣ و ١٣٥ و ٣٥٥
الآنسة أم كلثوم ٧٠ و ٢٠٨
الأستاذ أمير بقطر ١٤٢
الأستاذ أميل خورى ٥٨
أميل زيدان بك ٥٦ و ٣٩٩
السيدة إميلى عبد المسيح ١٤٢
الأستاذ أمين إبراهيم كيل ١٤٤
الأمير أمين أرسلان ٥٦
أمين الدين أحمد خان بهادر ١٥٠
أمين الرافعى بك ٥٨

أمين سامى باشا ٣٦١
أمين واصف بك ١٢٥
أمين يحيى باشا ٢٤٩
أنطون الجميل بك ٥٦ و٧٥ و٣١١ و٤٠٠
أنطون مشاقه باشا ٥٣
أنيس المقدسى ٦٢ و ٩٠
الإمبراطورة أوجينى ٢٨ و ٢٩

(ب)

الأستاذ بدر الدين النعسانى ٩٣
السيدة برتا فهمى ٢٠٠
بطرس غالى باشا ١٢٩ و ٣٣١ و ٣٨٦ و ٣٩٦ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤٢٠
بهى الدين بركات باشا ١٦٥
الأستاذ بولس غانم ١٠٢
بولو باشا ٤١٤ و ٤٣١

(ت)

تاجور (الهندى) ١٣٠
تادرس شنوده بك ٤٩
الآنسة تحية رفعت ٢٠٢
توفيق باشا (الخديو) ٢١ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٣١ و ٣٤٠ و ٣٧٧ و ٣٨٠ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٩٠ و ٣٩٣ و ٤٠٦ و ٤٠٧
السيد توفيق البكرى ٤١٠ و ٤٢٤
الأستاذ توفيق اسكاروس ٥٦ و ١٢١
الأستاذ توفيق حبيب ٤٠٤
توفيق دوس باشا ١٨٦
توفيق رفعت باشا ١٢٥ و ٢٩٧
توفيق فهمى بك (الأميرالاى) ١٣٦
توفيق مكرم افندى ٥١
تيجران باشا ١٢١ و ٤٢٠

(ج)

جبرائيل تقلا باشا ٢٥٦
جرجس أنطون بك ٥٦ و ٦٢ و ٦٤
جعفر ولى باشا ٥٨ و ٦٣ و ٦٥ و ١٢٥ و ٣٩٩
جلال الدين باشا ٤٢٣
جلال فهيم باشا ٥٦ و ٦٥
جمال الدين الأفغانى (السيد) ٣٢٦ و ٣٧٨ و ٤٢٤
جودت باشا (وزير معارف تركيا) ٥٢
الأستاذ جورج أبيض ٢١٣
جورج زنانيرى باشا ٦٣
الأستاذ جورج طنوس ٥٨ و ٦٤ و ٦٩
الوجيه جورج لطف الله ١٦ و ٢٧٥
موسيو جورج ليج ١١٠
جيلوتى (الإيطالى) ١٢٨

(ح)

حافظ حسن باشا ١٢١
حافظ عفيفى باشا ٥٦ و ١٧٦ و ٢٢١ و ٢٣٢

الشيخ حافظ وهبه ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٨٦
حامد العلايلى بك ٢٥٢
الأستاذ حامد المليجى ١٠٢
الأستاذ حبيب ابراهيم كاتبه ٣٢٢
الأستاذ حبيب جورجى ١٤٤
الأستاذ حبيب جرجس ١٣٦
حبيب لطف الله بك ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨٣
سعادة حسن اسفنديارى (رئيس برلمان ايران) ٣٧
الأستاذ حسن الشريف ١٧٢
الأستاذ حسن الهوارى ٧٠
الأستاذ حسن جبره ٩٨
حسن حسنى بك المحامى ٦٣ و ١٣٢ و٢٩٧
حسن عاصم باشا ٢١٧ و ٣٩٦
حسن نافع ١٨٥
السلطان حسين كامل ٢٥٢ و ٢٥٩ ٢٦٢ و ٢٦٤ و٢٦٥ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٣٣٢ و ٣٧٧ و ٣٧٨
الشريف حسين ٢٩١ و٢٩٣ و٢٩٤ و٢٩٥
حسين رشدى باشا ١٢٥ و ١٢٩ و ٢٥١ و ٢٥٣ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٣ و٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٧٠ و ٢٧١ و٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٣٣٢ و ٣٨٦ و٤١٠ و ٤١٣
الأستاذ حسين شفيق المصرى ٤٠٤
حسين شيرين بك ١
حسين فخرى باشا ٣٢٨ و ٣٤١ و ٤٢٠
حفنى محمود بك ٦٢
حمد الباسل باشا ٦٢ و ٧٠ و ١٠٢ و ١٠٥
الآنسة حواء إدريس ٢٦
الأمير حيدر فاضل ٥٠

(خ)

خليل توفيق المحامى ٢٢٢
خليل ثابت بك ٣٩٩ و ٤٠٤
الأستاذ خليل مطران ٥٤ و ٥٨ و ٨٠ و ٨٣ و ١٢٧ و ٣٩٩
خليل محمود الفلكى بك ٥٦

(د)

مستر دانلوب ٣٣٠
داود بركات بك ٥٦ و ١٢٧
السير دنسون روس ١٤٠
لورد دوفرين ٢٩٢
دومرتينو باشا ٢٢٠

(ر)

موسيو راؤول بربيه ١١٠
رشيد باشا (التركي) ٢٨٠

مستر روب ١٤٢
روليبه بك ٤٢٠ و ٤٢٢ و ٢٢٤
السير رونالد ستورس ٢٢٥ و ٢٢٦
و ٢٢٧ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٤
رياض باشا ٢١٨ و ٣٢٨ و ٣٨٦ و ٣٩٨
الأستاذ رياض الجمل ٥٦
رياض الصلح بك ٦١
ريفرس وياسن ٣٢٥
رينار ميشيل ٤٠٠

(ز)

الدكتور زكي الساعى ١٢١ و ١٢٤
الدكتور زكى مبارك ١٠٢ و ١٠٥

(س)

سابا حبشى بك ٢٢٢
اللورد سالسبورى
الأستاذ سامى الشوا ٦٩
سعد زغلول باشا ١ و ٣ و ٤ و ٥
و ١١ و ٤٦ و ٦٣ و ٦٥ و ٦٦ و ٧٠
و ١٠٤ و ١٢١ و ١٢٥ و ١٢٩ و ١٣٣
و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣٢
و ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٤٧
و ٣٦٨ و ٣٧٨ و ٣٨٦ و ٣٩٩
الأمير سعيد حليم ٢٠٧ و ٣٥٩
النبيل سعيد حليم ٤١٤
سعيد ذو الفقار باشا ١٣ و ١٦ و ٢٣ و ٣٦
سعيد شقير باشا ٥٣ و ٦٣
سقراط سبيرو بك ٣٧٦ و ٤٠٧ و ٣٤٠
سليم النقاش ٣٧٨ و ٣٨٤
الدكتور سليم موصلى باشا ٥٣
النبيل سليمان داود ٣٣ و ٣٩ و ١١٩
سليمان شفيق باشا ٢٨١ و ٢٨٢
الأستاذ سليمان فوزى ٥٤
الآنسة سيزا نبراوى ٣٩٩ و ٤٠٤
سيد بهنسى بك ٢١٠
سيد خشبه باشا ١٠٢
الأستاذ سيد قطب ٣٧٣ و ٤١٨ و ٤٤١
الدكتور سيد كامل ٥٨ و ٦٠ و ٦٢ و ٦٥
و ١٨٢ و ٢٩٧ و ٣٥٩

(ش)

الدكتور شارل وطسون ١٢٠
شاهين باشا ٣٢٥
شبلى ملاط بك ٦١ و ٦٦ و ٦٩ و ٨٩
الأمير شكيب أرسلان ٦١ و ٨٧ و ١١٥
مولاى شوكت على (الهندى) ٢٨٥

(ص)

صالح جودت بك ٥٦ و ٧٢ و ١٣١
و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣
و ٣٠٦ و ٣٥٥
صالح بن سعد بن سالم (من لحج) ٩٢
صالح بن غالب سلطان حضرموت ١٣٧

(ط)

الدكتور طه حسين بك ٣٠ و ٥٦
و ٧٠ و ١٤٢ و ١٦١ و ٢٩٣ و ٣١٨
و ٣٩٩ و ٤٠٣
الشيخ طنطاوى جوهرى ١٠٣

(ع)

الخديو عباس حلمى ١٣ و ١٨ و ١٢٥
و ٢٦١ و ٢٦٣ و ٢١٦ و ٢٥٧ و ٢٥٩
و ٢٠٩ و ٢١٤ و ٢٦٤ و ٢٦٩ و ٢٧٢
و ٢٧٣ و ٣٢٧ و ٣٤٠ و ٣٤٦ و ٣٥٢
و ٣٥٣ و ٣٥٩ و ٣٦٨ و ٣٨١ و ٣٨٨
و ٣٩٣ و ٣٩٩ و ٤٠١ و ٤٠٦ و ٤٠٧
و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١١ و ٤١٣ و ٤١٤
و ٤١٦ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٣٠ و ٤٣١
عباس سيد أحمد بك ٦٢
الأستاذ عباس الخطيب ١٣٧
الأستاذ عباس المصفى ٢٣٦
الأستاذ عباس محمود العقاد ٤٢٦
الدكتور عارف الوديني ٥٦
السلطان عبد الحميد ٤٢٤
عبد الحميد أباظه بك ١٢٥ و ٢٩٣
السيد عبد الحميد البكرى ١٥ و ١٦
و ٥٣ و ٧٢ و ١١٤ و ١٣٠ و ١٣١
و ١٣٤ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٨١ و ١٨٧
و ٢٧٨ و ٢٨٥ و ٢٩٧ و ٣٠٢ و ٣٠٣
و ٣٠٨ و ٣١٩ و ٣٥٥
السيد عبد الحميد البنان بك ٦٣
عبد الحميد الرافعى (من طرابلس) ٩٤
عبد الحميد العجاتى بك ١٤٢
عبد الحميد بدوى باشا ٥٦
الأستاذ عبد الحميد حمدى ٥٦ و ١٨٧
الدكتور عبد الحميد سعيد ٥٦ و ٢٩٧
عبد الحميد بك شديد ١٦ و ٢٧٥
الأستاذ عبد الحميد عبد الحق ٥٦
عبد الحليم العلايلى بك ٥٦ و ٢٩٤
عبد الخالق ثروت باشا ٢ و ١٢٥ و ١٢٩
و ٢٧٢ ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٨٦
الدكتور عبد الرازق السنهورى ٣٩٩
الأستاذ عبد الرحمن الجديلى ٥٦
عبد الرحمن الرافعى بك ٣٨٨ و ٤٠٤
و ٤٢٦
السيد عبد الرحمن القصيبى ١٣٨
الأستاذ عبد الرحمن حلمى ٣٦٤
عبد الرحمن رضا باشا ٥٣
الدكتور عبد الرحمن شهبدر ٢٩٧
عبد الرحمن فهمى بك ١٢١ و ١٣٨
و ٣٠٠ و ٤٠٤ و ٤٠٦
عبد السلام الشاذلى باشا ٢٠٥
السلطان عبد العزيز ٤٣١
الشيخ عبد العزيز البشرى ٥٦
و ٥٨ و ٣٩٩
السيد عبد العزيز الثعالبى ١٠٢ و ١٠٤
و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠

و١١١ و١٥٥ و ١٥٨ و ١٥٩ و١٦٠
و١٦١ و١٨٧
الملك عبد العزيز آل سعود ١٥٤ و ١٥٧
و١٦٠ و٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٩ و٢٨٠
و٢٨١ و٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٨٩ و٢٩٠
و٢٩٥ و٣٥٤ و ٣٥٦
عبد العزيز رضوان بك ١٢٧ و ٣٤٩
الشيخ عبد العزيز شاويش ١٤٤ و ١٥٠
و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٤٢٤
الأستاذ عبد العزيز عتيق ٣٩١
عبد العزيز عزت باشا ١ و ٣ و ٢٢٨
و٢٣٦ و٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و٢٤٠
و٢٤١ و٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و٢٤٥
و٤١٠
عبد العزيز فهمى باشا ٥٣ و ١٨٦ و٢٥١
و ٢٥٢ و ٣٣٣
عبد الغفار الساعى ١٢١
الأستاذ عبد الفتاح السيد ٩٦
عبد القادر حمزه باشا ٥٦
عبد الله أباظه بك ٥٦
عبد الله الدملوجى بك ٢٨١
عبد الله آل زايد ١٢٨
الأستاذ عبد الله أمين ١٤٢ و ١٤٤
الأستاذ عبد الله حسين ٣٨٥
عبد الله عفيفى بك ١٠٢
عبد الله نديم ٣٥١
السلطان عبد المجيد خان ٣٥٥
الشيخ عبد المجيد اللبان ١٦٨ و ١٧٠
الأستاذ عبد المجيد نافع ١٠٢
الأمير عبد المنعم ٢١٦
عبد المنعم رسلان بك ٥٦ و ٦٢
الشيخ عبدالوهاب النجار ١٠٣ و ١٣٧
عبده الحمولى ٢٩
عثمان رفقى الچركسى ٣٢٦ و ٣٩٨
عثمان محرم باشا ١٢٥
عثمان مرتضى باشا ٥٨ و ٢٥٣ و ٢٥٤
و٢٥٧ و ٢٥٨ و٢٦٠ و ٢٩٧ و٣٠٠
عدلى يكن باشا ٢ و ١٢٥ و ٢٩ و ٢٥٥
٣٣٥ و ٣٦٢ و ٣٦٨ و ٣٨٦
عزت باشا (زوج فائقة هانم) ١٦
عزت العابد بك ٤٢٢
الأمير عزيز حسن ٢٥٨ و ٢٥٩
عزيز على المصرى باشا ١٣٦ و ١٨٧
الأستاذ عزيز ميرهم ٥٦
الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف ١٠٢
على إبراهيم باشا ٥٦
على أكبر بهمن (سفير إيران) ٣٧
السيد على البكرى ٢١٨ و ٣٢٥ و ٣٨٧
على الجارم بك ١٦١ و ١٦٣
على الرفاعى بك ٣٠٠
على الشمسى باشا ١ و ١٢٥ و ١٥٨
و ١٦٠ و ٣٦٠
على المنزلاوى بك ٥٣
على أيوب بك ٢٦ و ٣٩

على بك بهجت ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣
الأمير على حيدر ٤١٠
السيد على راتب ٣٩٩
على رفاعى بك ١٣٦
الشيخ على سرور الزنكلونى ٥٣
و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٣١ و ١٣٦ و ٢٩٧
على شعراوى باشا ٣٣٢ و ٣٣٣
الأستاذ على عبد الرازق ١١٩ و ١٨١
و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٢٩٣ و ٢٩٧
و ٣٩٩
على فهمى كامل بك ٥٦
على ماهر باشا ٩ و ٢٣ و ١٢٥ و ١٥٠
و ١٩٨ و ٢٠١ و ٢٢١ و ٢٢٧ و ٣٣٨
و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٤٣٤
على مبارك باشا ٢١٨ و ٣٩٥
على محمود بك ٦٢
الشيخ على يوسف (صاحب المؤيد) ٤٣
و ٣٣٠ و ٣٩٦ و ٤١١ و ٤٢٤
الأمير عمر طوسن ٦٠ و ١٢١ و ١٢٤
و ٢٥١ و ٣١٠
السيد عمر مكرم ٣٢٥
عيسوى زايد باشا ٦٢

(ف)

الملك فؤاد الأول ٩ و ١١ و ١٣ و ١٧
و ٥٠ و ١٥٠ و ٢٨٠ و ٣٥٨ و ٤٣٦
فؤاد أباظه باشا ٢٤٩
فؤاد حمزة بك ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧
فائقة هانم ٣٧٧
فارس نمر باشا ٥٦ و ٤١٣
الملك فاروق الأول ١٧ و ١٨ و ٢٣
و ٣٢ و ٣٦ و ١١٥ و ٢٠٢ و ٢٠٥
و ٢١١ و ٢١٩
فتح الله بركات باشا ٢٤٩ و ٢٧٩
فردينان دى لسبس ٢٨
الأميرة فريال ٢١٥
الملكة فريدة ٢٠ و ٢١ و ٢٣
فريد باشا (الصدر) ٢٥٨
فريد رفاعى بك ٢٩٧
الأستاذ فكرى أباظه ٣٩٩
موسيو فلاندان ١٠٩
مستر فندرج البلچيكى ٧٨
فهمى حنا ويصا بك ٦٢
الشيخ فوزان السابق ١٣٨ و ٢٧٩
و ٢٨٨ و ٢٩٧
الأميرة فوزية ٣٠ و ٣٢ و ٣٦ و ٣٧
فوشيه ٤٠٠
الملك فيصل ١٠٤ و ١٥٤ و ١٥٧
و ١٦٠ و ١٦١
فيصل آل سعود ٢٨٤ و ٢٨٦

(ق)

قاسم المشيراوى ١٣٨
قاسم أمين بك ٣٥٢

السيد قدور بن غبريط ٦٥
قلينى فهمى باشا ٥٦ و ٢٤١
قيصر المعلوف ٨٨

(ك)

الأستاذ كامل زيتون ١٠٢
كامل غالب بك ٢٩٧
موسيو كايو ٤٣١
اللورد كتشنر ٢٥٣ و ٢٧٢ و ٣٢٨ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٤١٣
اللورد كرزون ٣٦٢
اللورد كرومر ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٤١ و ٣٦٨ و ٤٠٩ و ٤١٢ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٤
دكتور كليلاند ١٤٤
كليمانصو ١٢٨
الأمير كمال الدين حسين ١٢٧ و ٢٧٢
الدوق أوف كنت ٤١٢

(ل)

لطيف سليم بك ٣٢٥
موسيو دى لموا ٤٠٠

(م)

الدكتور مؤدب نفيسى (رئيس ديوان إمبراطور إيران) ٣٦
الدكتور ماكلانهان ١٣١ و ٣٢٣
الدكتور مارتن هول ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣
الدكتور محجوب ثابت ٥٦ و ١٠٢ و ١٢١ و ٢٠٥ و ٣٥٥
محمد ابراهيم الباقر ١٣٨
محمد أجمل خان ١٥٠
الأستاذ محمد أحمد الغمراوى ١٤٤
الأستاذ محمد الأسمر ١٠٢
محمد الطيب الهزاز (رئيس الديوان الحجازى) ٢٨٠
محمد العشماوى بك ١٦١ و ١٦٣
السيد محمد الغنيمى التفتازانى ٥٣ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ٣٥٥
محمد الفرنوانى بك ١٠٢
الأستاذ محمد المكى الناصرى ١٦٣
الأستاذ محمد الهراوى ١٠٢
الأستاذ محمد الهمياوى ١٠٢
السيد محمد أمين الحسينى ٥٣ و ٧٠ ١٤٤ و ١١٥ و ١٥٤ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦١ و ٤٤٤
محمد أمين واصف بك ١٣٦
الشيخ محمد بخيت ١٨٣ و ١٨٤ و ٢٩٣ و ٣٥٥
الأستاذ محمد توفيق دياب ٦٩ و ٣٩٩ و ٤٠٣
اليوزباشى محمد توفيق على ٩٦
محمد توفيق نسيم باشا ١١ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ٣٣٨
محمد حافظ ابراهيم بك ٦٩ و ٨٥
محمد حافظ رمضان باشا ٥٣

الشيخ محمد حسن الفقى ١٤٢
محمد حسين هيكل باشا ١٦٨ و ٣٩٣ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٨
الأستاذ محمد خلف الله ٧٢ و ٩٥
محمد خليل عبد الخالق بك ١٤٢
محمد راسم بك ١
السيد محمد رشيد رضا ٥٣ و٥٨ و١٣٠ و ١٣٦ و١٣٨ و٢٨٢ و٢٩٧ و٣٠٧ و ٣٥٥ و٤٢٥
محمد رضا بهلوى (شاه بور) ٣٠و٣٣و٣٦
محمد رفعت بك ١٤٤
محمد زكى باشا ٤٢٠
السيد محمد زبارة ٢٩٧
محمد سعيد باشا (والى مصر) ٤٤٥
محمد سعيد باشا ١٢١ و ١٢٩ و ٢٦٠ و٣٣١ و٣٣٢ و٣٤٨ و٣٨٦ و٤١٣
محمد سعيد لطفى بك ٥٦ و ٣٩٥ و ٣٩٧
الشيخ محمد شاكر ١٢١
محمد شريف باشا ٣٢٦ و ٣٨٦
محمد شعراوى بك ٦٢ و ٧٠
محمد شفيق غربال بك ١٤٢ و ٢٢٦
محمد شوقى الخطيب بك ٦٢ و٧٢
محمد صبرى أبو علم بك ٦٣
محمد طاهر باشا ٢٦ و٤٠٨
محمد طلعت حرب باشا ١٥ و٦٠ و١٢٥ و ٢٥٠ و٢٧٦ و٢٩٧ و٢٩٩ و٣٠٠
محمد عارف باشا ٣٤٦ و٣٤٧
محمد عبد العليم العبادى ٥٦
الأستاذ محمد عبد الله عنان ٣٩٩
محمد عبد الواحد خلاف بك ١٤٤
محمد عبد الوهاب المطرب ٦٩ و٧٠ و ٧٢ و ٢٠٧
الشيخ محمد عبده ٣٥١ و٣٧٨ و٣٩٠ و ٣٦٩ و ٤٢٤
محمد عثمان ٢٠٨
محمد عرفى باشا ٢٥٩
محمد على باشا الكبير ١٧ و١٨
محمد على (الأمير) ١٧ و٢٣ و٣٧ و٢٠٩ و ٤٣١
الأستاذ محمد على الطاهر ٥٦ و ٦٢
محمد على (الهندى) ١١٠ و ٢٨٥
الأستاذ محمد على دلاور ٥٨ و ٦٣ و ٦٤
محمد على علوبة باشا ١١٥ و١٨٦ و٣٦١
محمد على مصطفى ١٤٢
الدكتور محمد عوض محمد ٣٩٩
محمد فاضل باشا (اللواء) ٦٣
محمد فريد بك ٣٣١ و٤٢٤
الأستاذ محمد فريد أبو حديد ١٤٤
الأستاذ محمد فريد وجدى ٢٣٧
الأستاذ محمد فكرى أباظه ١٢٧
محمد فهيم بك ١٦١ و١٦٣
محمد قاسم بك ١٦١ و١٦٣
محمد كامل البندارى باشا ٥٦ و٢١٢
الدكتور محمد كامل حسين ٣٩٩

الأستاذ محمد كرد علي ٦٢ و ٦٩ و ٧٠ و ٧٧ و ١٦١ و ٣٧٠ و ٣٩٣
محمد لبيب الكردانى بك ٥٣ و ١٤١ و ١٥٠
الأستاذ محمد لطفى جمعه ١٠٢ و ١٠٦ و ٣٢٣ و ٤٢٣
محمد متولى بك ٦٣
محمد محب باشا ٢٥٥ و ٢٦٠
محمد محمود باشا ٥ و ٦ و ٢٥١
محمد محمود خليل ٣٦٠
محمد مسعود بك ٤٣ و ٥١
محمد مصطفى المراغى (الشيخ) ٢٣ و ٢٤ و ٣٦ و ٣٧ و ٢٠١ و ٢١٩ و ٢٨٩
محمد نجيب الغرابلى باشا ١٢١ و ١٢٥
محمد نصار بك ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٤
محمد بن هاشم الأندونسى (السيد) ٦١
محمد هاشم العدنى ٦٢
محمد وحيد الأيوبى ٥٦
محمود أبو العيون (الشيخ) ٢٩٧
الأستاذ محمود أبو الفتح ٢٥٥
محمود أحمد باشا (العالم الأثرى) ١٢٣
محمود باشا الداماد ٤٢٤
الأستاذ محمود بسيونى ١٠٢
الأستاذ محمود تيمور ٣٩٩
محمود چم (رئيس وزراء إيران) ٣٠
محمود حمدى بك ٢٥٧
محمود خيرى باشا ٢٥٥
الأستاذ محمود رمزى نظيم ١٠٢
محمود زكى بك ٢٧٣
محمود سالم بك ١٨٢
محمود سليمان باشا ٣٣٢
الأستاذ محمود سليمان غنام ٤٠٤
محمود شكرى باشا ٢١٧ و ٤٢٠
محمود شوقى باشا ٥١
محمود صدقى بك ٥٦
محمود طرزى خان وزير خارجية الأفغان ١٣٥
الدكتور محمود عزمى ٥٦
محمود علام القاضى ٢١١
محمود فهمى باشا ٢٠٩
محمود فهمى النقراشى باشا ٢٢٦ و ٢٢٧
محمود مختار باشا ٤١١
الدكتور مختار عبد اللطيف ١٠٢
مختار الغازى باشا ٤١١
مدحت يكن باشا ٢٩٩
حيز مدام آمى خير ٤٠٠
مدام بشاره تكلا ١٢٤
مدام جوليت آدم ٤١٤ و ٥٢٢
مدام جيرو ٥١
مدام رولان ٥ و ٥١
مدام كايو ٤٣
السلطان مراد ٤٢٤
مراد محسن باشا ٣٦
مرقص سميكه باشا ١٢١

مصطفى الجمال ٢٧٥
مصطفى النحاس باشا ٥ و ١٠ و ١١
و ١٣٤ و ٣٣٧ و ٣٥٨
مصطفى رياض بك ٦٣
الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا ٥٣
و ١١٩ و ١٣١ و ٢٩٧ و ٣٩٩ و ٤٠٠
مصطفى فهمى باشا ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٣٢
و ٣٤٠ و ٣٩٩ و ٤٠٦ و ٤٢٠
مصطفى كامل باشا ٣٢٨ و ٣٤٠ و ٣٤١
و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٩٦ و ٤١٠
و ٤١١ و ٤١٤ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٤
مصطفى ماهر باشا ١٢٥
اللورد ملنر ١ و ٥ و ٨ و ١٠٤ و ٣٣٥
الاستاذ ممدوح رياض ٤٠٠
الوجيه مناع جاد الله ٢٠٧
الدكتور منصور فهمى بك ٥٣ و ٥٦
و ١٠٣ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٢١ و ١٣١
و ١٣٦ و ١٨٢ و ٢٩٣ و ٢٩٧ و ٤٤٣
الأستاذ مهدى أحمد خليل ١٢٧ و ١٤٢
موسوليني ١٠٤
ميرزا محمد رضا قزوينى ١٣٦
ميرزا مهدى رفيع مشكى بك ٥٦ و ١٠٢
و ١٠٨ و ١١٤ و ١٣٠ و ١٣٦ و ١٤٠
و ٢٩٧ و ٣٥٥
الآنسة مى زيادة ٥٦ و ٣٩٩
ميشيل لطف الله ٦٠ و ٢٧٥ و ٢٧٧
و ٢٧٨ و ٢٨٧
موسيو ميليران ١١٠

(ن)

الملكة نازلى ٢٠ و ٤١
نجيب حتاته بك ١٦١ و ١٦٣
نجيب مترى بك ٦٩
نجيب منصور شكور باشا ٦٣ و ٢٩٧
نجيب ميخائيل بشاره بك ٦٣
نجيب هواوينى ١٢٧
نديم الملاح (من إربد) ٦٢
الأستاذ نسيم صبيعة ٥٣ و ٥٤ و ٥٦ و ٣٠٨
الدكتور نصر فريد ١٨٢
نعمان الأعسر باشا ٦٠ و ٦٢
الأميرة نعمت مختار ٢٤
الأستاذ نقولا دياب ٦٠
نوبار باشا ٣٢٥
نور الدين مصطفى بك ١٣٦ و ٣٥٥

(ه)

موسيو هانوتو ١٠٧
هدى هانم شعراوى ١٧ و ٦٤ و ٦٥ و ٣٣٤
هرتس باشا ١٢٢
موسيو هريو ١١٠
مستر هندرسون ٥
موسيو هنرى جايار ٥٠
مستر هوسكنز (الأمريكى) ٣٢٣

(و)

الأستاذ وحيد الأيوبى ١٨٥
الأستاذ وديع البستانى ٩١
مستر ولفرد بلانت ٣٧٩
وهيب دوس بك ٦٣
السير ونجت ٣٣٣
دوق أوف ويلز ٤١٢
الرئيس ويلسون ٣٢ و ١١٤

(ى)

الإمام يحيي ١٦٠ و ١٦١ و ٢٨٠ و٢٨٢ ٢٨٤ و ٢٨٨
يحيي إبراهيم باشا ١٢٥
الأستاذ يعقوب صروف ١٣١ و ١٣٣
الأستاذ يوسف أحمد ٢٩٧
يوسف أصلان قطاوى باشا ٥١ و ٦٠
الشيخ يوسف الدجوى ١٨٣ و ١٨٤
الأستاذ يوسف العارف ١٤٢
يوسف ذو الفقار باشا ٢٠ و ٢٣ و ٤١
يوسف رضا باشا ٤٣١
يوسف سكاكينى ٢٥٨
يوسف سليمان باشا ١٢٥
يوسف شهدى باشا ٤٢٠
يوسف صديق باشا ٢٥٣ و ٢٧٣ و ٢٧٤ ٣٤١ و ٤٢٢
الأمير يوسف كمال ١٣٥
يوسف نحاس بك ١٢٧
الأستاذ يوسف يس (الحجازى) ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اهداء

إلى مصر

الوطن الذى فيه نشأت ، وإياه أحببت ، وله أخلصت ووفيت — أقدم هذه المذكرات لأشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل الغابر فى غير تزييف ولا التواء ؛ وما أخشى غير الله هو حسبى

أحمد شفيق

حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا

أحييكم أطيب التحيات وبعد فقد رفعت الى مقام مولاى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم النسختين الفرنسية والعربية من كتابكم الكريم «الرق فى الاسلام» فتقبلهما أعزه الله بأمثل الشكر وأطيب القبول .

ولقد كان تقدير جلالته لما أظهرتم فى هذا الكتاب من قوة البحث وروعة المنطق وحسن الاستنباط كتقديره لما أبديتم من أصدق آيات الاخلاص نحو ذاته المفداة وعرشه الكريم ، وانه حفظه الله لمذكر بالثناء الطيب ما بذلتم من السنين الصالحة والجهود الحميدة فى خدمة بيته المجيد. بارك الله لكم فى عمركم وفى علمكم ومتعكم بالهناء الشامل والصحة السابغة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛

مصر فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٨

المخلص

صورة خطاب صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا (رئيس الديوان الملكى) إلى المؤلف

[كان بين الفقيد وصاحب العزة الدكتور منصور فهمى بك الرجل العظيم والكاتب القدير والعميد السابق لكلية الآداب ورئيس المجمع المصرى سابقاً وكاتب سر مجمع فؤاد الأول للغة العربية والمدير العام لدار الكتب حالا من المودة والمحبة ماجعله يتفضل بتقديم هذا الكتاب إلى قرائه وفاء وإخلاصاً لذكرى الفقيد] .



الدكتور منصور فهمى بك

مقدمة

اتصل المرحوم أحمد شفيق باشا بشؤون الجامعة المصرية منذ نشأتها حوالى سنة ١٩٠٨ واتصلت بها منذ كنت مبعوثاً منها لأتزود من العلم فى باريس فى عهود الشباب حين كانت باريس كعبة لطلاب العلم المستزيدين .

على أن تلك الصلة التى ربطت بينى وبين المرحوم عن سبيل ذلك المعهد فى نشأته لم تكن كافية لأتوضح بها نفسية هذا الفقيد العظيم ، أو أتبين بها جانباً من جوانب علمه الدقيق ، وذكائه الحقيق ، وخلقه الممتاز . ولقد أتيح لى فى باريس أن قرأت كتابه (الرق فى الإسلام) وشعرت بما تشبع به هذا الكتاب من روح الأسلوب المنطق ودقة الباحث المؤرخ ، وتحسست عن هذه القراءة جملة مزايا تجدر بالمركز الممتاز الذى شغله صاحب هذا الكتاب فى أمور الدولة . لكنى رغم تعرفى لناحية من عقلية المرحوم شفيق باشا عن طريق قلمه ، كان يعوزنى المزيد .

ومرت الأيام وتتابعت أحداث ، لحق العالم منها ما لحقه من آلام الحرب الكبرى ، ولحق سياسة مصر ما لحقها من الغير ، وسافر سمو الخديو عباس حلمى فى صيف سنة ١٩١٤ إلى القسطنطينية ، وكنت إذ ذاك فى هذه العاصمة ، واجتمعت بشفيق باشا فى ندوة من ندوات هذه المدينة الشرقية الكبرى ، إذ وصلنى به زميل صباى فى البعثة الجامعية المرحوم الدكتور سيد كامل . وكان شفيق باشا حين رأيته من نيف وثلاثين عاماً أنيق الثياب ، فى وجهه وسامة ، وفى حركاته فتوة ، وفى حديثه عذوبة ، وفى ملامحه أمارات النعيم ، وفى إشارته أبهة المتصلين بساحة الملك ، ورشاقة المتخلين بآداب السلطان .

من يومئذ نزل المرحوم فى نفسى منزل التقدير ، ثم بعد ذلك عدت إلى مصر ، وإذا بالأيام تجمعنى بشفيق باشا فى القاهرة ، وفى دار آل البكرى ، وقد هجمت على المرحوم أمارات الشيخوخة من أثقال الحوادث . ومنذ ذلك الحين أخذت صلات

المحبة والمودة تربط بين نفسينا ، وأخذت الآمال فى تحقيق المثل العليا وأحلام الرابطة الشرقية توثق بيننا فى نجوى الأحاديث . وإذا كانت دواعى السياسة حالت بين المرحوم وبين الأعمال الرسمية والحكومية التى شغلها عن جدارة حقبة من الزمن فإن هذه الدواعى لم تحل بينه وبين خدمة التاريخ المصرى ، وخدمة أمل عزيز عليه طالما جال بنفوس المفكرين فى الشرق وفى بلاد الإسلام .

فأما التاريخ المصرى فحسبه من خدمته ما قام به من تدوين «حوليات مصر السياسية» ، و «مذكراتى فى نصف قرن» ، و « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » ، و « قناة السويس » ، وما إلى ذلك من الموضوعات التي تتصل بتاريخ بلاده ، مما كتب أو حاضر فيه . وليس هذا الكتاب الأخير « أعمالى بعد مذكراتى » الذى يظهر بعد وفاة مؤلفه إلا حلقة من حلقات نشاط المؤلف فى تدوين الحوادث المرتبطة بتاريخ البلاد فى الحقبة التى عاش فيها وكان من شهودها الصادقين .

على أننى أترك لأهل التاريخ تقدير القيم الحقة لمؤلفات الفقيد ، وحسبه فخراً أنه يسر للأجيال المقبلة أن ترى مصر فيما ظهر من حوادثها وما خفى من غير تمويه ولا التواء .

ولقد كانت وسائل المرحوم شفيق باشا فى خدمة التاريخ المصرى اتصالاته بمختلف الأوساط فى سياسة مصر وشؤونها الاجتماعية ، ومركزه الممتاز ، وذكاءه المستقرئ والمستنبط لكثير من الحقائق التى تتخلف عن منطق الحوادث ، وذاكرته الواعية الأمينة القوية ، ونشاطه الجم الدافع للعمل الموصول ، وحسن توجيهه لمن عاونوه من الشباب فى جمع مذكراته حين كان يرشدهم لأسلم المصادر والمراجع وأوثقها .

وأما الأمل الذى كان الفقيد يدأب وراءه فكان فيما ينشده من تحقيق فكرة الرابطة الشرقية . وكانت وسائله فى ذلك وفرة اتصالاته بذوى النفوذ الذين كان له فى نفوسهم تجلة واحترام ، لاقناعهم بما ينطوى عليه هذا الأمل من روعة وحق .

ولعله يكون من الخير ، وقد اتصلت بشفيق باشا فى خدمة هذه الفكرة ، وكنت ولم أزل من شيعتها وأنصارها ، أن أشير إشارة عاجلة لتوضيح ما يصح أن يفهم من هذا الأمل الذى لازم تفكير الفقيد حتى فى ساعاته الأخيرة من هذه الدنيا .

لم تكن فكرة الرابطة الشرقية مجرد وهم فى رءوس من يعملون لتحقيقها ، ولم تكن قائمة على تدبيرات سياسية يمليها الخيال المقتحم الجرىء ، لكن فكرة الرابطة الشرقية قامت فى نفوس شيعتها عن أصول اجتماعية تستفاد من تاريخ المدنيات وقيام الحضارات . ذلك لأن لكل أمة ما تتشخص به وتتميز حسبما تقضى به ظروف البيئة وبواعث الكفاح الحيوى . وإذا كان الأمر كذلك فإن طائفة من الأمم فى آسيا وأفريقيا ، وبخاصة تلك التى تأثر أهلها بتعاليم الإسلام وتقاليده ، قد تنزع لتحتل مركزاً جديراً بين الأمم ، وتطمح لتساهم فى نصيب من تقدم البشر ، على أنها قد تريد أن يكون ما تنزع إليه وتطمح إلى تحقيقه فى طابع خاص يميزه عن حضارة الغربيين . وعلى ذلك يرى نفر من رجالات هذا الشرق المتحفز أن من الوسائل المعينة على تحقيق رجائه فى النهوض ، العمل على توثيق الصلات بين مفكريه وأهله . وكان المرحوم شفيق باشا داعية قوياً لوجوب الترابط الثقافى والاقتصادى والأدبى بين هذه الأمم الشرقية الطموح . وقد تجللته الشيخوخة وتغشاه الضعف وزايله البصر ، فلم يؤثر كل ذلك فى نشاطه لدعوة الرابطة الشرقية المستولية على نفسه المستأثرة بلبه وهواه .

تلك كانت الروح التى تصل بين أنصار الرابطة الشرقية ، وتشحذ عزائمهم للعمل . ولو أنصف البعض من المخالفين فى ذلك لما عابوا هذا النزوع الكريم ، ولما صدّوا أشياع هذه الرابطة عن فكرتهم الصائبة المشروعة .

أما ما يقال عن شمائل المرحوم شفيق باشا وفضائله ففى القول متسع لمن يقصد الإسهاب . على أن أظهر ما يبدو من ذلك إيثار الحسنى ، واستبقاء أثر المعروف ، والخضوع للحق ، ومروءته ، ورحمته وإحسانه المستور ، وما إلى ذلك من الخلال الكريمة .

ففى ذات يوم أرادنى أن أقرأ له بعضاً من مذكرات خاصة خلصت له من صلته بسمو الخديو عباس حلمى ، ورأيت بعد أن قرأتها أن أرجح له الاستغناء عن بعض ما جاء فيها لقلة فائدته للتاريخ وحرصاً على ما ينسجم ذكره من حرمة للمكانات العالية التى نعم المرحوم بعطفها حيناً من الدهر ، وأصابه فيها ما أصابه من جميل الصلة والرعاية ، وذكريات المودة والإحسان . ولم أكد أتوجه بخيال المرحوم فى حمى سوالف الصلات والذكريات ، وما لها فى نفسه من كرم المنزلة ، حتى أطرق إطراق الحنون الذاكر لماضى

العهود ، وأجابنى إلى ما أردت حذفه ، لأنه كان يؤثر الحسنى ، ويذكر الجميل ، ويذعن للحق .

ومما يصح الإشارة إليه كذلك مروءته وعصبيته الوطنية حين تتمثل فى غيرته على مكانة ذوى النفوذ من المصريين . فكثيراً ما كنا نجده ينشط لتلمس المعاذير حين يشوب أعمالهم ما يتراءى فيه شبح الهفوات . وكثيراً ما كانت تدفعه أريحيته ومروءته ومكانته لاستخدام مسعاه لدرء أى مكروه قد يتعرض له أحد ممن عرفهم من ذوى المكانة من المصريين . ويدل على ذلك ما ذكره فى القسم الأول من الجزء الثانى من مذكراته عن الشيخ محمد عبده عند ما سافر إلى القسطنطينية فى سنة ١٩٠١ واستهدف لبعض الوشايات التى أثارت عليه غضب السلطان عبد الحميد ، ثم ما كان من عمل المرحوم شفيق باشا فى إحباط هذه المساعى السيئة التى كانت تحاك لتعريض الشيخ الكبير لنقمة السلطان .

وكذلك كان شفيق باشا رجل إحسان ، كما كان رجل مروءة وأريحية . وبالرغم مما كان يبدو لغير المتعمقين فى معرفته من ميله إلى القصد فى صرف المال اعتماداً على ما كان يرى فى مظهره من الصدوف عن مظاهر الأبهة والبذخ ، فإنه كان من هؤلاء الذين ينفقون المال عن طيب خاطر وكرم كلما دعاهم داعى البر المحمود . وأذكر أنه حدثت منذ سنين فتنة فى الأزهر الشريف ، ووشايات ترتب عليها أن فصل منه بعض أهله ، وكان بعضهم على رغم تعففهم رقيق الحال ، حقيقاً بالمساعدة والمعونة ، وكان شفيق باشا يمدهم بالمال عن سبيل بعض أصدقائه وهو حريص على ألا يعلم من أمر ذلك شىء .

هذا بعض ما أعلم من الجوانب الخلقية لشفيق باشا . وأضيف إلى ذلك بعض ما أعلم من نزعاته التى كان يطيب له أن يبوح بها لأخصائه . وفى نزعات المرء ما يستفاد منه للاستنارة فى الكثير من سجاياه .

لقد أعلم — كما يعلم غيرى — أن المرحوم شفيق باشا عاش فترة من الزمن فى الغرب واختلط بالحياة الغربية وبالغربيين ، وتغلغل فى أساليبها أثناء دراسته وسياحاته ولما يتطلبه عمله ومركزه ، وكان كالكثيرين من أهل زمنه وطبقته فى مطاوعة تيار المدنية الغربية ، وفى اتخاذ بعض أساليبها الخلابة . على أننى حين كنت أتبادل معه الحديث

فى قيم المظاهر البراقة لهـذه الحضارة الغربية — كان رحمه الله — يتوجع لدخول بعض عادات الغربيين فى أساليب الحياة الشرقية ، وكان يتمنى لو سلم هو وسلم الكثيرون ، وسلمت حياة المسلمين من تأثير هذا التيار الجارف من ناحية الحياة الغربية ، لاعتقاده أن فى التقاليد الإسلاميـة الصحيحة ما يكفل الخير لكيان الأسرة ، وسـلامة الأخلاق ، والحياة المطمئنة .

هذه كلمة عاجلة وجيزة أقدّم بها هذا الكتاب الذى تخرجه المطبعة لشفيق باشا بعـد أن دعاه الله إلى جواره ، ويتولى إذاعة هـــذا الكتاب بين الناس أبنـاؤه الأبرار ؛ إذ حرصوا على أن يحققوا لوالدهم ما كان يريده من إظهار هذا الكتاب الذى أسجل فيه للفقيد العزيز الراحل فضلا كنت أمسك عن ذكره فى حياته ، وأنشره اليوم فى ذكرى صداقته التى تمتعت بها فى أفراحى وفى أحزانى ، وفى ذكرى تلك الجلسات الخاصة التى طالما جمعتنى به فى الأصيل ، ومعنا المرحومان السـيد عبد الحميد البكرى والشيخ الزنكلونى ، وكنا فى داره « روضة شفيق » على ضفاف النيل حيث كنا نتبادل أحاديث الود الصافى وأحلامنا فى الرابطة الشرقية وتوجعاتنا على آداب الإسلام المنحلة المتلاشية ، حتى اذا غربت الشمس قام الزنكلونى يؤمنا للصـلاة فى مجلسنا على الحشيش الأخضر ، والنيل يجرى متهاديا مباركا من حولنا ، وذكر الله يعطر ما كنا ننشقه من هواء بليل عاطر .

والآن وقد انتقل إلى جوار الله البكرى فى أواخر مارس سنة ١٩٤٠ ، وشفيق باشا فى ١٨ اكتوبر من نفس العام (الموافق ١٦ رمضان سنة ١٣٥٩) ، ولحق الشيخ الزنكلونى بالمرحوم شفيق باشا بعـد وفاته بأسبوع ، ففى عام واحـد تلاحق الأصدقاء والزملاء فى الدعوة للرابطة الشرقيـة التى كانت الهم الشاغل للحاج أحمد شفيق باشا فى شيخوخته المباركة ، فلهم من الله الرحمة ، ومنا أطيب الدعوات وأكرم الذكريات .

القاهرة فى أول يوليو سنة ١٩٤١ — منصور فهمى

المفاوضات بين مصر وانجلترا

مفاوضات ملنر وسعد زغلول — فكرة عقد مؤتمر من المصريين فى أوربا — مفاوضات عدلى وكيرزون — تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ — موقفى من الخلافات الحزبية — محادثات سعد وماكدونالد — عبد العزيز عزت باشا ومقوله مصر فى السودان — مشروع محمد محمود لهندرسون — رأيى فى هذا الاتفاق — الجبهة الوطنية والمعاهدة — المعارضة من الوجهة الشكلية .

* * *

مفاوضات ملنر وسعد زغلول : كنت فى لوزان عام ١٩٢٠ أنتظر السماح لى بالعودة إلى الوطن العزيز ؛ وكانت المفاوضات جارية بين المغفور له سعد باشا واللورد ملنر*[١] ؛ واتحاد المصريين يكون جبهة واحدة منيعة ضد الاستعمار الطاغى مما دعا إلى الإعجاب والفخار . وقد انتهت المفاوضات بمشروع ملنر ، وبعث به سعد باشا إلى المصريين على يد أربعة من رجال الوفد ينضم إليهم ثلاثة من زملائهم بمصر ليعرضوه على البلاد ، وليظهروها على ما فيه من « مزايا لا يستهان بها »[٢] .

فكرة عقد مؤتمر من المصريين فى أوربا : قام بنفسى حينئذ أن أدعو إخوانى المصريين المقيمين فى أوربا إلى عقد مؤتمر منهم ، يدرس المشروع ، ويبدى رأيه فى أخطر مسألة تتعلق بحياة البلاد ومصيرها . فكتبت إلى طائفة منهم بذلك ، أذكر من بينهم على الشمسى باشا فى جنيف ، وحسين شيرين[٣] بك فى مونترو ، وعبد العزيز عزت باشا فى زوريخ ، ومحمد راسم بك[٤] فى فريبورج ، وغيرهم .

ولم أخف عن الذين كاتبتهم فى هذا الصدد رأيى ليكونوا على بينة من الأمر ، وليعلموا أن الدعوة خالصة لوجه الله والوطن دون سواهما .

---

* ١ . م . ج ٣ .

(٢) من وصف سعد باشا للمشروع — انظر بقية المفاوضات وفشلها فى الحوليات ، تمهيد رقم ١ .

* ٣ . م . ج ٣ .

* ٤ . م . ج ٣ .

رأيي في أسس الاتفاق : وكان رأيي يومئذ أن يكون أساس الاتفاق :

١ — أن انجلترا تعلن استقلال مصر .

٢ — أن مصر المستقلة تعقد مع انجلترا معاهدة صداقة تضمن بها مصالح الطرفين .

٣ — أن مصر — بمساعدة انجلترا حليفتها — تتخابر مع الدول صاحبات الامتياز في إلغاء الامتيازات الأجنبية .

فما لبثت فكرة عقد المؤتمر أن ذاعت حتى وافتنا رسائل عدة متحمسة ، يطلب أصحابها الانضمام ، ويحبذون الفكرة بحرارة ؛ وهبطت علينا هذه الرسائل من المصريين المقيمين في إيطاليا وفرنسا والنمسا وألمانيا وغيرها من نواحي أوربا .

فشل المؤتمر : وكذلك جاءتني إجابات الذين راسلتهم بالموافقة ، وحدث التشاور بيننا على تعيين المكان وتحديد الزمان . ولكن دعاة السوء راحوا يشيعون عن صاحب هذه الدعوة أن له صلة بالخديو السابق ؛ وأنه ربما كان متأثراً في أعماله العامة بهذه الصلة ؛ كأن مصلحة الوطن تفضلها مصلحة الأشخاص ، وكأن حق الوطن يقبل اللين أو المساومة — غفر الله لهم . وبفضل سعايتهم لم يتم عقد المؤتمر .

مفاوضات عدلي وكيرزون : وفي عام ١٩٢١ سافر الوفد الرسمي برآسة عدلي يكن باشا إلى لندن لمفاوضة الحكومة الانجليزية في طلباتنا ، فوصلها يوم ١٢ يوليه ، وابتدأ في مفاوضة اللورد كيرزون*[١] واستمرت المفاوضة حتى أواخر نوفمبر ، وانقطعت لأن عدلي باشا لم يستطع قبول ما قدمه اللورد كيرزون ؛ ثم عاد إلى مصر وقدم استقالته من رآسة الحكومة يوم ٨ ديسمبر .

تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ : وفي هذه السنة قام ثروت باشا واللورد اللنبي بمساع جدية لدى حكومة بريطانيا لإرضاء المصريين ؛ وقد نتج عن ذلك تصريح ٢٨ فبراير ؛ ويرى القارئ تفصيلات ذلك في الجزء الثالث من المذكرات .

موقفي من الخلافات الحزبية : مضت تلك الفترة من الزمن التي استحكم فيها الخلاف بين زعماء الأمة والعاملين على حريتها وتحقيق آمالها ؛ وكنت فيها بمعزل عن هذا العراك الحزبي الذي لم أجد فيه خيراً للوطن ولا للأحزاب ؛ وتحينت فرصاً عدة سعيت

---

١٠ الحوليات .

فيها للتوفيق بين رجالات مصر وعمدة نهضتها . ولكن مع شيء كثير من الأسف كان نصيبي نصيب غيري من الذين حملوا أنفسهم ما حملت نفسي في سبيل جمع الكلمة ورأب الصدع .

اخترت لنفسي أن أظل على الحياد أراقب عن كثب ما يتوجه به كل فريق نحو المطمح الأسمى من جهود ، وما يجنيه على الوطن من أخطاء ؛ فأسجل الحسنات وأحصى الهفوات في كتابي « حوليات مصر السياسية » الذي جعلته سجل النهضة القومية منذ بدايتها ، يرجع إليه أبناؤنا وأحفادنا فيحكمون غير متأثرين ، ويقولون لا متحيزين .

محادثات سعد وماكدونالد : وفي سنه ١٩٢٤ كان على رأس الوزارة في مصر سعد زغلول باشا ، وعلى رأس الوزارة الانكليزية مستر مكدونالد زعيم العمال وصديق الوفديين وهو صاحب الكلمة المشهورة : « إن حل القضيه المصرية لا يحتاج لأكثر من شرب فنجانة قهوة » . وعند سفر سعد اعتدى عليه شاب في محطة القاهرة بإطلاق الرصاص وهو ممن ينتمون للحزب الوطني ، ولكنه سافر بعد هذا إلى أوربا .

عبد العزيز عزت باشا ومقوده مصر في السودان : وقبيل بدء المحادثات بين سعد زغلول ومستر ماكدونالد أقامت جمعية الشرق الأدنى والأوسط مأدبة لحضرة صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا وزير مصر المفوض في لندرة ، في مساء ٢ مايو سنة ١٩٢٤ ، حضرها أغا خان وجم غفير من عظماء انكلترا ، فخطب سعادة عزت باشا خطبة ضافية تعرض فيها لمركز مصر والسودان وللمفاوضات القريبة . ومما جاء فيها ، بعد أن شكر لأعضاء جمعية الشرق الأدنى والأوسط مساعيهم في التفاهم بين بريطانيا ومصر :

إنني أشعر بأن نجاح هذه المساعي يعود الفضل فيه إلى الود الأكيد والعواطف القلبية ، وأعد هذا الاجتماع — وأنا واثق أن مواطني يوافقونني — شاهداً على الصداقة الموجودة الآن بين بريطانيا ومصر ، هذه الصداقة التي يحتاج إليها البلدان كل الاحتياج .

إنني لم تضعف ثقتي قط بتقاليد بريطانيا القائمة على الحرية ، والتي شادت عليها بريطانيا عظمتها الحقيقية . وهذا ما حملني على أن أبقى مطمئناً حتى في أظلم الساعات في تاريخنا الحديث . ولأنني كنت على يقين أنه لا بد من أن يأتي يوم يبادر فيه الشعب البريطاني نفسه إلى إنجاز العهود التي قطعتها بريطانيا لمصر . وإنني الآن سعيد إذ أرى أن هذا اليوم قد دنا ، وأن بريطانيا نفسها قدمت إلينا يدها باخلاص ، شأن الرجل الشريف الذي يعرف قيمة الصديق . فأؤكد لكم أننا نصافح هذه اليد وقلوبنا تفيض إخلاصاً لاننا نعرف أن مصر تحتاج إلى صديق مخلص بين الأمم . ونحن موقنون أنه إذ تأكدت صداقة بريطانيا في وسع وادي النيل بأسره أن يواجه المستقبل بثقة عظمى .

مصر والسودان : كانت مصر وما زالت منذ عهد محمد علي الكبير راغبة كل الرغبة في التوصل إلي تفاهم مع الدول الغربية . وقد تمكن من تثبيت ملكه وإصلاح مصر وإدخال الأساليب المدنية في وادى النيل بأسره . وأمرعت أراضى السودان وتأسست المعامل حتى علي النيل الأزرق .

وفى الوسع أن يرى ما توقعه ذلك الرجل العظيم بأعماله ، ووصفه اللورد روزبرى فيما بعد بقوله : « إن النيل هو مصر ومصر هى النيل » . مما رواه الدكتور ريشارد لبسيوس حوالي ١٨٤٢ مؤكداً أن محمد علي كان شديد الرغبة فى أن يستكشف جميع منابع النيل الأبيض . وقد تم ذلك على يد حفيده إسماعيل الذى كان عصره عصر تقدم وتجديد .

ثم ذكر الخطيب أن أعز المبادئ لدى الشعب الانجلوسكسونى هو مبدأ الإنصاف ، وهو نفس المبدأ الذى بشر به كونفشيوس وبوذا وموسى وعيسى ومحمد ؛ وقال إن الطبيعة البشرية واحدة . ثم تدرج إلى الكلام عن المفاوضات فقال :

تمهيد السبيل للمفاوضات : وهل لي أن أقول على ذكر الانصاف : كم هى الفوائد التى يستفيدها الفريقان اللذان سيجريان المفاوضات بالنيابة عن البلدين لو امتنعت الصحف والجمهور عن المجازفة فى إيجاد جو يثير الريب والشكوك ، وينجم عنه النظر إلى أى أمر بنظارة ملونة ؟

وبما أنى أعلق اهتماماً عظيما على اجتماعنا هذه الليلة فسأبسط لبني قوى مقاصدكم الشريفة . وأنا واثق بأن مصر كلها تقدر موقف جمعيتكم حق قدره ، ويكون جلالة مولاى الملك المعظم أول من يقدر حسن نيتكم وصفاء سريرتكم . ولن يفوت زغلول باشا رئيس حكومتنا أن يلاحظ بسرور عظيم ما جرى من التقدم نحو تحسين التفاهم بين بلدينا .

فعسى أن نحتفل في المستقبل القريب بالتاريخ السعيد الذي تعقد به معاهدة بين انكلترا ومصر ، تسجل بها صداقة وسلم دائمان شريفان بين البلدين مؤسسين على الاحترام وحسن النية المتبادلين .

صدى الخطبة : فلما تردد صدى هذه الخطبة فى الديار المصرية ، شكر الرأى العام وزير مصر المفوض فى الديار الانكليزية ، وعدوا كلامه بدء عهد جديد من الصفاء والصداقة بين البلدين ؛ وأرسلت له خطاباً أظهرت فيه إعجابي بهذه الخطبة ؛ فجاءنى منه فى ١٩ يونية سنة ١٩٢٤ الرد الآتى :

« صديقي الجليل

« وبعد فقد تناولت خطابكم العزيز بمزيد السرور . وأشكر لكم ما أودعتموه من عبارات الثقة والتقدير . وإنى أؤكد لسعادتكم أن كل ما أسعى إليه هنا هو تفهيم القوم وجهة النظر المصرية على حقيقتها ، لأنى أعتقد أن الصراحة فى هذه الأمور تخدم قضيتنا أكثر من أى وسيلة أخرى .

« ويسرنى جداً أن تكون الكلمات التى ألقيتها قد صادفت قبول المصريين على اختلاف آرائهم ، إذ كل ما نسعى إليه جميعاً هو الخدمة الصادقة للعرش والبلاد .

« وتفضلوا بقبول خالص التحية والاحترام » .

فشل المفاوضات : وقد تحطمت المفاوضات على صخرة السودان ؛ ورجع سعد زغلول فقال جملته المشهورة : « أرادوا منا أن ننتحر فأبينا الانتحار » .

مشروع محمد محمود — هندرسون : وفى عام ١٩٢٨ سافر محمد محمود باشا إلى أوربا فى ١٥ يونية . ومر بلندن فدارت المحادثات بينه وبين مستر هندرسون وزير خارجية انجلترا ، وانتهت إلى مشروع بالاتفاق المسمى باسمهما .

ولما عاد بالمشروع إلى مصر فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٨ عارضه الوفد برياسة النحاس باشا ، وأبى أن ينظر فيه إلا تحت قبة البرلمان . أى بعد إعادة الانتخاب حيث كان البرلمان معطلا إذ ذاك .

رأيى فى هذا الاتفاق : عندئذ رأيت أن أخرج من عزلتى لأعلق على المشروع . وكتبت فى يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٨ فى الأهرام والسياسة الكلمة الآتية :

« أبناء وطنى الكرام

« إن مصر لا تطمئن فى حاضرها ولا تأمن على مستقبلها إلا فى اليوم الذى تصل فيه إلى وضع حد لهذه العلاقات المضطربة بينها وبين انجلترا ؛ يفصل هذا الحد بين حياة الذل والشقوة والاضطراب التى نحياها الآن ، والحياة الحرة المطمئنة التي نطمع فيها ونطمح إليها .

«لذلك كان من الضرورى أن تنظم علاقاتنا بانجلترا معاهدة تضمن هى فيها مصالحها الحيوية المشروعة ، وتنزل لنا عما تغتصبه من حقوقنا الوطنية المقدسة . وانجلترا تريد أن تأمن الغول من ناحية قناة السويس ـ شريان إمبراطوريتها العظيمة المترامية الأطراف ـ وأنتم قد سلمتم بهذا المبدأ بلسان الزعيم سعد باشا فى مشروعه الذى قد قدمه للورد ملنر « لبريطانيا — إن رأت لزوماً — أن تنشىء ، على مصاريفها ، بالشاطىء الأسيوى لقناة السويس نقطة عسكرية . . . الخ » (المادة الثامنة من مشروع سعد باشا) .

« وهب ، أيها المصرى ، أنك تسلمت الآن قناة السويس وقامت فى وقت قريب حرب بين انجلترا ودولة أخرى ، واقتضت الخطط الحربية أن تضرب تلك الدولة قناة السويس لتقطع لانجلترا شريانها الحيوى وصلتها بمستعمراتها لتحول دون المدد والعون ، فكم تحتاج من وحدات الجيش وقطع الأساطيل وأسراب الطيارات وما إلى ذلك من معدات الحرب والكفاح لتضمن حياة أرضك وسلامة وطنك .

« ألا وإن المعاهدة فوق ذلك حلف قوى متين مع الدولة العظمى التى تتملقها سائر الدول ، وتخشى سلطانها وجبروتها ، مما يؤدى إلى كثير من الطمأنينة ، ومما يصرف بعض جهودنا المدخرة للنواحى الاقتصادية ؛ فنستكمل استقلالنا الاقتصادى وننميه ، وهو أساس الاستقلال السياسى الصحيح .

« إنها لفرصة سعيدة حقاً أن أتيح لصاحب الدولة محمد محمود باشا ، محبوًّا بارشادات وعطف صاحب الجلالة الملك ، الوصول إلى هذا الحل للقضية المصرية.

« أيها الشباب ، بفضل مثابرتكم على الجهاد وتمسككم بالحق ، وبما لزعمائكم من حصافة واستنارة وقوة — وصلتم إلى هذه النقطة : فلا تتركوا الفرصة تمر دون انتهازها ؛ ولا يشغلكم النضال الحزبى عن نجدة وطنكم الجريح ؛ وكونوا يداً واحدة ؛ « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » ؛ واعلموا أن الله معكم وأن الأجيال القادمة ترقبكم ؛ فلا تترددوا فى قبول ماعرض عليكم . فليس «محمد محمود» إلا ابن بجدتها ، وناسج بردتها ، وإلا أحد الباقين لنصرة الوطن فى ساعات الخطر . وإن التاريخ ليسجل له بالفخر ما أحرزه من النصر والله ولى التوفيق » .

وقد ترجمت جريدة الاجبشيان غازيت هذه الكلمة ونشرتها ونقلتها عنها بعض الصحف الافرنجية .

نداء ورجاء : وكتبت يوم ١٩ سبتمبر كلمة بعنوان « نداء ورجاء » :

« لجت الأحزاب فى الخصومة ، وكادت مصر تصبح من صرعاها . واستمرأت صحفها الشتائم ؛ وما علمت أن مجموع الأمة هدفها ومرماها . واستعذب هؤلاء وهؤلاء المقاتلة حول الأسلاب والأعراض . وليذهب أمل البلاد وجماع غرضها فيما يذهب من ضحاياها . وليت شعرى — والموقف جد — ما هذا الهزل ؟ ولست أدرى — والحال حرجة — فيم اللهو ؟ : تصايح وتحزب ومستقبل البلاد جملة مبسوط أمره فى صحيفة « مشروع

المعاهدة » يطلب الباحثين فيه والدارسين له ، وينادى الموقف بالويل للمتباطئين به ، والثبور للمعرضين عنه . كأن الأمر لا يعنينا فى قليل ولا كثير ، ولا يهمنا فى جليل ولا صغير .

« وأشد ما يؤسف له وأنكى ، وأعظم ما يتهدد الموقف وأشقى ، ما تتهاداه صحف الأحزاب كل يوم من شتائم تشمئز لها النفوس ، وتنفر منها الطباع ؛ كأننا قد فرغنا من قضية البلاد إلى قضية الأفراد ؛ وانتهينا من مشاغلنا القومية إلى مشاغلنا الحزبية — وتلك حال مؤذنة بالدمار داعية إلى البوار .

« إن الرءوس لم تقفر من العقول وحاشاها ؛ والقلوب لم تجدب من الحب والتعاطف معاذ الأخلاق ورحماها . فإلى هذه النفوس المستنيرة بالعقول ، وإلى القلوب العامرة بالمحبة والتعاطف . إلى زعماء الأحزاب وأنصارها ، إلى الراشدين من الأمة وهداتها — أتوجه بهذا النداء والرجاء المستفيض من قلب يكلمه ما يراه من فرقة وشتات ، ونفس يوجعها ما عليه بنو الوطن من تنازع وخلاف : آملا أن يوقفوا سيل هذا العداء الذى كاد يهوى بالوطن إلى كارثة أى كارثة ؛ ويحرك ألسن الأجانب والأضياف بالتقول علينا والحكم غير العادل على أحقيتنا للاستقلال وأهليتنا للحرية . فعلى زعماء الأحزاب أن تتهادن ؛ وليكن أسبقهم فى ذلك أكرمهم على نفسه وعند أمته ، وليسع الناس بين الأخوين المتخاصمين بالصلح ؛ وليستحدم كل ذى جاه جاهه فى قومه ولدى عشيرته ؛ ولتفرغ الصحف غير الحزبية ، بالأقل ، فى هذا جهدها ، حتى تستقر العواطف المتحفزة ، وترأب الصدوع المنثلمة ، وحتى يذهب ما فى الصدور من غل ، ولا يبقى فيها إلا حب الوطن الخالد .

« حينئذ نستطيع أن نقبل على الموقف نتفهمه ، وعلى المعاهدة نتدارسها لا متحيزين ولا متعنتين ؛ وقد مال سواد الأمة إلى قبولها ؛ وهى ، كما قدمنا ، خير ما وصلنا إليه حتى اليوم . وإنها لفرصة يجب ألا تضيع دون أن ننتهزها ؛ وإنها لظروف ينبغى أن نربح منها ونغتنمها . وجو السياسة كالبحر مملوء بالمفاجآت ؛ فمن يدرى ما عمر وزارة العمال وهى وزارة لا تستند فى بلادها على غالبية مطلقة ؛ ومن يعرف إن تخلت عن الحكم ماذا يكون نصيبنا مع المحافظين ، وغيرهم من المستعمرين أصحاب المشروعات السابقة .

« بنى وطنى :

« لا تشتروا بالأمل الألم والندم ؛ ولا تستعيضوا عن الحرية والحياة الشقاء والعدم ؛ ودعوا التكالب على المناصب فما هذا وقتها ، والتناحر حول مجد الحكم والسياسات فما نحن فى إبانها .

وارجعوا قليلا إلى الماضى القريب ، يوم كانت تفاوض لجنة ملنر « الوفد المصرى » ، وتدارس حالة مصر وتنازعه حقها ، وتطارحه المقترحات حول تقرير مصير البلاد ومستقبلها .

« أفلو كانت لجنة ملنر قد عرضت حلا للقضية المصرية « دستوراً » تقننونه ، و « برلماناً » تنتخبونه أو تعينونه ، أكنتم قابلين هذا حلا لقضيتكم وضمانا لمستقبلكم ، لاهين به عن عزيز استقلالكم وغالى حريتكم ؟

« إذن فما بال هؤلاء الناس ينصرفون عن الجوهر إلى العرض ، وقد أثبتت خمس سنين « برلمانية » أن الدستور والبرلمان لا شىء إن لم يقوما على أساس من تقرير مصير الأمة وأصل ثابت من استقرار حياتها ، وتحديد علاقتها مع الدولة المحتلة .

« هذا ندائى وجهته ، وذلك أملى رجوته ؛ وهو خليق أن يشاركنى فيه كل ذى رأى ، ويعيننى على تحقيقه كل مصرى خلق من تربة مصر وبنيلها ارتوى .

« فانه لعزيز علينا أن نرى مصر صريعة خلاف بين أبنائها ، ونرمق أملها فى حريتها تهصر غصنه ريح النزاع المستحكم بين قادتها وزعمائها .

« لتكن هدنة إن استعصى الصلح حتى نمر بالأزمة وتمر بنا وقد كسبنا الموقف وربحنا تقرير المصير .

« أيها المصريون ، كونوا صفاً واحداً وكلمة واحدة ؛ فان فعلتم تابعتكم الصحف وشايعكم الزعماء ورهبكم الخصم ثم غنمتم بغيتكم . « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ؛ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت » .

صدى النداء : وفى مساء يوم ١٩ ظهرت جريدة الأخبار وفيها افتتاحية بعنوان : « الائتلاف — نداء مسموع ورجاء مقبول » ؛ جاء فيها :

« نداؤك ورجاؤك بالائتلاف ، ونسيان الذات ، ونبذ الأحقاد ، والتغافل عن الشخصيات والهدنة — كل ذلك كان دليلا على سابق أعمالك وجليل ذكراك وجميل ماضيك . نفس عالية ، وروح طيبة ، ودعاء سام ، وبيان رائع — ذلك الذى تحلى به صدر الأهرام اليوم .

« نداء صاحب السعادة أحمد شفيق باشا موجه إلى الزعماء أولا ، وإلى الأحزاب ثانياً ، وإلى الأمة ثالثاً ، وإلى كل فرد من أفرادها رابعاً . ذلك والمصريون جميعاً يفرحون لهذا النداء ، ويبشون له ويغتبطون بهذا الرجاء ويستقبلونه .

« والمصريون جميعاً يوافقون على ماتخلله من وقائع وما تستر به من حكم ، وما انطوى عليه من أسى . والمصريون جميعاً يأسفون لهذا الحال ، ويتألمون أشد الألم .

« ومن ذا الذى لايخشى أن تزداد الخصومة أو تبقى حتى تصبح مصر من صرعاها ؛ وللتخاصمون أفراد والصرعى أمة .

« ومن ذا الذى لا يتألم أن يتقاتلوا حول الأسلاب والأعراض حتى يضيع ما لمصر من غايات وأغراض ؛ والكاسبون فى هذه الحالة عشرة والخاسرون أمة .

« ومن ذا الذى لايبكى للهزل فى موقف الجد ، واللهو حيث يجب العمل ؛ والهازلون يعلمون مغبة هزلهم ، واللاهون يدركون خطورة لهوهم . لأنهم يلهون دون غيرهم ، ويهزلون وحدهم ؛ ولهوهم محدد ، وهزلهم مؤقت ثم يخرون جميعاً . هم ضحايا أنفسهم ، والأمة على بكرتها ضحاياهم .

« ومن ذا الذى يسره التصايح والتحزب فى وقت فيه يبسط مستقبل البلاد ؟

« ومستقبل البلاد ليس ضيعة لواحد ولا عشرة . وحرية الملايين ليست ضئيلة إلى حد وضعها فى مهاب رياح الخصومات ؛ وإذا رأى البعض أن هناك فريقاً يهدم حريته فى سبيل غيره فليعلم أنه يهدمها فى سبيل بلاده ؛ وإنما يستغلها ذلك الغير وقد أدرك الكل كله ومضى العهد الذى يقتتل فيه المقتتلون على اغتيال حريات الناس لصالحهم دون بلادهم ؛ ومن ذا الذى لا تشمئز نفسه مما تتبادله الصحف من الشتائم فى وقت يجب فيه تبادل الود؟ والصحفيون إخوان ؛ والصحافة فى أصلها أستاذ الآداب على جميع الأشخاص والأفراد . نعم إذا أدرك الناس ذلك كله نستطيع أن نتفهم الموقف وتستطيع مصر أن تستفيد » .

إلى أن قالت :

« نعم إننا على رأى سعادته أن الدستور والبرلمان أمران تاليان للاستقلال . وكم من أمة مستقلة ليس بها دستور ولا برلمان . فمن ذا الذى يجعل المطالبة بهذين أولى من النظر فى أمر الاستقلال ، وأحق بالرعاية من بحث الموقف؛ والموقف يستحق البحث ويستوجب النظر ؟ »

* * *

الجبهة الوطنية والمعاهدة : وقد ظلت العلاقات غير مستقرة بين مصر وانجلترا حتى سنة ١٩٣٦ حينما تألفت الجبهة الوطنية من مختلف الأحزاب فى أواخر عهد المغفور له الملك فؤاد الأول ووزارة على ماهر باشا .

وسافر وفد من الجبهة المتحدة برياسة النحاس باشا للمفاوضة فى القضية المصرية، ووفق إلى توقيع المعاهدة المصرية فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ فكتبت الكلمة الآتية :

نظريتي تتحقق : بعد ثمانية عشر عاماً فى النضال المستمر بين مصر وانجلترا انتهي الأمر بالاتفاق على مشروع معاهدة نرجو الله أن يوفق الفريقين لاتمامها .

لقد ابتدأ النضال سنة ١٩١٩ والأمة كتلة واحدة ، يربطها الاتحاد المقدس بين أبنائها ، وها هى ذى المعاهدة تكاد تتم والأمة كذلك كتلة واحدة ، بعد ما كان الشقاق الحزبى قد بلغ أشده وأخر حل القضية المصرية هذه السنوات الطويلة ، واستغله الانجليز لمصلحتهم في كثير من الأحيان .

وفى هذه المناسبة أذكر أنه كانت لى نظرية فى حل القضية المصرية بسطتها فى كتابي بالفرنسية « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبي فيها » فى سنة ١٩٣٠ ، وأرى أن هذه النظرية قد تحققت أخيراً في المحادثات الحالية .

ففى صفحة ٢٠٨ من الكتاب قلت ما ملخصه : إنه يجب أن تتجه جهودنا للوصول إلى إتفاق شريف يحقق مصالح مصر وانجلترا . وبما أن هذه الأخيرة لا يتيسر لها لأسباب سياسية إدخال مصر فى مستعمراتها ، فلتكن لها معينة في الدفاع عن قناة السويس ، لأن مصلحة الدولتين تلتقى عند هذه النقطة ، وأن الاستقلال التام لا يتنافي مع محالفة مصر لدولة قوية لها مصالح فيها تتفق مع مصلحتها .

ذلك أن مصر دولة ناشئة ، وليس لديها من الجيوش والمعدات ما يمكنها من المحافظة على استقلالها فى الحال فاذا انفصلت عن انجلترا تماماً ، فلا يبعد أن تقع عليها دولة أجنبية فنكون قد استبدلنا احتلالا باحتلال .

وكذلك إذا دخلت انجلترا الحرب مع دولة أوربية ، فان هذه تجنح إلي إصابة الهدف ، بقهر انجلترا فى قناة السويس ، وحينئذ ستضطر مصر إلى الدفاع عن كيانها واستقلالها بمالها ورجالها ، وتكون فى الوقت نفسه قد دافعت عن انجلترا التى لم تتحمل من النفقات شيئاً فى هذا الدفاع .

ومن هذا يتبين أن مصر وانجلترا حليفتان طبيعيتان ، فمن المناسب أن ترتبطا بمحالفة تركن بها مصر الى دولة قوية ، وتعتمد بها انجلترا على صداقة مصر لها .

وفى صفحة ٢١٢ ناشدت إخوانى المصريين بأن الخلاف بينهم لا يؤدى إلا لدوام الاحتلال ، وأن وجود الأحزاب حسن في الشئون الداخلية ، ولكن يجب الاتحاد فى المسائل الخارجية .

ووجهت الحديث للشبان فقلت لهم :

إن لي ثقة فى مستقبل البلاد وفيك أيتها الشبيبة النامضة التى ستصل إلى ما لم نكن — نحن رجال الماضى — قد وصلنا إليه .

والآن أحمد الله على أن الاتحاد المنشود قد تحقق بفضل عزائم الشبيبة ، كما أن نظريتى فى التحالف مع انجلترا قد تحققت بفضل حنكة زعمائنا السياسيين ومرونتهم ، وحسن النية التي أظهرها الجانب البريطانى .

والله يوفق مصر لتحقيق أمانيها .

كيف نستقبل عيد الاستقلال : ثم كتبت كلمة أخرى بعنوان « كيف نستقبل عيد الاستقلال » ، جاء فيها :

استقبل الشعب بالفرح والسرور ، نبأ توقيع المعاهدة وأخبار الحفاوة التى لقيها ممثلو مصر فى لندن ، ومظاهر الصداقة التى قوبلوا بها من البريطانيين فى عاصمتهم .

وكل مخلص يحمد الله الذى توج جهود الزعماء بالنجاح ، فوصلنا إلى مرحلة الاستقلال الذى طالما نشدناه وبذلنا من أجله التضحيات الجسام .

وستكون الخطوة التالية عرض مشروع المعاهدة على البرلمانين المصرى والانجليزى ، وإذا تمت الموافقة فحينئذ يكون على المصريين ،حكومة وشعباً ، أن يستقبلوا العهد الجديد بكل مظاهر الحفاوة والسرور ، حتى يشعر كل فرد بالتغير الذى طرأ على حياة مصر ، ويرى مظاهر ذلك جلية واضحة .

وينبغى ألا تنفرد العواصم والمدن بالحفاوة ، بل تشترك معها كل القرى والريف ، ويصل صدى الابتهاج إلى العامل والزارع وغيرهما .

لهذا يحسن التفكير منذ اليوم فى تنظيم مظاهر الاحتفال . وقد جال بخاطرى أن يكون من بين هذه المظاهر :

١ — استعراض الجيوش المصرية فى العاصمة ، ثم تقام حفلة موسيقية تشترك فيها جميع موسيقات الجيش .

٢ — إطلاق مائة مدفع ومدفع فى القاهرة والاسكندرية وواحد وعشرين مدفعاً فى كل محافظة أخرى ومديرية فى آن واحد ، إيذاناً بالعهد الجديد .

٣ — تزين العاصمة والاسكندرية وجميع المحافظات والمديريات والمراكز بالأنوار والأعلام . أما القرى فتزين على الأقل فيها دور العمد ، وتحدد ساعة واحدة — ولتكن ساعة الظهر مثلا — لتلقى كلمة من فوق المآذن يعلن فيها المؤذن بصوت عال استقلال البلاد بتوقيع المعاهدة بين مصر وانجلترا الصديقتين .

وفى الليل تنار المآذن فى كل مكان ، وتشعل المشاعل ، ويطاف بها فى الشوارع ، وتطلق النيازك فى المحافظات والمديريات .

٤ — توضع على النيل زينات وأنوار ليلية وكذا الحدائق العامة ، ويباح الدخول فيها جميعاً حتى الصباح .

٥ — يقام سباق للزوارق بجهة الجزيرة مزينة بالأزهار والأنوار وتقدم للفائزين جوائز من قبل الحكومة

٦ — تطبع الحكومة مجموعة تضم صور الرجال الذين جاهدوا للوصول إلى هذا الاستقلال ، ومناظر الزينات والاحتفالات التى تقام فى كل مكان ، من الحكومة أو الأفراد . وتبدأ هذه المجموعة التاريخية بصورة المغفور له الملك فؤاد الأول الذى آخى بين الزعماء وألف بينهم فى المرحلة الأخيرة ،ثم صورة الزعيم العظيم سعد زغلول باشا وعلى جانبيه أم المصريين وخليفته مصطفى النحاس باشا ، ثم محمد توفيق نسيم باشا الذى تمكن من إلغاء دستور سنة ١٩٣٠ وإعادة دستور سنة ١٩٢٣ فى وزارته الأخيرة ، ثم رؤساء الأحزاب الذين كانت لهم اليد الطولى فى اتحاد الجبهة الوطنية ، مع ضحايا الشبيبة الذين قدموا أنفسهم فداء للوطن ، ورسل السلام الذين سعوا للائتلاف أحياء وأمواتاً ، ثم أعضاء وفدي المفاوضة المصريين والانجليز . وهذه المجموعة ، تبيعها الحكومة للأفراد وتودع فى جميع المديريات والمحافظات والمراكز وفى المكتبات العامة بالقاهرة والأقاليم ، لتكون تذكاراً دائماً ليوم الاستقلال .

٧ — تأليف مظاهرة شعبية عظيمة . يتقدمها رجال القضاء والنيابة والمحاماة بوشاحاتهم ، والموظفون والطلاب والأعيان والتجار . وتمر هذه المظاهرة بالشوارع الهامة ودار المندوب السامى ،وتنتهى بسراى عابدين ، حيث تهتف هذه الجموع لجلالة ملك مصر المستقلة .

هذا ما جال بخاطرى . وعلى المفكرين أن يدلوا بآرائهم ، حتى يستكمل هذا اليوم التاريخى جميع مظاهر الحفاوة والتعظيم .

وإذا تم التصديق على المعاهدة من البرلمان فى دور الانعقاد التالي ، حيث يوافق فصل الشتاء ، كان ذلك الاحتفال دعاية عظيمة لمصر أمام السائحين الأجانب الذين يفدون بكثرة ، ولا شك ، لمشاهدة هذا الاحتفال العظيم .

المعارضة من الوجهة الشكلية : كانت صحيفة المصور تقوم باستفتاء حول موضوع فائدة المعارضة . وقد سألتنى رأيى فكتبت إليها ما يأتى بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٣٦ .

لا أرى الآن فائدة للمعارضة ، فقد يكون لها شأن لو أنها كانت تحدث أثراً جوهرياً فى السياسة المصرية ، أو كانت بحيث تستطيع الوقوف فى وجه الأغلبية ، لأن المعاهدة ستصادف في البرلمان أغلبية ساحقة ، كما أنها قد صادفت من الأمة موافقة تكاد تكون تامة . وهى جديرة بهذه الموافقة لأنها ضمنت لمصر كثيراً من الحقوق ، وحددت مركزها ، وفتحت أمامها عهداً جديداً تتصرف فيه لاصلاح شئونها الداخلية ، فان مصر فى الواقع محتاجة إلى هذا الأصلاح فى جميع نواحي حياتها الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والادارية .

ولو أن هذه المعاهدة كانت قد أمضيت منذ سنة ١٩٢٠ لكنا قطعنا شوطاً كبيراً فى الاصلاح والتقدم .

على أنى لا أنكر أن المعارضة قد يكون لها فائدة من الوجهة الشكلية . وإذا كان هناك فى انجلترا من يعارض المعاهدة ، وكان بعض النواب الانجليز يستعدون لمعارضتها في البرلمان على الرغم من موافقة الحكومة الانجليزية عليها ، فأنا أظن أن وجود معارضة عندنا يدل على أننا لسنا أقل منهم طمعاً في أن نكسب لبلادنا خيراً مما كسبناه .

فعلي هذا الأساس يجب أن تقوم المعارضة — إن كان لابد من قيامها .

علاقاتى بالسراى

فى عهد الملك فؤاد — فى عهد الفاروق

***

فى عهد الملك فؤاد : فى يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٤ قابلت توفيق نسيم باشا *[١] وزير المالية بخصوص قضية الأوقاف ضدى التى سبق تفصيلها فى الجزء الثالث من مذكراتى .

وقد دار الحديث حول علاقاتى بالخديو السابق ؛ فشرحت له شيئاً مما نالنى بسببه من الأضرار المادية والأدبية . وقلت : « وهذه مسائل أتركها للقضاء والقدر ، ولكن الذى يكدرنى أننى لما حضرت لمصر ، وكانت قضية الأوقاف مرفوعة ضدى وضد عباس الخديو السابق ، اقتصرت على تقييد اسمى فى سجل التشريفات الملكى فى المواسم والأعياد.

« ولما انتهت القضية بالحكم فيها أردت أن أقوم بالواجب نحو جلالة الملك ، فطلبت الإذن بالمقابلة عن طريق سعيد باشا ذو الفقار*[٢] ، فلم أحصل عليه للآن ، فتألمت أشد الألم خصوصاً وأن علاقاتى مع جلالته قبل الحرب كانت طيبة » .

فقال نسيم باشا متأثراً : « إنك ياباشا معذور فى ألمك وكذلك جلالته معذور » .

وفى يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٥ توجهت إلى سراى عابدين للمعايدة ، فدخلت التشريفات مع الباشوات غير الموظفين ، وسلمت على جلالته يداً بيد كالمعتاد ؛ ثم مررت وخرجت .

وفى يوم ٢٨ يونيو ورد لى من محافظة مصر رقعة دعوة جاء بها :

« بمناسبة عيد الأضحى المبارك المرجو التوجه إلى سراى رأس التين العامرة فى الساعة الثامنة افرنكى من صباح يوم الخميس ١٠ ذى الحجة الموافق ٢ يوليو سنة ١٩٢٥ للتشرف برفع فروض التهانى والتبريك لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك حفظه الله » .

---

١٠ الحوليات

٢٠ المذكرات كلها .

فاستغربت لهذا التعبير .

وقد خفت أن تكون هذه الدعوة مرسلة إلى اللواء أحمد شفيق باشا وجاءتنى خطأ ، وذلك نظراً لأنها تأتى لأول مرة . فاتصلت تليفونياً باسماعيل شيرين بك محافظ العاصمة بالنيابة مستفهماً عن ذلك فقال : « لا أعلم ؛ ولكن لماذا تسأل؟» قلت : « لأتأكد وأنفذ الدعوة» . قال :«افرضها لك» فقلت «حينئذ سأذهب » . فشكرنى .



إسماعيل شيرين بك

ولما ذهبت إلى السراى وجدت جموعاً كثيرة من مختلف الهيئات والطبقات فى انتظار التشرف بالمقابلة الملكية ؛ فانتظرت هناك حتى جاء موعد تشريف الباشوات غير الموظفين .

ولما قابلت جلالة الملك سلم علىّ بيده وسألنى عن صحتى قائلا : « إزيك » .

وكانت هذه هى أول كلمة صدرت لى من جلالته بعد عودتى إلى مصر .

وقد فهمت من هذا أن السحب قد تقشعت فى علاقاتى بالسراى ، وأنه سيبدأ عهد جديد ، وأن هذا قد يكون نتيجة لتأكد جلالته من صادق إخلاصى لعرشه .

وعند خروجى قابلت زيور باشا رئيس الوزراء فى السراى فأخبرته بهذا التغير الطيب فقال : « برافو شفيق باشا » .

وفى يوم ١١ مارس سنة ١٩٢٦ قابلت نسيم باشا رئيس الديوان الملكى وأفهمته أننى بناء على دعوة المحافظة لي سافرت إلى الاسكندرية لتهنئة الملك بعيد الأضحى السابق ، وأن جلالته عطف على وسألنى عن صحتى فشكرته ، وقلت : «الحمد لله قد انقشعت السحب وزالت الشبهات » .

ولكن فى عيد الجلوس لم يرد لى ولا للرابطة الشرقية رد على التهانىء البرقية التى

رفعتها نيابة عن الرئيس ، فاستغربت . ولكن زال هذا الاستغراب من نفسى لما سمعت ممن يوثق به (١) أن جلالة الملك يظن أننى أقوم فى الرابطة بالدعاية للخديو السابق . ولا أعلم من الذى دس لى هذه الدسيسة . وكنت أنتظر من الملك ، وهو يعرفنى ، أن يطلبنى ويسألنى عن كل شىء ، فأجيبه بصراحة .

ثم قلت : «إننى لما رأيت عطف الملك كنت فكرت فى إهداء كتاب لتعليم الأطفال قواعد اللغة العربية لولي العهد (وأوضحت للباشا طريقتى فى هذا الكتاب) حتى لقد فكرت فى أن أتطوع للاشراف على تربية سموه . ولكن هذه الأفكار اختفت حينما سمعت بنبأ الوشاية ضدى .

«وقد ترددت فى الاهتمام بها ، أو تركها تمر دون اكتراث ، لأننى معروف للجميع باستقامتى وصراحتى . وفضلا على ذلك فأنا لا أطمع فى وظيفة ولا فى رتبة أو نيشان ، ولكننى أرجو فقط أن يمد الله فى حياتى حتى أنشر مذكراتى وأخدم بلدى والعرش ، على قدر استطاعتى . ولكننى عدت فرأيت أن إزالة هذه الشبهات أمر لازم ، فجئت لعرض هذه المسألة على دولتكم لتتصرفوا فيها بحكمتكم .

« أما إذا كان جلالة الملك يشك فى إخلاص الرابطة لعرشه ، فأنا مستعد للاستقالة منها ويأخذها جلالته تحت رعايته ، ويضم إليها من يشاء » .

فأجابنى بأن الملك لا يحب أن يتداخل فى مسائل كهذه .

ثم أخبرته بأن حزب الاتحاد طلب خمسين طلب انضمام إلى الرابطة ، وأننى سمعت أن السراى ستعطف على الجمعية وترغب فى معاضدتها ، وكان ذلك فى عيد الأضحى .

فاستغرب لذلك وقال : «إن الوشاية حينئذ حدثت بين عيد الأضحى وعيد الجلوس» .

قلت : «أظن ذلك» . ثم تركته وخرجت .

وفى المساء أخبرت سماحة السيد البكرى *١ بما دار بينى وبين نسيم باشا من الحديث فدهش وقال : « يجب علينا حينئذ ألا ندع فرصة تمر دون الاتصال بالسراى » .

وفى يوم ٧ أبريل سنة ١٩٢٦ وردت إلى رقعة دعوة من المحافظة لأداء فريضة الجمعة مع جلالة الملك فى جامع عمرو .

---

(١) سمعت ذلك من طلعت حرب بك في اليوم السابق .

وفى يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٢٦ أرسلت باسم السيد البكرى برقية تهنئة إلى جلالته بمناسبة عيد الفطر ؛ وقد قابلنى السيد يوم ١٧ وسلم إلى برقية رد التهنئة من كبير الأمناء فى أسلوب لطيف جاء بها :

« إنه عرض تهانى الرابطة لجلالة فأمره بابلاغ السيد البكرى وأعضاء الرابطة شكره وامتنانه » — وكانت هذه أول مرة يصلنا فيها رد التهنئة .

وفى يوم ٢١ أبريل دارت محادثة بينى وبين الأمير جورج لطف الله بخصوص وخصوص البنك الحجازى ، فعلمت منه أن أحد أصحابه (سعيد ذو الفقار باشا) قال له : « لما سمعنا بأن البنك اختار عبد الحميد بك شديد [٢*] لإدارته ، وهو من جماعة عباس ، قلنا : اختاروه لخبرته المالية . وبعد ذلك عينتم شفيق ، فما الحكمة فى تعيينه مديراً للبنك كذلك ؟ »

فرد بأنه لم يسمع منى شيئاً يتضح منه تعلق بعباس ، وأن اختيارى كان لصفتين قلما تتوافران فى آخر ، وهما الأمانة والاقتصاد . فوافقه محدثه على ذلك .

عندئذ قصصت عليه ما بلغنى من طلعت بك ومحادثتي مع نسيم باشا بخصوصها .

وفى يوم ٩ اكتوبر سنة ١٩٢٦ كان عيد الجلوس ، وقد أعلنت التشريفات أن الاستقبال من الساعة ٩ ونصف صباحاً لمن كانوا بالاسكندرية فقط حيث كان جلالة الملك فى مصيفه . ولكنى ذهبت إلى سراى رأس التين قبل الميعاد فوجدت جموعاً من كل المديريات ، ففهمت أن التشريفات لعلمها بقدومهم خصصت لهم، بصفة غير رسمية وبدون إعلان ، المدة ما بين الساعة الثامنة والساعة التاسعة والنصف .

وقد بدأت التشريفات بالباشوات غير الموظفين ؛ وكان يتقدمنا عزت باشا زوج فائقة هانم وأنا بعده . ولما مررنا أمام الملك استوقف الأول وسأله عن صحة حرمه ، ثم صافح الباقين .

وفى المساء ذهبت لحفلة الشاى فى حديقة انطونيادس ، وكنت مدعواً إليها ، وقد حضرها نحو خمسمائة .

---

١٠ . م . ج .

٢٠ . م . ج ق ٢ . ج ٣ .

ولما عدت للفندق شاهدت موكب الملك قادماً من رأس التين إلى دار المجلس البلدى لحضور حفلة شاى لتكريم جلالته ؛ وكان يقابل بالهتاف من الجمهور ، وكانت الزينات بالغة فى الشوارع .

فى عهد الفاروق : بعد وفاة المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول تولى العرش نجله العظيم فاروق الأول — وبذلك بدأ عهد جديد فى علاقاتى بالسراى .

التتويج : وقد اختلفت الآراء فى طريقة الاحتفال ببلوغ جلالة الملك فاروق الأول سن الرشد . فكانت وزارة النحاس ترى أن يكتفى بحلف اليمين الدستورية أمام مجلسى البرلمان ؛ وكان الأمير محمد على ، ومعه فريق كبير من الأمة ، يرى إقامة حفلة دينية بهذه المناسبة ؛ وإقامة حفلة تتويج بالقلعة .

وقد استفتت مجلة الدنيا كثيراً من عظماء المصريين فى الموضوع ، فأدليت لمندوبها بالرد الآتى فى ٢٩ مايو سنة ١٩٣٧ .

ليست فكرة الاحتفال بتتويج جلالة الملك المحبوب فاروق الأول بالفكرة الجديدة على مصر ، ولا على الأسرة العلوية . فقد احتفل بجلوس جده العظيم محمد على باشا على كرسى الحكم فى مصر احتفالا تجلت فيه مظاهر المبايعة . وأنت تعلم أن المصريين هم الذين اختاروه والياً على مصر ، وأرسلوا إلى الباب العالى يطلبون تحقيق رغبتهم ؛ وكان رجال الدين إذ ذاك يمثلون الشعب المصرى ، وهم الذين ملكوه على أنفسهم فى احتفال عظيم أقيم بالقلعة .

وكان خليفة المسلمين « سلطان الأتراك » هو الذى يعين أبناء محمد على . وليست الصبغة الدينية فى هذا التعيين مما يستطاع إنكاره . وكان فرمان التعيين يقرأ فى حفل عظيم يقام بالقلعة على الأشراف ورجال الدين ، فما أشبه ذلك بما حدث بين جلالة ملك الانجليز وأسقف كنتربرى فى أثناء حفلة التتويج . إذن فلو أقيمت لجلالة ملك مصر حفلة تتويج لكانت تقليدية أقيمت لآبائه من قبل . ومما يزيدها روعة أن الكرسى الذى أجلس عليه محمد على الكبير يوم توليته على مصر لا يزال فى موضعه بالقلعة ، وهو نفسه الكرسى الذى جلس عليه إسماعيل يوم توليته . فحبذا لو أجلس عليه جلالة الملك فاروق الأول ، واحتفل — فى القلعة لا فى غيرها — يوم تولية ملك مصر ، واستبدل الفرمان السلطانى القديم بفرمان أعظم هو مبايعة الشعب لمليكه المحبوب .

الملوك الشبان فى أسرة محمد على : وفى أول أغسطس سنة ١٩٣٧ كتبت فى مجلة « المصرية » التى تصدرها السيدة هدى هانم شعراوى بعد التتويج فى عدد ممتاز أخرجته لهذه المناسبة ، تحت عنوان « الملوك الشبان فى أسرة محمد على » ما يأتى :

منذ عهد محمد علي الكبير ، تولى عرش مصر شابان :

أولهما صاحب السمو الخديو السابق ، والثاني جلالة الملك فاروق الأول .

والشباب ربيع العمر ، ومطمح الآمال . بهذا يحس الشعب ، فيستقبل الحاكم الشاب بالفرح والتهليل والاستبشار ، ويأمل على يديه تحقيق الآمال .

فحينما تولى عباس الأريكة الخديوية سنة ١٨٩٢ استقبل استقبالا حافلا لأن الشعب كان ينظر إليه كمخلص من براثن الاستعمار .

أما جلالة الملك الشاب ، فهاهو ذا يستقبل بالحب العميق في كل مكان يحل به ، حتى في البلاد الأجنبية ، وتجتذب شخصيته المحبوبة كل من يراه أو يتصل به . وهأنذا لم أره ولكني أحس في أعماق نفسي بحبي العظيم له .

ولقد كان جلالته يتمتع بهذا الحب وهو ولي العهد ، ثم تجلى بوضوح في رحلته للصعيد قبل سفره الميمون إلى أوربا ، ثم زاد هذا الحب وضوحاً بعد عودته متوجاً

ولا يحتاج الانسان إلى البحث الطويل ليعرف أسباب هذا الحب من الشعب لمليكه الشاب . فشخصية جلالته جذابة مؤثرة . وهو يظهر الحب لشعبه والعطف عليه في كل مناسبة ، ويعامل أفراده بكل تواضع وديمقراطية طبيعية غير متكلفة ، صادرة من أعماق نفسه العظيمة .

وها نحن أولاء نرى حضرات أصحاب السمو الأمراء وأفراد العائلة المالكة جميعاً ، يلتفون حول جلالته في إخلاص ومودة . وهذه مفخرة يجب أن تسجل لجلالته بالاعجاب .

ومن حسن الحظ أن يتولى المليك الشاب بعد عقد معاهدة الصداقة والتحالف مع إنجلترا ، وبعد اتفاق منترو على إلغاء الامتيازات . وهما خطوتان عظيمتان في تحقيق استقلال البلاد .

وقد كان لجلالة والده الأثر العظيم في نجاح هذا المجهود الأخير ، مع إخلاص الزعماء .

أما استكمال أماني البلاد فمنوط بالزعماء في جلالة الفاروق وشبابه مطمح هذه الآمال .

ولقد كان من بين مظاهر الاحتفال بمناسبة تتويجه أن تقام حفلة تعارف ، يقدم فيها لجلالته الكبراء والعظماء ووجوه الشعب .

وأعتقد أن هذه الحفلة ستتلوها استقبالات كثيرة في أيام محددة يتشرف فيها كبار كل طائفة من الشعب بمقابلة مليكهم ، حتى يتعرف جلالته منهم حالة البلاد على حقيقتها ، وهو الغرض الذي كان يتوخاه بالتجول متخفياً قبل بلوغه سن الرشد ، ليتصل بالشعب عن كثب . وهي سنة حميدة يجدد بها عهد الفاروق عمر ابن الخطاب — رضي الله عنه — في سياسة الرعية ومعرفة أحوالها . ولا شك أن النهضة النسائية ، وزعيماتها اللاتي جاهدن مع الرجال جنباً لجنب ، ستنال من رعاية جلالته ما يدعو للنمو والازدهار .

إن البلاد يتجدد شبابها اليوم بشباب مليكها ، وتتحفز آمالها الواسعة للتحقق ، مستمدة من عزيمته القوية ومستبشرة بعهده السعيد .

أدامه الله ووفقه ورعاه .

بلوغ جلالته سن الرشد : وفى ٢ أغسطس سنة ١٩٣٧ أرسلت لجلالته رسالة أهنئه فيها بمباشرة جلالته سلطته الدستورية ، وأعرب فيها عن ولائى وإخلاصى لذاته الكريمة .

وقد تفضل كبير الأمناء وأرسل لى الرسالة الآتية :

« حضرة صاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا

« أتشرف بإبلاغ سعادتكم الشكر السامى على تهانيكم وما أعربتم عنه من الولاء والإخلاص بمناسبة مباشرة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم سلطته الدستورية » .

كبير الامناء

الأفراح الملكيـــة

الملك يختار شريكته من الشعب — اقتراح بتخليد ذكرى المهرجانات الملكى — ابتهاج الشعب بالمهرجانات — مهرجانات مصر فى سبعين عاما — المصاهرة الملكية بين مصر وإيران — حلم للرابطة الشرقية يتحقق — الترحيب بالصهر الكريم — نادى اتحاد مصر وإيران — الأفراح فى طهران .

***

الملك يختار شريكته من الشعب : فى شتاء عام ١٩٣٧ قام جلالة الملك ومعه جلالة الملكة نازلى والأميرات الشقيقات بنزهة فى أنحاء أوروبا ؛ وكان من ضمن حاشية جلالة الملكة ، الآنسة « صافى ناز » كريمة يوسف ذو الفقار بك ، ووالدتها ؛ فأعجب بها واعتزم أن يتخذها شريكة له فى الملك ، لكنه لم يشأ أن يكاشف أحداً بما فى نفسه .

مفاجأة ملكية : وفى أمسية ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٧ ، وكان جلالة الملك يومئذ فى مصيفه بالاسكندرية ، قصد جلالته إلى سراى سعادة « يوسف بك ذو الفقار » فجأة ، فلم يكن فى استقباله إلا كريمة رب البيت الآنسة « صافى ناز » لتغيب والديها الكريمين .

وما استقر المقام بجلالتـه حتي راح يسأل الآنسة النبيـــلة هل تقبله زوجاً لها . فكانت مفاجأة سارة لم تملك إزاءها إلا أن أحنت رأسها وتمتمت فى صوت قد حبسه الخجل والسرور : « هذا شرف عظيم يامولاى » .

وعندئذ صحبها جلالته فى سيارته إلى سراى خاله حيث كانت والدتها تقضى سهرتها ، وأفضى إليها بما كان بينه وبينها ، فطفرت من عينيها دمعة الفرح وقالت لجلالته :

« تلك نعمة من الله وشرف كبير » .

وقصد الثلاثة بعد ذلك إلى سراى المنتزه حيث كانت جلالة الملكة نازلى قد أوت إلى مخدعها ، فزف إليها نبأ الخطبة السعيد ، وقدم لجلالتها خطيبته النبيلة ، فقبلتها كما قبلته ، ودعت لهما بالهناءة والتوفيق .

هدايا جلالته لخطيبته : وفى أول زيارة قام بها جلالة الملك لسراى والد خطيبتـه كان جلالته يحمل معه هذه الهدايا الثلاث :

١ — خاتم الخطبة .

٢ — براءة الباشوية لوالد الخطيبة .

٣ — براءة الوشاح الأكبر من نيشـان الكمال لوالدة الخطيبـة .

وتوالت بعد ذلك الهدايا الملـكية على الخطيبة النبيلة .

ثم رغب جلالته فى تغيير اسم خطيبته «صافى ناز» إلى اسم عربى شعبى ، فاختار اسمها الحالى « فريدة » .

تهنئتى بالخطوبة الملكية : وقد رفعت لجلالته أعظم التهانى بمناسبة تلك الخطوبة السعيدة ؛ فجاءنى الرد التالى من معالى كبير الأمناء :

« حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا

«رفعت إلى المسامع العلية الملـكية تهانيكم بمناسبة خطبة جلالته المباركة ، فنالت حسن القبول . وأتشرف بإبلاغ ذلك إلى سعادتكم مع الشكر السامى » .

اقتراح بتخليد ذكرى المهرجان : فى ١٦ يناير سـنة ١٩٣٨ كتبت فى الأهرام تحت عنوان « اقتراح بتخليد ذكرى المهرجان الملكى السعيد» . ومما جاء فيه :

عندما احتفل الخديو إسماعيل بفتح قنـاة السويس ، تلك الاحتفالات الفخمة التي دهش لها الملوك والأمراء الأوربيون ، فكر فى تخليد هذه الاحتفالات باخراج كتاب ذهبى ، نشر فيه وصف المناظر التى مرت فيها وذكر حوادثها .

وبعد أن طبع من هذا الكتاب ألوف كثيرة باللغة الفرنسية أهداه الخديو إسماعيل إلى الملوك وأعاظم الرجال السياسيين ورجال الفنون والآداب فى أوربا .

وكان لى حظ إهدائه إلى بعد ذلك من المغفور له الخديو توفيق .

ولما كان مهرجان الزفاف الملكى السعيد ينتظر أن يكون أكبر احتفال يقام بمصر فى التاريخ الحديث ، فانى أقترح أن تتخذ الوسائل اللازمة من الآن ، لنشر كتاب ذهبى ، تخلد فيه ذكرى هذا المهرجان ، وتسجل فيه مناظره ، ثم يوزع على الملوك والأمراء ، وكل من اشترك فى المهرجان ، فتبقى منه بذلك صور حية ناطقة على ممر الأجيال .

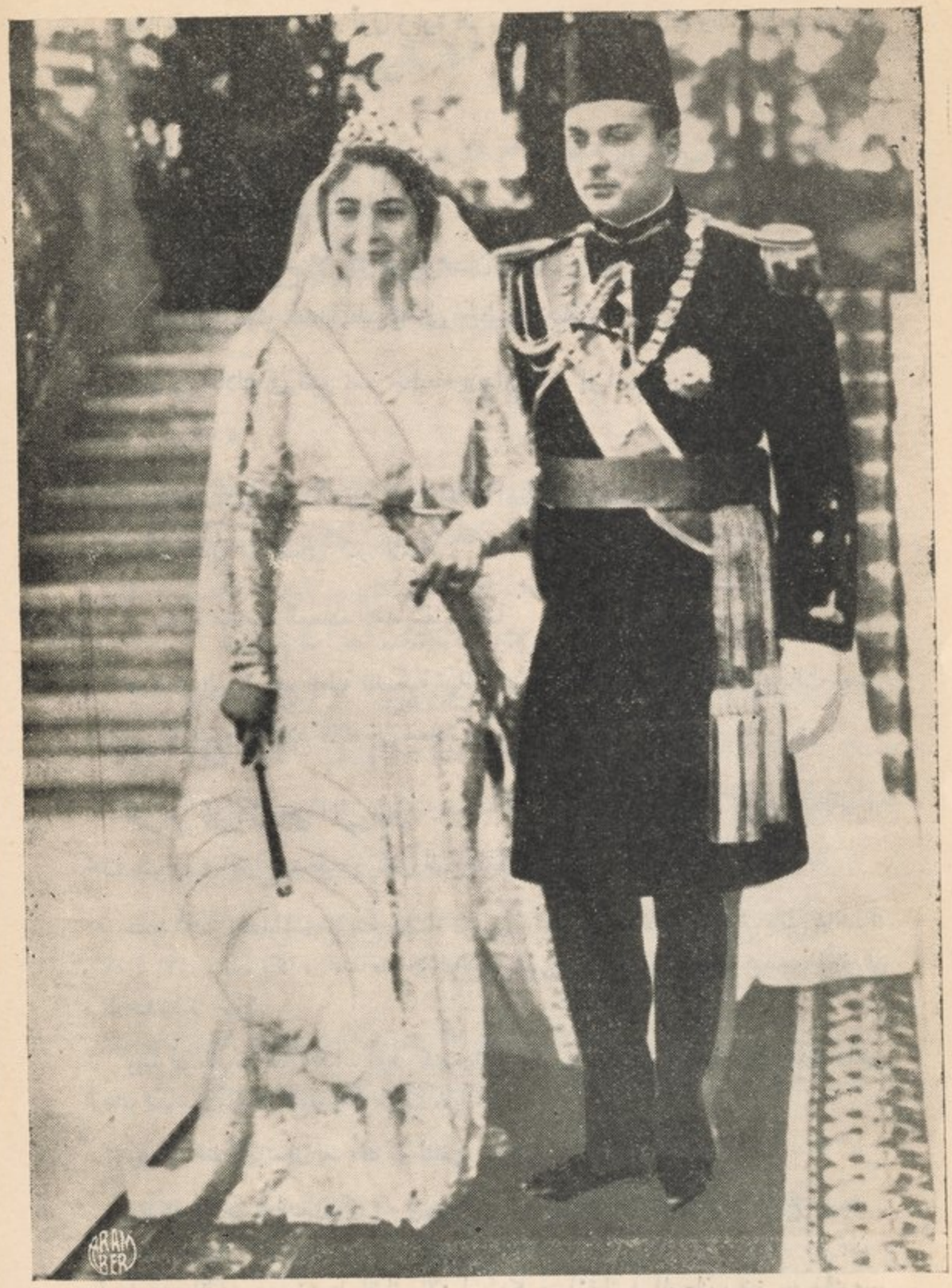

الملك والملكة

وقد نشرت الوقائع المصرية فى ٢٢ يناير سنة ١٩٣٨ ملحقاً خاصاً جاء به :

ديوان جـــلالة الملك

القران الملـكى السعيد

« من نعم الله تعالى وتوفيقه على حضرة صاحب الجلالة مولانا المعظم فاروق الأول أيده الله أن صح عزمه على المبادرة بالزواج إجابة لداعى الله وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصطفى له زوجة مباركة وعقيلة من بيت الشرف ودوحة المجد ، حضرة صاحبـة الجلالة الملـكة فريدة .

«وفى المجلس السامى المنعقد بقصر القبة العامر فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الخميس المبارك ١٨ ذى القعدة سـنة ١٣٥٦ — ٢٠ يناير سـنة ١٩٣٨ ، تولى حضرة صاحب الجـلالة مولانا المعظم بنفسه الـكريمة عقد زواجه بصاحبة الجلالة الملـكة فريدة المعظمة التى ناب عن جلالتها وكيلها والدها حضرة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا وكيل محكمة الاسـتئناف المختلطة ، بشهادة كل من حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس ديوان جلالة الملك ، وحضرة صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا كبير الأمناء .

«وتولى سماع صيغة العقد الشرعى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر نيابة عن مجلس بلاط الملك . وقد حضر مجلس العقد أيضاً حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد إبراهيم الجداوى رئيس محكمة القاهرة الابتدائية. هـذا وقد كان فى مقدمة الحاضرين صاحب السمو الملـكى الأمير محمد على ولى العهـد ، وحضرات أصحاب السمو والمجد أمراء ونبلاء الأسرة المالـكة الجليلة ، وحضرات أصحاب المقام الرفيع والسعادة خالى حضرة صاحب الجلالة الملك ، وبعض ذوى القربى من الأسرة العلوية الـكريمة ، وحضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والمعالى والسعادة والفضيلة رئيس مجلس الوزراء ، وأصحاب قلادة فؤاد الأول ، ورئيسى مجلسى الشيوخ والنواب ، ورؤساء الوزارة السابقين ، والوزراء الحاليين ، ورئيس محكمة النقض والابرام ، ورئيس لجنة قضايا الحـكومة ، ورئيس المحـكمة العليا الشرعية ، ومفتى الديار المصرية ، ونقيب الأشراف ، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وحضرات كبار رجال القصر الملـكى .

« وقد أطلق ١٠١ مدفع إيذاناً بإتمام العقد المبارك ثم تقدم جميع الحاضرين إلى الذات الملكية بالتهانى الخالصة والدعوات الصادقة إلى الله تعالى أن يحف هذا القران الموفق السعيد باليمن والبركات ، وأن يحقق به أطيب الثمرات ، وأن يديم لحضرتى صاحبى الجلالة نعمة السعادة والهناء والتوفيق — إنه نعم السميع المجيب » .

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر تحرك ركاب حضرة صاحبة الجلالة الملكة بالسيارة من مصر الجديدة ، وإلى جانب جلالتها حضرة صاحبة السمو الأميرة نعمت مختار قاصداً قصر القبة العامر . وقد استقبل جلالتها عند وصول ركابها السامى حضرة صاحب الجلالة الملك بملابس التشريفة الكبرى والنياشين .

ابتهاج الشعب بالمهرجان : وقد اشتركت جميع طوائف الشعب فى المهرجان الملكى ؛ وكان عيداً شاملا للجميع . وكان فى مقدمة المهنئين الذين وفدوا على ميدان عابدين علماء وطلبة الجامعة الأزهرية ، وعلى رأسهم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، ثم طلبة المدارس والكشافة وفرق المرشدات . وكان جلالة الملك يشكر كل هيئة من شرفة السراى بيده الكريمة، تارة بوجود رؤساء الهيئات، وتارة مع كبار رجال الحاشية فقط .

وباتت مدينة القاهرة ساهرة حتى الصباح ، بعد أن وفد عليها من الأقاليم أكثر من مليون . وارتفعت أجور الفنادق ، وعز على الناس المبيت لضيقها وازدحامها . فأجرت لها أبهاءها وسلمها ؛ ومن لم يستطع هذا ولا ذاك بات على أفاريز الطرقات العامة .

وحيثما كان الانسان يسير فى القاهرة كان يرى الزينات والأعلام والأنوار والمواكب المزدحمة ، بحيث يصعب تخصيص طائفة دون طائفة .

هدايا الملوك : بمناسبة القران السعيد قد أهدى بعض ملوك أوربا وملوك الشرق لجلالة الملك هدايا ثمينة مختلفة الأنواع .

هدايا الأمراء والأميرات : وقدم أعضاء البيت المالك هدايا عظيمة أهمها صينية وكوبان من الذهب الخالص ، وقد طرزت أركان الصينية بالماس ونقش فى وسطها التاج الملكى واسم المليك .

هدايا الطوائف والأفراد : وكانت الطوائف الدينية فى مقدمة الذين تقدموا بالهدايا إلى جلالة الملك . فمنهم غبطة بطريرك الأقباط ، وقد قدم تاجاً من الذهب الخالص ؛



الملك وعروسه

وغبطة بطريرك الروم الأرثوذكس ، وهديته شمعدانان أثريان من الفضة يعتبران من نماذج الفن القديم ؛ وهدية الشرق الأكبر الماسونى ومحافله فى الأقطار العربية ، وهى خاتم يرمز إلى خاتم سليمان ؛ وهدية الجالية الأرمنية ، وهى صندوق مصحف من الفضة المطعمة بالذهب ؛ وهدية الطائفة الاسرائيلية وهى صندوق من الذهب مرصع بالزمرد والياقوت .

ومن ألطف الهدايا هدية حناء مقدمة من على بك أيوب (من أعيان مديرية الشرقية) فى أكياس من القماش المصرى ومزخرفة بالحرير الأبيض والأخضر ، وتبلغ الحمولة ستة قناطير .

وقدمت الآنسة حواء إدريس هدية الاتحاد النسائى إلى جلالة الملكة ، وهى مفرش سرير قيم شغل يد ، وبه رسومات بديعة .

وكذا هدية من بدائع الفن المغربى من الحلى الذهبى للعروس من الشيخ إبراهيم عثمان المراكشى .



إبراهيم المراكشى

اشتراكى فى المهرجان : كانت اللجنة الأهلية العليا للاحتفالات برياسة محمد طاهر باشا قد طلبت إلى المساهمة فى تقديم جوائز للشعراء والأدباء الذين يشتركون فى مهرجان الزفاف ، فأهديت إليها مجموعة كاملة من مؤلفاتى . وقد أقامت اللجنة حفلتها فى دار الأوبرا ، ثم قررت توزيع الجوائز التى وردت إليها على الفائزين فى المباراة الأدبية . وكانت مؤلفاتى المهداة من نصيب أحد الفائزين المتقدمين من البلاد الشرقية . ثم جاءنى منها الرسالة الآتية :

« حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا

« تقديراً للجهود التى بذلتموها فى مؤازرة مهرجان الزفاف الملكى ، والمساعدات الكثيرة التى قدمتموها عن طيب خاطر مساهمة منكم بوحى شعوركم وإخلاصكم ، قرر

اللجنة العليا للمهرجان منحكم شهادة التقدير والشرف عرفاناً بهذا المجهود ، وإقامة حفلة تكريم لسعادتكم فى محل جروبى بميدان سليمان باشا فى تمام الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٨ . ونتشرف بأن نرفق مع هـذا بطاقة الدعوة مؤملين فى تلبيتها ، شاكرين لكم صادق معاونتكم .

« وتفضلوا بقبول وافر احترامى » .

رسالة من المليك إلى شعبه : وبمناسبة تلك الأفراح العظيمة وجه جلالة الملك رسالة كريمة إلى شعبه هذا نصها :

« شعبى الكريم

« أحببت ، وقد تمت بتوفيق الله حفلاتكم الخالدة ، أن أعلن لكم ما أشعر به من الاغتباط بما أبديتم من الفرح والابتهاج . وإنى لمقدر أبلغ تقدير جهودكم التى بذلتموها عن طيب خاطر ، وعن رغبة صادقة ، وصغتم بها آيات حبكم لشخصى ، ووفائكم لعرش آبائى .

«وقد زادنى اغتباطاً وفخاراً أن الحماسة التي تستقبلون بها كل ما يتصل بى إنما تصدر عن اعتقادكم الصادق بما أكنه لأمتى من الإخلاص فى الحب ، وما اعتزمه من العمل على مجد الوطن .

« وإنى ، حين أشكر لشعبى حسن إخلاصه ونبل عواطفه ، أسدى جزيل شكرى إلى نزلائنا الأجانب على ما أظهروه من شعور كريم أثرت مظاهره المختلفة فى نفسى أبلغ تأثير .

« والله أدعو أن يجعل أعمالنا لخير بلادنا مظهراً لتعاوننا الوثيق ، وأن يقرنها على الدوام بالتوفيق » .

* * *

مهرجانات مصر فى سبعين عاما : وبمناسبة المهرجان الملكى أصدرت مجلة المصور عدداً خاصاً ممتازاً بتاريخ ١١ فبراير سنة ١٩٣٨ ، فكتبت به كلمة تحت هـذا العنوان جاء فيها :

مهرجان قناة السويس : شاهدت مصر منذ ٧٠ عاما تقريبا مهرجانين عظيمين فى عهد إسماعيل العظيم ، يكاد التاريخ الحديث لايعرف لهما نظيرا فى العالم كله ، فى العظمة والفخامة ومظاهر البذخ والترف . ولاعجب فقد اشتهر إسماعيل بأنه إذا بدأ شيئا أكمله على أحسن وجه ، غير ناظر فى ذلك إلى التكاليف المادية مهما عظمت .

وأول هذين المهرجانين العظيمين : هو مهرجان قناة السويس فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٩ ، ذلك أنه لما تم العمل فى القناة ، اتفق الخديو إسماعيل مع دى لسبس على دعوة ملوك أوربا والأمراء ورؤساء الحكومات بها ، ورجال السياسة والعلم والأدب والفن على اختلاف مراكزهم ، لمشاهدة هذا المهرجان ، على أن يكونوا فى ضيافته منذ خروجهم من أوطانهم . وقد لبى الدعوة ستة آلاف مدعو ، وبدأوا بالحضور إلى بورسعيد منذ يوم ١٥ أكتوبر ، فاستقبلهم إسماعيل وحاشيته والأمراء بالحفاوة وإطلاق المدافع وعزف الموسيقات .

وفى يوم ١٦ نوفمبر اكتمل عقد المدعوين جميعا ، ورأست الامبراطورة أوجينى الحفلة الدينية ، وحضرها جميع المدعوين ، فى حين كانت الموسيقى تصدح والمدافع تدوى إيذانا بابتداء الحفلة .

وفى المساء مدت الموائد للمدعوين ، وسطعت الأنوار فى كل جانب ، وعزفت الموسيقى إلى ساعة متأخرة من الليل .

وفى يوم ١٧ المحدد لفتح القناة ، تقدم يخت الامبراطورة ، وكان بجوارها دى لسبس ، وشق القناة ووراءه باقى اليخوت والأساطيل ، وبواخر تقل سائر المدعوين ، فى حين كان الرجال على الشاطئين يهتفون ، والنساء يزغردن ، حتى وصلوا إلى الاسماعيلية .

وفى صباح يوم ١٨ امتطت الامبراطورة جوادا ، وردت الزيارة لاسماعيل ، وعادت على ظهر هجين مخترقة المدينة حتى وصلت إلى منزل دى لسبس لزيارته ، وبعدها رد بقية الضيوف الزيارة لمضيفهم العظيم .

وبعد الظهر أعدت عربات لنزهة الجميع ، في حين كان الغلمان يقومون بألعاب الفروسية الجميلة .

وفى المساء أقيمت سهرة راقصة ، أعقبها مقصف حوى أطيب المآكل وأفخر المشروبات ، فى كرم منقطع النظير .

وفى صباح ١٩ تقدم يخت الأمبراطورة تتبعه اليخوت الأخرى والأساطيل إلى مدينة السويس ، فوصلوا إليها صباح يوم ٢٠ منه ، بعد أن قضوا الليلة على سطح البحيرات المرة يشاهدون الألعاب النارية .

ولما وصلوا إلى البحر الأحمر دوت المدافع إيذاناً بانتهاء المهرجان . وقد أبرقت « أوجينى » للامبراطور بأنها « لم تر لهذه الحفلات فى حياتها نظيراً فى العظمة والفخامة » .

وقد بلغ من كرم إسماعيل بعد انتهاء المهرجان أنه دعا من يريد الاقامة من ضيوفه ، فى مصر ، أن ينزل فى ضيافته إلى أى وقت شاء .

قضت الأمبراطورة يومين في السويس وضواحيها لزيارة آثارها ، ثم رجعت إلى بورسعيد ، ومنها أبحرت إلى الاسكندرية لمشاهدة ما فيها ، وجالت في بعض مدن الوجه البحرى .

وقد عادت إلى القاهرة حيث أنشأ لها إسماعيل قصر الجزيرة العظيم على مثال الحراء فى الأندلس ، وزينه بالأثاثات النادرة ذات القيمة الكبيرة ، فدهشت مما شاهدته فى هذا القصر .

وكذلك أنشأ دار الأوبرا، وأعد لافتتاحها رواية « ريجولتو » (مضحك الملك)، فافتتحتها الأمبراطورة ومن معها من الأمراء والمدعوين، فأعجبوا كثيراً بها وبملابس الممثلين، الفخمة وهنأوا إسماعيل بنجاح هذه الرواية .

ومهد طريق الأهرام لزيارة أوجيني لها وقد وضع الخديو تحت أمرها اليخت « فيض ظفر » للتجول به في أرض الصعيد ، فشاهدت ما فيه من عجائب الآثار .

ولما عزمت على الرجوع إلى بلادها رافقها إسماعيل وكبار رجال حاشيته إلى يختها بالاسكندرية .

وقيل إن نفقات المهرجان ونفقات الستة آلاف مدعو وسفرهم براً وبحراً وإقامتهم في ضيافته بالفنادق من مأكل ومشرب وتدخين حتى تنظيف ثيابهم وكيها وما حملوه معهم من الهدايا بلغت مليوناً وأربعمائة ألف جنيه . فاذا أضيف إليها المنشآت وغيرها يكون المبلغ الاجمالي أربعة ملايين من الجنيهات .

مهرجان أفراح الأنجال : سبق أن نشرت الصحف معلومات عن هذا المهرجان نقلا أو تلخيصاً مما نشرته في « مذكراتي في نصف قرن » . وإني الآن أبين بعض ما يثبت للقارئ ضخامة النفقات التي بذلت في هذه الاحتفالات ، فقد تجلى فيها بذخ إسماعيل في كل شيء .

دامت هذه الأفراح (١) أربعين يوما زينت فيها الشوارع من حديقة الأزبكية إلى القصر العالي ، مقر والدة إسماعيل المطل على النيل ، وكانت تطلق « النيازك » من الحديقة .

وكان أمام القصر رحبة فسيحة جداً يفصلها عنه شارع قصر العيني الآن . وقد نصبت بها السرادقات الفخمة المتعددة ، لاستقبال المدعوين ، حيث غصت بالفرق الموسيقية والغنائية وفي مقدمتها تخت عبده الحمولي ، وبأنواع الملاهي الأخرى من تمثيل وفرق حواة مصرية وأجنبية ، كما كانت جوقة المزمار البلدي بقيادة الفناجيلي الدمياطي فوق قوس النصر في شارع المبتديان بجوار الرحبة .

وقد أقام إسماعيل عـــدة مآدب لرجال السلك السياسي من الأجانب وكبار الجاليات في قصر النيل ، وكذلك آلافا من المآدب للأمراء والعلماء والأعيان والتجار وطلبة الأزهر والذوات والموظفين وتلامذة المدارس والطوائف المختلفة . ولم ينس الفقراء فكانوا يحضرون بالآلاف كل يوم ، فتقدم لهم الأطعمة اللذيذة من لحوم وديكة رومية وفطائر وحلوى .

أما داخل سراي الوالدة فكانت المدعوات من أجنبيات ومصريات يستقبلن بين عزف الموسيقى بجوقاتها المختلفة وأصوات المغنيات ومناظر الرقص بأنواعه . وكانت الجوقات التي استدعاها اسماعيل من الخارج تقوم بألعابها في جزء من البهو المفصول بشيش خشبي لتتمكن الزائرات من مشاهدة التمثيل دون أن يراهن أحد . وكذلك كن يتناولن المآكل الفاخرة في غرفة المائدة الكبرى على الطريقة الأفرنكية .

وقد استحضرت ملابس الأميرات الفخمة من أشهر محلات الأزياء الفرنسية ، كما استحضر جهازهن الذي عرض في ثلاث غرف فسيحة ، وهو يتألف من أنواع الحلى المختلفة الأشكال المرصعة بالماس والجواهر الثمينة عدا الأواني الذهبية والفضية والمرايا وفناجين القهوة بأظرفها المحلاة بالجواهر ، وأقسام الشبوكات من الكهرمان المطوق بالذهب والجواهر .

---

(١) انظر التفصيلات في م ـ ا ص ٦٨ — ٧٤ .

وفى ليلة الزفاف تحلت كل أميرة بما استطاعت حمله من الجواهر فوق ملابسها الثمينة ، وكان ثمن تاج الأميرة فاطمة هانم أربعين ألف جنيه فى ذلك الوقت . وبدرت البدر الفضية والذهبية على العروس والحاضرين . وقد بلغت تكاليف هذه الأفراح مليوناً ونصف مليون جنيه تقريباً .

مهرجان الزفاف الملكى : ولا أطيل وصف مهرجانات الزفاف الملكى ، فقد فاضت أنهار الصحف فى وصفها أكثر من أسبوع . ولكنى أقول :

إن هناك فارقاً كبيراً بين المهرجانين السابقين والمهرجانات الملكية ، فتلك كانت نفقاتها ومآدبها وزيناتها من خزانة الدولة التى كانت تحت تصرف إسماعيل . أما هذه فالشعب هو الذى أقامها واشترك فيها بقلوبه وجيوبه ، عدا ما صرفته الحكومة على الزينات وغيرها . وقد فرح بها الصغير والكبير والغني والفقير ، ووفد على العاصمة ما يعادل عدد سكانها ، وهؤلاء هم الذين استطاعوا الحضور إليها ، سفراء ومندوبين عن أهلهم وبلادهم ، ومن لم يستطيعوا السفر إلى العاصمة ساهموا فى هذه الأفراح فى بنادرهم وعواصم مديرياتهم بل فى قراهم وبيوتهم ، فأحسوا جميعاً هذا الفرح الذى غمر الأمة كلها فى تياره ، ولم يبق أديب ولا كاتب ولا شاعر ولا صاحب قلم إلا اشترك فى هذا المهرجان الملكى معبراً عن شعوره وشعور الشعب ، وكذلك ساهم كل مطرب ومطربة وموسيقى وموسيقية ، كما ساهمت دور الخيالة والتمثيل فى إظهار مباهج الزفاف الملكى السعيد بما عرضته من مناظر المهرجان ، وما مثلته من الروايات المناسبة .

وقد رفعت إلى الملكين العروسين أثمن الهدايا من جميع طوائف الأمة والجاليات الأجنبية والملوك .

وكان للفقراء نصيب فى المبرات التى قدمتها الجمعيات وقدمها الأفراد من طعام وكساء ونقود ، تيمناً وابتهاجاً بهذه المناسبة الكريمة .

لقد أعجبنى الدكتور طه حسين وهو يقول :

« قد أخلصوا لمليكهم ، وأخلص لهم مليكهم . فأصبحوا كلهم فداء ، وأصبح حولهم لواء » .

وأقول أنا : « عاش جلالة الملك المتفانى فى حب أمته ، وعاش الشعب المصرى الكريم لمليكه » .

* * *

المصاهرة الملكية بين مصر وإيران : فى يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٣٨ أعلنت رسمياً خطبة صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية لصاحب السمو الإمبراطورى شاه بور محمد رضا ولى عهد إيران بعد مخابرات بين مصر وإيران . وفى يوم ١٠ يونيه وصلت إلى مصر بعثة الشرف الإيرانية برياسة دولة محمود جم رئيس الوزارة الإيرانية تحمل خطاباً كريماً من عاهل إيران إلى عاهل مصر ومعها شىء كثير من الهدايا العظيمة للعروس .

وكانت البعثة مؤلفة من دولة محمود جم مع حاشية من كبار رجال الدولة الإيرانية . وبعد أن قضت فى مصر أياماً وهى موضع الحفاوة عادت إلى إيران .



محمود جم يقبل يد الملك

حلم للرابطة الشرقية يتحقق : تحت هذا العنوان كتبت فى الأهرام يوم ١٧ يونيو سنة ١٩٣٨ بمناسبة خطبة صاحبة السمو الأميرة فوزية إلى سمو ولى عهد إيران ما يأتى :

تألفت جمعية الرابطة الشرقية فى عام ١٩٢٣ ، ومن بين أغراضها الأساسية حلم من الأحلام الجميلة تود تحقيقه ، وتصبو إليه لتوثيق عرى الصلات بين مصر وأمم الشرق جميعا ، ذلك الحلم هو المصاهرة بين مصر والشعوب الشرقية .

ولقد عبرت عن هـــذا الحلم الجميل فى إحدى كلماتى بالرابطة ؛ وكان أقصى مايطمح إليه إذ ذاك ، هو المصاهرات العادية بين أفراد الشعوب حتى يرتبط أفراد من كل شعب بأفراد الشعب الآخر ، وحتى تنشأ أجيال فيها الدم المختلط فتكون وثيقة حية من وثائق الترابط بين أمم الشرق المتناثرة ، يوحد بينها شيئاً فشيئاً إلى أن يأتى اليوم الذى تستطيع هذه الأمم أن تحقق حلما آخر أجمل وأكبر وهو تأليف « عصبة أمم شرقية » .

كان هذا أقصى ما يطمح إليه الخيال إذ ذاك ؛ ولكن الظروف السعيدة حققت ما هو أسمى من الخيال وأجمل فى هذه المصاهرة الملكية ، بخطبة الأميرة فوزية إلى سمو ولى عهد المملكة الايرانية .

لذلك يحق للرابطة الشرقية اليوم ، ويحق لصاحب هذه الكلمة ، أن يشعرا بالسرور والاغتباط ، لتحقق هذا الحلم القديم ، وافتتاح هذا الباب على مصراعيه فى أجمل صورة وأسعد مناسبة .

إن رباط المصاهرة من أقوى الروابط ، لأنها تفتح القلوب والنفوس . والمصاهرة الملكية أكبر أثرا من مصـــاهرات الأفراد ، لأنها تجمع بين شعبين كاملين ، ويحس كل فرد فيهما أن بينه وبين جميع أفراد الشعب الآخر صلة ورابطة .

وهذه إحدى حسنات جلالة الملك المحبوب فاروق الأول وجلالة أمبراطور إيران المعظم ، وهى طالع سعيد لهذا العهد الجديد ، يشير إلى ما يكنه المستقبل من خير للشعوب الشرقية .

لقد كانت هناك مصاهرات قبل اليوم بين الأفراد من المصريين والأتراك والفلسطينيين والسوريين ، ولكنى أحسب أن هذه أول مصاهرة بين مصر وإيران ، وستكون — إن شاء الله — فاتحة مصاهرات أخرى مع الشعب الايرانى ، ونرجو أن تكون كذلك فاتحة مصاهرات مع العراق والحجاز وسائر البلاد الشرقية ، حتى ترتبط هذه البلاد جميعاً مع مصر بأوثق الصلات .

وإنى ، باسم « الرابطة الشرقية » ، أتقـــدم بالتهنئة الخالصة للبيتين الملكيين الكريمين ، وللشعبين المجيدين ، جعل الله أيامهما أعياداً وعزاً ، وبعثاً للشرق العظيم .

وكتبت فى أهرام ١١ مارس ســنة ١٩٣٩ الكلمة الآتيــة تحت عنوان « المصاهرة الملكية والروابط بين مصر وإيران » :

منذ أربعة عشر عاماً تألفت جمعية الرابطة الشرقية وجاء فى مقدمة قانونها أن من أهم أغراضها توثيق الروابط بين الأمم الشرقية وتسهيل التعامل وتبادل المنافع بينها .

وقد تم تأليف شعب فى هذه البلاد وتكوين لجان لدراسة بعض الشعوب الشرقية . وقد اشتهرت الرابطة بأعمالها الطيبة فى أقطار العالم حتى أمريكا ، فأهدى إليها الرئيس ولسون بعض رسائله تحبيذاً

لأغراضها ، وكان الوافدون من كبار الشرقيين وغيرهم يحضرون إلى ناديها لزيارة أعضائها ومباحثتهم في شؤون الرابطة وتسجيل أسمائهم فى دفتر الزيارة ، ومن بينهم الملك فيصل .

والآن تجيء المصاهرة الملكية الكريمة بين مصر وإيران ، فتحقق أجل التحقيق جزءاً أساسياً من برنامج الرابطة ، وتبدأ عهداً جديداً من العلاقات بين الأمتين العظيمتين : مصر وإيران .

إن المصاهرة بين الشعوب من أقوى عوامل ارتباطها وتعاونها كما قلت في خطبة لي بمنزل سراى البكرى فى جمع من الشرقيين . وقد تم كثير من هذه المصاهرات منذ زمن كبير بين المصريين والأتراك والأمم العربية فى الشرق الأدنى . أما بين مصر وإيران فهذه المصاهرة الملكية هى أولى المصاهرات وأعظمها ، وستكون إن شاء الله فاتحة الاتصالات الجديدة في تاريخ الدولتين .

وتمهيداً لهذا الاتصال بين الشعبين — بعد الاتصال بين البيتين المالكين — أرى أن أول وسيلة هى التفاهم اللغوى ؛ فيجب أن تنتشر دراسة اللغة الايرانية فى مصر واللغة العربية فى إيران ، لأن اللغة هى وسيلة التعارف ووساطة الاتصال الأولى . وكلما تعلم أفراد من الشعبين لغة الشعب الآخر زاد هذا الاتصال قوة .

وكذلك أرى أن يقام فى مصر معرض لبدائع الفن الايرانى ويقام في إيران معرض مصرى كذلك ؛ وبهذا يعلم كل من الفريقين ما عند الآخر مما يحتاج إليه ويستورده من بلاد أخرى ؛ ويستطيع الذين يستحضرون الهدايا من أوربا وغيرها أن يستعيضوا عنها بما يجدونه من الصناعات في البلدين . والروابط الاقتصادية من أشد وسائل الاتصال بين الشعوب .

ولكى يسهل هذا الاتصال الاقتصادى — كما يسهل الانتقال الشخصى بين مصر وإيران — يجب أن تدرس المواصلات بينهما وتعد التسهيلات اللازمة فى الطرق مع الدول التى تمر بأرضها خطوط المواصلات ، كالعراق وسورية وفلسطين ، كما تدرس وتسهل وسائل الاقامة والنزول في الطريق للمسافرين والسائحين من كلا البلدين إلى الآخر .

وإن من حسن الطالع أن يفكر جماعة من كبار المصريين والايرانيين ، وعلى رأسهم صاحب المجد النبيل سليمان داود ، في إنشاء اتحاد مصرى إيرانى للقيام بتحقيق هذه الأغراض وغيرها ، تنمية لصلات المودة بين المملكتين الشقيقتين ، وعلى الله التوفيق .

ورأيت بمناسبة قدوم ضيف مصر وصهرها الكريم ولى عهد إيران ، أن أنبه الأفكار إلى الحفاوة به واستقباله فى الأسكندرية والقاهرة استقبالا يليق بالأسرتين المالكتين العظيمتين ، وبالروابط الجديدة بين الأمتين المجيدتين — فكتبت فى الأهرام تحت عنوان :

مرحباً بالضيف الكريم (خوش آمدى شاه بور) (١)

اليوم يصل إلى وادى النيل أعز ضيف تستقبله مصر ، وترحب به من أعماق قلبها ، ويشترك فى الترحيب به كل أهلها : ذلك أنه ضيف المليك المحبوب وصهره العزيز — فهو ضيف الشعب كله ، يحييه بالمهج والقلوب .

---

(١) بالفارسية : أهلا ومرحباً بولي العهد .

واليوم تهب الأمة على بكرة أبيها ، تهتف للقادم العزيز وتصفق وتنثر فى طريقه الورود والأزهار ، وتقيم الزينات الفخمة على طول الطريق ، معبرة عما يخالج ضميرها من فرح وسرور .

وإن هذه الأمة الوفية الكريمة لتعرف كيف تؤدى واجبها وكيف تعبر عن شعورها . وهى تحب ملكها العظيم ، وتحب أسرته الكريمة ، وتفرح لأفراح البيت المالك المجيد ، فلا تقصر فى إظهار سرورها ، ولا تقتصد فى إبداء عواطفها فى كل مناسبة من المناسبات السعيدة التى تمر بهذا البيت الوطيد .

ولا شك فى أن الصهر الكريم سيحس فى استقبال البيت المالك له ، وفى ترحيب أمرائه العظام به ، وفى حفاوة الحكومة المصرية ، واحتفالات الشعب ، ما يملأ نفسه سروراً وغبطة . وما يشعره أن أهل هذا الوادى جميعاً ، كباراً وصغاراً ، يحبونه ويرحبون بمقدمه ، وينظرون إلى هذه الصلة الجديدة نظرة الاستبشار والأمل فى مستقبل الأمتين وسعادتهما .

ولقد لقى سمو الأمير العظيم فى سفره من وطنه الأول إلى وطنه الثانى ترحيباً واستقبالا طيباً من جميع الأمم الشرقية الشقيقة التى مر بها ، لأن هذه البلاد تشارك الأمتين المصرية والايرانية سرورهما وأعراسهما ، وتشعر بما لهذه الصلة الجديدة من فضل فى توثيق الروابط ، واتصال القلوب وتدل هذه الحفاوة منها بصهرنا الجديد على تعلق هذه البلاد بمصر . فهى تحييها فى شخص ضيفها الأمير ، كما تحيى إيران والأميراطور .

ولهذه المناسبة يحضرنى خاطر تاريخى اجتماعى ، وهو أن كثيراً من ملوك أوربا وأمرائها درجوا على الزواج من الأميرات الألمانيات أولا ومن الانجليزيات أخيراً . نظراً إلى شهرة المرأة الانجليزية بالأخلاق العالية والتربية الكاملة .

فياحبذا لو درج الأمراء فى الشرق الأدنى والأقصى على هذه السنة بالزواج من الأميرات المصريات . وسيجدون فى الأميرة المصرية مثالا لربة البيت وسيدة المجتمع التى تشرف زوجها ونفسها

والشرق فى حاجة إلى الترابط والاتحاد ؛ والمصاهرة أقوى الوسائل لهذه الغاية الكريمة .

جعل الله هذا الزفاف المبارك فاتحة سعيدة لمستقبل مجيد يظلل مصر وإيران والشرق كله . وبارك الله فى عمر الفاروق ، وجعل أيامه كلها أعياداً لبيته المجيد ولشعبه العظيم .

ابتهاج الشعب : وبالفعل أظهر الشعب ابتهاجه وعظيم ولائه للبيت المالك ، فاحتفلت الطوائف والهيئات والأفراد بهذه الأفراح العظيمة .

احتفاء الحكومة : وقررت الحكومة أن تقام الأفراح بمدينة القاهرة ثلاثة أيام ١٥ و ١٦ و ١٧ مارس ، وتعزف موسيقات مدرسة البوليس وبلوكات النظام وموسيقات أهلية وموسيقى مصلحة السجون بالحدائق العامة ؛ وكانت تطلق الألعاب النارية وتقام حفلات الطرب والغناء فى حديقة الأزبكية كما تقرر عرض الجيش على جلالة الملك وولى العهد يوم ١٧ مارس ؛ وقررت محافظة العاصمة إطعام ستة آلاف فقير فى وجبتى الغداء والعشاء فى أيام الأفراح .

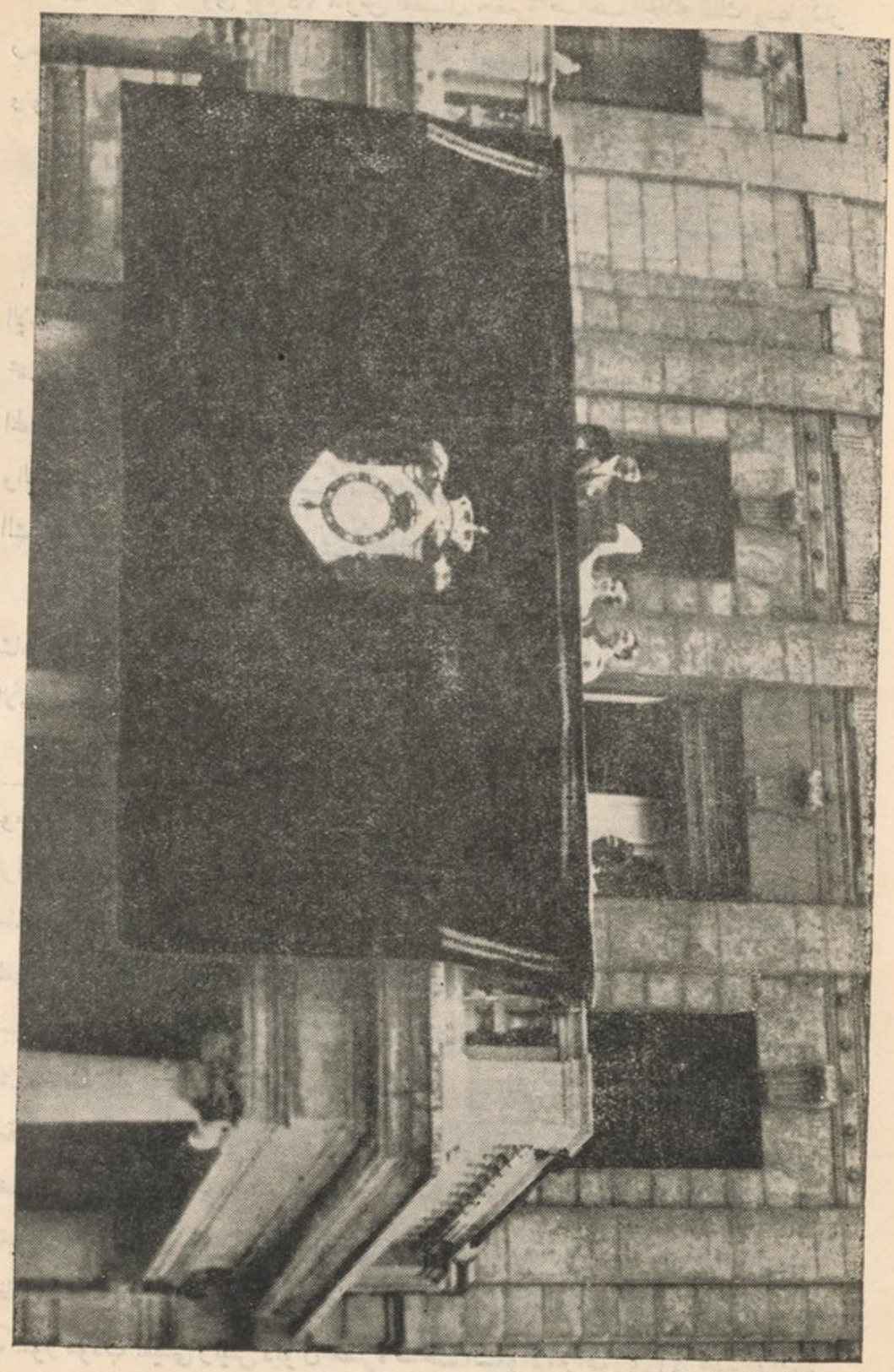

الملك رولي العهد والعروس مطلين من الشرفة

عقد الزواج : وفى يوم ١٥ مارس تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك ودعا كبار رجال بلاطه وحكومته وعظماء رجال الدولة لحضور عقد زواج سمو الأميرة شقيقته ؛ وتولى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر سماع صيغة العقد ؛ وها هى ذى :

عقد القران السعيد

« أراد الله تعالى جلت قدرته ، لحكمة شاملة وخير عام ولمجد الدين والدنيا وخير الإسلام ، أن تحصل المصاهرة الشريفة بين أسرتين جليلتى القدر رفيعتى الذكر : أسرة محمد على وأسرة بهلوى . وشاء الله أن يربط بهذه المصاهرة السعيدة العظيمة الخطر المحمودة الأثر بين شعبين عظيمين يفاخران بقديمهما وحديثهما فى خدمة الحضارة والإنسانية ، وفى رفع لواء المدنية ، وفى نشر الآداب وخدمة السنة والكتاب ، وهما الشعب المصرى الكريم والشعب الإيرانى المجيد .

« لذلك أذن الله أن يتم اليوم عقد زواج حضرة صاحب السمو الأمبراطورى شاهبور محمد رضا بهلوى ، ولى عهد إيران ، بحضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية .

« فى المجلس السامى المنعقد بقصر عابدين العامر فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء المبارك الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ١٣٥٨ هجرية ، الموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر اسفند سنة ١٣١٧ الهجرية الشمسية الإيرانية ، واليوم الخامس عشر من شهر مارس سنة ١٩٣٩ ميلادية — تولى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول ملك مصر عن شقيقته حضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية إجراء عقد زواج سموها الملكى من حضرة صاحب السمو الأمبراطورى شاهبور محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران . وقد تولى سموه الأمبراطورى العقد بنفسه وجرى العقد بإيجاب وقبول شرعيين مستوفياً شرائطه الشرعية على كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بشهادة شاهدى التوكيل ، وهما حضرة صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا كبير أمناء جلالة الملك ، وحضرة صاحب السعادة مراد محسن باشا باظر خاصة جلالة الملك ، وبشهادة سعادة أحمد متين دفراى وزير العدل بايران وسعادة الدكتور مؤدب نفيسى رئيس ديوان حضرة صاحب السمو الأمبراطورى ولى عهد إيران .

« وتولى سماع صيغة العقد الشرعى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر ، نيابة عن مجلس بلاط الملك ، بناء على قراره الصادر فى ٦ المحرم سنة ١٣٥٨ (٢٥ فبراير سنة ١٩٣٩) .

« وكان فى مقدمة الحاضرين حفلة هذا القران السعيد حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على ولى عهد المملكة المصرية ، وحضرات أصحاب السمو والمجد أمراء ونبلاء الأسرة المالكة الجليلة ، وحضرات أصحاب المقام الرفيع والسعادة خالى العروس ووالد حضرة صاحبة الجلالة الملكة المعظمة ، وبعض ذوى القربى من الأسرة العلوية الكريمة ، وسعادة حسن اسفنديارى رئيس البرلمان الإيرانى ، وسعادة على أكبر بهمن السفير المفوض لحضرة صاحب الجلالة الأمبراطورية الشاهنشاه بمصر ، وغيرهم من حضرات أعضاء حاشية حضرة صاحب السمو الإمبراطورى وكبار رجال السفارة الإيرانية بمصر .

« وحضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والمعالى والسعادة والفضيلة : رئيس مجلس الوزراء ، وأصحاب قلادة فؤاد الأول ، ورئيسى مجلسى الشيوخ والنواب ، ورؤساء الوزارة السابقين ، والوزراء الحاليين ، ورئيس محكمة النقض والإبرام ، ورئيس لجنة قضايا الحكومة ، ورئيس محكمة الاستئناف الأهلية بالقاهرة ، ورئيس المحكمة العليا الشرعية ، ومفتى الديار المصرية ، ونقيب الأشراف ، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وحضرات كبار رجال القصر الملكى .

« وقد أطلق واحد وأربعون مدفعاً إيذانا بإتمام العقد المبارك .

« ثم شرف حضرة صاحب الجلالة الملك ومعه حضرة صاحب السمو الإمبراطورى البهو الأبيض ، فتقدم حضرات أعضاء الأسرة الجليلة وجميع الحاضرين إلى الذات العلية الملكية وإلى صاحب السمو الإمبراطورى بالتهانى الخالصة والدعوات الصادقة .

« وتوجه بعدئذ حضرات أعضاء الأسرة المالكة إلى البهو الأزرق الكبير ، فقدموا تهانيهم إلى حضرة صاحبة الجلالة الملكة ، وحضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى ، وحضرة صاحبة السمو الإمبراطورى الأميرة فوزية .

« نسأل الله تعالت أسماؤه أن يجعل هذا القران السعيد يمناً وبركة على الزوجين الكريمين ، والأسرتين الجليلتين ، وعلى الأمتين المجيدتين ، ويديم للعروسين المحبوبين التوفيق والسعادة — إنه نعم المولى ونعم النصير » .



الأميرة وعروسها

وفى الساعة الثامنة والنصف مساء أقيمت بقصر عابدين العامر مأدبة عشاء دعى إليها حضرات أعضاء وأصهار الأسرة المالكة الجليلة ، كما أقيمت بعد المأدبة حفلة ساهرة ابتهاجاً بهذا القران السعيد .

وفى المساء أقام جلالته بسراى القبة حفلة الزفاف التى كانت غاية فى الإبداع والعظمة وغنت فيها بعض المطربات .

وقبل ليلة الزفاف رأى آل أيوب بمديرية الشرقية أن يتبعوا عادتهم فى تقديم الحناء للبيت المالك فى هذه المناسبات السعيدة ؛ فقدم الأستاذ على السيد أيوب ، عضو مجلس النواب ، وعميد أسرة أيوب ، مقادير منها حملت سبعة جمال كما حصل فى زفاف الملك .

واستعمال الحناء عادة قديمة جداً من عهد الفراعنة ؛ وهي تستعمل لليدين والرجلين للعروسين فى الليلة التى قبل ليلة الزفاف .

وفى يوم ٢٤ مارس قصد وفد الصين للتعارف الإسلامى ، ومعهم الطلبة الصينيون المبعوثون إلى الأزهر، حيث قدموا باسم المسلمين الصينيين هدية لصاحبى السمو الإمبراطورى وعروسه ، وهذه الهدية مؤلفة من ثلاث قطع من الحرير على إحداها رسم طائرين يتعانقان وهو رمز سعادة الزواج عند أهل الصين ، وعلى الثانية رمز السلطنة فى عهد الأمبراطورية الصينية ، وعلى الثالثة زهرة ترمز إلى المحبة .

هذا خلاف بعض الهدايا الثمينة النفيسة التى كانت تهدى لسمو الأميرة العروس من آل البيت المالك .

جمعية اتحاد مصر — إيران : وقد فكر بعض رجالات مصر أن يعملوا على توثيق العلاقات بين البلدين (مصر وإيران) فأسسوا جمعية اتحاد مصر — إيران ، تحت رآسة صاحب المجد النبيل سليمان داود ؛ وانضم إليهم كثير من خيرة عظماء المصريين وقادتهم وكبار الإيرانيين الموجودين بمصر . وكان لعمل هذه الجمعية أثره العظيم فى ربط الصلة بين البلدين وتوثيق العلاقات بين الحكومتين والشعبين ؛ وقد لبت الجمعية دعوة صاحب السمو ولى عهد إيران بقصر الزعفران فى صباح ٢٢ مارس ، فقابلهم سموه وإلى جانبه حضرة صاحبة السمو الأمبراطورى الأميرة فوزية .

وقد قام النبيل سليمان داود بتقديم حضرات الأعضاء إلى سمو الأميرين الكريمين ،

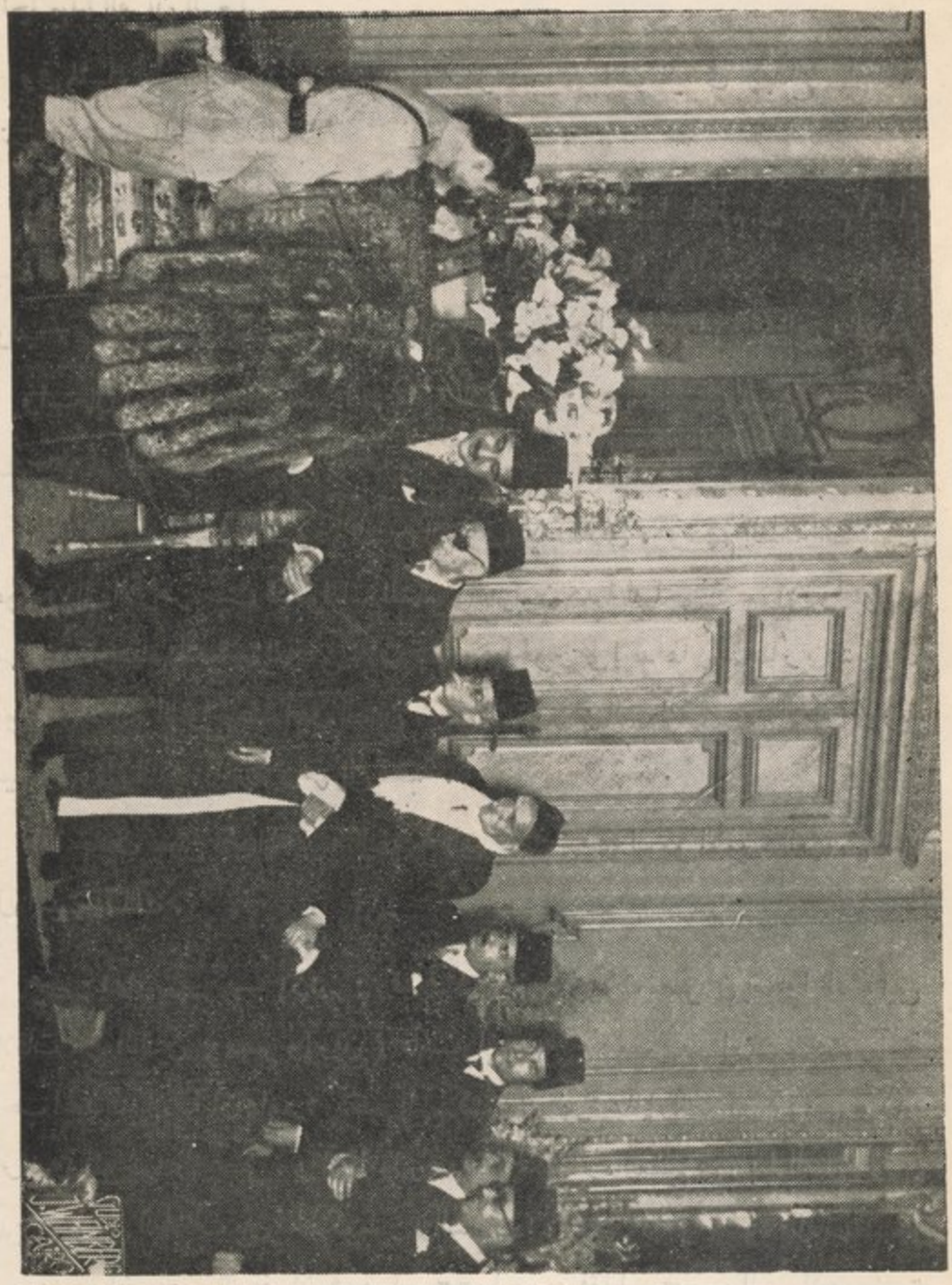

الأميرة نوزلة تصافح المؤلف

فكانا يصافحان كل عضو . ثم تكلم نبالته مهنئاً راجياً أن يوفق « اتحاد مصر — إيران » لزيادة توثيق العلاقات بين البلدين ، فرد سمو ولى العهد شاكراً ومعرباً عن مثل هذه الأمانى.

وفى هذا اليوم نفسه دعت السفارة الإيرانية — بأمر صاحب السمو الأمبراطورى ولى عهد إيران — إلى مأدبة عشاء أقيمت بقصر الزعفران . وقد أعقب هذه المأدبة حفلة ساهرة حضرها أعضاء هذا الاتحاد .

ومما يجدر ذكره أن سمو ولى العهد كان فى ضيافة المليك مدة إقامته بالديار المصرية ؛ ونزل فى دار الضيافة بقصر الزعفران ؛ إلا أنه كان يقضى أوقاته كلها بين أفراد العائلة المالكة محفوفاً بالمحبة والعطف الملكى .

سفر العروسين : وفى ٣ أبريل أبحر سموه مع عروسه على الباخرة محمد على . وقد سافر معهما — خلاف حاشيتهما وبعثة الشرف المصرية — جلالة الملكة نازلى ، وسمو الأميرات الشقيقات ، وبعض كبار رجال الدولة وعقيلاتهم .

وقد صدر الأمر بإرسال بعثة شرف عسكرية حتى تكون فى استقبال العروس ببلاد إيران ، كما تألفت بعثة الشرف المرافقة من كبار رجال الدولة ورجال البلاط الملكى تحت رياسة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا سفير مصر فى إيران .

ساعة الوداع : ما حانت ساعة الرحيل من العاصمة حتى احتشدت جموع الشعب فى الطرقات والميادين لتوديع العروسين الكريمين . وقد خف إلى محطة القاهرة كبار المصريين وعظماؤهم .

وقبيل السفر وصل حضرة صاحب الجلالة الملك إلى المحطة ، فودع سمو الأميرة شقيقته وسمو ولى عهد إيران عروسها ؛ فتعانقا وانهمرت الدموع للفراق — فكان منظراً له تأثيره العظيم فى قلوب الحاضرين .

الأفراح فى طهران : ولما وصل الموكب السعيد إلى طهران وردت الأخبار إلى مصر بحسن استقبال البلاد هناك للعروسين الملكيين ، حيث أضيئت الزينات فى جميع شوارع طهران ، ونصبت أقواس النصر ترفرف عليها الأعلام المصرية والإيرانية .

وعند الوصول إلى قصر المرمر (قصر العروسين) أديت التحية الرسمية ، وعزفت الموسيقى ، وظلت العاصمة ومدن الأقاليم فى فرح أربعة أيام بلياليها ؛ ونظمت أعياد شعبية رائعة وحفلات كثيرة بهيجة .



الأميرة فوزية مع ملكة إيران

صحيفة الاعلانات

إهمال الشؤون الاقتصادية فى مصر : بعد عودتى إلى مصر ، فكرت فى نواحى النشاط التى تنقص مصر ، والتى لا يوجد لها نظير فيها ، لأقوم بسداد ذلك النقص .

وقد لفت نظرى أن النهضة المصرية تقوم على الجانب السياسى وحده دون العناية بالشئون الاقتصادية التى هى أساس الاستقلال السياسى . ولذلك فكرت فى إصدار صحيفة تتناول شؤون الاقتصاد وتلفت النظر إلى أهميتها . واخترت لها اسم «صحيفة الإعلانات» ، وطلبت من الداخلية الترخيص لى بإصدارها ، على أن يكون نصفها باللغة العربية والآخر بالفرنسية .



محمد مسعود بك

عقبات فى الترخيص : وفى يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٤ ورد إلىّ خطاب من قلم المطبوعات يدعونى فيه للحضور . وقد قابلت هناك مديره محمد بك مسعود الذى كنت أعرفه من أيام الشيخ على يوسف*[1] فى المؤيد . فأخبرنى أنه قد اعترضت طلبى بعض الصعوبات عند ولاة الأمور لأنهم كانوا يتوهمون أن وراء هذه الصحيفة أغراضاً أخرى غير الأغراض الظاهرة ، وهى خدمة الخديو السابق . وأنه ذلل هذه الصعوبات ، وأزال تلك الأوهام ، وتقرر منحى رخصة الصحيفة .

وقد وقعت على استمارة خاصة ببعض المعلومات العادية ، وكتبت تعهداً بألا تنشر الصحيفة مقالات سياسية أو دينية ولا أخباراً إدارية .

صدور العدد الأول : وفى يوم ١١ أكتوبر حضر عندى ضابط بوليس من قسم الوايلى ، وسلمنى ترخيصاً بإصدارها . وقد صدر العدد الأول منها يوم ١٥ مارس سنة ١٩٢٥ مصدراً بكلمة منى بعنوان « غرض الصحيفة » جاء فيها :

---

١٠ م . ج ٢ ق ١ . ق ٢ ؟ ج ٣ .

إن العوامل اللازمة لقيام الرقى الذى تنشده مصر متوافرة لديها . فهى وفيرة الزرع ، غزيرة الضرع ، وقد ضربت بخصب تربتها الأمثال . ولكن الثروة الزراعيـــة ليست بالركن الوحيد الذى يقوم عليه رخاء الشعوب ويسرها . وهذه الولايات المتحدة نفسها ، فانها — مع خصب أرضها ، ووفرة محصولاتها — لاتقتصر فى الاحتفاظ بثروتها على الكنوز التى تستخرجها من جوف أرضها والخيرات التي تستدرها من تربتها ، بل إنهـا تعول كثيراً فى ذلك على الشؤون التجارية والصناعية فتضعها فى أرفع منزلة من اعتبارها وتجعلها فى مقدمة المسائل الحيوية التى تعنى بها وترجع في إنماء ثروتها عليها .

وجاء فيها :

فمصر تريد اليوم أن تنشط مصنوعاتها وتروج تجارتها لكنها لم تنهج نهج البلدان التجارية والصناعية فى تنشيط الحركة الاقتصادية في مختلف أنحائها .

فكثيرون من تجارها وصناعهـا وعمولها يعولون على عوامل المصادفة والاستقامة فى تثمير أموالهم وتصريف مصنوعاتهم وبضائعهم كأنهم يجهلون أن ما يرجونه من النجاح والتوفيق في مثل هذا الأمر يرجع على الأكثر إلى مقدار ما يبذلون من المساعى والجهود فى سبيله .

ثم قلت :

نحن مفتقرون في نهضتنـا الاقتصادية الحاضرة إلى التعـاون والتآزر . ولا سبيل لبلوغ هذا الغرض إلا بالتعارف ، فكثيرون منا يجهلون أن فى مصر صناعات كثيرة ومصنوعات متقنة ؛ وكثيرون يرغبون فى تنشيط التجارة الوطنية واقتناء المنسوجات الشرقية فيحول جهلهم لأمورها دون بغيتهم هذه . ثم إننا فى حاجة قصوى إلى أن نبين لأوربا مقدرة هذه البلاد التجارية وكفاءتها الصناعية لنستطيع أن نوجد لها فى الأسواق الأوربية منفذاً تجارياً مهماً يوطد مركزها التجارى ويزيدها مقدرة على مجاراة البلدان التجارية والصناعية فى اجتنا أكبر ربح وأعظم فائدة من مجهوداتهـا الوطنية . رأينا هذا الفراغ الواسع في نهضة مصر الاقتصادية فأحببنا أن نعالجه بهـذه الطريقة الفعـالة . ذلك أننا وطنا النفس على إصـدار نشرة أسبوعية ابتداء من ٢٠ شعبان سنة ١٣٤٣ (١٥ مارس الحالى) باسم صحيفة الاعلانات . وفي هذه الصحيفة نعالج الموضوعات الهـامة التى لها علاقة بحياة مصر الاقتصادية ونهضتها الحديثة .

برنامج الصحيفة : ثم بينت الموضوعات التى ستتناولها الصحيفة وهى :

١ — مباحث فى الصناعات المصرية والشرقية .

٢ — النهضة الاقتصادية فى الشرق الأدنى .

٣ — حركة الأسبوع التجارية ؛ وتتناول أسعار القطن والغلال .

٤ — حركة الأسبوع المالية ؛ وتتناول أسعار القطن والأوراق المـالية .

٥ — المشروعات الاقتصادية والمقاولات العمومية .

٦ — رؤوس الأموال المطلوبة والمعروضة .

٧ — المزادات والمناقصات المتعلقة بمصالح الحكومة والمحال التجارية ودوائر الأعمال الكبرى .

٨ — بيانات عن الأراضى والعقارات المعروضة للبيع الجبرى أو الاختيارى أو المعدة للايجار ، سواء أكان ذلك من جانب المحاكم أم الحكومة والأوقاف والشركات والدوائر والأفراد .

٩ — التفليسات .

١٠ — منازل وغرف بأثاث وبدونه وحوانيت وغيرها معروضة أو مطلوبة للايجار فى مصر وبقية المدن الكبيرة .

١١ — المحال التجارية الكبرى فى مصر والاسكندرية وغيرها .

١٢ — الوظائف والأشغال المطلوبة والمعروضة .

١٣ — الأطباء على اختلاف طبقاتهم واختلاف الأمراض المتخصصين فيها مع أسماء القابلات والممرضات .

١٤ — المستشفيات ومخازن الأدوية والصيدليات المهمة فى العاصمة والاسكندرية وغيرها .

١٥ — الفنادق الكبرى والمطاعم والمقاهى الشهيرة .

١٦ — شركات التأمين .

١٧ — شركات الملاحة ومواعيد الأسفار إلى الخارج .

١٨ — دليل السكك الحديدية .

١٩ — المصارف الكبرى والبيوت المالية الشهيرة .

٢٠ — المسارح وأجواق التمثيل ومحال السينما توغراف والمقاصف والنوادى والحفلات الأدبية وأماكن الرياضة . . . الخ .

٢١ — دليل السياح ، ويتناول البيانات المتعلقة بالمتاحف والأبنية الأثرية والمصنوعات الوطنية وغير ذلك .

٢٢ — إعلانات من الخارج .

٢٣ — بيانات مختلفة .

« والصحيفة تعنى عناية خاصة بكل ما يتعلق بالشرق من المباحث الاقتصادية المفيدة . وهى مستعدة أن تجعل أسعاراً خصوصية للاعلانات التى ترد عليها من مختلف أنحائه ولا سيما من بلاد المغرب كطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ومن فلسطين وسوريا ولبنان والحجاز واليمن والعراق ونجد والعجم وبلاد الترك وغيرها . وعلى الإجمال فإنها ستكون رابطة جديدة من الروابط الوثيقة العرى بين الأقطار الشرقية بحيث يكون لها مع تراخى الأيام شأن يذكر فى تقوية دعائم التضامن والتآزر بين الشعوب الشرقية على اختلاف نزعاتها ومناحيها » .

وقد قدمت العدد الأول لسعد زغلول باشا . وقبل أن أسلمه له قال : « ماذا بيمينك يا باشا ؟ » قلت : « هذا نشاط فى ناحية أخرى غير الناحية السياسية ، تحتاج إليها البلد ، وهى الناحية الاقتصادية » .

وفى يوم صدور هذا العدد دعوت جمهوراً من الكتاب والفضلاء إلى حفلة شاى . وقد ألقيت عليهم الكلمة الآتية :

أيها السادة :

إنى أشعر وأنا أرحب بكم وأنتم نخبة علماء مصر وصفوة كتابها وناشرو ألوية العلم والمعرفة فى ربوعها بأني أرحب بأقطاب نهضة مصر الأدبية بل بأقطاب نهضة الشرق الحديثة . وإذا كانت مصر تفاخر سائر أقطار الشرق بالمنزلة الأدبية السامية التى أدركتها فانما هى تفاخر قبل كل شىء بمن اجتمع على إنعاشها وإبلاغها إلى هذه المنزلة الرفيعة من أقطاب العلم والأدب ، سواء من كانوا من أبنائها الأصليين أم من أبناء الشرق المتمصرين الذين حلوا فيها على الرحب والسعة ، واتخذوها وطناً ثانياً لهم ، تخفق له قلوبهم ويرنون إليه بأبصارهم .

ولذلك فان الفرصة الثمينة التى أتاحت لى الاجتماع بكم فى هذه الحفلة وأنا فى آخر مرحلة من مراحل العمر لهى أسعد فرصة فى حياتى ، حيث أتيح لى فيها أن أحيي جمعاً هو أظهر رمز لآمانى الأمة ، وأصدق مثال حى لنهضتها . وأى جمع يستطيع أن يعبر عن مشيئة الأمة ويسدد خطاها فى منعطفات حياتها القومية ، ويصلح ما أفسد الدهر عليها من شئونها وأحوالها — كهذا الجمع الذى يعد أرقى هيئة عاملة فى صرح النهضة المصرية الحديثة .

ولا أدل على ما يخامر نفوسكم الكريمة من الشعور الحى بعظم المهمة الملقاة على عواتقكم من المواقف الجليلة التى كانت لكم فى معالجة ما عرض لهذه البلاد من الأمور الهامة والشئون الخطيرة فى هذا الدور

النصيب من حياتها القومية . ولا أدل على يقظتكم وتأهبكم لتأييد كل حركة يقصد بها تقوية دعائم نهضتها وتوطيد أركانها كائناً من كان صاحبها من تلبيتكم الدعوة إلى هذه الحفلة الأدبية التي أرجو أن تكون بمثابة رسم جلي بارز للمشروع الوطني الذى آليت على نفسى أن أمضى فيه طبقاً للمبادئ السامية التي كنتم أنتم فى طليعة الذين نادوا بها وجروا فى جهادهم المتواصل الشريف على أحكامها .

إن الجريدة التي أصدرتها نشأت صغيرة ولكنها ستصير باذن الله على توالى الأيام كبيرة عملا بسنة النشوء والارتقاء . وسأجد بلا ريب من مؤازرتكم لي ما يمكننى من أداء مهمتى الصحفية والمضى فى مشروعي الاقتصادى على منوال يدعو إلى الثقة العامة فيه وارتياح الأمة إليه . وقد وقفتها على المسائل الاقتصادية والاجتماعية ، علماً منى أن الأمة لا تزال في أول مرحلة من حياتها القومية الصحيحة . **وهيهات أن تدرك غايتها القصوى من الاستقلال السياسى المنشود الذى تسعى سعياً حثيثاً اليه اذا لم تتصرف أولا الى توطيد دعائم استقلالها الاقتصادى الذى لا حياة للأمم الناهضة** بدونه . وذلك بترقية صناعتها وترويج تجارتها وتثمير أموالها بانشاء المعامل والمصارف والبيوت التجارية الكبرى واستخراج كنوز أرضها المدفونة وإحياء الأراضى البائرة فيها وإنشاء المراعى لتربية المواشى فى البقاع المهملة كالواحات وغيرها ، وتعنى من جهة أخرى بالمسائل الاجتماعية الخطيرة فتبني الحياة العائلية على أساس جديد يتفق مع روح الآداب الصحيحة بحيث ينشأ الجيل الحاضر على قواعد راسخة من التربية العائلية الراقية التى هى عدة كل أمة تلتمس النهوض من أبوابه الصحيحة ومناهجه الحقيقية .

ولا يخفى أنا فى ذلك نجرى على الخطة التي انتهجها جلالة الملك نفسه فى تشجيع المشروعات النافعة للبلاد وإنماء موارد الخير فيها وصون مرافقها الحيوية وإبلاغ نهضتها الأدبية والاقتصادية والاجتماعية إلى الغاية القصوى التي ترمى فى جهادها إليها . وعلى ذلك فانى أمضى على بركة الله في السبيل الذى وطنت النفس على انتهاجه ، ناظراً إلى من تقدمني فيه من المجاهدين الحقيقيين نظيركم . وسأتخذ من المجهودات التي تبذلونها لخير هذه البلاد التى وقفتم حياتكم على خدمتها أكبر مثال وأبلغ عظة ، مقتفياً آثاركم متتبعاً خطواتكم ناسجاً على منوالكم فى أداء مهمتى الوطنية هذه ، ساعياً جاداً وإياكم وراء الغاية القصوى السامية التى ننشدها نحن جميعاً لمصر العزيزة ولسائر أقطار الشرق بمنه وكرمه .

ثم وقف حضرة الأديب حسين افندى الجمل ، الموظف فى وزارة الأوقاف ، فتكلم عن نهضة مصر الحديثة وبين ما للعناية بالشئون الاقتصادية من الشأن الخطير فى إبلاغ هذا الشأو البعيد الذى تنشده هذه البلاد ، وما لانصراف الهمم إلى المسائل التجارية والصناعية من التأثير العظيم فى مضاعفة ثروة البلاد وتقوية دعائم نهضتها وإبلاغها إلى أقصى غاية ترمى فى مجهوداتها إليها .

وفى جملة ما جاء فى خطبته هذه قوله :

ولقد سجل تاريخ النهضة العصرية فى مصر أننا مدينون بما وصلنا إليه فى الرقى وما نطمع إليه في بلوغ ذروة الكمال إلي رجال عظماء يشقون لتنعم مصر ، ويتعبون ليستريح أبناؤها ، ويغرسون ليحصد أحفادهم ، ويعملون لما تقوى به مصر على الجهاد فى معترك الحياة .

انظروا ، أيها السادة ، إلى فريق من هؤلاء العاملين باخلاص وجهد : أريد بهم جماعة بنك مصر الذين تنطق أعمالهم وهم ساكتون ، وتتحرك بالمنفعة أيديهم وهم ساكنون — تروا أنهم إذا رأوا الناس بأعمالهم يعجبون لا يزدادون إلا مضياً فيما هم عليه مقبلون .

وبعد أن أتى على سيرة صاحب الدعوة ، وعدد أعماله فى مصلحة الأوقاف حيث كان مديراً عاماً لها قال :

وإن من مقتضيات الفخر له في هذا العصر أننا نرى كثيرين من رجالنا العظماء والكبراء إذا وصلوا إلى دور الاحالة على المعاش جعلوا عهد المعاش تماثا لمواهبهم ومقبرة لذكائهم . ويسر عشاق الفضيلة والهمة أن صاحب الدعوة كان استثناء عظيما لهذه القاعدة ، فانه لم يقف عند حد المعاونة بالاشتراك فى تلك الأعمال الاقتصادية ؛ ولم يكفه أن يكون من المنشطين لبنك مصر بأموالهم ، وأعمالهم بل سارع مع الداعين إلى العمل على إيجاد مطبعة مصر . وقد أنشئت المطبعة فوجدت — على حداثة عهدها — إقبالا يرجى أن يكون له أثر حميد فى النهضة العلمية والأدبية .

ومن حسنات الأعمال الاقتصادية أنها تؤثر بالخير فى الأعمال الأخرى ، فاتجهت عزيمة الباشا إلى أن يقتطف من هذه المطبعة ثمرة يانعة يكون لمصر منها ، بل للشرق أجمع ، خير جزيل ونفع عميم .

تلك الثمرة الدانية القطاف هى « صحيفة الاعلانات » ، صحيفة إعلانات مصر ، ستكون باذن الله صحيفة تجارة مصر وصحيفة زراعتها وصناعتها ، وصحيفة آدابها وفنونها بما تعرضه من البيانات ، وما تنشره من الاعلانات . وستكون ، فوق ذلك ، رسول التعارف الأدبي والتضامن المادى بما تحمله إلى سائر الأقطار من محاسن الأخبار .

صحيفة إعلانات مصر نشر ؛ والنشر عنوان الحياة العامة ، وبرهان على التفوق فيها ؛ والنشر داعية الرواج ومادة للنفع العام .

عرف الأوربيون مزايا النشر ، فأكثروا منه وأنفقوا عليه الأموال الطائلة — يستغلون بها ثمراً أطول ومنافع أجزل .

يقول بعض علماء الاقتصاد : لو أنني كنت أعمل فى رأس مال قدره خمسة جنيهات لأنفقت فى الاعلانات والنشر أربعة واتجرت بالجنيه الخامس .

ولا عجب ، أيها السادة ، فان كل تجارة لا يعلن عنها خاسرة ؛ وكل بضاعة لا ينشر عنها كاسدة . ومصر لم تتقدم إقتصاديا ، ولم تبلغ ما بلغته إلى الآن إلا بفضل النشر فى العالم كله .

روت الصحف منذ عهد قريب أن مصنعاً من كبار المصانع فى أميركا كان ينفق فى الاعلانات وحدها نحو مليون من الجنيهات فى كل سنة . فلما تغيرت إدارته أراد المدير الجديد الاقتصاد من هذا المليون . فلم تنقض سنة واحدة حتى كانت خسارة المصنع ، بسبب قلة الاعلانات ، أضعاف ما اقتصد من أجرتها . فاضطر إلي العودة إلي زيادتها استزادة للربح وتعويضاً لما فقد بالتقصير في الاعلان .

ثم تكلم الصحافى الكبير تادرس بك شنوده المنقبادى ، صاحب جريدة مصر ، فألم بنهضة مصر الاقتصادية فى أوائل عهد الأسرة العلوية الكريمة ، وأورد شواهد محسوسة بليغة على تقهقر مصر فى هذا المضمار ، وعلى وجوب اهتمامها بالمسائل الصناعية والتجارية ، ناسجة فى ذلك على منوال البلدان الراقية : لتتمكن من استعادة منزلتها السابقة وتبوؤ المركز الذى يليق بها فى مجتمع الدول المتمدنة . وختم كلامه بتهنئة صاحب الدعوة والدعاء لصحيفته بالانتشار والثبات فى خدمة الأمة والبلاد .

وعقبه المسيو هفلر من الصحفيين الأوربيين ، فألقى كلمة بليغة فى النهضة الشرقية وما تفتقر إليه من الجهود لبلوغ المنزلة التى يصبو إليها الشرقيون جميعاً ، وما فى تضامن الغرب والشرق من النفع العظيم للانسانية والمدنية ؛ وقد شبه العالم بقسميه الشرقى والغربى بطائر عظيم أصيب بكسر فى أحد جناحيه (ويريد به الجناح الشرقى) فلا يستطيع المضى فى طيرانه إلى أقصى مدى يستطيعه الطائر السليم الجناحين .

ومع الجهود التى بذلتها ، والزيارات التى قضيتها فى المدن المصرية المشهورة بالصناعات ، وما تكبدته من المصاريف — فان هذا المشروع قد فشل لأننى تأكدت من أن أرباب الصناعات التى قصدت رفع مستواها وغيرها كانوا منغمسين فى الحركة الوطنية ، وكانت الروح السياسية سائدة على الجميع ، وآخذة منهم كل مأخذ .

تكريم وتأبين

تكريم نابغة من الأسرة العلوية : فى يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٢٥ كنت مدعواً لتناول الشاى عنـد مدام رولان فى حدائق القبة . وقد تعرفت هناك بموسيو ومدام جيار سفير فرنسا فى مصر . وكان من بين المدعوين الأمير حيـدر فاضل ، فعلمت منه أنه دخل مباراة فى الشـعر أقامتها إحدى مدن فرنسا ، ونال جائزة « متفوق » من بين خمسمائة شاعر . فهنأته على هذا النجاح ، وقلت : « إن المصريين يفتخرون به » . وعندما ودعته قلت له : « إن لى معك كلاماً » .



الأمير حيدر فاضل

وفى يوم ٤ فبراير زرته فى منزله ، وعرضت عليه أننى قد عزمت على إقامة حفلة تكريم له بهذه المناسـبة إشادة بنجاحـه ، فشكرنى على زيارتى له ، وإحساسى نحوه .

وفى يوم ٧ منـه أرسل إلىّ مجموعة من شعره مطبوعة طبعاً أنيقاً باللغة الفرنسية ؛ وقد كتب فى صفحة منها القصـيدة التى نالت الجـائزة بخط يده . وأرسل مع هـذه الهدية رسالة يشكرنى فيها على حفلة الشاى ، وقال إنه يفضل أن تكون شخصية .

وقد قابلته وعرضت عليه أن يطلع جلالة الملك فؤاد على الفـكرة قبل تنفيذها لمعرفة رأيه ؛ فاستصوب ذلك .

ولما عرضها على جلالته لم يسمع جواباً . وقد أرسل لى الرسالة الآتية فى ٢٨ فبراير :

« عزيزى شفيق باشا

« أشكرك كثيراً على صدق عاطفتك نحوى ، وإنى أدعو لك بالشفاء التام مما هو ملم بك من انحراف الصحة . أما الحفلة التى تريد أن تسعى لإقامتها تكريماً لى فأرجو أن تتكرم

بإعفائى منها ولو إلى حين . ومع أن اهتمامك بأمرها مما لا غبار عليه ، وليس هنالك من المحظورات ما يجب أن تقف عنده ، فانى أرى أن من الأفضل العدول عنها ؛ وعلى كل حال فانى لعاجز عن التعبير لك عن عاطفة شكرى على جميلك هذا ، راجياً فى الختام أن تثق بصدق احترامى لك » .

وقد استفسرت عما إذا كان الملك لم يرض عن الحفلة بسبب قيامي أنا بها — كما كنت أتوهم — فنفى لى ذلك . وفهمت منه أنه قد عرض على جلالة الملك أن يترجم شوقى قصيدة سموه إلى اللغة العربية شعراً ، ولكنه فهم أن جلالته غاضب على شوقى ، وتأكد لى ذلك حينما قال الأمير : « ولكن إذا دعوت أصحابك لتناول الشاى فسأكون معهم » . فقلت له : « وهل أدعو شوقى ؟ » فقاطعنى قائلا : « لا ضرورة لوجود الشعراء » .

وأخيراً قررنا الدعوة للشاى يوم ٢٥ مارس ولكنه اعتذر أيضاً ولم يحضر . أما باقى المدعوين فهم مدام رولان ، ومدام شكور باشا ، ومدام جيرو وزوجها القاضى ، ويوسف أصلان قطاوى باشا وزوجته ، وبعض أصحابى المصريين ومنهم محمد مسعود بك .

تشجيع مخترع مصرى : فى يوم ٩ يونيو سنة ١٩٢٥ دعوت باسم « صحيفة الإعلانات » عدداً كبيراً من المهندسين وغيرهم لسماع محاضرة توفيق مكرم افندى عن اختراع جديد له فى فن البناء ، وهو قوالب مصنوعة من السمانتو والرمل والزلط الصغير ، يركب بعضها فوق بعض متماسكة بدون ملاط (مونة) . وقد ألقيت كلمة للتعريف بالمخترع .

ثم تقدم هو فشرح طريقته شرحاً وافياً ، وقدم النماذج للجمهور — وكانت معروضة فى حديقة الرابطة الشرقية — تنفيذاً لما وعدت به فى الصحيفة من استعدادها لعرض النماذج التى يريد أصحاب المتاجر والمصانع عرضها ليعرفها المشترون .

فاقترح أحد الحاضرين أن يعرض الاختراع على حضرة صاحب الجلالة الملك ويلتمس توصية وزارة الأشغال به .

وفى ١٤ منه توجهت إلى سراى عابدين وقابلت محمود شوقى بك (باشا) السكرتير الخاص لجلالة الملك ، وعرضت عليه ما تم فى هذا الاجتماع .

وسألته عما إذا كان يحسن أن يرفع المخترع التماساً لجلالته يطلب فيه المساعدة لعمل

« الماكينة » التى اخترعها لصب القوالب فى ورشة السكة الحديدية ، وتخصيص قطعة من الأرض المملوكة للحكومة لإقامة بناء صغير ، وأن أرفق هذا الالتماس بخطاب منى لرئيس الديوان الملكى .

فوافق على هذا الرأى .

تكريم مؤلف تاريخى : أصدر الأستاذ أحمد حافظ عوض كتاباً فى التاريخ سماه «فتح مصر الحديث» . وقد دعيت يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٢٦ لحضور حفلة تكريم أقامها له أحمد شوقى بك فى داره . وقد طلبت منى لجنة الاحتفال أن ألقي كلمة الافتتاح ، فألقيت الكلمة الآتية :

يها السادة

طلب إلى إخوانى أعضاء لجنة الاحتفال بتكريم صديقى وزميلى القديم أحمد حافظ عوض بك أن أفتتح هذه الحفلة بكلمة وجيزة .

أولانى هذا الشرف لكبر سنى . وقد يكون للشيخوخة علاقة طبيعية بالتاريخ الذى نكرم اليوم أحد أنصاره . وعلى كل حال فانى ممن يخضعون لقرارات الجماعة ، وحق على أن أشكرهم على حسن ظنهم بأخيهم الشيخ ، وأشكر أيضاً الذين لبوا دعوتنا .

أحمد حافظ عوض بك يستحق التكريم ، فانه أخرج لنا كتابا باقياً أسماه « فتح مصر الحديث » ، نخدم به الخاصة ، كما يخدم العامة بصحيفة « كوكب الشرق » . وأرجو أن يوفق إلى نشر الأجزاء الباقية من مؤلفه ، فيسد بذلك بعض الفراغ الموجود فى تاريخنا الحديث .

بكل أسف لم نر من الحكومة ولا من الأفراد في المدة السالفة اهتماماً لائقاً بهذا التاريخ ، مع أنه دروس عبر وعظات نستفيد منها فى نهضتنا القومية ، وياحبذا لو أخذت الحكومة فى تدوين تاريخنا بمعرفة خصيص مقتدر ، كما كانت تفعل الدولة العثمانية ؛ وكان يتولى هذه المهمة المرحوم جودت باشا وزير المعارف قبل ثلاثين عاما .

ولكن يسرنى الآن أن أرى نشاطاً وعناية من المصريين ، وفي مقدمتهم بعض أمراء العائلة المالكة ، فى نشر كتب التاريخ والسياحات — فنا لهم كل شكر .

إننى لأحبذ المجهود التاريخي ، وهو ما يستغرق كثيراً من أوقاتى ويستوعب أكثر ملذاتى ، ولهذا رأيت أن أنشر مذكراتى فى حياتى خوفاً من اندثارها بعد الموت خلافا للمألوف . اردت بذلك ان ينتقدها المنتقدون للوصول إلى الحقيقة . وكذلك صممت أن أنشر الحوليات السياسية لمصر . وأظن أننى أكون قد عملت جهد استطاعتى مما أعتقده لازماً ، وأسأله تعالي أن يوفقنا جميعاً لخدمة الوطن العزيز .

أما أنت يا شوقى فلله درك ! لقد جمعت من المزايا ما لايوجد فى غيرك . فأنت أمير الشعراء بلا جدال ، وأنت أكرم الكرماء بلا جدال ، وأنت أيضاً : أتدرى ماذا ؟ أصدق الأصدقاء . فصداقتك لاخوانك متينة ، وهذا التكريم الذى نحتفل به الآن دليل قاطع على محافظتك على الرابطة التي تربطك بزميلنا وصديقنا حافظ عوض.

فليحى شوقى ! ولتحى الصداقة !

تكريم مفتى القدس : انتهز لفيف من فضلاء المصريين فرصة زيارة حضرة صاحب الفضيلة والسماحة السيد أمين الحسينى ، مفتى القدس الشريف ورئيس المجلس الاسلامى الأعلى فى فلسطين ، لمصر ، فأقاموا لسماحته يوم ١٩ ابريل سنة ١٩٢٦ حفلة تكريم فخمة فى فندق شبرد . وكان فى مقدمة الحاضرين السيد عبد الحميد البكرى والعلامة السيد محمد رشيد رضا والأستاذ السيد محمد الغنيمى التفتازانى والأستاذ الشيخ على سرور الزنكلونى والأستاذ نسيم صيبعة وعبد العزيز فهمى باشا وعبد الرحمن رضا باشا وسعيد شقير باشا وانطون مشاقة باشا والدكتور سليم موصلى باشا ومصطفى بك عبد الرازق وحافظ بك رمضان وعلى المنزلاوى بك وأحمد فهمى العمروسى بك ولبيب الكردانى بك وكاتب هذه السطور ، وعدد كبير من رجال الصحافة والأدباء والشعراء ورجال الفضل والوجاهة . وبعد تناول الشاى والحلوى افتتحت الحفلة وحييت الحاضرين وألقيت كلمة جاء فيها :

إن هذا الرجل الذى نحتفل به ، هو بحق شخصية بارزة معروفة لدي الشعوب الشرقية عامة ومصر خاصة . فهو من أشرف الأسر فى فلسطين حسباً ونسباً ، وقد حضر لمصر أول مرة سنة ١٩١٢ طالباً للعلم وزيادة المعرفة ، فانتسب إلى مدرسة الدعوة والارشاد التى كان يديرها بمقدرة تامة صديقنا العزيز السيد محمد رشيد رضا أحد أقطاب الرابطة الشرقية ، وكان من أغراضها تخريج جماعة من أهل الفضل والمقدرة على القيام بنشر الدعوة الدينية فى جميع الأقطار الشرقية . وكان المحتفل به من أذكى الطلبة . ومنذ هذا اليوم ابتدأت شخصيته في الظهور ونجمه فى الصعود حتى تولي أعلى منصب دينى فى بلاده وهو رياسة المجلس الاسلامى الأعلى ومنصب المفتى الأكبر ، ومنذ هذا الوقت وهو يجاهد لترقية أمته واسترداد حقوقها . وقد أدار الأوقاف التابعة للمجلس إدارة حازمة نزيهة ، حتى توفر من أموالها ما مكنه من تأسيس المدارس لنشر الثقافة . وكذلك جاهد — ولا يزال — لاستقلال بلاده فى صلابة ونزاهة مما يجعلنا نتمنى له فى مهمته العظيمة كل النجاح والتوفيق .

ثم قام الدكتور منصور فهمى بك وألقى كلمة بليغة فى مناقب المحتفل به، وقد جاء فيها :

إن السيد الحسينى هو من النفر القلائل الذين يعلمون كيف يحتفظون بخير ما ينبغى أن يحتفظ به الشرقى من السجايا والأخلاق .

إنه مثل لوداعة التدين ودماثة الخلق . هو أهل للتكريم من جهات متعددة ؛ فهو زعيم دينى لكنه أجمل مثال للزعامة الدينية السمحة التى تبشر ولا تنفر ، وتعمل ناظرة إلي الله . هو مثل لتلك الزعامة الدينية التى يستخدم اللين والرفق فى الارشاد وكأنه يعمل بقول الله ربه « ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم .

وبعد أن انتهى ارتجل الشيخ على سرور الزنكلونى كلمة شائقة جاء فيها :

إن رأس الأستاذ المحتفل به لمن أكبر الرؤوس المفكرة في مكافحة مصائب سوريا وفلسطين . وكان تشريفه مصر فى هذه الأيام المباركة ضرباً من ضروب الحياة وتجديد القوة بين الأهل والاخوان .

إن سماحة الأستاذ فى فضله وعلو همته وعظيم جهاده لجدير بالتكريم ، كما أن مصر الناهضة ، مصر العربية ، مصر الشرقية ، هى أولى الأقطار بتقدير رجال الفضل وتكريم النبلاء العظماء .

وبعد ذلك خطب الأستاذ نسيم صيبعة والأستاذ سليمان فوزى . وألقى شاعر القطرين خليل مطران بك قصيدة شائقة فأجاد الجميع فيما قالوه ، وعددوا مناقب السيد الحسينى وخدماته لفلسطين والنهضة الحديثة .

وفى النهاية نهض سماحته وأجاب على خطب الخطباء بكلمات لطيفة تنم عن التواضع وكرم الخلق . وأخذت صورة للجمع .

مهرجان شوقی

كيف نبتت فكرة تكريم شوقى : جاءنى شوقى بك ذات يوم من أيام سنة ١٩٢٦ وأخبرنى أن جماعة من أدباء الاسكندرية يهمون بإقامة حفلة تكريم له ، وأنهم فاتحوه بهذه الرغبة . فكان جوابى له : « انتظر قليلا يا شوقى بك ، فإنى أفكر لك فيما هو خير وأعظم » . وبالفعل كان هذا الذى أفكر فيه أننا بحاجة إلى تكريم النابغين فى كل علم وفن ، ليكون هذا التكريم حافزاً للآخرين ؛ وكان شوقى هو الذى استقر فكرى على أن نبدأ به . ثم فكرت فى ألا يقتصر تكريمه على حفلة مصرية تنسى بعد قليل ، بل أن يشترك فيها الشرق كله ، فيتردد اسم مصر على الأفواه فى هذه البلدان ، وتكون فيها دعاية لها بجانب التكريم لأحد أبنائها .

دعوتى لبعض المفكرين لاستشارتهم : وفى يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٦ دعوت إلى دار الرابطة الشرقية جماعة من المفكرين للتفاهم فى هذه الفكرة ؛ وعرضت عليهم تشكيل لجنة لتبحث فى كل سنة عمن يجب تكريمه — فلقيت تحبيذاً كثيراً . ثم اتفقنا على أن نبدأ بتكريم شوقى .

اللجنة العامة : وتقرر تأليف لجنة باسم « اللجنة العامة لتكريم شوقى » خلاف اللجان الفرعية التى قامت بتنظيم المهرجان من الأساتذة : الأمير أمين أرسلان ، على ابراهيم ، محمود صدقى ، فارس نمر ، عبد القادر حمزة ، حافظ عفيفى ، كامل البندارى ، قلينى فهمى ، عبد الحميد بدوى ، أحمد نجيب الهلالى ، أحمد حافظ عوض ، أنطون الجميل ، إميل زيدان ، داود بركات ، منصور فهمى ، عبد الحميد سعيد ، عبد الله أباظه ، ميرزا مهدى ، نسيم صيبعة ، عبد العزيز البشرى ، عبد الحليم العلايلى ، عزيز مرهم ، عبد المنعم رسلان ، خليل محمود الفلكى ، أحمد أمين ، جلال فهيم ، طه حسين ، أحمد عمر ، سعيد لطفى ، إبراهيم الهلباوى ، عبد الرحمن الجديلى ، صالح جودت ، أحمد نجيب براده ، جرجس أنطون ، محمد وحيد الأيوبى ، محجوب ثابت ، توفيق أسكاروس ، أحمد العوامرى ، محمد عبد العليم العبادى ، رياض الجمل ، عبد الحميد عبد الحق ، الآنسة مى زيادة ، عبد الحميد حمدى ، على فهمى كامل ، محمود عزمى ، الدكتور عارف الوديني ، محمد على الطاهر ، وغيرهم . وتقرر قبول مندوبين عن مدارس الحقوق ودار العلوم وعلماء التخصص والطب ، ومندوبين عن نقابة الموظفين



أنطون الجميل بك



أميل زيدان بك



داود بركات بك



الأستاذ محمد سعيد لطفي

العامة على رأسها أسعد بك لطفى النقيب ، وقررت الجامعة الأمريكية بمصر إنابة الأستاذ أحمد حسن الزيات عنها .

اللجنة التنفيذية : واختيرت لجنة تنفيذية من : كاتب هذه السطور رئيساً ، وعثمان مرتضى باشا وجعفر والى باشا والأستاذ خليل مطران وأحمد حافظ عوض بك (سكرتيراً) ومحمد على دلاور بك والدكتور السيد كامل والشيخ عبد العزيز البشرى وأميل خورى وأمين الرافعى بك والسيد رشيد رضا وجورج طنوس .

وفى يوم ١٤ ديسمبر نشرت اللجنة التنفيذية نداء إلى العالم العربى جاء فيه :

نداء اللجنة التنفيذية : يا بنى العرب : لقد تضافرت الصفوة من ساكنى مصر من جميع العناصر الشرقية على تكريم شوقى ، ورأوا بحق أن تفردهم بهذا الواجب افتئات على حق العرب قاطبة ، واستئثار بملكية المشاع . من أجل هذا تألفت فى مصر لجنة من ممثلى الأمم العربية فيها ، واجتمع رأيها على إقامة احتفال كبير تكريماً لشوقى فى القاهرة يوم ٢٣ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٧ م (وقد تأجلت الاحتفالات فيما بعد إلى ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٧) . على أن يكون لجميع الشعوب الناطقة بالضاد فى العالم ممثلون فى هذا الاحتفال . كما ترحب اللجنة بمندوبى الجمعيات العلمية والأدبية وكل فرد له صوت فى عالم الأدب .

لهذا تتمنى اللجنة أن يرفع كل شعب عربى صوته فى ذلك الاحتفال ؛ وهى تتلقى مع الحمد كل مبحث أدبى ليلقى فى الحفل وينشر فيما ينشر من آثاره .

فاذا تعذر الحضور والانابة يرسل بحث في شوقى وشعره أو فى اللغة والشعر العربى بوجه عام مضاعفة الفائدة فى تلك الفرصة السعيدة .

وآخر موعد لوصول المباحث إلى اللجنة أو طلب الاشتراك او الانابة وما إلى ذلك هو يوم ٣١ يناير سنة ١٩٢٧ .

وفى يوم ٦ يناير اجتمعت اللجنة المذكورة وأذاعت بياناً جاء فيه :

اتساع حفلات تكريم شوقى : إن الفكرة الأولى كانت مقصورة على حفلة تكريم فى دار الأوبرا ، لكن الفكرة تطورت على أثر الأنباء التى جاءت تترى من جميع الممالك العربية بتأليف وفود من كبار أدبائها يمثلونها فى الاحتفال .

لذلك ترى الجمعية عمل مؤتمر أدبي عربى يدوم عقده أسبوعاً فى القاهرة تلقى فيه المباحث فى شعر شوقى وشتى الموضوعات الأدبية ، وإقامة حفلات لضيوف مصر وإعداد رحلات لهم إلى غير ذلك .

كذلك قررت الجمعية طبع جميع القصائد والخطب والمباحث الأدبية فى كتاب ذهبى تنشر فيه أسماء أعضاء اللجنة العامة المشتركين في تكريم شوقى وإهدائه إليهم جميعاً (١) .

(١) لم ينفذ هذا القرار . ولعل هذا الفصل يكون فيه بعض الغناء .



لجنة الاحتفال ببكر بيم شوقى

ومن حيث إن إنفاذ الفكرة يحتاج إلى نفقات، فقد جعل رسم الاشتراك خمسين قرشاً يدفعها الأعضاء فضلا عما يتفضل الكرماء بالتبرع به .

اعتراض شوقى علي الاشتراكات : وفى يوم ١١ منه قابلنى شوقي بك ، فأظهر لى أنه غير مستريح لفكرة إرسال الاشتراكات إلى اللجنة ، وأن الأفضل إرسالها مباشرة إلى بنك مصر ، فشاركته هذا الرأى وأخبرت به حافظ عوض بك . وحادثت طلعت حرب بك (باشا) تليفونياً لفتح حساب جار فى البنك لهذا الغرض ، فوعد باجابة الطلب .

ولكن فى اليوم التالى أبلغنى طلعت بك أن شوقى مستاء من جمع اشتراكات لتكريمه ، وأنه يفضل عدم إقامة هذه الحفلة . فقلت : إنه يهمنا أن يتم هذا العمل على أكمل وجه ، وأن يكون شوقى منشرح الصدر له . ثم تقابلت مع حافظ بك والدكتور سيد كامل لعمل ما يلزم ، وكان شوقى حاضراً معنا . فتقرر إبطال الاشتراك المالى ، ونشر ما يفيد أن أخصاء شوقى قد أخذوا على عاتقهم نفقات التكريم .



رياض بك الصلح

وبالفعل تم هذا ، فقد اشترك البرنس عمر طوسون بمبلغ ٣٠ جنيهاً ، ونعمان الأعسر باشا بمبلغ ٢٠ جنيهاً ، وكذلك الأمير ميشيل لطف الله ، وكل من نقولا افندى دياب ويوسف قطاوى باشا، وأحمد عبود بعشرة جنيهات ، وكاتب هذه السطور بعشرين جنيهاً .

اشتراك الأقطار الشرقية فى تكريم شوقى : وفى ٤ ديسمبر كتبت جريدة « صوت الشعب » الفلسطينية تنوه عن هذه الحركة ، وطلبت من كبار أدباء فلسطين أن ينتهزوا هذه الفرصة وأن يشتركوا فى الحفلة .

وفى ٦ منه نشرت نقابة الصحف فى بيروت بياناً تدعوفيه أدباء لبنان للاجتماع بناديها لانتخاب من يمثل لبنان فى الحفلة.

وفى ٧ منه كتب رياض بك الصلح ، وإحسان بك الجابرى ، والأمير شكيب أرسلان — وهم أعضاء الوفد السورى فى أوربا — يطلبون قبولهم فى لجنة التكريم ، فقبل طلبهم .

وانضم السيد محمد بن هاشم رئيس البعثة الجاوية بمصر كذلك .

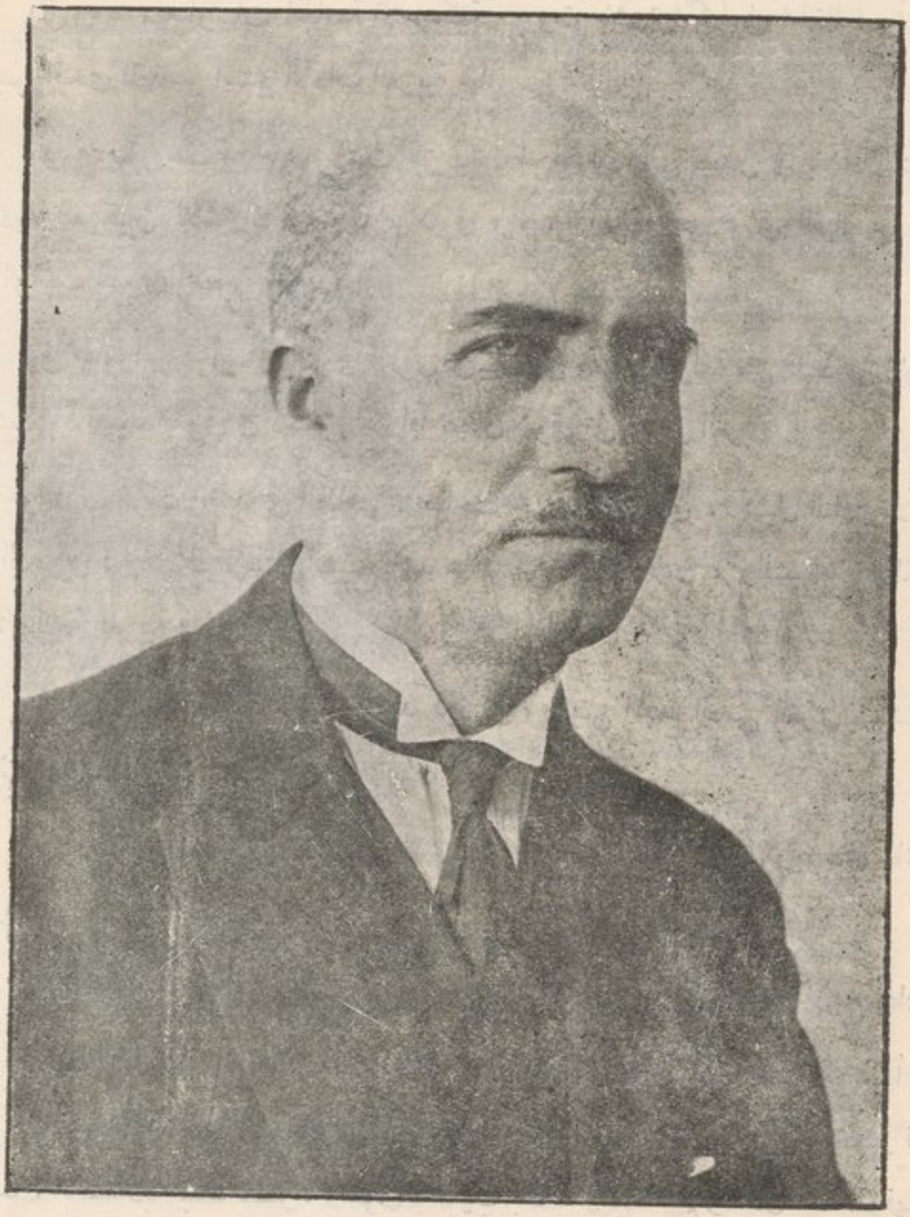

إحسان بك الجابرى

وفى ١٣ منه اجتمع أدباء لبنان وانتدبوا شاعرهم شبلى ملاط لتمثيلهم فى الحفلة. وأناب أدباء يافا الأستاذ أبا الأقبال اليعقوبى ؛ وقرر منتدى التهذيب فى بغداد أن يقيم لشوقى بك

حفلة تكريم فى نفس اليوم الذى يحتفل به فى القاهرة ، وإرسال ما يلقى من الكلمات للجنة التكريم العامة .

وكذلك قرر مريدو شوقى بباريس إقامة حفلة تكريم يوم حفلة القاهرة .

وفى ٢١ منه أرسلت الجامعة الأمريكية ببيروت باشتراكها فى الحفلة ؛ وأنابت أنيس افندى المقدسى أستاذ الآداب العربية بها .

وفى ٥ يناير سنة ١٩٣٧ كتبت جريدة نداء الشعب التى تصدر فى بغداد تستحث الأدباء العراقيين للاشتراك فى تكريم شوقى ، مبدية أسفها لجمودهم فى القيام بهذا « الواجب القومى العظيم » .

وفى ٧ فبراير : أرسل النادى العربى فى بومباى هدية مؤلفة من قلم ذهبى ولوحة نقشت بها قصيدة شوقى فى دمشق اعترافاً بفضل شوقى على الشعر العربى .

وانتدب الأستاذ محمد على الطاهر ، صاحب جريدة الشورى ، لتمثيل النادى الأدبى فى البحرين ؛ واشترك الأستاذ الشيخ محمد هاشم من شعراء عدن ، والشيخ نديم الملاح أستاذ اللغة العربية فى إربد .

وفى ١٠ مارس انتخب الأستاذ محمد كرد على ، رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق ، ممثلا لسوريا .

وفى ١١ منه انضم النادى الفينيقى الذى يضم أدباء سوريا ولبنان فى ريو دى جانيرو بالبرازيل .

تشكيل لجان لتنظيم حفلات شوقى : وفى ١٥ فبراير شكلت اللجنة التنفيذية أربع لجان :

١ — اللجنة المالية من : عيسوى زايد باشا ، ونعمان الأعسر باشا ، ومحمد أحمد عبود بك ، وأحمد عبد الوهاب بك وكيل المالية ، والدكتور سيد كامل بك مدير قسم المباحث الاقتصادية ببنك مصر ، وشوقى الخطيب بك ، وعبد المنعم رسلان بك ، وفهمى حنا ويصا بك ، وعلى محمود بك .

٢ — لجنة الحفاوة من : حمد الباسل باشا ، حفنى محمود بك ، اسماعيل شيرين بك وكيل محافظة العاصمة ، عباس سيد أحمد مفتش بالداخلية ، إبراهيم راتب بك ، محمد

شعراوى رئيس لجنة الطلبة التنفيذية ، مصطفى رياض بك مدير جمرك مصر ، وهيب دوس بك المحامى ، نجيب ميخائيل بشاره بك .

٣ — اللجنة التنظيمية من : أحمد رشدى بك المهندس ، أحمد فهمى القطان بك ، جعفر والى باشا ، جرجس أنطون بك ، جورج زنانيرى باشا ، حسن حسنى بك المحامى ، السير سعيد شقير باشا ، عبد الحميد البنان بك ، الأستاذ صبرى أبو علم ، محمد على دلاور بك ، اللواء محمد فاضل باشا ، محمد متولى بك ، نجيب منصور شكور باشا .



إبراهيم جلال بك

٤ — اللجنة العلمية من : أمين الرافعى بك ، السيد رشيد رضا ، خليل مطران ، عثمان مرتضى باشا . ابراهيم جلال بك ، العمروسى بك ، أحمد لطفى السيد ، أحمد العوامرى ، أسعد خليل داغر ، توفيق دياب ، الدكتور محمد حسين هيكل بك ، عباس الجمل ، الشيخ جاويش ، عبد القادر حمزة ، كامل الحمامصى بك ، لبيب البتانونى ، محمد ابراهيم الجزيرى ، محمد حسانين الغمراوى بك ، الشيخ محمد الخضرى بك ، محمود شوكت بك ، مصطفى عبد الرازق بك ، يعقوب صروف .

شمول حفلات التكريم بالرعاية الملكية : وفى يوم ١٠ أبريل اجتمعت لجان التكريم بدار الرابطة وتقرر انتداب جعفر والى باشا ، وجرجس أنطون بك ، ودلاور بك — للتوجه إلى السراى وطلب وضع حفلة التكريم تحت رعاية جلالة الملك . وقد تنحيت عن طلب الجماعة أن أذهب على رأس الوفد لئلا يكون فى وجودى مانع عند السراى .

وقد وافق جلالته على شمول الحفلة بالرعاية الملكية ؛ وقبل سعد باشا رياسة الشرف لحفلات التكريم .

وفى ١١ منه أرسلت رسالة لمدير الجامعة المصرية أقترح أن يقام لشوقى تمثال من البرنز فى إحدى صالات التدريس .

لجنة السيدات المصريات : وألفت السيدة هدى هانم شعراوى لجنة من السيدات برياستها.

وفى يوم ١٥ أبريل أرسلت إليها الرسالة الآتية :

لما علمت اللجنة التنفيذية لحفلة تكريم أحمد شوقى بك ، أمير الشعراء ، أن عصمتكم تفضلتم بترأس لجنة من السيدات تشترك فى الاحتفاء بنابغة الأدب العربي اليوم ، سرت لهذه الأريحية لما فيها من عاطفة نسوية سمحاء نحو الأدب وأهله ، وكذلك لأنها فكرة ناضجة فى إيجاد التعاون الجدى بين الرجال والنساء فى مصر . وليس هذا بالكثير على حضرة سيدتي الفاضلة صاحبة المواقف الباهرة فى النهضتين الوطنية والنسوية .

إنى لكل ذلك أفخر كل الفخر أن أشكر عصمتك باسمى وباسم إخواني أعضاء اللجنة ، متمنياً تقدم مصر المطرد باتحاد جنسيها فى الأعمال الشاقة التي لا تسمح الطبيعة بتحقيقها إلا بهذه الطريقة المثلى .

وأخيراً أرجو من سيدتي قبول كل ما عندى من تقدير واحترام لذاتها الكريمة ، لا يزولان من هذه النفس التى تفيض بحب مصر والعاملين لاسعادها وترقية أهلها . والسلام على من اتبع الهدى .

المعارضة فى حضور السيدات على مسرح الأوبرا : وفى يوم ١٧ اجتمعت اللجان للمناقشة فى مسألة حضور السيدات للحفلة . وكان رأيي انتهاز هذه الفرصة لإظهار تقدم المرأة المصرية أمام المؤتمر العربى ، ولكن الجو السائد فى لجنة التنظيم كان معارضاً لدعوتهن . وقد اختلفت الآراء : فكان بعضهم يرى دعو ثلاث منهن على المسرح مع الرجال ، والآخرون لا يرون ذلك .

وفى يوم ١٨ تحادثت مع دلاور بك فى أن يقابل السيدة هدى هانم شعراوى ويتفاهم معها فى مطالبها الخاصة بحضور الاحتفال ، وهى :

١ — أن ترسل لها أوراق الدعوة للسيدات فتوزع بمعرفة لجنتها ، وأن يرسل لها بيان بمن طلبن الحضور .

٢ — أن يفسح لها ، ولاثنتين من السيدات ، مكان للجلوس على مسرح الأوبرا لتمثيل لجنة السيدات .

٣ — أن تلقى الآنسة إحسان أحمد خطبة فى تكريم شوقى بالنيابة عنهن .

فأجابنى بأنه يصعب عليه القيام بهذه المهمة. وكنت ألاحظ أنه هو وحافظ عوض بك وجرجس أنطون بك ضد فكرة اشتراك لجنة السيدات .

وفى صباح ١٩ منه مررت على كوكب الشرق فأخبرنى جورج طنوس أن هلباوى بك تفاهم مع حافظ عوض بك على الذهاب معاً لمقابلة هدى هانم والاتفاق معها على الترتيب

اللازم ، فطلبت حافظ بك بالتليفون وسألته عن صحة الخبر فقال إنه تقابل مع هلباوى بك فى مجلس النواب ، وهذا عرض عليه أن يذهب معى إليها . ثم قال فى حدة : « ولكننى لن أذهب ولا أوافق على إلقاء خطبة من سيدة سافرة أمام الرجال » .

وفى آخر اليوم قابلت الدكتور سيد كامل فلم أخف عنه استيائى من معارضة بعضهم لحضور السيدات وقلت : « إننى فكرت فى الاستقالة من هذا العمل لولا عدم رغبتى فى إثارة ضجة قرب موعد الحفلة » . فتأثر لهذا الحديث ورجانى فى ألا أفكر فى الاستقالة .

وفى ٢٠ منه كان موعد اجتماع اللجنة العلمية ، وكانت قد وصلتنى من السيدة هدى هانم خطبة الآنسة إحسان أحمد فانتهزت فرصة حضور الدكتور سيد كامل قبل بقية الأعضاء وقرأنا الخطبة فوجدناها قيمة مما شجعنى على حضور الجلسة وطلبت من سكرتيرها جلال بك فهيم أن يؤيد قبول هذه الخطبة وإلقاءها فى دار الأوبرا ، فوعد بذلك إلا أنه اعتذر عن إلقائها بأن الوقت لا يسمح ، وخصوصاً أنه زاد على البرنامج كلمة لسعد باشا .

قرار اللجنة بقبول خطبة الآنسة إحسان أحمد : وقد اجتمعت اللجنة ونظرت فى القصائد والخطب وقررت تخصيص يوم السبت بعد الظهر لتلاوة ما وصلنا من الخارج شعراً ونثراً فى دار الجمعية الجغرافية ، وما وصلنا من الداخل فى جلسة يوم الاثنين بعد الظهر فى دار جمعية الاقتصاد الملكية ، بما فى ذلك كلمة الآنسة إحسان أحمد وترتيبها الخامسة ، فحمدت الله على هذه النتيجة .

وفى ٢٢ منه حضر عندى هلباوى بك وحادثنى فى طلبات لجنة السيدات ، فأخبرته برأيى فيها ، واتفقنا على أن يحضر معى جلسة لجنة التنظيم ، وأن ندعو جعفر والى باشا لحضورها كذلك والدفاع عن فكرتنا . وقد تم ذلك ودارت مناقشة كبيرة انتهت بالاتفاق على عدم وجود أعضاء من اللجان على المسرح ، وأن تلقى الآنسة إحسان أحمد كلمتها فى حفلة الأوبرا .

وفود البلاد العربية : وفى يوم ٢٧ منه ابتدأت الوفود فى الحضور من الخارج فذهبت إلى فندق الكونتنتال لزيارة الأستاذ كرد على رئيس المجمع العلمى فى دمشق وإسعاف بك النشاشيبى . وهناك سمعت بوجود سى قدور بن غبريط رئيس تشريفات سلطان مراكش ، فزرته وفاجأته بقولى : « لعلكم ستمثلون مراكش فى مهرجان شوقى ؟ » فتلعثم أولا ثم قال : « نعم نعم ! »

وفى يوم ٢٨ منه زارنى فى الرابطة الأولان ومعهما شبلى بك ملاط مندوب لبنان ؛ وقد سروا من نادى الرابطة واطلعوا على بعض محفوظاتى وخرجوا شاكرين .

حفلة الاوبرا : وفى الساعة الخامسة والنصف من يوم ٢٩ كانت حفلة الأوبرا مهرجاناً عظيما . وقد ألقيت كلمة عن سعد باشا يعتذر فيها عن عدم حضوره لمرضه ، ويرحب بضيوف العرب . ثم وقفت فألقيت الكلمة الآتية :

كلمة الرئيس : السلام عليكم يا أمة العرب . السلام عليكم يا حماة الأدب . ها أنتم أولاء قد اجتمعتم من مختلف الأقطار لتكرموا شوقى ، وبعبارة أصح لتكرموا العبقرية فى شخص رجل منكم يعود إلى لغتكم بكل ما أحرز من فضل ، ويعود على أقوامكم كل ما أحرز من فخار .

ليست الأمم أيها السادة ، بكثرة عددها ، إنما الأمم بمن تخرج من رجال عظام . وأولئكم ثروتها ، وأولئكم عزها ، وأولئكم ذكرها الخالد على التاريخ .

فاذا اجتمعتم اليوم لتكرموا شوقى فان هذا التكريم لينطوى على معان عدة كلها سام وكلها نبيل : منها عرفان الجميل . وإن أمة تقدر عظماءها وتنزلهم من الاكرام منازلهم لحقيقة بالأعظام . ومنها تشجيع النابغين على العمل ، فان فتور الأمم عن تشجيع عبقريتها من شأنه أن يدب الفتور إلى هممهم ، والخطب فى هذا عليهم دون الخطب على الأمة جمعاء . ومنها استدراج العبقريات الناشئة فى نفوس الناشئين إلى الظهور ؛ وهيهات أن يغريها شىء على التجلى والتدفق كما يغريها إكرام من تمت عبقرياتهم من العاملين .

وإننا إذا كنا فى العالم الشرقى بوجه عام ، وفى العالم العربى بوجه خاص ، فى حاجة إلى الاستمساك بأسباب القوة فأشد حاجتنا فى ذلك إلى الاستكثار من عظماء الرجال .

وهذا شوقى عظيم(١) من يوم ظهر ، عبقرى من يوم نجم ، ولكم دوى صوته المرن بأعلى الشعر وأزكى الكلام ، ولكم جدد فى لغة العرب وفسيح مجالها من بيان وأدب ، ولكم رقى بها مرقى كريماً بين لغات العالم .

لقد فكرت فى إكرام نابغة الشعر العربى فى هذا الزمان ، وما كدت أطرح هذه الفكرة على بعض الأدباء حتى استراحوا إليها إذ كانت تتردد كذلك فى خواطرهم ، وسرعان ما اجتمعنا لهذا فى دار الرابطة الشرقية ، فاجتمع الرأى على إقامة حفلة تكريم ندعو إليها أدباء الشرق . وامتدت الفكرة إلى انتهاز الفرصة فى اجتماع وفود الأمم العربية لاقامة مؤتمر عربى تتطارح فيه الآراء فى كل ما من شأنه إعلاء لغة العرب وتوثيق الصلة بين أبنائها الكرام . وما أن أذيع بهذا فى الصحف السيارة حتى دخل أهل العلم والرأى والأخبار فى زمرتنا أفواجاً ، وحتى نبض البرق ونضح البريد برسائل الاشتراك من الهيئات العلمية والأدبية وأفذاذ الفضلاء من مختلف البلدان العربية .

وليس أدل من هذا الروح القوى الكريم على أن الله تعالى يريد لأبناء الضاد فى القريب شأناً قوياً كريماً .

---

(١) ها أزحت الستار عن تمثال شوقى .



افتتاح حفـــلات التكريم بدار الأوبرا

أيها السادة : لا أعرض لمزايا شعر شوقى ، فانى أدع القول فى هذا لمن هو أقدر منى . على أن ما لاحظته فيه من أول يوم أنه دائم الابتكار والتجديد ؛ ولقد أذكر أن أول شعر قرأته لشوقى كان قصيدة نظمها فى وصف ليلة راقصة أقيمت فى قصر عابدين ، فكدت عند قراءتها أرقص من طرب ومراح .

اسمحوا لى ، أيها السادة ، أن أحييكم باسم اللجنة التنفيذية بأطيب التحيات وأذكاها ، وأن أحيى باسم مصر كلها أكرم التحيات حضرات الوافدين الكرام الذين عانوا ما عانوا من ألوان المشاق إعزازاً للعربية وتكريماً لشاعرنا العظيم . اسمحوا لى بدل أن أشكركم على الاشتراك فى هذا العمل الجليل أن أهنئكم باحتفالكم بلغتكم واحتفالكم بنابغيكم الحقيقيين بكل الهناء .

فباسم الله ، وباسم لغة العرب ، أعلن افتتاح المؤتمر ، وأسأل الله تعالى سداداً وتوفيقاً إلى تحقيق مطالبه الجسام .

ثم ألقى حافظ بك عوض الكلمة الآتية :

كلمة السكرتير : سيداتى سادتى :

ليس من برنامج هذا الاحتفال أن أتشرف بالقاء كلمة فى إطراء شوقى وشعره . وما شوقى بحاجة إلى الاطراء ؛ وما بعد هذا الحفل ، وهذا التكريم ، بقية لتنويه بفضل أو إشادة بذكر ! .

وإنما أريد أن أقدم لكم ، بلسان لجنة التكريم ، شكرها على تلبيتكم دعوتها ، واشتراككم الفعلى فى تكريم شاعر مصر العظيم .

وأحب أن أزيد على هذا الواجب — واجب الشكر — كلمة موجزة عن ناحية أخرى من نواحى الغاية من تكريم شوقى ، إجلاله فأقول : إن شوقى الشاعر العظيم ، الخالد فى صفوف الخالدين من عظماء الرجال ، ونوابغ شعراء العالم ، من فجر التاريخ إلى اليوم ، قد طبع هذا العصر — الذى ستذكره الأجيال الخالفة مقروناً باسمه وبخياله ونبوغه .

ومن كانت هذه منزلته فى جيله ، وفى الأجيال المقبلة بعده ، فليس فى الحقيقة فى حاجة إلى ثناء أو إطراء .

وشوقى الذي يخلد شعره يستحق الخلود ومن يستحق الخلود ، ليس فى حاجة إلى تبجيل أو تكريم .

فلهذا أرى أن الناحية الوطنية فى إقامة حفلات التكريم لشوقى ، آتية فى نظرى من أنه ساعد بنبوغه النادر ، وعبقريته الفذة على رفع شأن مصر ومقامها فى العالم العربى شرقاً وغرباً .

أيها السادة : إن تلبية ممثلى البلاد العربية لدعوتنا ، وهبة العالم العربى كله للاشتراك ، معنى وحسا ، بالقول وبالفعل ، بالروح والجسد ، فى هذا التكريم — بما بعثت من قصائد ، وأوفدت من وفود ، وشيعت من هدايا — لدليل كاف على ما لشوقى ، شاعر مصر ، فى العالم العربى من المنزلة الرفيعة ، ولبرهان ساطع على أنه بشعره أقام لمصر ، مسقط رأسه ، وراعية شبابه ، وموحية الشعر إلى جنانه ووجدانه — مناراً عالياً يبعث نوره إلى مختلف البقاع والأمصار .

أيها السادة : لقد وضع شوقى « مصر » فى موضع الزعامة الأدبية على كافة البلاد العربية ، وهو ما تغتبط به مصر الناهضة ، وتقدم من أجله لأبنها « شوقى » شكرها وتكريمها .

إن معرفتنا هذه المنزلة لشوقى فى العالم العربى بأسره ، من مراكش غرباً إلى البحرين ، وما بين النهرين شرقاً ، هى التى دعتنا إلى أن ننهز هذه الفرصة ، فنجعل من تكريمه مؤتمراً عربياً أدبياً كما سمعتم ، وكما سترون من البرنامج الذى رسمناه للحفلات والاجتماعات والمحاضرات ، أيام هذا الأسبوع ، الذى تعد أيامه أعياداً للعلم والأدب ، كما كان يفعل قدماء المصريين والأغريق ، فى تكريم شعرائهم وحكمائهم .

وإنى لعلى ثقة بأن هذا المؤتمر الذى كان الاحتفال بتكريم شوقى سبباً فى عقده ، بعاصمة الديار المصرية سيكون الأول من نوعه ، وستتلوه إن شاء الله مؤتمرات مثله ، فى جميع الممالك العربية ، خدمة للأدب العربى ، وما يتبع ذلك من نشر العلوم والمعارف ، والتوسع فى التهذيب والثقافة . فكل ما فى الوجود من أثر فى نهضة الأمم وحياة الشعوب ، مصدره وأساسه فى اللغة ، وفصاحة القول . . . وما فى الدنيا حياة لأمة ، إلا وهى من غرس الكلمة ، وحصيد القول ، وثمرة البلاغة .

وألقى الأستاذ محمد كرد على كلمة عرض فيها لتحليل شعر شوقى وبيان أثره فى النهضة الحديثة ، وأعقبه شبلى ملاط بقصيدة جميلة استعيدت أبياتها مراراً ، ثم عزف سامى الشوا قطعة على الكمان .

وبعد ذلك وقفت الآنسة إحسان احمد فأحسنت فى إلقاء خطبتها وكانت تقاطع بالتصفيق.

وألقى خليل بك مطران قصيدته النفيسة ، وأعقبه حافظ بك ابراهيم فبايع شوقى بالإمارة ، عن نفسه وعن الحاضرين قائلا :

أمير القوافى قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

فضجت القاعة بالتصفيق والهتاف .

ثم ألقيت قصيدة شوقى ، وبعدها كلمة الأستاذ توفيق دياب .

وبذلك انتهت الحفلة الرئيسية بنجاح تام .

وفى الساعة التاسعة مساء ذهبت إلى تياترو الأزبكية حيث كانت فرقة عكاشة تمثل رواية « على بابا » أمام أعضاء الاحتفال ، ونوهت بالهدايا التى وردت لشوقى من الهند والبحرين ومن إسماعيل بك شيرين ولجنة الطلبة التنفيذية ومن نجيب بك مترى والاتحاد النسوى .

وبعد انتهاء الفصل الأول غنى المطرب محمد عبد الوهاب قطعة جيدة من تأليف شوقى . وألقى حورج طنوس سكرتير تحرير الكوكب كلمة شكر لمندوبى العرب .

وفى يوم ٣٠ قيدت اسمى فى سجل التشريفات بعابدين للشكر بالنيابة عن لجنة تكريم شوقى .

زيارات الوفود : وزار الأعضاء فى هذا اليوم صباحاً دار الكتب ومعهم حافظ عوض بك حيث استقبلهم أسعد براده بك مديرها ، وطافوا بحجراتها وقرأوا نبذة تاريخية عن أصلها وتأسيسها وحركة أعمالها . ثم زاروا دار الآثار حيث ألقى الأستاذ حسن الهوارى كلمة ترحيب وملخصاً عما تحويه الدار .

الحفلات التى أقيمت لهم : وفى المساء أقيمت حفلة بدار الجمعية الجغرافية تحت رياسة السيد أمين الحسينى مفتى القدس ، وقد قدمته للحاضرين فألقى كلمة الافتتاح فى فوائد حفلات التكريم للعظماء ، وألقيت عدة قصائد وكلمات .

وكان العشاء فى كازينو الجزيرة فغنت أم كلثوم وكانت الحفلة جميلة رائعة .

وفى يوم أول مايو قمنا بنزهة إلى القناطر الخيرية على وابور فيكتوريا ، وكانت فرقة موسيقية تعزف فى أثناء تناول الشاى .

وفى يوم ٢ مايو اجتمع المؤتمر للمرة الثانية فى دار جمعية الاقتصاد ، فألقيت عدة خطب وقصائد أهمها كلمة الحاخام فى موضوع « اللغة العبرية ومقارنتها باللغة العربية » . وتليت برقيات من شعراء اليهود فى فلسطين تحية لشوقى . وكانت الجلسة تحت رياسة محمد كرد على رئيس المجمع العلمى بدمشق .

وفى المساء أقيمت حفلة سمر فى نادى الموسيقى الشرقي فرحب رجال الفن بالمدعوين . وقد غنى محمد عبد الوهاب نشيد « تحية الملك » .

وفى يوم ٣ منه دعى المؤتمرون إلى ضيافة حمد الباسل باشا على الوابور فيكتوريا بروض الفرج ، وأطربت الحاضرين الآنسة أم كلثوم . وبعد تناول الطعام ألقى حمد باشا كلمة رحب فيها بالعرب وشكرهم ونوه بفضل الأدباء . ثم ألقيت القصائد وأخذت صورة للحاضرين .

وفى صباح يوم ٤ منه ذهب الأعضاء إلى الجامعة المصرية فاستقبلهم لطفى السيد بك مرحباً ، ثم أعقبه الدكتور طه حسين بمحاضرة عن الأخطل وشعره .

وفى الساعة الخامسة مساء أقيمت حفلة شاى فى نادى الموظفين رأسها أحمد لطفى السيد بك حيث ألقي كلمة قيمة .

وفى المساء أقيمت حفلة سمر فى دار محمد شعراوى بك غنى فيها عبد الوهاب وألقى شبلى ملاط قصيدة نظمها فى سعد أيام الثورة .



الرابطة الشرقية تكرم شوقي

وفى ٥ منه أقيمت حفلة شاى فى الرابطة الشرقية وخطب السيد البكرى الرئيس ، وصالح جودت بك ، وألقيت قصيدة البحرين .

وفى المساء كانت حفلة شوقى لتكريم الضيوف ، غنى فيها عبد الوهاب وألقى الأستاذ محمد خلف الله عن دار العلوم قصيدة بديعة .

وفى ٦ منه سافرنا إلى القرشية تلبية لدعوة شوقى الخطيب بك ، ونزلنا فى سراى المنشاوى باشا . وبعد الغداء ألقيت الكلمة الختامية الآتية :



تكريم شوقى بالقرشية

يخلى الآن مسرات آخر يوم من أيام أسبوع شوقي الذى أقمنا فيه عهد الاخاء بيننا وثيقاً قوياً متيناً . وإنا لنرجو أن يرزقنا الله من ثمراته الشهية ما يرضينا كل الرضى .

لقد كان للاحتفال بشوقى وبلغتنا المحبوبة أثره فى إظهار بعض حقائق لها أهميتها ، فقد رأينا الوافدين والمشتركين عن بعد في هذا المهرجان يجمعون كلمتهم على أن مصر تعتبر فى مقام من الزعامة جدير بالاعتبار ؛ وإن هذه الزعامة لتفرض على أبناء وادى النيل واجبات معينة ينبغى أن يتعهدوها بصدر رحيب وعناية عظيمة ؛ وعهدى بهم أنهم يؤدون هذه الواجبات بهمة لا تعرف الملل كما تقتضى رتبة الزعامة .

ثم إننا رأينا المرأة المصرية تتقدم أمام جمهور المحتفلين فتعلن باسم الاتحاد النسوى اشتراك بنات جنسها اللطيف فى هذا الاحتفال الأدبى ، بمعنى أنهن يرين من واجبهن أن يشاركن الرجال فى الأعمال الاجتماعية والأدبية لتكون النهضة الحاضرة كاملة غير منقوصة .

فهذه خطوة طيبة قد دخلت بها المرأة المصرية فى عهد جديد مملوء بالآمال تقابلها بما تستحق من التشجيع والشكر العظيمين . وإن يوم ٢٩ ابريل الماضى يوم خليق بأن يخلد فى تاريخ النهضة المصرية .

سادتى : إننا ما زلنا نؤمل فى عقد المؤتمر العربى الذي تتطارح فيه الآراء فى كل ما من شأنه أن يرقى بلغة العرب ويؤدى إلي توحيد الأساليب الدراسية فى البلاد العربية عامة ، غير أنه لكى يكون هذا المؤتمر منتجاً النتيجة المرجوة يجب أن يوضع له برنامج فى وقت كاف تعين فيه المسائل التي يلزم أن تعرض على المندبين إليه ، ثم يدرس هؤلاء هذه المسائل ويوفونها حقها من البحث ، حتي إذا حل الموعد المضروب لانعقاد المؤتمر وانعقد — إما فى القاهرة وإما فى الشام أو فى بغداد — حضروا إليه يحملون بأيديهم كتبهم وفيها جميع ما يهم المؤتمر من الآراء والمعلومات .

وإنى أقترح أن تشكل في دار الرابطة الشرقية لجنة تتعهد تهيئة المعدات والأسباب اللازمة لعقد هذا المؤتمر ، وتتراسل بشأنه مع الاختصاصيين والأدباء فى بلاد الشرق العربى . وأذكر أن جلالة الملك فيصل كان قد أعلن رغبته في عقد مثل هذا المؤتمر ؛ فهذه الرغبة من ملك عربى كريم ستكون إن شاء الله من أهم أسباب نجاح هذه الفكرة الحبوبة .

ولست أقول جديداً إذا ما قلت إنه يتوقف على مدى الأخذ بأسباب الثقافة والعمران الحديثين مبلغ ما يكون للأمم من قوة وسلطان . فجدير بحضراتكم أيها الضيوف الكرام — وأنتم قادة الرأى فى شعوبكم — وجدير بمن يتولون الزعامة في الشعوب العربية كافة أن ينهضوا بهمها لكى تندفع في ميادين الحضارة العصرية اندفاعا ، ويعيدها إلي سالف مجدها القديم .

وختاماً أكرر الشكر لاخواننا الوافدين ، وأدعو لهم بسلامة العودة إلي أوطانهم ، وأرجوهم أن يبلغوا شقيقات مصر التى نابوا عنها فى هذه الحفلات أجمل تحياتها وأخلص تمنياتها . وإلي اللقاء في المؤتمر العربي القادم ، والسلام .

وكان هذا ختام المهرجان .

ولقد كانت النتائج العامة لحفلات التكريم ، إعلاء شأن مصر واعتراف الوفود العربية بزعامتها الأدبية ، وظهور المرأة المصرية لأول مرة فى حفلات رسمية مشاركة للرجل فى النشاط الأدبى والاجتماعى ، وزيادة الروابط والتعارف بين البلاد الشرقية — وهى نتائج عظيمة لها قيمتها .

اغتباط شوقى وسرور الملك : وفى يوم ٢٠ مايو قابلنى شوقى فأبدى لى سروره من هذه الحفلات العظيمة ، وأخبرنى أنه قابل جلالة الملك فوجد جلالته مستريحاً لنتيجتها لأن الجميع من أوربيين ومصريين أجمعوا على استحسانها ؛ ولم يقع فيها ما ينتقد . فقال شوقى : « إن هذا الخازوق جاءنى من شفيق » . فضحك جلالته .

وقد دعا الملك وفود فلسطين وسوريا لزيارته وأثنى عليهم .

مقتطفات من خطب الكتاب والشعراء : وهنا أثبت مقتطفات من أقوال الخطباء والشعراء التي ألقيت فى حفلات التكريم أو أرسل بها أصحابها وكان مقرراً نشرها فى الكتاب الذهبي الذى كانت اللجنة معتزمة إصداره :

من كلمة السيدة إحسان أحمد : « أيها السادة : أتقدم إليكم باسم جمعية الاتحاد النسوى ، بل باسم المرأة المصرية الناهضة المشتركة فى هذه الحفلة تكريماً لأمير شعراء الشرق العربى ، مدفوعات بعوامل شتى :

« أولها — شعورنا بوجوب تقدير النوابغ . وثانيها — عرفان الجميل لنصير تفخر المرأة بمناصرة مثله — وثالثها : أن الإنسان مطبوع بفطرته إذا امتلأت نفسه بعاطفة إلى الإعراب عنها والإفضاء بها إلى مشاركيه فيها .

«أيها السادة : لئن فات المرأة المصرية مشاركة الرجل فى كثير من الحفلات التكريمية السابقة ، لقد كان ذلك عن عمد منها ، لأن بواعث التكريم إنما كانت تدفع طائفة خاصة ذات اتصال خاص بالمحتفل به . أما شوقى فمنار شاهق اجتازت أشعة أدبه وحكمته الحدود المصرية إلى الأقطار الشرقية العربية ، وسرت مسرى النسيم — من أجل ذلك لم تستطع طائفة أن تنفرد بتكريمه ، بل لم يسع الأمة جمعاء أن تستأثر بذلك ، وبعثت تلك الأمم وفودها إلى هذا المؤتمر لتنال قسطاً من شرف تكريمه ، ولتبرهن على أن شوقى لم تمنحه الطبيعة لمصر وحدها ، وإنما بعث بشعره الفياض لجميع الناطقين بالضاد .

« لهذا أيها السادة ، صدقت عزيمة المرأة أمام هذا الواجب المقدس ، فقامت جمعية الاتحاد النسوى بتأليف لجنة ووقع اختيارهن علىّ ترجماناً أميناً لما انطوت عليه قلوبهن من إعجاب وإكبار ، فقبلت ذلك وأنا قريرة العين ، وزادنى شجاعة وإقداما أنى تذكرت رابطة الصداقة والألفة بين والد أمير الشعراء وجدى الشيخ على الليثي ؛ ومن يرجع من القراء إلى الشوقيات القديمة يرى لتلك الصداقة أثراً مكتوباً وحديثاً شهياً .

« وإذا كان السواد الأعظم من عظماء الرجال لم يعترف بعبقريتهم ويتغن بفضلهم إلا بعد أن فارقوا هذا العالم ، فمن دواعى فخارنا أننا قدرنا شوقي فى حياته ؛ وإن كان حقا علينا أن يكون اعترافنا بفضله من سنوات مضت . غير أن هذا الشعور وإن لم يظهر قبل الآن علينا فقد كان كامناً قوياً يجيش فى نفوس الألوف من الناطقين بالضاد كلما أتحفهم

بجديد من شعره يهز عواطفهم طرباً ويملأ نفوسهم إعجاباً وإجلالا ؛ وها هو ذا اليوم قد فاض وهطل كالغيث مدراراً .

«فليهن شوقى أنه قدر فى حياته ، وإذا قلت ليهنه فليس لأن مثله يهمه الثناء والمديح ، وقد عرفنا فيه خلة التواضع وهى صنو العظمة وترب الجلال والوقار . على أن كل ما يتعلق به جليل عظيم حتى ما ليس من عمله .

« إذن أقول بملء فىّ : ليهنك ياشوقى أنك ملاك الشرق فى أدبك ، ورمز البيان فى بلاغتك ؛ ولتعش ما عاش شعرك ، وليكن من حكمك ما تستضىء به الأجيال المقبلة كما استضاءت به الأمم الحاضرة .

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاة الندى من أين تؤتى المكارم»

من كلمة الأستاذ أنطون الجميل بك : « ما عرفنا شاعراً صيغ له من قلائد المدح ، ونظم فيه من عقود الثناء ، ما صيغ ونظم فى شوقى : فهو الملقب بأمير الشعراء ، وكل قصيدة له تنعت بالعصماء ، وكل منظومة من منظوماته تعد شوقية غراء . كلماته الدر النظيم ، ومعانيه الجوهر اليتيم . هكذا تصفه سيارة الصحف ، وهكذا يقول فيه رواة شعره .

«ولقد استحق الكثير من هذا الوصف : فهو شاعر الغزل والنسيب ، وناظم الحوادث والتاريخ ، صاحب الحكم الرائعة ، والأمثال الذائعة . ترجمان العاطفة الوطنية ، والذائد عن العقيدة الدينية . محيى دارس الآثار ومستنهض الهمم ، إلى الأعمال الكبار ، الداعى إلى الاتحاد والوئام ، والمستخلص خالد الحقائق من الأحلام .

«ومن كان هذا شأنه يصعب أن يتناوله البحث فى عجالة موجزة . لذلك قصرنا بحثنا اليوم هذا على مظهر من مظاهر شاعريته الجمة ، وهو نزعته السياسية وما طرأ عليها من التقلبات .

«ولما كان الكاتبون قد أفاضوا فى الكلام عن شوقى « أمير الشعراء »، فقد أردنا أن نقول كلمة عن شوقى « شاعر الأمراء » . وما تخيرنا طرق هذا الموضوع الوعر المطلب ، الشاق المسلك يوم تحتفى البلاد العربية قاطبة بتكريم الشاعر الكبير إلا لأن البعض ما زال يهمس به همساً دون التعرض له بالبحث والتحليل ، ويشير إليه من باب التلميح لا من باب التصريح .

وإذا كان من مستلزمات التكريم إذاعة المناقب ، فقد يكون من مستوجباته كذلك دفع بعض التهم ، ليكون التكريم تاماً كاملا ، لا تشوبه شائبة . وعلى كل فما خلا مخلوق من تهمة مهما علا قدره ، بل قد تزيد التهم حوله كلما علا قدره : كفى المرء نبلا أن تعد معائبه .

قالوا : إذا لقب شوقى بأمير الشعراء ، فلأنه كان شاعر الأمراء — على قاعدة القلب المعروفة عند العرب .

مدح أقيال مصر من إسماعيل إلى توفيق إلى عباس إلى حسين إلى فؤاد . وكثيراً ما ذهب صعوداً من الأحفاد إلى الأجداد ؛ فتطرق إلى مدح سعيد وابراهيم ومحمد على . بل رجع إلى التاريخ القديم يقلب صفحاته فيمدح سلاطين مصر وخلفاءها وفراعينها ويتغنى بمآثرهم ويشدو بآثارهم ، مجيداً فى مدحهم جميعاً .

وكذلك كان شأنه مع سلاطين بنى عثمان الذين تعاقبوا على عهده : فكما مدح عبد الحميد أطرى رشاداً ؛ وكما أطرى رشاداً أشاد بمحمد الخامس ؛ وكما تغنى بعظمة السلاطين والخواقين تغنى بأبطال الحرية والدستور العثمانى ؛ وكما أطنب بذكر سلاطين الاستانة أطنب بذكر رجال أنقرة .

فكان من وراء ذلك أن اتهمه البعض فى صحة عقيدته السياسية ، وشك فى نزاهة مبدئه الاجتماعى ، وقيلت عنه أحياناً كلمات الزلفى والتملق . فزعموا أنه مداح السلطة ، ومطرى القائمين بالأمر ، أياً كان القائمون بالأمر .

تهمة لا تقوم على أساس إذا حللنا نفسية شوقى ؛ وتشكك يضمحل من نفسه إذا نظرنا إلى الحوادث والأحوال التى أحاطت بالشاعر ، فحملته على تغيير اسم الممدوح دون أن يغير مطلبه من المدح ، وعلى تبديل العنوان دون أن يبدل ما تحت العنوان . فالنصائح هى هى مهما تغيرت المدائح ، وهو القائل :

« ولى غرر الأخلاق فى المدح والهوى »

خدم الحرية لأنه أحبها ؛ ودعا إلى الإصلاح لأنه لمس الحاجة إليه ؛ وقال بوجوب نشر العلم ومكارم الأخلاق لأنه عرف أنها أساس العمران : ومن أجل ذلك خدم السلطة لأنه رآها واجبة لازمة لتحقيق جميع تلك المطالب .

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

«مدح جميع من ذكرنا من الملوك والأمراء ، ولكنه نصح لكل منهم بالإصلاح ، واحترام الحرية ، والعمل على ترقية البلاد ، وحسن سياسة العباد ، ورفع منار العلم . وهو يرى أن جميع هذه الأمور لا تتم فى الشرق إلا على أيدى القائمين بالأمر فيه ، لأن الإصلاح إذا كان محققاً ولا محالة ، كما يقولون ، إما من الأعلى وهو التحول ، وإما من الأدنى وهو الثورة . فهو يريده عن طريق التحول — أى من الأعلى — على يد صاحب السلطان . هذه هى نظريته الاجتماعية ؛ فهو يطلب الخير لهذا المجتمع الشرقى عن هذه الطريق .

ولا جال إلا الخير بين سرائرى لدى سدة خيرية الرغبات»

من كلمة الأستاذ محمد كرد على : « تحية طيبة مباركة ترسلها الشام إلى شقيقتها الكبرى مصر ، وسلام على أهل النيل الأعزة البررة ، ورحمة ترفرف على روح محمد على الكبير أبى النهضة العربية الحديثة ، ورحمة لآل الأسرة المالكة ، من مضى منهم ومن حضر ، لأخذهم بيد مصر الحديثة فى سبيل الاستقلال والحضارة ، ولا سيما وارث هذا المجد الباذخ صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول أيده الله .

« أيها السادة :

« إذا احتفلت مصر اليوم بأحمد شوقى بك وشاركتها الأقطار العربية الأخرى فى عيدها البهيج ، فانها تقوم بواجب وتحيي النبوغ المصرى .

« يحق لمصر — وقد سبقت غيرها أشواطاً فى ميدان المدنية والعمران — أن تفخر بتكريم النوابغ من أبنائها ؛ وحق لها اليوم أن تبالغ بالحفاوة بشوقى لنفوذ شعره إلى أعماق قلوب العرب على اختلاف الأقطار والأمصار .

« لا أعرض لأثر الشعر فى انبعاث دولة العرب قديماً ، ولا لسلطانه الأعظم على عقول الأمم الغربية حديثاً ، فالشعر كما تعلمون ما برح منذ الزمن الأطول يثير نفوساً ويهذب عواطف ، ويجمع الأهواء الممزقة ، ويثقف عقولا ، ويلطف أذواقاً . والحق يتقاضانا ديناً أسلفه بعض الشعراء لنهضتنا الأخيرة ، وأن نذكر لهم محامدهم وننوه ببعض مآثرهم ، وفى طليعتهم حامل لوائهم المجدد ، عزيزنا وعزيز العرب : شوقى .

« قل إن كتب لرجل ما كتب لشوقى من رقى المنشأ والهيئة واستكمال ذرائع العمل والعلم . رزق جمال الخيال الغريب فكانت مائية شعره متدفقة أبدا ، ومعين قريحته فياضاً فى كل ناحية من أنحاء الشعر أراد إحيـاء موانها . شوقى شاعر النعيم ؛ جود فى حكمه واجتماعياته وفى تشبيبه ونسيبه ووصفه ، وكتب له أن ينزع من أكثر أبواب الشعر رثاثته ، ويبرزه فى قالب له من هذا العصر ميزاته ومشخصاته ، ومن عهد الحضارة العربية نقاوة ألفاظه وصحة تراكيبه وجودة ديباجته ، فشعره من هذا النظر شعر القرن الثالث والرابع ، ولـكن بهذه المعانى التى استفادها شاعرنا من تبدل الأحوال فى بلده وغير بلده . وهذا هو الذى ينفعنا فى نهضتنا بعـد أن طال انغماس شعراء عصور الانحطاط إلا أفراداً قلائل فى تلك الحمأة . وقد اهتدى شوقى بفطرته السليمة ودراسته القويمة ، وصفاء ذوقه وسعة خياله ، إلى نزع الثوب البالى عن جسم القريض وإلباسه حلة عربية نسيجة وحدها ، فـكان حقاً على هذه الأمة ، وهى أمة شعر وخيال ، وربة وفاء وكرم ، أن تـكرم فى شخصه الأدب عامة وتقابله على إحسانه باحسان » .

من كلمة الأستاذ فندرج البلجيـكى :

عزيزى وزميلى رفيع الشأن :

« فى هذا اليوم المشهود الذى اجتمع فيه أعلام الشعر العربى اجتماعاً أخوياً لبوا إليه دعوة قلوبهم للقيـام بواجب تكريمكم أرجو أن يرخص لى فى رفع صوت أوربى هو صوت صديق . فباسمى وباسم الـكتاب البلجيكيين الذين ناطوا بى مهمة تمثيلهم هنا أحييك ياشوقى بك تحت السماء المصرية الصافية التى يخفق دونها قلبى .

« إن الشاعر الذى يصل إلى بلد يجهله يبهره لأول وهلة الجمال الجديد الماثل لعينيه ، ثم تحمله الغريزة على البحث عن أولئك الأفراد « إخوانه » الذين أعربوا بأوزان شعرهم وبدائع تخيلاتهم عما خالج نفوسهم الحساسة من روح جنسهم ووحى بلادهم . كذلك جئت إليك منذ سنة ونصف فرأيت أن أبتعث هـذه الذكرى اليوم لأرد إليـك بعض النور الذى تركته فى نفسى .

« أمام الشرفة البيضاء من قصرك السعيد الذى تستمتع فيه ببليل النسيم وراحة المقام

رأيت النيل الذى مجدته يبدى لأعيننا المبتهجة بمنظره موكب زوارقه تسير الهوينا رافعة أشرعتها فى الأفق كأنها أجنحة اللقالق الكبرى .

«ومن هنا تأتى أن الذكرى التى أرفعها إليك ، أيها الشاعر ، يتخللها رسم سرب من الطير ضارب بأجنحته فى منحنى مضىء يؤذن بالدعوة إلى العروج فى معارج السماء والإمعان فى أجوازها السحيقة الزرقاء .

« لقد عرفت جزءً من عملك بما نقل إلى لغتنا منه ، وليس يخاف عليك أن الشعر المنقول إلى لغة غير لغته إنما هو جسم الحسناء انتزع منه عبيره الطبيعى ، وجرد من اللين والنعومة وأخلى من رنة الصوت . . . . . وأكثر ما ينطبق عليه هذه الحقيقة هو الشعر العربي لأنه شيد من دون سواه على دقة اتحاد الألفاظ وانسجام إيقاعها ، وبنى على سحر الأوزان وسلطان الروى المديد ، فلم يتح لى إدراك حقيقة الازدهار فى شعرك إلا ذات ليلة وقد خالطت الجمهورين المصرى والسورى فى مسرح حديقة الأزبكية ، فسمعت إذ ذاك إنشاد قريضك العربى محكما مرتلا .

« ليلتئذ — والحق أقول — أدركت ، ولو لم أفهم الألفاظ ، روحك خلابة الجماهير ومزجيتها عن خبرة وإرادة فى السبل التى تشاؤها .

« كان الحضور جميعاً فى خفة وإخذة يضجون معك فرحاً ويئنون معك ألماً . . . . وكان جمهوراً موحداً يتبع بالحس والمعنى نبرات قريحتك . فداخلني وأعدانى تأثره العام وألقانى حياً فى غمار ذلك البحر البشرى الهدار . . . . ولم أك أعهد من قبل مثل تلك القوة المنبثة فى الأوزان وفى كلماتها الموسيقية قبل كل شىء . . . . بل لم أدرك قط السر فى تناقل الشعر الغنائى من قديم وهو شعرك والشعر العربى . . . فالمراد من هذا التذكار الثانى الذى أرفعه إليك كان يود لو تضمنته أبيات من لغتك . . . نظرت هذا باحثاً فيما يقرب بيننا لا فيما يفصل بعضنا عن بعض . وأعلم أنه ليس هذا هو المكان الملائم ولا هو الزمان الذى يسوغ لى الدخول معك فى مناقشة ودية تشتمل على سوانح شتى : من مثل مجاراة العصر ، وتجديد الأوزان ، وإعادة شباب الصور ، والتوسعة فى المعجم الشعرى ، وكل هذا مما يكثر به اشتغال الشعراء الأوربيين وإن كان قليل التأثير فى أصدقائنا من شعراء العربية الذين ما زالوا مأخوذى الأبصار بسراب الجمال القديم . .

«إن عصرنا يستحق أن تملأ به حوانب عيشنا من غير أسف على الماضى، فهو عصر رائع إلا أنه عظيم، وهو تمهيد لعهد جديد.

«إنك قد دللت بقصيدتك فى الطيران، وبما أقمته فى سماء بلادك من بساط سليمان، على أن العصر الحاضر بالرغم من جميع فظائعه قد أوحى بموضوعات موسيقية كبرى ضمنها شاعرنا العبقرى فرهارن أقوى تضمين، كما يذكر ذلك صديقي العظيم خليل مطران بك. فلتكن التحية التى وجهت بها إلى الطائر الأبيض الكبير الذى خلقه رجال الوقت دعوة منك إلى الشباب من كتاب العربية تدفع بهم إلى الجرأة على الخلق والابتكار والتقدم والرقى، فهذه أعز أمنية عندى . . .

«إن الشعراء يسبقون فى المعتاد زمنهم ويتقدمون أوقاتهم، ونحن إنما نرى مصر تسير بخطى سريعة فى جميع الشؤون، فعلى شعراء الشباب ألا يدعوها تسبقهم، بل عليهم أن يقدموها بمعرفتك يا شوقى بك فى السبل الشاقة الشائقة التى تؤدى إلى إعلاء مستوى الروح فى هذا الشعب الذى أحبه، وإلى انتشار نور العقل، وتوثيق أسباب السلام فى وادى النيل بل فى العالم بأسره».

من خطبة الأستاذ إسعاف النشاشيبي: «غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً يشع مثل الماس إشعاعا، ويزهر كالدرارى المتوهجة زهوراً، بل يضىء كما تضىء الشمس وقد جمل بل قد تجسم من الجمال، وقد نوره من القرآن فبان بياناً.

«غدا أهل الدهر يرتقبون شعراً هو فوق الشعر، وكلاما هو فوق الكلام، كان ابن نباتة السعدى قد سمع مثله من شعر أحمد بن الحسين فقال: «نحسن أن نقول ولكن مثل هذا لا نقول». شعراً متنبياً غوتياً شكسبيرياً يعلق بالخلود أو يعلق به الخلود إذا قيل، وينشده الدهر الناقد إذا سمعه.

«انتظرت الأمم العربية برهة هذا الشعر النابغ وخروج هذا الشاعر والأقوام كلهم أجمعون متطالون والأعناق مشرئبة والوجوه ناضرة كما قال الله: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة»، والعيون ناظرة شاخصة، والقلوب فى الصدور راقصة، والدهر الذى قد ضن أمس وجاد الجود يتبسم فتبلج (وقد تفتحت أبواب السماء بالدعاء) نور أحمد.

وما هو إلا أن تراها بدارها فتبهت لا أعرف لديك ولا نكر

«مدنية عجيبة مدهشة قد حار فى أمرها القائلون فما يقولون ؛ وقد أعجزت شعراءها فما عادوا يبدعون كما كانوا يبدعون ؛ وقل ، أو اضمحل ، فيهم فى الشعراء النابغون ؛ فلم يعزز شكسبير وغوتى فى الغرب بثالث .

«جاء ذلك وجاء أحمد شوقى ، فما فر من أمام ما شهد فرار الجبان ، ولا أحجم إحجام العاجز ؛ بل مشى مشية الليث « كمشى ذاك الحماسى » ، ونادى لغته العربيـة فأجابته ، وأهاب بقوته الشعرية فلبته .

هما عتادى الـكافيان فقدما أعددته ؛ فليناً عنى من نأى

جاء فى الشعر بهذا السحر الذى رأيتموه؛ وقال ذلك القول الذى سمعتموه ؛ وقذف بالشطر بنصف البيت قد اجتافه تاريخ أمة .

«وسير البيت يعرض فيه للناظرين السامعين دولة .

«وابتدأ القصيدة فى شأن فهاج قبيلا أو أهدأ قبيلا ، أو نشط لما يعلى أو ثبط عما يدنى ؛ فذهبت تلك القصيدة فى الناس دستوراً .

«وغاص وحلق فأتى — كما قال ابن الأثير فى حق حبيب — « بكل معنى مبتكر ، لم يمش فيه على أثر » .

«وعرف الشرق ، وعرف الغرب ، وعرف العصر (وقـد جهل غيره عصره) ، واكتنه سر التأخر والتقـدم ، فأعطى الحقيقة فى الشعر ، وهدى بالـكلم الطيب ذى الحـكمة إلى الطريق الأقوم . »

من كلمة الأستاذ أحمد محمد داود :

«سادتى :

«إذا قامت اليوم أمم اللغة العربية تبرهن على إعجابها بأمير الشعراء أحمد شوقى ، فانما هى تكرم النبوغ فى الشعر العربى . تكرم الأفكار الأساسية التى ينظمها شوقى عقوداً يتحلى بها جيد لغتنا العربية الشريفة . وما أشد احتياجنا — نحن الشرقيين — إلى النبغاء . وياما أبهاه من محفل يقام لتـكريم شرقى نبغ فى العلوم أو السياسة أو الأدب . أما نحن — عرب المغرب — بهذه الصفة ، فنشارك إخواننا المصريين الأمجاد فى تـكريم شوقى . على أن الذى يسرنا من شـوقى ليس هو تفوقه ونبوغه فقط ، بل إن ما يزيد شوقى فى نظرنا رفعـة وجلالا هو انتخابه للموضوعات التى يستخدم فيها شاعريته ونبوغه ، وأن

هذه الصفة لحسنة لشوقى تسرنا منه أكثر من غيره . وإن لشوقى لحسنات جلى ! نعم تسرنا من شوقى وقفات وقفها فبرهنت على طهارة قلب الرجل ، ومتانة عقيدته ، وسلامة طويته ، وعلو همته ، وجعلته يحوز باستحقاق لقب أمير الشعراء .

«وإنها لوقفات قل أن يثبت فيها إلا من كان نابغة . ومن أحق اليوم برفع راية النبغاء فى الشعر العربى من أحمد شوقى بك ؟ نعم نحن — المغربيين المسلمين الخلص — تسرنا من شوقى تلك النفسية الاسلامية التى قلما تخلو منها قصيدة من قصائده العمومية . وإنه ، والله ، ليطربنا قوله — لا فض فوه — فى الاسلام :

ولا أزيدك بالاســـلام معرفة كل المروءة فى الإسلام والحسب

وقوله فى نبينا صلى الله عليه وسلم :

عرش النبى محمـــد جنباته نور ، ورفرفه الطهور غمام

وقوله يخاطب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم :

ظلموا شريعتك التى نلنا بها ما لم ينـل فى رومة الفقهاء
مشت الحضارة فى سناها واهتدى فى الدين والدنيا بها السعداء

وقوله عن تاريخ الاسلام :

لو تقرئون صغاركم تاريخـه عرف البنون المجد كيف يرام

« نعم إن شوقى يعتز بالإسلام ، روح المدنيـة ولب الإنسانية ، ويفتخر بأوامره (كالعدل والإحسان) لا بغيرهما ، وينشد :

واترك رعمسيس ؛ إن الملك مظهره فى نهضة العدل لا فى نهضة الهرم

«وإن هذا لما يزيد شوقى فى نظرنا إكباراً . فنحن ، لذلك ، نحيى من كل قلبنا شاعرنا الإسلامى الكبير تحية خصوصية خالصة . نعم وتسرنا منه وقفاته المختلفة إزاء تركيا أيام قيامها بأعباء زعامة الأمم الإسلامية ، أيام نهضتها القومية الأخيرة ، بل حتى أيام انحراف بعض ساستها قليلا عن الجادة المثلى أيضاً ، فيسرنا منه أن يقف بإزاء أحرار السوريين يؤيدهم ويتألم لألمهم ويبكى لبكائهم ، وينعى على المعتدين على حقوقهم سوء تصرفهم ، منكراً عليهم أعمالهم البعيدة عن الإنسانية بعد الحقيقة عن دعاويهم . يسرنا منه أن يقف بجانب

الحركة الوطنية المصرية ، مؤيداً للحق ، منهضاً للهمم ، محافظاً على شرفه وشرف أمته النجيبة . أخيراً ، يسرنا منه أن يبرهن على اعترافه بقدر ذوى الفضل ، فيحتفل — وهو أمير شعراء العربية — بشاعر الهند الكبير ؛ وهل يعرف الفضل لذويه إلا أمثالهم . وإنه لبديع أن يحتفل العظيم بالعظيم ؛ وإنه لرهيب تناجى شاعرى العرب والهنود الشرقيين الرازحين تحت أثقال يعمل الطرفان لتخفيف وطأتها ، ولتهيئة الأفكار العامة لنسفها نسفاً . وختاماً يسرنا أن يقف شوقى منادياً قومه (وكلنا قومه) :

« هيا مهدوا للمجد هيا ! »

حاضاً الشباب الشرقى على النهوض والطموح إلى أعلى المراتب ويقول :

شباب قنع لا خير فيهم ... وبورك فى الشباب الطامحينا

« نعم بارك الله للشرق فى شبابه الطامحين ، وفى شيوخه البررة المخلصين ؛ وبارك للعربية فى شاعرها وحكيمها .

« فلتحى النهضة الشرقية ! ولتحى اللغة العربية ! وليحى الشاعر العربى أحمد شوقى ! »

من قصيدة الأستاذ خليل مطران بك :

قبس بدا من جانب الصحراء ... هل عاد عهد الوحى فى سيناء ؟
أرنو إلى الطور الأشم فأجتلى ... إيماض برق واضح الإيماء
حيث الغمامة ، والكليم مروع ، ... أرست وقوراً أيما إرساء
دكناء ، مثقلة الجوانب رهبة ، ... مكظومة النيران فى الأحشاء
حتى تكلم ربها فتمزقت ... بين الصواعق فى سنى وسناء
وتنزلت أحكامه فى لوحها ... مكتوبة آياتها بضياء
جاءت هدى للعالمين وبددت ... ليلا تطاول دهره بهداء

* * *

ياشيخ سيناء التى بعث الهدى ... من تيهها فى آية غراء
سنرى — وأنت معرب عن حقها — ... كيف الموات يفوز بالأحياء
هذى النيابة شرفتك وشرفت ... بك فى البلاد مكانة الأدباء
فاهنأ بمنصبها الرفيع ، وإن تكن ... أعباؤها من أفدح الأعباء

* * *

يا باعث المجد القديم بشعره ، ومجدد العربية العرباء
أنت الأمير ؛ ومن يكنه بالحجى فله به تيه على الأمراء
اليوم عيدك ؛ وهو عيد شامل للضاد فى متباين الأرجاء
فى مصر ينشد من بنيها منشد وصداه فى البحرين والزوراء
عيد به اتحدت قلوب شعوبها ولقد تكون كثيرة الأهواء

* * *

يا مصر ، باهى كل مصرٍ بالأُلى أنجبت من أبنائك العظماء
حفلوا لأحمد حفلة ميمونة لم تأت فى نبأ من الأنباء

* * *

إن تلقه تلق النبوغ ممثلا فى صورة لمساحة اللألاء
طبعت من الحسن العقيق بطابع وضاح آيات ، بديع رواء
زان الخيال جمالها بسماته وأعارها قسماته لبقاء
واليوم ، إذ ولى الصبا ، لم يبق من أثر عليها عالق بفناء
لا شىء أروع إذ تكون جليسه من ذلك الرجل القريب النائى
أبداً يقلب ناظريه ؛ وفيهما تقليب أمواج من الأضواء
يرنو إلى العليا بسامى طرفه ويلاحظ الدنيا بلا إزراء
فى نطقه الدر النفيس ، وإنما تصطاده الأسماع بالإصغاء
لكن ذاك الصوت من خفض به يسمو الحفاظ به إلى الجوزاء
أعظم بشوقى ذائداً عن قومه وبلاده فى الأزمة النكراء !
لتكاد تسمع من صرير يراعه زأراً كزأر الأسد فى الهيجاء

* * *

بلغت خلال العبقرية تمها فيه وجازت شأو كل ثناء
فإذا عييت ولم أقم بحقوقها فلقد يقوم العذر بالإبلاء
ماذا على متنكب عن غاية والشوط للأنداد والأكفاء
أعلمت ما معنى هواه ؛ وإنه لنسيج عمر صداقة وفداء ؟

هو من زكا لى وده ، وزكا له ... ودى على السراء والضراء
فأعزنى يوم الحفـــاظ ولاؤه ... وأعزه يوم الحفـــاظ ولائى
وعرفت فى نادى البيان مكانه ؛ ... ومكانه الأسنى بغـــير مراء
أى « حافظ » العهد الذى أدعو وما ... أخشى لديه أن يخيب دعائى
أدرك أخاك وأوله نصراً بمـــا ... ينبـو به إلاك فى البـــلغاء
جل المقـام وقد كبت بى همتى ... فأقل جزاك الله خـــير جزاء
يأبى عليك النبـل إلا أن ترَى ... فى أول الوافين للزمـــلاء
والشرق عالى الرأس موفور الرضا ... برعاية النبغـــاء للنبغـــاء
يارب هذا العيـد ، دم مستقبلا ... أمثـــاله فى صحة وصـــفاء
أمنيتى ما قد بلغت من المنى ... وبما أصبت من الهنـاء هنائى

* * *

من قصيدة حافظ إبراهيم بك :

بلابل وادى النيل بالمشرق اسجعى ... بشعر أمير الدولتين ورجعى
أعيدى على الأسماع ما غردت به ... براعة شوقى فى ابتـداء ومقطع
براها له البارى ؛ فلم ينب سنها ... إذا ما نبا العسال فى كف أروع
مواقعها فى الشرق، والشرق مجدب ، ... مواقع صيب الغيث فى كل بلقع

* * *

نمتك ظـــلال وارفات وأنعم ... ولين عيش فى مصيف ومربع
ومن كان فى بيت الملوك ثواؤه ... ينشـأ على النعمى ويمرح ويرتع
لئن عجبوا أن شاب شوقى ولم يزل ... فتى الهـــوى والقلب جم التمتع
لقد شاب من هول القوافى ووقعها ... وإتيـــانه بالمعجز المتمنـــع
يعيبون شوقي أن يُرَى غير منشد ... وما ذاك عن عى به أو ترفع
ولـكن حياء لا يفارق طبعه ؛ ... وطبع الـكريم الحر فوق التطبع

* * *

بلغت بوصف النيل من وصفك المدى ... وأيام فرعون ومعبوده « رع »
وما سقت من عاد البلاد وأهلها ... وماقلت فى أهرام «خوفو» و«خفرع»
فأطلعتها شوقية لو تنسقت ... مع النيرات الزهر خصت بمطلع

* * *

شجا البحترى إيوان كسرى وهاجه ... وهاجت بك الحمراء أشجان موجع
وقفت بها تبكى الربوع كما بكى ... فيالكما من واقفين بأربع !
فنسجك كالديباج حلاه وشيه ... وفى النسج ما يأتى بثوب مرقع
وشعرك ماء النهر يجرى مجدداً ... وشعر سواد الناس ماء بمنقع
تملكت من ملك القريض فسيحه ... فلم تبق ، ياشوقى ، لنا قيد أصبع
فبالله دع للنائرين وسيلة ... تنوء عليهم ؛ واتق الله واقنع
عملت على نيل الخلود ، فنلته ؛ ... فقل فى مقام الشكر : يارب أوزع

* * *

نفيت فلم تجزع ؛ ولم تك ضارعا ... ومن ترمه الأيام يجزع ويضرع
وأخصبت فى المنفى وما كنت مجدبا ... وفى النفى خصب العبقرى السميدع
لقد زاد «هوجو» فيه خصب قريحة ... وآب إلى أوطانه جد ممرع
وأدرك « سامى » بالجزيرة غاية ... إليها ملوك القول لم تتطلع
تذكرت عذب النيل والنفس صبة ... إلى نهلة من كوب ماء مشعشع
وأرسلت تستسقى بنى مصر شربة ... فقطعت أحشائى وأضرمت أضلعى
أنروى ولا تروى ؛ وأنت أحقنا ... برى ! فيا قلب النبوغ ، تقطع
وإن شئت : عنا ياسماء فأقلعى ، ... وياماءها فاكفف ، ويأرض فابلعى
حرام علينا أن نلذ بنهلة ... وأنت تنادينا ونحن بمسمع
أبى الله إلا أن يردك سالماً ، ... ومن يرعه يسلم ويغنم ويرجع
وعدت فقرت عين مصر وأصبحت ... رياض القوافى فى ربيع موشع
وأدركت ما تبغى ، وشيدت آية ... على الشاطىء الغربى فى خير موقع
يحف بها روض يحيى بدورها ... بكوراً بريا عرفه المتضوع

حمى يتهادى النيل تحت ظلاله ... تهادى خود فى رداء مجزع
لقد كنت ترجو منه بالأمس قطرة ؛ ... فدونكه ، فابرد غليلك وأنقع

***

أمير القوافى ، قد أتيت مبايعاً ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى
تغنى ربوع النيل واعطف بنظرة ... على ساكن النهرين واصدح وأبدع
ولا تنس نجداً إنها منبت الهوى ... ومرعى المها من سارحات ورتع
وحى ذرى لبنان ؛ واجعل لتونس ... نصيباً من السلوى وقسم ووزع
ففى الشعر حث الطامحين إلى العلا ... وفى الشعر زهد الناسك المتورع
وفى الشعر ما يغنى عن السيف وقعه ... كما روع الأعداء بيت لأشجع
وفى الشعر إحياء النفوس وريها ... وأنت لرى النفس أعذب منبع
فنبه عقولا طال عهد رقادها ... وأفئدة شدت إليها بأنسع
وخذ بزمام القوم ، وانزع بأهله ... إلى المجد والعلياء أكرم منزع

***

من قصيدة شكيب أرسلان باشا :

الشاعر الفذ الذى كلماته ... ضمن النبوغ على الزمان بقاءها
أنست فصاحته أوائل وائل ... وغدت هوازنُ مع ثقيف فداءَها
فى كل كائنة يزف قصيدة ... تؤتى جميع الكائنات بهاءَها
غدت المعانى كلها ملكا له ... فأصاب منها كل بكر شاءها
وكسا اللسانَ اليعربى مطارفا ... هيهات ينتظر الزمان فناءها
ستخلد الأوطان من تكريمه ... ذكرى تطبق أرضها وسماءها
لو أنصفت لغةُ الأعارب قدرَهُ ... صلت عليه صباحها ومساءها
من كل موضوع أصاب شواكلا ... بلغت بمقتلها الصدور شفاءها
صناجة الشرق الذى نبراته ... تجلو المشارق عندها غماءها
فى كل حرف من حروف يراعه ... وتر يثير سرورها وبكاءها
ما حل بالإسلام بأس ملمة ... إلا ورجع شعره أصداءها

يبدى فظاعتها ويوسع هولها ... وصفا ويذكر داءها ودواءها
كانت قصائده لبعث بلاده ... صوراً أراد من البلى إحياءها
وفرت ، ياشوقى ، السباق على الورى ... برياسة بات السباق وراءها
تتقطع الأعناق عن غاياتها ... حتى الأمانى لا تحوم حذاءها
تالله أعطيت الرياسة حقها ... وعقدت حبوتها ونلت جزاءها
وبذذت أهل العبقرية كلهم ... وبززت جنة عبقر أشياءها

* * *

من قصيدة قيصر المعلوف :

العرش عرشك ؛ فاحكم دولة الأدب ... والتاج تاجك ؛ فانشر راية العرب
أمّت علاك وفود من أكابرهم ... يبايعونك عنهم أشرف الرتب
عرش البيان ولا عرش السنان ، فما ... دامت عروش مبانيها على القضب
بالسيف يؤخذ ما بالسيف تأخذه ... وعز من أيدته دولة القصب
ما نال من ربه البسفور مأربه ... وفاز منك بخار النيل بالأرب
يقضى اليراع بما شاء البيان وللتنفيذ قد خلقت نقالة الشطب
ودولة العلم أقوى دولة خلدت ... فى المجد هازئة من ثورة الحقب
والشعر رايتها المثلى متى نشرت ... مشت قلوب الورى فى جيشها اللجب

* * *

أمير ذى الدولة العلياء ، لا برحت ... آياتك الغر تأتى الناس بالعجب
مُرِ اليراع يغنى فى الطروس ؛ ومل ... سمعاً إلى رنة « الآهات » من طرب
أومرْهُ يضحك تلْف الناس ضاحكة ؛ ... أو مُرْهُ يغضب هاج الناس من غضب
مرْهُ يثير حماساً فى الشعوب ؛ وسر ... تسمع دوى هزيم ثار من لهب
ولقن البلبل الصداح قافية ... فيسكر الناس بالمخبون والخبب
وحدث الروض عن أقماره فترى ... ثغر الربيع بدا يفتر عن شنب

* * *

يا واصفا نور هذى الشمس فى غسق ... قد أيقن الناس أن الشمس لم تغب
وناعت الليلة الليلاء رأدَ ضحى ... أطلعت فى الظهر ليلا قائم الشهب
متى نسبت يخال القوم من نسبت ... من عالم الخلد لا من عالم التُّرَب
تبقى على الدهر لا تبلى محاسنها ... فتاكة اللحظ لم تهرم ولم تشب

* * *

يا مهبط الوحى ممن أنت ملهمه ، ... سلبت فيه النهى ، هنئت بالسلب
حكمت منا قلوبا بت مالكها ... فكيفما شئتها لبتك بالطلب
ما بالها أن دعوناها وقلت لها : ... روحى ولا تجبى ، راحت ولم تجب ؟
ما كل شعر صحيح الوزن يسكرنا ... « فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب »
لكن شعرك خمر بت تسكبه ... من جفنة الروح لا من فوهة القرب

* * *

من قصيدة الأستاذ شلى ملاط :

يا شاعر الشرق المحلق ، نظرة ... فلقد بعثت إلى سماك خطابى
من كان يسرح فى الصعيد ألم يكن ... أهلا لنظرة طائف بسحاب
أسريت بين المشترى وعطارد ... وتركت لى عينىّ وأسطرلابى
وطويت زرقاء الكواكب سابحاً ... من لى بسابح نسرك الجواب ؟
لك فى النجوم وفى البسيطة دولة ... يا ليتنى فيها من الحجاب
لتزلت مصراً والحجاز مكرما ... وحللت بغداداً على ترحاب
وحملت فى لبنان أرواح الصبا ... ريا النسيم بعنبر وملاب
أثر الطيوب روائحاً وغواديا ... من شعر شوقى فى فم الميزاب
ونزعت من بردى جمان عقوده ... حلياً لجيد سكينة ورباب
ورجعت أروى ما يلاقى حاجب ... فى دولة الشعراء والكتاب
والشعر ما حفظ الرواة لشاعر ... أوحت إليه هياكل الأرباب
مترسل فى نسجه ، مترصن ، ... طلق القوافى ، راصد وثاب
متدافع كالسيل فيه ، موقع ... وتر الشواعر ، دافع جذاب

بز الأوائل جـــدة ومعانيا ومشى برونقـــه على الأتراب
بين الجداول والعباب تفاوت شتان بين جداول وعباب
جابت قصائده البـــلاد شوارداً وأوانساً من ناهد وكعاب
بأخى وروحى لابن هانى كرمة مسكية النفحـــات والأعناب
« لأبى على » الأنوار فى عنقودها ولنا العصير معتقاً بخـــوابى
وقف الملوك بـــابها ووددت لو تبر التراب بهـــا يكون ترابى
ما أكرم الدنيـــا علىّ لو اننى راعيتُ كوكبهـــا أمامَ البـــاب
وعبأت من ذهب اليراع حقـائبى وملأتُ من ماسِ البـديع وطابى

***

من قصيدة الأستاذ أنيس المقدسى :

صداح وادى النيل ، كم من مهجة فى الشرق قد رقصت على نغماته
يشدو فيهزج فى الشآم نسيمه وتغرد الأطيـــار فى جنـــاته
ويميـــد لبنـان الرفيع مهللا فيضـوع نشر الأرز فى سرواته
ويثور فى صدر العراق حبابه يعـــلو بدجلة فيضهـا وفراته
متدفقاً بين المدائن والقرى ومضـــارب الأعراب فى فلواته
وإذا الحجيج سعى لمكة قاصداً ركن الحطيم يعج فى صلواته
فهنـاك فى الحرم المقـــدس نشرة تسرى فتعبق فى جميع جهـــاته
من نهج بردته يفوح عبيرها مسكية النفحات من نفحـاته

***

الشرق فى شوقى غـدا متوثق الـ حلقـات بعـد الوهن فى حلقـاته
متـدانى الأطراف موصول العرى متـــلازماً بالرغم من نزعاته
إن كان فرق أهـله أهواؤهم جهـــلا وساد الخلف فى ساداته
أو كان فى شتى المـــذاهب بينهم ما يوقد النـــيران فى ساحاته
فبشعره أحيـــا النفوس وساقها فى منهج العليـــا إلى غاياته
وبه أضـاء لـكل سـار كوكب متألق يجـلو دجى ظلمـــاته

لغـــة أعاد لهـا الشباب يراعه ... وسما بهـا للنجم فى وثبـــاته
شغف القـلوب بيـــانه وأثارها ... ســـحر تلألأ فى سنا آياته
من كل أطراف البـلاد تسارعت ... والوجـد يحـدوها إلى عرصـاته
وقف الجميع بظل « كرمتـه » كما ... يقف المحب على ربوع فتـــاته
كم مستهام ليس يعرف شخص من ... يهوى ويعشقه لأجـل صـــفاته
وتهيم منـــه الروح بالروح التي ... يسـلو بهـا المشـتاق فى خـلواته
كهيام نفسى بالذى لم ألقـــه ... قبـــلا على شوقى إلى مرآته
لـكن رأيت جمـاله فى شـعره ... وشربت راح الحسن من حسناته
وصحبت منـــه الروح فى طيرانها ... وشهدت نور الوحى فى مشكاته

***

من قصيدة الأستاذ وديع البستانى :

رب القوافى ، سجوداً مع قوافينا ... بين اليـدين ترانا — والقوى فينا
هذا جلالك ؛ لا ذل ولا وهن ... فى الساجدين يزجون القرابينا
فى هالة من بخور منـك نكهتـه ... نجثو ونرفع بالأيدى الرياحينـــا
إنا ، بنى الشعر ، لا مال ولا نشب ... والـكون أشـباح حلم فى لياليـنا
والعدم وجد لنا ، والفـكر عالمنـا ... والحادثات فنون من أحاجينـــا
والنعم والبؤس لونا ضحوة ودجى ... هـذا يراوحنـا ، هـذا يغادينـا
والزهر فى فلك ؛ والزهر فى أنف ... والدر فى النحر دمع من مآقينا
بالرمز نحيا ؛ وما تبـدو سرائرنا ... وفى الرياحين شىء من معانينـا
هـذى قرابيننـــا زلفى مـنزهة ... من مخلصين وبعـداً للمرائينـا
فى هيكل الشـعر عُزّاه يقوم لهـا ... بنـو الـكنانة كهاناً ميامينـا
والشـعر هيكل أهـل الوحى كلهم ... تلقى الأئمـة فيـه والرهابينـا
نحن الحجيج إلى بيت الخيال هفت ... بنـا الربوع وأدنتنـا قواصـينا
نعـلو سـوابق فى بحر وفى جـلد ... وفى البطـاح وفى أعلى روابينـا
خـلائق العـلم حيتـاناً وأجنحـة ... وساعيـات ركبناها ثعابينـا
فالماخرون ، وهول اللج حولهم ... جنح من الليل ما هال السرا حينا

والطائرون بساط الريح خف بهم ... كالنسر تحسبهم منه الشواهينا
والراكبون مطى البيد تنهبها ... نهباً فلا بيد — لا صحرا — ولا سينا
والجو والأرض والآفاق قد صفرت ... منها الأيادى وما شلت أيادينا
والعلم ملك أهل العلم ما امتلكوا ... إلا تبارع أرواح تناجينا

***

نحن الحجيج وبيت الشعر كعبتنا ... لله ، للشعر — لا دنيا ، ولا دينا
بل نحن أهل التقى روح جبلتنا ... من نسمة الله لا ماء ولا طينا
وقد نخال صعاليك الزمان وقد ... نعلو على أهله طراً سلاطينا
والعصر آيته فقر الغنى إذا ... هاج الذين تولاهم مساكينا
ونحن قوم فرادى كالرجال وإن ... قيل اجتماع فلا لمت النساوينا
تلك العفارت من كيد على حسد ... قامت تفرقنا ، كادت تلاشينا
شيطان شعرك يا شوقى أهاب بنا ... حتى هبينا فأخرجنا الشياطينا
فالشمل مجتمع والسوق قائمة ... والعرب تحمل فى العيد الشعانينا
وأخرس البين قرب صاح بلبله ... أضحى التدانى بديلا من تنائينا
من الفرات من الأردن من بردى ... طرنا إلى النيل تهدينا هوادينا
إلى هزار بوادى النيل أطربنا ... حتى غدونا ووادى النيل وادينا
جئنا نردد من شدو الهزار صدى ... لولاه ما آنست سمعاً أغانينا
وكلنا ولسان الحال شاهده ... معى يقول ، إذا ما قلت ، آمينا
أنت الأمير الذى حقت إمارته ... فى دولة الشعر واحتل الدواوينا

***

من قصيدة الأمير صالح بن سعد بن سالم (من لحج) :

إن هذا الصدى لتكريم شوقى ... مرحباً مرحباً لصوت المنادى
لأمير القريض حق علينا ... وعلى كل لافظ حرف ضاد
مجد الشعر والقوافى أمير ... قاد منها أعنة للجلاد
يبعث الشعر حكمة وسداداً ... ليس منه مؤخراً بانتقاد

ألبس الشعر مطرفاً من جلال ... بعد أن ضل تائهاً فى اضطهاد
بعد بغداد اضمحلت ذووه ... وتولى بذلة وكساد
غادة الشعر مذ رأت منك شهماً ... خلعت للعريس ثوب الحداد
يصطفى للقصيد فى أى لفظ ... كل معنى مروق مستجاد
محكمات تسير فى كل أفق ... ناشرات لواءها فى البلاد
كل باد وحاضر يتغنى ... شعر شوقى ويقتنى خير زاد
فى خدور الظبا وفى كل قصر ... منشدات من الغوانى وحادى
عبقرى ينظم الدر رطباً ... زهرات نجومه فى القلاد
فى صدور الملوك منه عقود ... عند عبد الحميد ثم فؤاد
إن شوقى أقام للشعر سوقاً ... وحماه بحكمة وسداد

* * *

من قصيدة الأستاذ بدر الدين النعسانى :

يسميها قصائد جاهلوها ... وأدعوها قلائد من جمان
رأيت بعينه البسفور حقاً ... بما يحويه من آى حسان
ومذ أبصرته بعيون نفسى ... إذا البسفور كان كما أرانى
فما أبصرت وصافاً كشوقى ... ولا بصرت بذلك مقلتان
إذا وصف الجنان نعمت فيها ... كأنك منه فى وسط الجنان
وإن وصف الجحيم شقيت فيها ... وضقت من الشقاء بما تعانى
وإن وصف المعرى وشكسبيرا ... رأيتهما أمامك يخطران
على عطفيهما بردا جلال ... وفى قوليهما سحر البيان
فما المرآة أصدق منه نعتاً ... ولا أقوى على حفظ الكيان
تريك ظواهراً ويريك عيناً ... بواطن ليس تدرك بالعيان
فان باهت به مصر سواها ... فقد باهت به لغة القران
وفرق بين شعر ترجمان ... وآخر لا ينال بترجمان

وإن طعنوا عليـــه فغير بدع فقد طعنوا على السبع المثـــانى
وتلك طبيعـــة الإنسان قدماً طعون باللســـان وبالسنان
قضينا أن أحمـــد فى القوافى أمير الخلق من إنس وجان
على هـــذا اجتمعنا واتفقنـــا وأحرز سابق قصب الرهان

* * *

من قصيدة الأستاذ عبد الحميد الرافعى (من طرابلس) :

حى الكنانة واذكر فخرها العالى على الممالك فى عـــلم وإفضال
لها انتهى كل مجد خالد وجرى كنيلها العذب منها فائض النال
والعلم أزهر فى الدنيـــا بأزهرها منه استقى فى البرايا كل مفضال
كنانة الله أعـــلاها وزينهـــا بزينة السائدين : العلم والمال
رجالها أنجم العليـــا فلا برحت مجد الكواكب من سعد وإقبال
فى كل فضل قد امتازوا ؛ فعالمهم يجل فى الشرق عن ند وأمثال
والجود يفخر إن تذكر أجاودهم لكل خـــير تراهم خير تمثال
وإن ذكرت أمير الشعر شاعرهم كبرت تكبير إعجاب وإجلال
ذاك الذى ســـحر الألباب أجمعها بيـــانه وسبت آياته التـــالى
تختال مصر على الدنيـــا وحق لها عجباً بياقوت شعر منه ســـيال
ينصب من نفَس عال تخالهما وادى المجرة يجرى عـذب سلسال
أعلت قصائده شأن القريض بما حوته من حكم غر وأمثال
والشـــعر إن لم تزنه حكمة فله مهما تنمق حـــكم المربع الخالى
له على اللغـــة الفصحى يد عرفت فى الشرق والغرب فى حل وترحال
تفنن وانتقـــالات تخيّلُها خطو الجآذر بين الرند والضال
وحسن ديباجة لماعة كسبت جـــلالة كمليح حلف إدلال
ولطف معنى مهيب اللفظ تحسبه ظبى الكناس بدا من غاب رئبال
وصوغ در كثغر الحود يعجز عن جمـــال معناه تفصيلى وإجمالى

* * *

من قصيدة الأستاذ محمد خلف الله :

ألا أيهـــا البانى من الشعر نهضة ... وما كل حين يشهد الشرق بانيا
أهبت به فاستيقظت عزماته ... ورب بيـــان دونه السيف ماضيا
وغنيته لحن الخـــــلود فهزه ... وناولته راح المكارم ساقيـــا
وما صغت إلا النيرات قوافيـــا ... ولا جئت إلا بالسُّلاف معانيـــا
بيان عليه من خـــلالك رقة ... فهل ريْتَ سلسالا من المزن جاريا
هو الأدب الشرقى وشّـاه مُعْلَمٌ ... من الأدب الغربى فينان زاهيـا
سلوا عنه من غر القوافى فرائدا ... شـــوارد يفضحن العقود حواليا
سلوا مرقصات الروح فى حف كأسها ... مزامير تلهو بالنهى ومثانيـــا
رواة القوافى دونكم ورد حكمة ... فمن شاء فلينهل من الورد راويا
أناشيد أضحت سلوة الشرق كله ... تهز حجازيا وتشجى يمانيـــا
إذا ما تغنى فى ربا مصر هاتف ... سمعت بها فى أيك بغـــداد حاكيا
أرى النيل قد هزته من جانب الحمى ... صبا بردى فاهتاجه الشوق ذاكيا
وأهرام مصر مصغيات بسجعها ... إلى هاتف من شم لبنان داعيا
وروضات مصر بالجزيرة نزعا ... إلى الغوطة الفيحاء حرّى صواديا
تنسَّمْن من وادى الفرات ودجلة ... نسيما طوى البيـــداء للنيل ساريا
سل الكرمة الفيحاء لا زال ربها ... على فنن الإلهام والوحى شاديا
بربك هل عين الدجى حاجها الكرى ... فلاحت بمغناك الشموس زواهيا
أرى أوجهاً شرقية عربيـــة ... عليها جلال الفضل والنبل ضافيا
أرى السـنا بالضاد لُسْنا مُبينَةً ... معلمة نفث الرقاق شـــواديا
أرى نخلة البحرين يحمل طلعها ... قلوباً وأرواحاً لمصر هوافيـــا
أرى قلماً من خالص التبر صوغه ... سنرخص فيـــه النيرات جوازيا
أياد حفظنا ذكرها فى ضمائر ... مُعَوَّدة ألا تضـــيع الأياديا

***

بربكمو ، ياجيرة الشرق ، حدثوا ... فتى كلفا بالشرق مذ كان ناشيا
علقت هواه منذ نيطت تمائمى ... وعلمنى شوقى إليه القوافيا

إذا قلت شعراً فالعقيق وبرقة ... نسيبي وهيهات العقيق ودارِيا
أحييكم عن نشء مصر تحية ... وعن شعراء النشء أزجى ثنائيا
إذا الشعر لم ترقص له النفس هزة ... فقل للذويه : لا تجاروا المذاكيا
وما الشعر إلا نفحة قدسية ... إذا لم يصبها قائل كان لاغيا
فليس البيان الهجو إن كنت ساقطاً ... ولا هو زور المدح إن كنت راضيا
ولكن هدى الله الكريم ووحيه ... حملت به المصباح فى الناس هاديا

* * *

بربكمو يا جيرة الحى بلغوا ... شبيبتكم إعجابنا والتهانيا
وقولوا : لهم أشبال مصر، وإن يكن ... مزاركمو عنهم وعنّ مصر نائيا
فبين حناياهم حنين إليكمو ... يزيد على رغم التنائى تماديا
بنومصر قدضموا الصفوف وأقسموا ... نموت كراماً أو نذود الأعاديا
يوصونكم أن جددوا العزم وانهضوا ... وصونوا حماكم لا تهابوا المنائيا
أقيموا على الأخلاق بنيان مجدكم ... وحثوا إلى العلم القلاص النواجيا
فما فاض إلا من سمائكم الهدى ... ولا كنتمو فى السبق إلا أواليا
رحابكمو مهد الديانات أطلعت ... من الرسل أقماراً أضاءوا الدياجيا
وأنجبت الفرسان فى كل غاية ... حماة يراع أو حماة عواليا
إذا ما رضوا فالماء لطفاً ورقة ... وإن غضبوا فالمشرعات مواضيا
وإن حوسنوا كانوا ملائك رحمة ... وإن غوضبوا كانوا الأسود ضوارِيا
« أولئك آبائى فجئنى بمثلهم » ... ألا خلّ هذا واسترح ؛ لست جائيا

* * *

من قصيدة اليوزباشى محمد توفيق على :

أطلعى يا مصر أقمار النهى ... وتألق نجم « شوقى » واعتلى
واحشد الشرق على أوصابه ... ضاحكا مستبشراً فى محفل
كم حنا الشرق على أبطاله ... من حكيم أو نبى مرسل
ملأ الأجيال والدنيا هدى ... ببيان أو كتاب منزل
شعراء العصر، تيهوا بأب ... كلنا منه « حسين » أو « على »

* * *

يا عـذارى الوحى من فردوسها ... لسماء النيـــل تهـتز انزلى
وارقصى فى مهرجان شائق ... عالم الاعجاز فيـه مثـــــلى
طربى فى ساحتيـــه واصفرى ... غردى فى روضتيـه واهـدلى
واشهدى للشرق عرساً زاهراً ... عن عكاظ فى مجاليـه سـلى
زفت العليـــاء فيـه كاعباً ... لأمير الشـعر فى أبهى الحـلى
من له آيات فضـــــل باهر ... هى عن ريب الردى فى معزل
صاغها للنيـــل حليا « شيخنا » ... فانثنى يختال عـذب المنهـــل
فهى والأهرام تيجـان له ... بيـد أن الدر غـير الجنـدل

* * *

« أحمدان » فيهما الشرق زها ... واهتدى الثانى بنور الأول
مرسل بالنـــثر وافى معجزاً ... بعـــده بالشعر وافانا ولى
« أحمد » صلوا عليه — جاءنا ... بالمثـــانى شاديات من عل
وأتى « شوقى » عليه سلموا ... بالأغانى من رحيق سلسل
غنت الأطيـــار فى الدوح بها ... وشدا للـــزهر صافى الجدول

* * *

أنشدت مصر تنـــاغى أهلها ... فاسمعوا فى الروض شدو البلبل
جـذل تـكريم « شوقى » إنما ... بحيـاتى ضاعفوا لى جـــذلى
أكرموا لى عبقريا منـكم ... يمتع النيـــل بسحر المقل
قلت يامصر اصبرى لا تجـزعى ... قد سمعنا واحلمى لا تجهـلى
نحتـفى اليوم بشوقى وغـــداً ... بك فى استقلالك الحق الجلى
خالصاً من كل قيد ساحباً ... ذيله فوق السماك الأعـزل

* * *

من قصيدة الأستاذ عبد الفتاح السيد المدرس :

« شوقى » ومثلك لاتنفك ذكرته ... تسرى على الدهر مسرى البرق والشهب
رضعت ثدى القوافى لم تذر أملا ... لراغب فى سمان أو لمقتضب

ألقت إليك مقاليد الكلام لكى ... تحبوك فخراً بهذا الاسم واللقب
أعدت دارسها فى ثوب جدته ... لولاك دارت عليها صخرة العطب

***

قضيت نسج أبى تمام تنهجه ... وفقت كالبحترى فى كل مختلب
فكم خريدة لحن صغتها أثراً ... أبليت فيها بلاء الناهض الأرب
أيقظت فى الشرق روحاً ليس ينكرها ... من يحفظ الفضل عن آحاده النخب

***

من موشحة للأستاذ حسن جبره :

إنه شوقى أمير الشعراء ... من له الملك عليهم لا مراء
وله الكل مقر بالولاء ... شعراء الشرق والغرب سواء
ما تولى عنه غير المفترى

فيلسوف صاغ من نور الحجى ... حكمة منها الفؤاد ابتهجا
فترى النفس إليها منهجا ... تتناهى فيه غايات الرجا
حيث ترقى فى سنى المظهر

هو نور ، ظلمة القلب محا ... فانجلى القلب به وانشرحا
هو قصد ، نحوه الراجى نحا ... ودواء ناجع ما برحا
شافياً سقم الحجى والفكر

إن شوقى شعره قد خلبا ... لبنا حسناً فزدنا عجبا
أتراه ساحراً قد كتبا ... بمداد فتبدى ذهبا
لامعاً يخطف ضوء البصر

ما ابتسام الذهن للفكر الجلى ... ما ابتسام الكون للنور العلى
ما ابتسام الروض فى أثر الولى ... ما ابتسام الدهر للمؤمل
كابتسام الروح للشعر السرى

ما يسار لمقل معدم ما نجاة بعد سجن مظلم
ما سرور بعد حزن مؤلم ما شفاء الجسم بعد السقم
كابتهاج بالمعانى الغرر

هذه عين المعانى الناضرة نحو رب الشعر شوقى ناظرة
إذ حبا عين القوافى الباهرة دار خلد فى بيوت عامرة
حولها تجرى عيون الكوثر

* * *

قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقى بك : ونختتم هذا الفصل بالقصيدة العصماء التى نظمها شوقى بك فى مهرجانه :

مرحباً بالربيع فى ريعانه وبأنواره وطيب زمانه
زفت الأرض فى مواكب آذا ر وشب الزمان فى مهرجانه
نزل السهل ضاحك البشر يمشى فيه مشى الأمير فى بستانه
عاد حليا براحتيه ووشياً طول أنهاره وعرض جنانه
لف فى طيلسانه طرر الأر ض فطاب الأديم من طيلسانه
ساحر فتنة العيون مبين فصل الماء فى الربا بجمانه
عبقرى الخيال زاد على الطيف وأربى عليه فى ألوانه
صبغة الله أين منها رفائيل ومنقاشه وسحر بنانه
رنم الروض جدولا ونسيما وتلا طير أيكه غصن بانه
وشدت فى الربا الرياحين همساً كتغنى الطروب فى وجدانه
كل ريحانة بلحن كعرس ألفت للغناء شتى قيانه
نغم فى السماء والأرض شتى من معانى الربيع أو ألحانه
أين نور الربيع من زهر الشعر إذا ما استوى على أفنانه ؟
سرمد الحسن والبشاشة مهما تلتمسه تجده فى إبانه
حسن فى أوانه كل شىء وجمال القريض بعد أوانه
ملك ظله على ربوة الخلد وكرسيه على خلجانه

أمر الله بالحقيقة والحكمة فالتفتا على صولجانه
لم تثر أمة إلى الحق إلا بهدى الشعر أو خطا شيطانه
ليس عزف النحاس أوقع منه فى شجاع الفؤاد أو فى جبانه
ظللتنى عناية من « فؤاد » ظلل الله عرشه بأمانه
ورعانى ، رعى الإله له « الفارو ق » طفلا ويوم مرجو شانه
ملك النيل من مصبه بالشط إلى منبعيه من سودانه
هو فى الملك بدره المتجلى حف بالهالتين من برلمانه
زاده الله بالنيابة عزاً فوق عز الجلال من سلطانه

* * *

منبر الحق فى أمانة « سعد » وقوام الأمور فى ميزانه
لم ير الشرق داعياً مثل « سعد » رجَّه من بِطاحه ورعانه
ذكرتنى عقيدة الناس فيه كيف كان الدخول فى أديانه
نهضة من فتى الشيوخ وروح سريا كالشباب فى عنفوانه
حركا الشرق من سكون إلى القيد وثارا به على أرسانه
وإذا النفس أنهضت من مريض درج البرء فى قوى جثمانه

* * *

ياعكاظا تألف الشرق فيه من فلسطينه إلى بغدانه
افتقدنا الحجاز فيه فلم نعثر على قسه ولا سحبانه
حملت مصر دونه هيكل الدين وروح البيان من فرقانه
وطدت فيك من دعائمها الفصحى وشد البيان من أركانه
إنما أنت حلبة لم يسخر مثلها للكلام يوم رهانه
تتبارى أصائل الشام فيها والمذاكى العتاق من لبنانه
قلدتنى الملوك من لؤلؤ البحرين آلاءها ومن مرجانه
نخلة(١) لا تزال فى الشرق معنى من بداواته ومن عمرانه
حن للشام حقبة وإليها فاتح الغرب من بني مروانه

(١) إشارة إلى النخلة المصنوعة من الذهب وهى هدية « البحرين » .

وحبتني بمبـــاى نصل يراع ... أفرغ الود فيه من عقيانه (١)
ليس تلقى يراعها الهنـــد إلا ... فى ذرى الخلق أو وراء ضمانه
أنتضيه انتضـاء موسى عصـاه ... يفرق المستبد من ثعبـــانه
يلتقي الوحى من عقيدة حر ... كالحوارى فى مدى إيمانه
غـــير باغ إذا تطلب حقـا ... أو لئيم اللجـــاج فى عـــدوانه

***

موكب الشعر حرك المتنبى ... فى ثراه وهز من حسانه
شرفت مصر بالشموس من الشر ... ق نجوم البيان من أعيانه
قـد عرفنا بنجمه كل أفق ... واستبنا الكتاب من عنوانه
لست أنسى يداً لأخوان صـدق ... منحونى جزاء ما لم أعانه
رب سـامي البيان نبه شأنى ... أنا أسمـو إلى نباهة شـــانه
كان بالســـبق والميادين أولى ... لو جرى الحظ فى ســواء عنانه
إنما أظهروا يد الله عنـــدى ... وأذاعو الجميـل من إحسانه
ما الرحيق الذى يذوقون من كر ... مى وإن عشت طائفـاً بدنانه
وهبـــونى الحمـام لذة سجع ... أين فضـل الحمـام فى تحنـانه
وتر فى اللهـــاة ما للمغني ... من يد فى صـفائه وليـانه

***

رب جار تلفتَت مصر توليـــــه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتنى معـــزياً بمآقى ... وطنى أو مهنئاً بلســانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشـــــرق وكان العزاء فى أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنـا الجر ... ح وأن نلتقى على أشـجانه
كلما أنَّ بالعـراق جريح ... لمس الشرق جنبـه فى عمـانه
وعلينـا كما عليكم حـديد ... تتـــنزى الليوث فى قضـــبانه
نحن فى الفـكَر بالديار سواء ... كلنـا مشفق على أوطـانه .

---

(١) إشارة إلى هدية الهند ، وهى نصل يراع من العقيق .

وداع الثعالبي وتكريمه : بعد ثلاثة عشر عاماً أو تزيد سمحت السلطات الفرنسية للزعيم السيد عبد العزيز الثعالبي بالعودة إلى وطنه تونس .

ولما كان للسيد أصدقاء كثيرون فى مصر . فقد أقيمت له عدة حفلات ومآدب قبل سفره أذكر منها : حفلة جمعية الرابطة العربية ومجلتها ، وآل مشكى ، وجمعية الشبان المسلمين ، والدكتور مختار عبد اللطيف ، والشيخ على سرور الزنكلونى ، ومحمود عاشور التونسى ، والدكتور منصور فهمى بك ، وآل عبد الرازق ، ومحمد الفرنوانى بك ، وإبرهيم الهلباوى بك ، والأستاذ حامد المليجى ، وعصام الدين حفنى ناصف ، وسيد خشبة باشا .

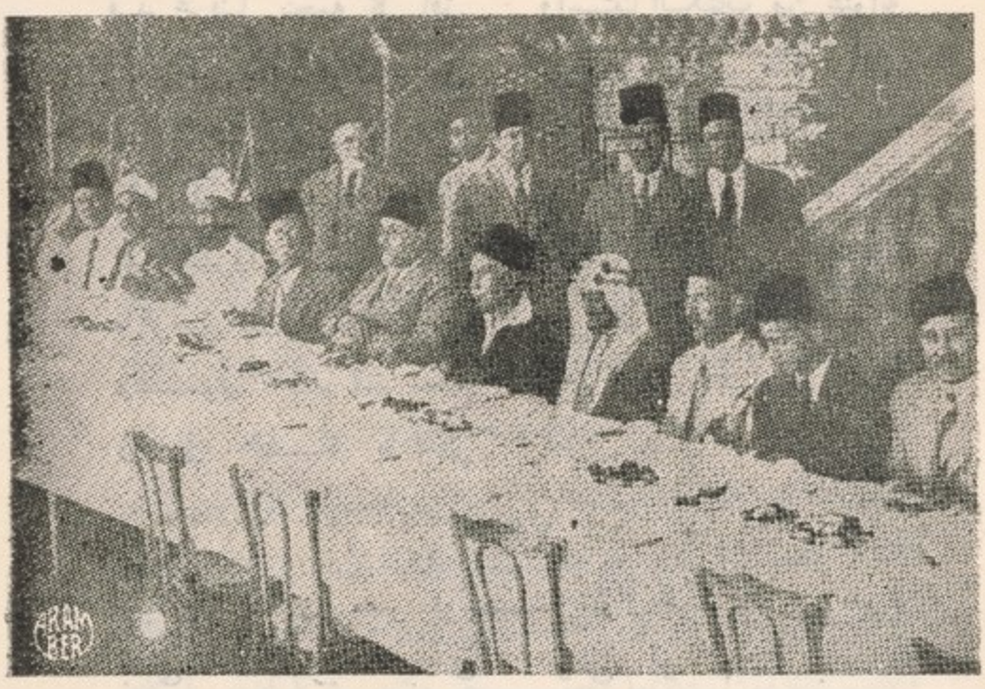

حفلة تكريم الثعالبي

وخطب فى هذه الحفلات والمآدب عدد من الكتاب والخطباء والشعراء أذكر منهم : حمد الباسل باشا ، الشيخ عبد الله عفيفى بك ، الحاج محمد الهراوى ، والأساتذة عبد المجيد نافع ، أحمد غلوش ، لطفى جمعة ، الدكتور منصور فهمى بك ، الدكتور زكي مبارك ، مهدى رفيع مشكى بك ، الدكتور محجوب ثابت ، توفيق دياب ، رمزى نظيم ، لويس غانم ، محمود بسيونى ، كامل زيتون ، محمد الأسمر ، محمد الهمياوى ،

الشيخ عبد الوهاب النجار ، حسن أبو رحاب ، الشيخ على سرور الزنكلونى ، الشيخ طنطاوى جوهرى . وقد اشتركت فى بعض الحفلات والمآدب .

أما حفلتى الخاصة فقد كانت يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٣٧ فى روضتى ؛ وحضر فيها كثيرون من أصدقاء السيد ممن مر ذكر أسمائهم . وقد ألقيت فيها الكلمة الآتية :

« يا حضرات الإخوان :

« اجتمعنا اليوم كما يجتمع أفراد الأسرة الواحدة فى ليلة الوداع لواحد منهم عزيز عليهم يؤنسونه ويأنسون به ؛ ويتذاكرون معه أيامهم الماضية ، وذكرياتهم العزيزة ، فيستعيدون بذلك سنوات من أعمارهم وأجزاء من حياتهم .

« وإن اجتماعنا لوداع صديقنا الزعيم التونسى الكبير السيد الثعالبى ليعيد إلى ذاكرتى ليلة اللقاء الأول فى دار آل مشكى الكرام . هذه الدار المباركة التى نبتت فيها فكرة الرابطة الشرقية ؛ وكان لقاؤنا فى أكتوبر سنة ١٩٣٣ بعد حضور السيد إلى مصر مهاجراً من تونس بثلاثة أيام .

« انعقدت بيننا أواصر الصداقة ، أيها الإخوان ، بعد مقابلات قليلة لما وجدته فيه من حصافة الرأى . وعلو الهمة ، والوطنية المخلصة ، وحنكة التجربة ، واكتمال الرجولة . وزادنا ألفة انضمامه للرابطة الشرقية .

« ثم أخذ صاحبنا يضرب فى الأرض فقام بعدة رحلات إلى فلسطين والعراق واليمن والحجاز والهند والصين ، وانتدب لحضور مؤتمر الخلافة بمصر عن تونس والعراق سنة ١٩٢٦ ، وفى حضور المؤتمر الإسلامى العام بفلسطين سنة ١٩٣١ ، وللتدريس فى جامعة آل البيت ببغداد ، ولرآسة البعثة العلمية العراقية فى مصر بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٣٠ .

«وكانت صلاتنا فى هذه الأثناء دائمة قوية ، سواء أأقام فى مصر أم اغترب عنها ؛ وكنا دائمى التفكير فى حالة الشرق والشرقيين : نبحث عن عللهم ، ونفكر فى علاجها ؛ وكانت لنا مشروعات لم نتمكن من تنفيذها . من ذلك ما دعت إليه الرابطة الشرقية من إيجاد وحدة ثقافية فى العالم العربى ؛ وقد قامت بمخابرة الممالك العربية فى هذا الأمر وكادت توفق لولا الظروف السياسية التى كانت تحيط بمصر .

« ياحضرات الإخوان :

« لقد تبدلت السياسة الاستعمارية فى الشرق ورأت الدول المستعمرة أن لابد لها من محاسنة الأمم المستعمرة ، فخطبت ود الشرقيين ، وتقربت إليهم ، وعرفت قيمتهم بعد أن كانت تتجاهلها .

« وها هى ذى العلاقات بين مصر وانجلترا بعد ما ظلت مدة طويلة وهى غير مستقرة نظراً لعدم التفاهم بين الأمتين ، عادت فاستقرت بعقد معاهدة الصداقة والتحالف بين البلدين ، هذه المحالفة التى كان يجب عقدها منذ زمن طويل . وقد نجحت المفاوضات فى هذه المرة لسببين :

الأول — اتحاد الجبهة الوطنية التى تألفت بحكمة بعض الزعماء وبجهود الشبان المخلصين .

الثانى — هو الموقف الدولى الذى قرب بين وجهتى النظر .

وهنا أجاهر باعتقادى أنه لو سمحت الظروف وقت مفاوضة المرحوم سعد باشا مع ملنر بعقد معاهدة حينذاك ، لاستطعنا مع الوقت وعلى ضوء الاختبار وحسن السياسة تعديل ما ينافى مصلحة مصر فى المعاهدة ، كما اتفق لشقيقتنا العراق بفضل مساعى مليكها الراحل صديقى المغفور له فيصل الأول .

« وعلى كل حال فقد وقعت هذه المعاهدة أخيراً ، فوضع لنا المفاوضون الكرام الحجر الأساسى فى بناء استقلالنا ؛ فلنعمل كلنا على استكماله بقلوب مخلصة صادقة . فإن القصور الشاهقة لا تشاد باشارة سحرية ولكن بالصبر والمثابرة .

« هذا شأن انجلترا فى مصر وفى العراق . أما إيطاليا فقد أخذت تخطب ود الشرق هى الأخرى ، وتعلن محاسنتها للاسلام . صرح بهذا موسوليني فى خطبته عند افتتاح طريق ليبيا ؛ وكذلك قال وزير إفريقية الايطالية فى مجلس نوابهم :

« إنه من المهم إيضاح بعض النقط منعاً للالتباس ، ولتحديد نظام السياسة الاستعمارية الفاشيستية وأغراضها ، فاننا لا نقصد بتاتاً من سياستنا مزج العناصر الوطنية بالإيطالية إذ لا يصلح هذا المزج من الوجهة الشعبية والجغرافية والعلمية ؛ ولم نفكر يوماً من الأيام فى إجبار اللوبيين على ترك قوانينهم وشعائرهم المرتبطة بالديانة الإسلامية ؛ فقد أثبتنا عاطفتنا

نحو الإسلام ، بأن نشرنا حرية الدين ، واحترمنا المؤسسات والمدارس التشريعية والدينية . وكان من شأن هـذه الخطة التى اتبعناها أن زاد تعلق رعايانا المسلمين بايطاليـا وكانوا سبباً فى عطف سكان البلاد الأخرى » .

« وبمثل هذه السياسة أخذت فرنسا ، فعقدت معاهدة مع سوريا أرضت الكتلة الوطنية بها ؛ ثم ها هى ذى تخطب ود زعيم تونس الكبير بعد أن شردته أربعة عشر عاماً ، ومنعته من رؤية أهله ووطنه — فهى اليوم ترحب بعودته أجمل ترحيب .

« أيها الاخوان :

« لقد آن للغرب أن يعلم يقظة الشرق وقوة ارتباطه وأن يعرف أن شعوبه كتلة واحدة وجسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء ، كما يقول النبي الكريم .

« ولعل فرنسا حين تدرك ذلك تمد يدها بالحسنى إلي تونس والجزائر ومراكش ، فيمد الشرق يده إليها ويصافحها هى وغيرها من الدول التى تدرك حقوق الشرقيين ؛ وهذه المصافحة إنما تكون فى مصلحة الانسانية والسلام العالمى .

«وفى النهاية أتمنى لصديقنا سلامة العودة ، وأرجو أن يحقق الله على يديه آمال أقطار المغرب التى أولته ثقتها والتى ستستقبله بفرح واستبشار » .

وقد اخترت أن أثبت هنا بعض فقرات من خطب الخطباء فى حفلات الثعالبى لبيان الآراء المختلفة فى هذا الزعيم .

قال سعادة حمد الباسل باشا بعد أن امتدح الثعالبى ونوه بالروح القوية التى يبعثها فى كل مكان ينزل به : « إنه يفارقنا إلى تونس الشقيقة ليحمل إليها عواطفنا الأخوية الودية ، ثم ليستأنف جهاده فى سبيل سعادتها وهناءتها . ونحن ، وإن عز علينا هذا الفراق ، نفرح لعودته إلى أهله ووطنه بعـد هـــذا النفى الطويل الذى احتمله بشجاعة وصـبر وإيمان » .

وجاء فى خطبة للدكتور زكى مبارك فى روضتى : « يتهم بعض أبناء الأقطار العربية المصريين بقلة معلوماتهم عن الأقطار العربية ، ونزرة مايعرفونه عنهـا . ولئن صح هذا القول بالنسبة لبعض الأقطار فإنه لايصح بالنسبة لتونس ؛ وذلك لأن تغريبة بنى هلال وحروب الزناتى خليفة وديباب بن غانم والجازية أم محمد تشغل فراغا كبيراً فى الأدب الشعبى ؛ فندر بين المصريين من لم يقرأ هذه الرحلة .

« هكذا كان شأن تونس فى القديم ، فهى معروفة عندنا أتم معرفة . أما فى الحديث فقد مثلت تمثيلا صادقا بالأستاذ الثعالبى ، فكان خير سفير لها وأفضل داعية لقضيتها ؛ ولقد حضرت حفلات كثيرة ومآدب عديدة حضرها ، فوالله ما رأيت أى حركة من حركاته تنقد ، فهو الرجل الكامل الممتاز الصفات ذو الأدب الرفيع والتفكير العالى » .

وخطب الدكتور منصور بك فهمى فى هذه الحفلة فقال إنه لايعرف بأى جملة يفتتح خطبته ، وبأى عبارة يختمها ، فمجال القول فى الأستاذ الثعالبى واسع . ثم استطرد من ذلك فدعا إلى إنشاء ثقافة شرقية عربية أو إسلامية تكون خاصة بنا دون غيرنا ؛ فلا نكون عالة على الغرب ، ولا نقلده تقليداً أعمى فاسداً ، ولا نحاكيه محاكاة جفة مملولة .

وقام الأستاذ محمد لطفى جمعه المحامى فأيد الدكتور منصور فهمى فى دعوته إلى إنشاء ثقافة شرقية عربية إسلامية خاصة بنا ، فلا نكون عالة على الغرب ولا نقلده تقليداً أعمى . ثم انتقد أولئك الشبان الذين يسافرون إلى أوربا لطلب العلم ، فيقصد بعضهم ألمانيا أو إنكلترا أو فرنسا ؛ فاذا عادوا إلى بلادهم بعد إتمام الدراسة عادوا وقد أضاعوا شخصياتهم . فمن تعلم منهم فى انكلترا حلق شاربيه ، ووضع «البيبة» فى فمه محاكاة للانكليز وتقليداً ؛ ومن تعلم فى ألمانيا صار ألمانياً . ثم قال : « ويلوح لى أن السبب فى ذلك هو التعلق بالقشور دون اللباب ، وعدم أخذهم من العلم بنصيب وافر ، فيلجأون إلى هذه الطريقة فى التقليد ليوهموا الناس أنهم على شىء والحقيقة أنهم ليسوا كذلك . على أننى لا أنكر أن بينهم من تعلم تعلماً صحيحاً .

« وأما أمر الغربيين فعلى العكس : فاذا قدم بلاد الشرق واحد منهم وقضت عليه الظروف بأن يقيم مدة طويلة فى ربوعه ويندمج فى أهله فلا يتردد ، وبينهم من يدخل الإسلام ويتعلم لغة القرآن ، ويتزوج ويطلق لحية طويلة أو يتعمم بعمامة ويلبس جبة أو قفطاناً فلا تكاد تفرقه عن الذين ينزل بينهم . على أنه متى عاد إلى بلاده الأصلية نزع ذلك الثوب الذى كان يلبسه فى ديار الغربة ، وعاد إلى ما كان عليه من قبل ، واندمج فى البيئة فلا تفرقه عنها . ويتفرع عن هذه القاعدة إهمال لتاريخنا ورجالنا وأبطالنا ؛ فإنك تجد الاحتلال الأجنبى بمصر أقام لكل جندى أو ضابط قتل من رجاله قبراً فخماً من المرمر وأنشأ التماثيل والأنصبة . أما العشرون ألفاً الذين سقطوا فى التل الكبير ، فليس هنالك ما يذكر بهم أو يدل عليهم حتى ولا خشبة ولا فانوس ؛ وإن فى ذلك لعاراً كبيراً علينا » .

واستطرد من ذلك إلى المطالبة بإحياء التاريخ القومى ، وتنظيم برامج التعليم على أسس جديدة ، والسعى لتحقيق فكرة الدكتور منصور فهمى بك . ثم أشاد بوصف العلاقات بين مصر وتونس وأطنب فى وصف ما للأستاذ الثعالبى من أثر كبير فى النهضة الجديدة ، وقال : « كيف لا أعشقه وأتغزل فيه وقد جمع فى نفسه الكمالات كلها ؛ فإذا عشقته فأنا أعشق الكمال النفسانى والأدب الإنسانى العالى » .

وأخيراً ارتجل الأستاذ الثعالبى خطبة بليغة طويلة جاء فيها : « استرعى نظرى فى أثناء زيارتى لمصر سنة ١٨٩٧ — ١٩٠٢ فقرة فى مقالة قرأتها للمسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا السابق ، وقد جاء فيها قوله : « وكيف كان الحال فقد فصلنا بين شمالى أفريقيا والتاريخ العربى » . فأثرت فى نفسى هذه الجملة تأثيراً بالغاً وصممت على العمل لمقاومة هذه الفكرة والمحافظة على هذه الرابطة .

« وعدت إلى تونس وشرعت فى العمل فلم ينازلنى الفرنسيون وجهاً لوجه بل قاموا بحركة التفاف ، فدفعوا بعض التونسيين لمقاومتى ؛ ثم قبض علىّ فى سنة ١٩٠٦ ووضعت فى السجن لا بصفة كونى متهماً ، بل باسم حمايتى من الجمهور الغاضب الذى يريد أن يفتك بى .

« وكان الغد موعد محاكمتى . ومع أن العادة جرت أن يؤخذ المسجونون من السجن إلى دار المحكمة فى عربة خاصة أعدت لهذه الغاية فإنهم أخذونى سيراً على الأقدام ، فمشى إلى جانبى مأمور الضبط (كومسير سنترال) يحيط بنا ٢٥ شرطياً شاهرين السلاح . وكان هناك عدد كبير من أهل البلاد تجمعوا على طول الطريق يرفعون علماً أبيض ويقولون « اقتلوا الثعالبى الكافر » ؛ وكان آخرون يأتون بحركات تدل على الاستنكار والاستهجان لا للعمل الذى يعمل معى ، بل استنكاراً لعملى . فقال لى مأمور الضبط « ألا ترى ماذا يفعل الشعب ؟ » فقلت : « إن هذا لا يهمنى ؛ فسواء عندى تظاهر الشعب لى أومعى . على أنى واثق من أن هذا الشعب يتظاهر لى متى عرف الحقيقة » . وقد كان الأمر كذلك أيها السادة ، فإنه لما قبضت على السلطة فى سنة ١٩١٢ — أى بعد ست سنوات من الحادث الأول ، وقد طرقت منزلى فى الساعة الرابعة بعد نصف الليل أى فى الفجر ، ودخول المنازل فى هذه الساعة ممنوع ، وأخرجتنى إلى خارج البلاد سنة ١٩١٢ ومن دون أن يعرف بذلك أحد — أقول إنهم لما قبضوا على ونفونى وشاع ذلك فى الغداة

ضربت البلاد كلها ثلاثة أيام ، ووقفت جميع الأعمال ، وأصر الشعب على المطالبة بإعادتى فجاء الفرنسويون يلحون على بالرجوع ، فأبيت العودة ما لم يعدل وضع البلاد السياسى . فقال لى الفرنسويون إنه لاسبيل إلى ذلك الآن لأن الحرب العامة على الأبواب ، فأنظرنا ريثما تنتهى .

«وعدت إلى تونس فى سنة ١٩١٤ — أى قبل الحرب — فرأيت معظم الأوضاع السياسية قد تغيرت . ورأيت أن الفرنسويين قد استردوا ما أعطوه لنا فى أثناء حركتنا الأولى بين سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١٢ ؛ ثم جاءت الحرب وانتهت فاستأنفنا الكرة وواصلنا النضال فقبضوا على فى سنة ١٩٢٠ وسجنونى مدة طويلة فى فرنسا وتونس ، ثم أطلقوا سراحى ثم أخرجت من البلاد فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٣ أى منذ ١٥ سنة إلا بضعة أسابيع » .

ثم تكلم عن مقام مصر فى الحركة العربية ، وقال إنها محط أنظار العرب والمسلمين بسبب مقامها ووفرة معاهدها . ثم تكلم عن أعمال جمعية الرابطة الشرقية وسعيها لعقد مؤتمر عربى للثقافة ؛ وقال : إن هذه الفكرة كادت تنجح لولا أن الظروف لم تساعدها . ثم حض المصريين على بذل الجهد لتحقيقها لتكون نواة للنهضة العربية الجديدة . وختم خطبته كما بدأها بالشكر لصاحب الدعوة وللمحتفلين الكرام .

وقد ألقى السيد مهدى بك رفيع مشكى فى الحفلة التى أقامها للثعالبى كلمة جاء فيها :

« أحمد لكم تلك العواطف النبيلة وأحيي فيكم هذه المظاهر الجميلة ، لا على قبولكم دعوتكم وتشريفكم منزلكم ، وإنما أشكر عاطفة التقدير التى ملأت قلوبكم ، وهيأت نفوسكم للاشتراك فى تكريم وتوديع الزعيم العربى الكبير السيد عبد العزيز الثعالبى ، ابن تونس الأرشد ، ورسول وطنيتها الأمين .

«وإذا كانت بلدان الغرب تملأ ميادينها تماثيل القادة الفاتحين والملوك الغالبين ، والرؤساء المستعمرين ، فمن أولى من زعماء الشرق الذين استبسلوا فى دفع الغاصب ودفع الظلامة والذين جاهدوا وقاتلوا فى سبيل الدفاع عن الوطن والذود عن الكرامة ، بأمثال هذا التكريم والتخليد . أما وفى الشرق بلاد حرام على أهليها ، حلال لمستعمريها ؛ أما وأبواب الديار فى وجوه أصحابها مقفلة ، وثغور الوطن دون آساده موصدة ، فلا أقل من أن يجد الأحرار المبعدون ، أينما حلوا ، وطناً وأهلا وعشيرة ، وأن تعمر بذكرهم قلوب مخلصة وصدور رحيبة .

«فما زالت فينا السنة تذكر وتشكر ، وما زالت لنا قلوب تحفظ الود وتقدر الجميل .

« يا حضرات السادة : بالأمس اجتمعنا نكرم ونودع نخبة من خيرة أبناء سورية الميامين ؛ واليوم نجتمع لنودع زعيم تونس الكبير . حقاً لقد ضمت مصر فيما ضمت من أبنائها وفوداً من الشرق ، فيها من كل قطر صاحب العزيمة الصادقة والرأى الرشيد ؛ فلها حق الأمومة عليهم أجمعين . وكأنى بهم إذ يودعوننا ونودعهم إنما نودع وفود مصر إلى الأقطار الشقيقة يحملون من مصر وسكان مصر إلى أوطانهم وأخوانهم رسالة العروبة وفيها أطيب الرغبات . فمصر قلب العربية النابض ورسالة الشرق وفيها أصدق التحيات ، فمصر عنوان مجد الشرق منذ القدم .

«فى سنة ١٨٨١ — على ماأظن — وقف الثعالبى الطفل يشهد دخول المستعمرين إلى بلاده . وقد رأى لأول مرة جده يسكب العبرات ، والناس يرمقون هؤلاء الجنود بعيون باكية وامتعاض شديد ، وقد خلعت تونس حلتها الخضراء وظهرت فى حلة قاتمة سوداء . فانتفض وفى النفس حسرات وفى العين عبرات . وأقسم الثعالبى الطفل أن ينتقم لبلاده . وقد صدق الوعد ، وبر باليمين الثعالبي الزعيم .

«بدأ الثعالبى جهاده طفلا وظل يجاهد شابا وكهلا . وهو يعود اليوم إلى تونس ليستمد القوة من وطنه وأهله الذين فارقهم طوال السنين ، نشأة وشباباً — فقد كان له وطن واحد ، وأمة واحدة . أما اليوم وقد أشرف على الستين فإن فى ذمته أوطاناً وشعوباً ، وأمماً تمتد من أدنى الغرب إلى أقصى الشرق وتضرب من المحيط إلى المحيط .

« طلب الزعيم التونسى إلى فرنسا أن ترفع عن بلاده حمايتها فكانت الحرب العظمى ؛ وكانت الوعود إثر الوعود . وما أن خمدت الحرب واستقرت الأمور حتى سافر صديقنا الثعالبى إلى باريس ، ينشد أولياء الأمور براً بالوعود ووفاء بالعهود . وكان على رأس مفاوضيه الفرنسيين الموسيو تارديو ؛ وكأنما كان المقصود استطلاع رأى الزعيم حتى يعملوا على عكس ما يريد . وقد أرسل السيد الثعالبى يستحث وفداً من تونس للحضور . وسرعان ما حضر هذا الوفد برياسة الأستاذ أحمد الصافى سكرتير الحزب الحر الدستورى . ولكن قررت الحكومة الفرنسية عدم الاعتراف به . وبمجرد أن طلب مقابلة وزير الخارجية أحالت الوفد على المقيم العام المسيو فلاندان (والد رئيس الوزراء السابق) وكان قد استحضر إلى باريس . فما كان منه إلا أن قال : «إن كل تفاهم بيننا لا يمكن أن

يكون إلا فى تونس نفسها . مع أن الوفد التونسى كان يحمل رسالة من الأمة التونسية إلى حكومة فرنسا التى تمثلها وزارة الخارجية بالنسبة لتونس .

« وقد تنبهت فطنة الزعيم الثعالبى لكل ذلك، فكان فى دهائه — كما كان فى جهاده — خبيراً حكيما ؛ وبادر تواً إلى الموسيو راؤول بريبه رئيس مجلس النواب فى ذلك الوقت فأفهمه أن الوفد التونسى يحمل رسالة من الأمة التونسية إلى الأمة الأفرنسية ؛ فحدد راؤول بريبه اليوم التالى موعداً لاستقبال وفد تونس . وفى الموعد المذكور استقبل هذا الرئيس ومعه هيئة مختارة من أعضاء مجلس النواب الوفد التونسى ، وتسلم منه باسم الأمة الفرنسية رسالة الأمة التونسية . وفى صبيحة الغد صدرت الجريدة الرسمية للبرلمان وفيها عن كل ذلك الشرح المستفيض .

« وكان على أثر ذلك أن صدرت جل الجرائد اليومية وقد نشرت تحت عنوان « علائق سرية مع أعداء فرنسا » كل ما أوعز لها أن تختلقه من الاتهامات الكاذبة وسيلة للاستيلاء على الأوراق التى كانت مع الزعيم الثعالبى . ولم يدفع عنه كيدهم إلا وجود دفتر كان يثبت فيه كل ما يرد إليه وما يخرج من رسائل ومستندات .

«ولما أعيتهم الحيل أصدروا أمراً بارجاع السيد الثعالبى تحت الحفظ إلى تونس لأنه مطلوب أمام محاكمها العسكرية فألقى القبض عليه . وصادف وجود كاتب سره الدكتور القرطبى خلافا للعادة فى ذلك الوقت ، فشيعه إلى مركز باريس العسكرى؛ ثم ذهب بنفسه إلى المسيو هريو وهو من أصدقاء الزعيم ، فأطلعه على ما حصل ؛ فما كان منه إلا أن جمع لفيفاً من الأصدقاء ، وجلهم من أعضاء مجلس النواب، فشكلوا لجنة من بينهم للدفاع عن الثعالبى ومنع سفره إلى تونس ، واتخذوا الاجراءات القانونية اللازمة لذلك ؛ وقد أمكنهم أن يؤجلوا سفره أسبوعين تقريباً .

« ومن الصدف الغريبة أن جاء للسيد قبل إلقاء القبض عليه بأيام كتاب من باى تونس الملك الناصر رحمه الله يقول فيه إن المقيم العام قدم له مشروع مرسوم يتضمن إلقاء القبض على الثعالبى ، فرفض ذلك ؛ ويطلب إليه أن يحتاط لنفسه . وكان هذا من الكتب التى ضبطت .

«ومن المصادفات أيضاً أن صادف وصول هذا الخطاب زيارة المرحوم مولانا محمد على الهندى والمسيو جورج ليج للزعيم فأطلعهما عليه . كما صادف أن انتخب المسيو ميليران

رئيساً للجمهورية بعد اعتقال الثعالبي بأيام ، فاختار المسيو جورج ليج رئيساً للوزارة . وما كان من هذا إلا أن أمر فى الحال بإجراء التحقيقات وإعادة فحص الأوراق الخاصة بالسيد من جديد . ثم أمر بمنع رجوع فلاندان إلى تونس ، ومع ذلك فقد بقي صديقنا الثعالبي من أغسطس سنة ١٩٢٠ إلى مايو سنة ١٩٢١ رهين السجون . ولقد أثر الكفاح الطويل فى صحة الزعيم الكريم فسافر إلى إيطاليا مستشفياً فى سنة ١٩٢٣ . وكأنما كانت فرنسا تترقب هذه الفرصة بفروغ صبر . فما أن علمت بذلك حتى أوعزت إلى معتمديها فى مختلف الأقطار ألا يؤشروا إذناً للزعيم بالسفر إلى أى منطقة لها عليها حماية أو انتداب أو استعمار . فسافر إلى تركيا . ومنها غلبه الحنين إلى الوطن فجاء مصر التى يجد فيها كل عربى — بل كل شرقى — وطنه وأهله وعشيرته الأقربين .

« ولثالث يوم من وروده كان لهذا المنزل شرف استقباله . وقد تفضل فأشار إلى ذلك أول أمس حضرة صاحب السعادة الزميل الوقور أحمد شفيق باشا عميد الرابطة الشرقية ورائدها الكبير .

« كان ذلك فى يوم الاثنين ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٣ وفى ربيع الآخر سنة ١٣٤١ ؛ وها هى ذى أربع عشرة سنة تمر سراعاً ، جاب فيها السيد الثعالبي أقطار الشرق ، طولا وعرضاً ، دارساً باحثاً مجاهداً ، يعمل لإنهاض شعوبه وتوحيد جهوده . فمن مصر ، إلى فلسطين ، إلى العراق ، إلى إيران ، إلى الحجاز ، إلى اليمن ، إلى الهند ، إلى الصين ، إلى جاوة وغيرها من الأقطار .

« لقد كان للرابطة الشرقية قوة وحجة ؛ وكان ولا يزال ساعدها الأيمن ورسولها الأمين . فلا عجب إذا اجتمعنا اليوم وفى ربيع الآخر ، وفى دار الرابطة الأولى ، لنجدد العهد ونؤكد الود ونكرم فى ابن تونس أمة وزعيما ، ونودع زميلا كريماً .

« سيدى الصديق النبيل :

« ذلك حديث القلوب وقد ملأتها بالإعجاب والإجلال ، فعفواً إذا أطلت فأملت ؛ وإن آخر نجواها دعاء التوفيق لك ، ورسالة الإخلاص لأمتك . فاحمل ، يارسول الشعور ، أطيب أمانى القلوب إلى القلوب » .

وقد أبحر من الإسكندرية يوم ٣٠ يونيو بعد أن أقامت له جمعية الشبان المسلمين بها حفلة ، وكرمته الجالية المغربية بها كذلك .

وقد كتب إلى بعد سفره رسالة بتاريخ ٢١ اكتوبر سنة ١٩٣٧ جاء فيها :

« أكتب إليك وكلى شوق لاهب ، وكيف لا أكون كذلك وقد فارقت صديقاً أحبه ، وأخاً أحن إليه ، وعالماً أغترف من بحره ؟ كل أولئك ألفيتهم فى صديقي وأخى وأستاذى أحمد شفيق باشا . وإنى لواجد على فراقه . وأى وجد أشق على نفسى من الفراغ الذى وجدته بعد بعده وهو لا يملأ بغيره ؟

« فمن لى بعدك يا شفيق بمن يسرى عنى ويحدب على ، ويملأ قلبى ارتياحاً ؛ وقد داهمتنى الزعازع من مهابها ، وأحدقت بى النكباء من كل جانب ، وفقدت الراحة التى أمتعتنى بها مصر فى جوارك وليتها دامت . فقد كانت أهنأ للنفس من وجودى فى وطنى بين الأهل والعشير ؛ وكأنى وأنا بينهم فى أتون مستعر يحرق الضمير لا الأديم . فلعلك تسأل لأخيك الفرج القريب مما يعانيه وهو كثير وكثير لا يطاق . فقد شغلتنى أحداث السياسة عن أصدقائى جميعاً وعن نفسى أيضاً بحيث صرفتنى عما يهمنى بك ، وعن كل شىء أحبه ، ودفعتنى رغم إبائى إلى الدخول فى حرب ضروس ظاهرها ضد الخارجين على الأمة وباطنها ضد الاستعمار الذى جندهم ضدى وصمد بهم لقتالى وكانت الأمة تحسبهم قبل عودتى من شيعتى وأعوانى ؛ وليس من الهين على امرئ أن يكافح من يعدهم شيعة له وأعواناً . فقد خدعوا العامة بانتمائهم إلىّ ؛ وتآمروا مع السلطة على ؛ وأشهروا حرباً باغية على الفئة الموالية الباقية على عهدى ، ونفروا منها الدهماء فنفروا معهم ، وهم لا يشعرون بما يضمر لهم من مكايد . ولم تنقض أيام المهرجان حتى بدا لى الشر عن نواجذه ، ورأيت الجريمة عارية بادية ترتاع منها السرائر ؛ فغضبت للحق الضائع غضبة مضرية ، وأسرعت لخنق الشر فى مهده . ولو أغضيت لترعرعت الجريمة وانتظمت بلادنا فى عقد الممتلكات الفرنساوية ؛ ومع ذلك قلت « آمن ولم أبلغ شاطىء النجاة » . ولعلك وقفت أخيراً على نبأ الحدث الذى رامت به فرنسا توحيد أقطار شمال إفريقية فى وزارة واحدة بعد سلخها عن الوزارات الأخرى بالرغم عما فى ذلك من نقض المعاهدات الصريحة الكافلة لذاتية بلاد الحمايات واستقلالها . واحتجاجاً على هذا المشروع المنافى للمعاهدات تقابلت يوم الجمعة ١٥ أكتوبر الجارى مع المقيم العام ، وتكلمنا فى الموضوع طويلا ؛ وأوضحت له خطورة هذا الحدث وإجماع الأمة التونسية على استنكاره وعزمها على مقاومته بكل ما أوتيت من جهد ، وفهمت من أقواله أن الحكومة الفرنساوية ما زالت مترددة فى الأمر ، ولم تبت فيه ، ولا يدرى أحد ما تخبيه لنا الأقدار سوى الله » .

فرددت عليه برسالة جاء فيها :

« صديقى العزيز : تحياتى الخالصة وشوقى الكثير ، وتمنياتى الطيبة لصحتك وتوفيقك فى جهادك الكريم . ولقد علمت من رسالتك الأخيرة نبأ الاضطرابات والاختلافات الثائرة فى تونس، وساءنى أن تدب الفرقة فى صفوف الوطنيين . وإن لى أملا فى حكمتك باعتبارك الرجل المجرب المحنك أن تتلافى هذه الخلافات بأى ثمن ، وأن تضحى من وقتك وراحتك أكثر مما ضحيت فى الماضى لتجمع الصفوف بعد تفريقها . وأنت القدير على ذلك إن شاء الله » .

تكريم زعماء الشرق فى مؤتمر فلسطين : فى يوم ٤ مايو سنة ١٩٣٩ دعوت زعماء الأقطار الشرقية فى مصر وبعض عظماء المصريين بعد عودة مندوبى البلاد الشرقية لمؤتمر فلسطين فى لندن . وقد ألقيت الكلمة التالية :



حفلة زعماء الشرق

شكر وإعجاب : « إن ضميرى يفيض بالشكر لكم على تفضلكم بإجابة دعوتى للاشتراك معى فى الترحيب بزعماء العرب ضيوف مصر الكرام .

« وشعورى يفيض بالإعجاب كذلك بالعمل العظيم الذى قاموا به فى سبيل قضية فلسطين الشقيقة ؛ وهو إعجاب يشاركنى فيه أبناء الشرق ، وستذكره لهم الأجيال القادمة ذكراً جميلا . وإنى أتوجه بالإعجاب الأكبر لأولئك الأبطال الخالدين فى فلسطين ، وخاصة زعيمهم الكبير السيد أمين الحسينى ، ذلك الرجل الشهم العظيم الذى يمدهم بروحه ويطهر عزيمتهم بطهارة قلبه ، فيضحون فى سبيل وطنهم بالأنفس والأموال » .

ذكريات : « وإن اجتماعنا اليوم ليثير فى نفسى بعض الذكريات ؛ فاسمحوا لى أن أرددها بينكم .

« منذ أكثر من عشر سنوات نبتت فى منزل صديقنا العزيز مهدى رفيع مشكى بك فكرة جمعية الرابطة الشرقية ؛ وكان الحاضرون من خيار الشرقيين والمصريين . وما ذاع نبأ الفكرة حتى انضم إليها الكثيرون ، واجتمعوا بسراى الخرنفش ، فانتخبنا السيد عبد الحميد البكرى رئيساً للجمعية ، ثم وضعنا لها قانوناً ورد فيه أن من بين أغراضها العمل على توثيق الروابط بين الأمم الشرقية بشتى الوسائل .

« ولقد جاهدنا فى تنفيذ هذه الأغراض ؛ ونالت الجمعية مكاناً محترماً لا فى الشرق وحده بل فى الغرب كذلك . ووصلت شهرتها إلى الهند وأمريكا حتى إن الرئيس ولسون لما سمع بها وعرف أغراضها أهدى إليها بعض رسائله المناسبة لترجمتها إلى العربية تقديراً للفكرة التى أنشئت من أجلها .

« ولكنى أذكر ، مع الأسف ، أن الجمعية لم تقو على الحياة الدائمة ، رغم مجهودنا المتواصل وعملنا بعقيدة ثابتة وإخلاص . ويرجع هذا لأسباب لا محل لذكرها .

« مع أننى فى إحدى حفلات الرابطة قمت منادياً الشرقيين عامة أن يعتنوا بها ويعلموا أن أملنا فيها أن تكون يوما ما نواة لعصبة أمم شرقية » .

تضامن الشعوب الشرقية العربية : « ولكن ما عجزت عنه الخطب والأحلام حققته الآلام والأيام . نعم فان جهاد فلسطين وآلامها وصبرها على ما يحيق بها من الكوارث هو الذى نبه فى نفوس العرب والشرقيين عامة كامن أحاسيسهم ، وأشعرهم بضرورة التضامن والاتحاد . والفضل فى هذا لأبطال فلسطين

الأباة . وعلى رأسهم الزعيم الكبير السيد محمد أمين الحسيني ، الذين ضحوا من الأرواح ما بهر العالم واستفز شعور الشعوب فأيدوا مطالب فلسطين .

« عندئذ أظهرت انجلترا ميلها للنظر في مطالبهم ، والبحث فى قضيتهم ، ودعت إلى مؤتمر حضره رؤساء الأمم الشرقية ، فدخلوه وخرجوا منه جبهة متحدة ، وهذا وحده نصر عظيم ، وفأل طيب ، وضمانة للحصول على حقوقهم فى القريب . وإذا كان المؤتمر لم يصل إلى الغاية فالمباحثات التى دارت فى القاهرة تبشر بالنجاح إن شاء الله .

« وفى هذا الموقف يجب أن نسجل للعاملين فى قضية فلسطين جهودهم المباركة ، فنذكر لحضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا سابق اهتمامه بهذه القضية من سنوات عدة . وأبرز عمل يذكر لسعادته هو المؤتمر البرلمانى الذى عقد فى العام الماضى ، كما نذكر لأعضاء الوفود العربية والوفد المصرى فى مؤتمر لندن حسن بلائهم ومهارتهم العائقة فى خدمة القضية ؛ ولصاحب المقام الرفيع رئيس الحكومة صادق عنايته بها فى القاهرة وبجهوده الموفق فى تذليل العقبات . ثم يجب أن نتوجه بالدعاء والشكر لحضرات أصحاب الجلالة ملوك المسلمين الذين كان لهم الفضل الأول فى نجاح هذه المسألة ؛ ونخص بالذكر منهم الملك فاروق الأول الذى رعى القضية بعنايته وأمدها برئيس حكومته وديوانه .

« جعل الله هذا خاتمة لآلام فلسطين المجاهدة الصابرة ، وبشيراً باجتماع أمم الشرق وتضامنها ، وتحقيقاً للأحلام فى وجود عصبة الأمم الشرقية إن شاء الله » .

وبعد انتهائى من هذه الكلمة وقف سعادة الأستاذ الكبير شكيب أرسلان وألقى الكلمة الآتية :

كلمة الأمير شكيب أرسلان : « إنا نشكر لسعادة أحمد شفيق باشا حفاوته الكريمة بزعماء العرب الذين هم اليوم ضيوف القاهرة ولا سيما إخواننا الفلسطينيين ، الذين أصابهم الدهر بما لم يصب به أحداً ؛ فلا عجب أن تظهر فى حقهم عواطف شهم نبيل مثل احمد شفيق باشا الذى لا تفوته مكرمة ولا حركة وطنية .

« لقد عرفنا أحمد شفيق باشا عالماً فاضلا كاتباً بليغاً ، أنفق الجانب الأعظم من حياته على خدمة مصر من الوجهة العلمية ؛ وحرر لأبناء وطنه مذكرات لو لم يحررها هو لبقي تاريخ مصر فى الحقبة الأخيرة غامضاً أو ناقصاً . فمذكرات احمد شفيق باشا هى التى سدت هذا العوز الملح من تاريخ الديار المصرية . إن التاريخ يحتاج إلى الجزئيات احتياجه إلى الكليات ؛ ويفتقر إلى الخصوصيات افتقاره إلى العموميات . وقد يكون احتياجه إلى التفاصيل أشد لأنه لا يجدها إلا فى الكتب النادرة ، بخلاف الحوادث التى يستوى فى معرفتها الخاص والعام ، فهذه يجدها القارئ فى كل تاريخ تقريباً ؛ ولهذا كانت « مذكراتى فى نصف قرن » بقلم الحاج أحمد شفيق باشا هى من النوع النادر الذى لا يوجد مثله ، وهو مما

يحقق التاريخ العام ويبرزه فى شكل واضح ، ويقربه إلى الأفهام ؛ ولا يخفى أن كل حادثة شهيرة لا تخلو من أن تنطوى فى أحنائها على حوادث جزئية غير معلومة لدى الجمهور الذى طالما يتوق إلى معرفة الكيف ، ولا يظفر به ؛ فهذه الثغرة فى تاريخ مصر الحديث قد سدها أحمد شفيق باشا بمذكراته ، ولولاه لبقيت عورة ؛ والله على مانقول شهيد . وليست مزية أحمد شفيق باشا مقصورة على النظر والبحث والتحرير والتحبير ، بل هو فى خدمة الأوطان الشرقية رجل عملى يجاهد بمساعيه وآرائه ، ويعلم أن غاية التحرير هى التحرير ، وأن كل ما يقوم به الشرقيون من المهمات العلمية والأدبية والصناعية والزراعية والسياسية إنما هو وسائل لتحرير رقبة الشرق ، وتحطيم ما عليها من الأغلال ؛ فلذلك نجد أحمد شفيق باشا من أشهر الأعضاء العاملين لجمعية الرابطة الشرقية التى قامت بمهمتها الوطنية خير قيام مدة طويلة ؛ وكأنما جاءت إرهاصاً بين يدى الجامعة العربية التى تحققت فعلا فيما بعد ، وبرزت أجلى ما كانت ، وعلى رأسها مصر فى المؤتمر الفلسطينى الأخير فى لندرة .



الأمير شكيب أرسلان

« هذه الأمور التى من عشرين سنة بل عشر سنوات كانت تعد من باب الأحلام ، وكان الذين يعدون أنفسهم عقلاء يأنفون من أن يضيعوا وقتهم بها ، قد صارت الآن حقائق كلية وواقعات ملموسة لا يقدر أحد أن يكابر فيها . وإن كان قد تأخر تحققها إلى الآن فما ذاك إلا للاستخذاء الذى أصاب الشرقيين فى نفوسهم ، وللبأس الذى ران على قلوبهم ، إلى أن ظنوا أنفسهم لا شىء ، وظنوا الأمم الغربية كل شىء ، وبلغ من اعتقادهم الخمول بذواتهم أن أناساً كثيرين ممن لا يزال راسخاً فيهم هذا الخيال القديم استغربوا كيف أن انكلترا دعت الدول العربية إلى الاجتماع فى لندرة ، كأنما يقولون : ما الذى يحمل هذه الدولة

العظمى أن تدعو لمساعدتها على حل القضية الفلسطينية دويلات ليست فى العير ولا النفير ؛ ولا هى ببالغة خيراً إذا أحبت ولا شراً إذا أبغضت ! ولعمرى ما يمكن أن يكون منها ، عدوة كانت أو صديقة ؟ إلى هذا بلغ احتقارنا لأنفسنا ؛ وإذا فقد الإنسان ثقته بنفسه وبقومه فلا يعلم أحد إلى أين يصل به ذلك . فقد عودتنا الحوادث أن نرى أبناء وطننا يعللون ثورات كثيرة واقعة من الشرقيين على الدول المستعمرة بأنها فى الباطن هى من صنع الدول المستعمرة نفسها ، ومن نسج أيديها لمآرب لا نعلمها نحن ! وذلك لأنهم من سوء ظنهم بأنفسهم أصبحوا لا يقدرون أن يتصوروا إمكان وقوف شرقى فى وجه غربى مهما كان الشرقى مظلوماً وكان حقه صريحاً .

« ومن الغريب أن هذه الفئة اليائسة المتشائمة من الشرقيين تعمى عن أن أمة صغيرة عربية كالأمة الفلسطينية لا يبلغ عددها مليون نسمة ، وليس بين أيديها سلاح تقريباً وهى محصورة من كل الجهات ، قد وقفت فى وجه أعظم دولة على وجه الأرض ، ولا تزال واقفة وقد مضى عليها ثلاث سنين ، وهى تناجز القتال قوة عسكرية مؤلفة من أربعين ألف جندى ولم تفتر عزيمتها عن النضال . فما ظنك لو كانت هذه الأمة الصغيرة قد تلقت من أبناء جلدتها الإعانات اللازمة بالمال والرجال ، وكان العتاد لها ميسورا ؟ لا جرم أنه لم يكن لانكلترة مناص حينئذ من قبول جميع مطالبها غير منقوصة . ولهذا نقدر أن نقول أن قلة ثقة العرب بأنفسهم هى أيضاً السبب فيما نراه من تردد انكلترة من إجابتهم إلى كثير من مطالبهم ، ولو كانت انكلترة حلمت فى المنام أن العرب يقاومونها بالسلاح دفاعاً عن فلسطين لما حدثتها نفسها طرفة عين بوعد بالفور الذى لم تقم به لليهود إلا على أثر ما عجمته فى الماضى من عود العرب ، فكانت تحس منهم قوما معتقدين أنهم لا يقدرون على شىء . ومن اعتقد يقيناً أنه لا يقدر على شىء ، فلن يقدر على شىء . ونحن الشرقيين لا نقدر أن نحرر بلادنا من تسلط الأوربيين إلا من الساعة التى نعتقد فيها أننا نحن رجال وهم رجال . ولو تأملنا بعض الشىء فى أساليبهم السياسية وضروب الدعاية الكاذبة التى يتسلحون بها ، وفى تمويهاتهم المضحكة أحياناً ، لعلمنا أنهم أضعف مما نتصور بكثير . وليس الكذب إلا سلاح من شعر بعجزه عن الجهر بالحق . وكيف كانت الحال فقد آن لنا أن ننتهى من هذا المرض الذى معناه أنه لا بد لنا من الخضوع للأوربى شئنا أم أبينا . فالأمة العربية التى يطلق اسمها على ستين إلى سبعين مليون نسمة بين آسية وإفريقية

والتى لها ذلك الماضى العظيم لا يقال إنها أمة ضعيفة ، ولا أنه يجب أن تخنع لمن استباح حماها ؟ بل لا يلزم لها سوى وحدة الكلمة حتى تعلو هذه الكلمة ويصان هذا الحمى . لقد كانت أمثولة فلسطين كافية لمن يريد أن يعلم كون الوحدة العربية وعلى رأسها مصر هى مشروع ممكن ، بل مشروع ضرورى لمستقبل الشرق ، وأنه لا يعوزه إلا الإيمان به . ونحن العرب من قاص ودان لا نأنف ولا ينبغى أن نأنف من أن نجعل مصر قبلتنا السياسية ، وأن ننضم من حولها ، لأن الذى تقدر عليه مصر لا يقدر عليه قطر عربى آخر . والذى لمصر من الميزة الخاصة بها لا يخفى على أحد . قد كانت مصر أم المدنية فى المعمور كله . ومن مصر بدأ اقتباس اليونانيين لأنوار المعارف وعنهم أخذها الأوربيون . آثار مصر الجبارة ماثلة للعيان تتحدى كل ما على وجه البسيطة من آثار . ولما ظهر الإسلام كانت مصر كنانة الله فى أرض الإسلام ، فلها فى هذا العهد أيضاً آثار هى من جملة آياته . وما كانت مصر كرسياً مستقلا إلا ظهر تفوقها وبهر تقدمها ، وذلك بأهمية موقعها الجغرافى بين آسية وإفريقية ، وخصب واديها المقدس وحب أهلها لوطنهم . والأمة العربية تحف بمصر من كل الجهات ، فهى ترى فى مصر مركزاً معتصما ، كما أن مصر ترى فى الأقطار العربية أركاناً تقدر أن تتوكأ عليها من كل جانب ، وأعضاداً لا يمكن أن يفت فى الواحد منها فكيف بها وهى عصبة ؟ وفى مصر ملتقى المدنيتين الحديثة والقديمة على الوجه الكامل ، ومجتمع الحضارتين الشرقية والغربية لا تعوق اجتماعها الفواصل . وليقل القائل ما شاء فى أسلوب تعليم الأزهر فيما مضى ، فالأزهر هو العامل الأعظم فى وحدة الثقافة العربية وصيانة الشريعة الإسلامية . فاللغة والشريعة وجدتا من الأزهر موئلا لم يستطع أن يقوم به بلد غير مصر . وإلى هذه الساعة مصر تنفق على الأزهر ٤٦٠ ألف جنيه تدر من أوقاف الجامع ، وأما الباقى فتقوم به رأساً الأمة المصرية الكريمة ؛ تنفق على خدمة الشريعة الإسلامية والثقافة العربية هذا المبلغ الكبير فى الأزهر وحده فضلا على سائر المعاهد العلمية وسائر مواطن الانفاق ، وليس فى العالم العربى ولا العالم الإسلامى كله مملكة تستطيع ما تستطيعه مصر فى هذه السبيل . فهذان العالمان مدينان لمصر بكثير من مقوماتهما ومشخصاتهما ، وحقيقان بأن يعضدا مصر بكل ما أوتيا من قوة فى كل موقف سياسى وعسكرى ؛ فنحن نشكر مصر وحكومتها على ما قامتا به من عضد شقيقتها فلسطين إلا أننا نحب أن يعلم إخواننا المصريون أن مصر تقدر أن تعتمد فى الذود عن حوضها لا على السبعة عشر مليون مصرى والستة الملايين سودانى فحسب ؛ بل على الأمة العربية

جمعاء حيث وجدت ؛ وهى جديرة بأن تجد من كل قطر عربى رداً لها إذا انتدبته مصر لنصرتها خف لذلك رجالها خفافاً وثقالا ، ولا يؤودهم ذلك لأن مصر هي للأمة العربية كيانها مرتبط بكيان مصر وكيان مصر مرتبط بالأمة العربية الكبيرة . ولقد وفق الله مصر إلى مزايا كثيرة جعلت لها هذه المكانة الممتازة ؛ وكان من أجلها وأجلها فى هذا العصر أنها تزينت بملك صالح مستوف لشروط الملك ، تخفق حوله قلوب جميع المصريين بل جميع الشرقيين . فلا عجب إذا كنا نهتف دائماً من صميم الأفئدة : ليحى فاروق الأول ... آمين ! » .

تكريم رجال الجامعة الأمريكية بالقاهرة : فى يوم ٨ يونيو سنة ١٩٣٩ دعوت رجال الجامعة المصرية الأمريكية بمصر وعقيلاتهم لتناول الشاى بروضتى ؛ وحضر معهم من كبار المصريين النبيل سليمان داود ، والأستاذان مصطفى بك عبد الرازق وعلى عبد الرازق وغيرهم. وقد ألقيت الكلمة الآتية :

« أشكر لكم تفضلكم بإجابة دعوتى والاشتراك معى اليوم فى تكريم رجال الجامعة الأمريكية الحاضرين معنا .



حفلة رجال الجامعة الأمريكية

« إخوانى : لما تولى المصريون إدارة شئون البلاد قام بعض الأجانب المسيطرين وزعموا أن المصريين ليس فى مقدورهم أن يحسنوا هـذه الإدارة ، وضربوا مثلا بمصلحة السكة الحديدية التى تتطلب مقداراً من الكفاية والخبرة وحسن التصريف . على أن الزمن كان كفيلا بأن يثبت بطلان هذا الزعم ، فان من تولوا إدارة هذه المصلحة من المصريين قد أحسنوا تنظيمها وأدخلوا عليهـا منشآت مبتكرة لم يسبق للمديرين الأجانب أن فكروا فيها ، ولهذه المناسبة أرسلت لأحد هؤلاء المصريين خطاباً هنأته فيه بمجهوداته وأثنيت على حسن الإدارة المصرية وتوفيقها ، وذلك تشجيعاً له ولأمثاله . وكذلك كان الحال مع من تولوا إدارة المصالح الأخرى من المصريين الممتازين .

« وكما أننى أثبت هنا كفاية المصريين للعمل فى شئون بلادهم فانى أذكر بالخير صدق الكثيرين من الأجانب ممن تقدموا لخدمة مصر . من هؤلاء الأجانب من خدموا التعليم ومعاهده ؛ وفى مقدمتهم رجال الجامعة الأمريكية الذين أقاموا أنفسهم على تربية الناشئين من مصريين وأجانب ، وتحبيبهم فى الحياة الصالحة الصادقة ؛ فلهؤلاء ولأمثالهم منا جزيل الشكر والثناء .

« وإننى أقول بكل سرور إننى تتبعت خطوات تقدم الجامعة الأمريكية التى تمتاز فى تعليمها بتمرين الناشئين على الاعتماد على النفس وعلى حسن الخلق . وخير للناشئ عندى أن يمتاز بحسن الخلق من أن يتفوق فى العلم إذا كان يخلو من خلق .

« ويسرنى فى الختام أن أظهر إعجابى بما تبذله الجامعة الأمريكية من الجهود الجبارة لخير الانسانية ولخير بلادنا .

« ولرجال الجامعة أطيب الحمد والشكر الذى يشاركنى فيه من غير شك أبناء وطنى ، ولهم صادق التهانى على نجاح مهمتهم الانسانية الجليلة » .

وبعد انتهائى من هذه الكلمة وقف الدكتور شارل وطسون العميد وألقى كلمة طويلة ضمنها الشكر على الدعوة ، وذكر الروابط الثقافية بين أمريكا ومصر ، ونوه بمعاونة بعض كبار المصريين للجامعة الأمريكية .

وبعد أسبوع وردت لى منه الرسالة الآتية :

« حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا بشبرا

« عزيزى الباشا :

« إننى أكتب هذا بصفة شخصية لأخبركم كيف أننا أنا والسيدة وطسون سررنا من حفلة الشاى الأنيقة التى دعوتمونا إليها فى الأسبوع الماضى .

«ثم إننى أكتب بصفتى عميداً للكلية الأمريكية لأعبر لكم عن عظيم تقديرى وجزيل شكرى لما تظهرونه من الاهتمام بما نقوم به من الخدمات النافعة لمصر ؛ فإن مثل هذا الاهتمام من قبلكم يعد شهادة حسنة لنا ، ولا بد أن يكثر لنا من الأصدقاء الجدد . وكما سبق لى أن قلت فى ردى على كلمة الترحيب التى وجهتموها إلينا : إن الخدمات النافعة التى نؤديها إلى مصر لم تبلغ هذه الدرجة إلا باشتراك المصريين معنا وحسن مساعدتهم لنا .

« واسمحوا لى أن أكرر شكرى لمعروفكم المألوف وكرمكم المعروف .

«وإنى أرجو من الله سبحانة وتعالى أن يمن عليكم بالصحة والهناء والرغد والصفاء »

المخلص

شارل وطسون

* * *

تأبين على بك بهجت : حفل تياترو حديقة الأزبكية بعد ظهر يوم ١٠ مايو سنة ١٩٢٤ بجمهور غفير من العلماء والفضلاء والأدباء يتقدمهم حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون*[1] رئيس الحفلة ، وأصحاب الدولة والمعالى سعد زغلول باشا (المرحوم) ومحمد سعيد باشا (المرحوم) ومحمد نجيب الغرابلى باشا ، وحافظ حسن باشا ، والأستاذ الشيخ محمد شاكر (المرحوم) والدكتور محجوب ثابت ، وعبد الرحمن فهمى بك ، لحضور حفلة تأبين المرحوم على بهجت بك . وقد أبن الفقيد الدكتور زكى الساعى ، ومرقص سميكه باشا ، فالدكتور عبد الغفار الساعى ، فالأستاذ منصور فهمى بك ، وأحمد شوقى بك ، فالأستاذ توفيق اسكاروس ، فالأستاذ أحمد زكى باشا ؛ وكاتب هذه السطور ، وقد ألقيت الكلمة التالية :

« أيها السادة :

« ليس شىء فى العالم آلم للنفس وأشد وقعاً عليها من وقوف الصديق يرثى صديقاً له غيبه التراب ، وأن يعدد محاسنه ومحامده فى نظام من القول . فإن الموقف رهيب تساور النفس فيه الهموم ، فيعجز اللسان عن البيان . ذلك موقفى فيكم فى هذه الحفلة التى أقيمت لتأبين فقيدنا الراحل على بك بهجت . وقد كانت صداقتى له صداقة متينة صقلتها الأيام والليالى ؛ فإننى أعرفه منذ نيف وثلاثين سنة ؛ وأتيحت لى الفرص فى الوقوف على شىء كثير من مواهبه — عرفته لأول مرة رحمه فى سنة ١٨٩١ ، وكنت إذ ذاك كاتم أسرار نيجران باشا ناظر الخارجية ؛ وكان على بك بهجت يلقى عليه دروساً فى اللغة العربية ، فرأيت

---

١٠ الحوليات ؟ م . ج ٢ ؟ ق م . ح ٣

فيه من حميد الصفات ما جذبنى إلى مودته وصداقته ؛ ثم تمكنت أواصر الصداقة عند ما كنت على رأس وزارة الأوقاف ووكيلا للجامعة المصرية ، لأننى وجدت فيه رجلا عالماً محباً لوطنه ، عاملا على إعلاء شأنه بجميع الوسائل، سواء فى داخل القطر أو خارجه ، فوق ما كان متحلياً به من الصفات السامية ، مع التواضع والرزانة ، وهى صفات قل أن تجتمع فى كثير من الشخصيات . كان على بك بهجت فى ذلك الوقت وكيلا لدار الآثار وكان يجد فى ترتيب تحفها على الأصول الجديدة المتبعة فى أوروبا ؛ وكان رئيسه المشرف على هذا العمل المأسوف عليه هرنس باشا رئيس مهندسى لجنة حفظ الآثار ، فلما أنس فى فقيدنا النشاط والكفاءة ترك له عنان العمل ؛ فقام به حق القيام ؛ وبعد أن أتم على بهجت بك ترتيب دار الآثار فكر فى ضمن ما فكر فيه من المباحث الأثرية التاريخية فى استكشاف آثار الفسطاط ، وهى أول مدينة عربية بنيت بعد الفتح الإسلامى لمصر .

« وها أستسمح حضراتكم أيها الأخوان فى أن أحدثكم عن هذا الاستكشاف الجليل وعما صادف المرحوم من المصاعب التى تغلب عليها باجتهاده وإقدامه . لم يبق من آثار مدينة العرب القديمة إلا بعض تلال محيطة بالقاهرة كان يعهد بأمرها تارة إلى مصلحة الآثار المصرية ، وطوراً إلى لجنة حفظ الآثار العربية . وقد قامت هذه اللجنة بمساعى المرحوم على بك بهجت ببعض أعمال الحفر فى هذه التلال على سبيل التجربة، ولما ثبت لها ما يبشر بوجود آثار مهمة فيها طلب منى الفقيد بصفتى رئيساً للجنة حفظ الآثار العربية المساعدة فى استرداد هذه التلال ، فتم ذلك بعد مخابرة مصلحة الآثار المصرية ووضعت تلك التلال فى عهدته .

« كانت هذه التلال فى حالة يرثى لها فانها أصبحت محلا لاستخراج الحجر ونقل الأسمدة من تربتها . بل تناول التصرف أراضى واسعة منها بيعت للشركات والأفراد . نعم إن الحكومة حفظت لنفسها فى عقد البيع حق الاحتفاظ بكل ما يعثر عليه من التحف الأثرية إلا أنها لم تجد شيئاً من وراء ذلك ؛ مع أن حوانيت باعة الآثار كانت تمتلىء مما يلتقط من هذه التلال ؛ وأخذت متاحف أوروبا وأمريكا تنشىء أقساماً للآثار العربية . أما دار الآثار العربية بالقاهرة فانها بقيت محرومة من ذلك ، فلم يدخلها إلا بعض قطع قليلة وهذا ما أثار الغضب والأسف عند فقيدنا العزيز .

« واتسع التصرف فى هذه التلال فخصل المقاولون على ترخيص بادارة محاجر فى جهاتها

وأجيز التقاط الآجر منها واستخراج السماد ، وسمح لمصلحة التنظيم بأخذ الأتربة اللازمة لردم مواقع من جزيرة الروضة ، فكاد ذلك يقضى على البقية الباقية من الأطلال .

« هذه هى الحالة قبل سنة ١٩١٢ وفيها دبر المرحوم على بك بهجت حملته الشريفة التى انتهت بحفظ ما بقى من آثار مدينة الفسطاط والكشف عنها ؛ وقد عاونته بكل ما فى وسعى للوصول إلى غرضه الشريف . ولقد كانت حاجته إلى المعونة والمؤازرة فى هذا السبيل عظيمة ، لأن مصالح الحكومة كانت تعرقل مساعيه ، فمصلحة الصحة تأبى إلا إلقاء القاذورات فى تلك الجهة الأثرية ، ومصلحة المناجم كانت الآمرة باستخراج الأحجار ، ومصلحة الأملاك هى التى منحت حقوقا لبعض الشركات والأفراد . أما مصلحة التنظيم فإنها كانت لاتعبأ بالآثار بل تقف حجر عثرة فى سبيل الحفر . تلك هى الصعوبات التى واجهت المرحوم على بك بهجت فى عمله الكبير ، ولكنه تغلب عليها بإقدامه وطول أناته وعزمه ، فإذا اعترضت سبيله عقبة عالجها بكل الطرق مدفوعا بشغفه العظيم وتعلقه بآثار بلاده وتاريخها . ومدفوعا كذلك بحماسة وطنية كبيرة يبرهن عليها أنه كان لايفوته موقف من المواقف فى الأقطار الأجنبية ، ولا مؤتمر من المؤتمرات إلا سعى فيه بما يعلى شأن مصر ويشيد بذكرها . وهنا أذكر كلمة عما تم فى الفسطاط حتى وفاة الأستاذ على بك بهجت فقد عملت الخرائط المبينة للجزء المكتشف ، ووضع الفقيد كتاباً عن أعمال الحفر فى هذه المدينة القديمة أتى فيه على حال العمارة فى تلك الأزمان ومشتملات المساكن ونظامها . وفى سنة ١٩٢٤ عثر على منطقة صناعية بحتة ؛ والعمل الآن سائر نحو استكشاف منطقة يظن أنها مصر كافور الأخشيدى .

«وقد أخبرنى الفقيد قبيل وفاته بأن الذى اشتغل معه فى كل ذلك ؛ وكان ساعده الأيمن هو حضرة محمود افندى احمد المهندس البارع بلجنة حفظ الآثار ؛ وقد تمنى لو خلفه فى هذا العمل الجليل . أما مثابرته على العمل وجده فيه لما كان فى مجلس إدارة الجامعة المصرية ، فأشهد الله أنه ما تخلف عن جلسة من جلساته إلا لمرض . وكان أشد الناس حرصاً على موعد العمل ، وهو أمر لا يهتم له الكثيرون من رجالنا ، ولا سيما إذا كان العمل خالياً من الفائدة المادية . وقد شاهدته فى كل مناقشاته مثالا للرزانة والتعقل ، فلا يتكلم إلا حيث يحسن الكلام فى هدوء ووقار .

« تلك هى الصفات التى عرفتها فى فقيدنا ، وأنتم تعرفون بلا شك الكثير من أمثالها »

وكلها تدل على ما كان لهذا الفقيد من الصفات التى جعلته من عظماء مصر ، بل من عظماء العالم فى فنه .

«فرحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بجليل آثاره » .

وبعد انتهاء الخطب ألقى الدكتور زكى الساعى كلمة شكر فيها سمو الأمير عمر طوسون على تفضله برآسة الحفلة ، والحاضرين على تلبيتهم الدعوة ، والخطباء على مراثيهم . وعلى أثر ذلك انفرط عقد الاحتفال .

على قبر مدام بشاره تقلا : فى يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٤ انتقلت إلى رحمة الله فقيدة « الأهرام » العزيزة المرحومة مدام بشاره تقلا باشا . وقد سار فى جنازتها علية القوم وأهل الفضل والنبل ؛ وذوو المناصب الرفيعة من وزراء ووكلاء وزارات وشيوخ ونواب وكبار موظفين وعلماء وأدباء وغيرهم . وقد صلى على الفقيدة فى كتدرائية الروم الكاثوليك بالفجالة ؛ وقبل انصراف المشيعين تقدمت وودعت الراحلة بكلمة جاء فيها :

« فى ذمة الله أيتها الراحلة العظيمة بما قدمت فى حياتك وما تركت من أثر بعد مماتك . فى ذمة الله تلك النفس الطاهرة الشريفة التى ودعت هذه الدنيا فلم تترك غير الأسى يملأ القلوب .

« كانت حياتك أيتها السيدة مثلا عالياً يضرب لنساء هذا الزمن ورجاله . ألم تقطعى العمر فى العمل المتواصل لما فيه خير الشرق عامة وخير هذه البلاد خاصة ؟ ولن ينسى المصريون هذه الخدمات الجليلة . تعهدت جريدة الأهرام بعد وفاة زوجك طيب الذكر فتقدمت على يديك إلى أن صارت فى طليعة صحف الشرق ، وعنواناً للنهضة الشرقية العربية ؛ وقد تركت عملك هذا قائماً ناميا واستودعته خير من يحفظ الأمانة .

«أنى لى أن أحصى فضائلك العديدة فى هذا الموقف الرهيب . البر والتقوى كانا من أخص شعائرك . الوفاء للأصدقاء ألف القلوب حولك — فكيف لا أبكيك بكل جوارحى أيتها الصديقة الوفية ؟ وكيف لا أذكرك بالخير ما دمت حيا ؟ وأنى يكون لى العزاء على فقدك لولا وجود نجلك هذا ؛ مد الله فى حياته فقد صار رجلا ممتازاً كاملا حقا ؛ وإنه وريث صفاتك ووريث ما كنت أشعر به من صداقة نحوك .

«والآن استودعك الله أيتها الراحلة الكريمة ، فقد قمت بواجبك فى هذه الدنيا خير قيام ، وأرضيت الخالق والمخلوق — فطيبى نفسا .

« يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

وفاة اسماعيل أباظه وتأبينه : فى مساء يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٢٧ كنا فى دار الرابطة لسماع الجزء الثانى من محاضرتى عن قناة السويس ؛ وقد ورد ذكره فيها بمناسبة مشروع مد أجل القناة وموقفه المشرف منه . فسمعنا من يقول « رحمة الله عليه » ، فعلمنا أن الله اختاره لجواره ؛ وأوقفت الجلسة حداداً .

وفى يوم ٢٤ شيعت جنازته فى مشهد رهيب ، يتقدمه مندوب جلالة الملك وسعد باشا والوزراء والعلماء والأعيان ، وكان الحشد عظيما جداً .

تصريحات للخديو عنه : وبعد أيام من ذلك نشرت جريدة كوكب الشرق تحت عنوان « تصريحات الخديو حول وفاة أباظه باشا » ما يأتى :

« علمت بموت أباظه باشا ؛ ووقفت على الجدال الذى ثار حول ذكريات ذلك الخادم المخلص لمصر . كان موت ذلك الرجل السياسى ، الذى خبرت أثناء حكمى أمانته وقدرت له إخلاصه ، سبباً لحزنى الشديد . وإنى أعرب عن ذلك الحزن لأسرته .

« إنه من أكبر العيون فى مصر . كان ممن عملوا ليصلوا الماضى بالمستقبل ، ويهيئوا فرصة لترقية البلاد للمستوى اللائق بها . رأيته على رأس المعارضة فى الجمعية التشريعية فكان أهم عنصر سياسى إذ ذاك .

« امتاز بذكاء حاد تمازجه مهارة وحذق وخبرة بالشئون الهامة » .

ثم ذكر الخديو بعد ذلك تصريحات عن رشدى باشا (وسيرد ذكرها وما يتصل بها فى فصل خاص) .

تأبينه : وقد حدد يوم ١٥ ابريل لإقامة حفلة تأبين للفقيد فى الأوبرا . وفى صباحه حضر عندى أمين بك واصف سكرتير لجنة التأبين وعبد الحميد أباظه بك نجل الفقيد ، فعلمت منهما أنه توجد نقطة خلاف بين الكلمة التى سألقيها وكلمة أمين بك عن نشأة المرحوم . فهو يذكر أنه تخرج فى مدرسة الإدارة وهى مدرسة عالية ، بينما أقرر أنا أنه لم يتعلم تعليما عالياً ، فغيرت ما جاء بكلمتى عن ذلك .

وفى الساعة الرابعة ازدحمت قاعة الأوبرا بوفود الوزراء والنواب والأعيان والتجار والأدباء ، وفى مقدمتهم عدلى باشا ، وثروت باشا ، وعلى ماهر باشا ، وعثمان محرم باشا ، ومحمد نجيب الغرابلى باشا ، وعلى الشمسى باشا ، ويحيى ابراهيم باشا ، ويوسف سليمان باشا ، وتوفيق رفعت باشا ، وطلعت حرب بك (باشا) ، ومصطفى ماهر باشا ، وجعفر والى باشا . وقد رأس الحفلة حسين رشدى باشا وألقى الكلمة الآتية :



عبد الحميد أباظه بك



عبد العزيز رضوان بك



أحمد رشدى بك المحامى



يوسف نحاس بك

كلمة رشدى باشا : « كدت إلا قليلا أن أحرم من شرف الترأس على هذه الحفلة ولكن الله سبحانه وتعالى منّ علىّ للمرة الثالثة بالعودة إلى الحياة . إن الفقيد كان أعز أصدقائى ، وكنت أقدره حق قدره للوطنية الصادقة ، ولذكائه المتوقد ، ولهمته العالية ولطيبته المتناهية . لذلك كله كان يعز علىّ افتتاح حفلة تأبين المرحوم .

وقد خطب فى الحفلة عبد العزيز رضوان بك ، وأمين واصف بك ، والشيخ مهدى أحمد خليل ، وداود بركات بك ، واحمد رشدى المحامى بك ، ونجيب هواويني ، والأستاذ خليل مطران ، ويوسف نحاس بالنيابة عن صاحب السمو السلطانى كمال الدين حسين رئيس الشرف ؛ وألقى الأستاذ فكرى أباظه المحامى قصيدة شوقى بك .

وألقيت الكلمة الآتية :

« سيداتى ، سادتى :

« كنا نحاضر فى مساء يوم ٢٣ يناير الماضى بدار الرابطة الشرقية عن تاريخ قناة السويس ، فساقتنا المحاضرة إلى ذكر ما كان للجمعية العمومية من رأى فى رفض مشروع إطالة أجل امتياز قناة السويس ، وما كان لاسماعيل أباظه فى ذلك من جهاد معروف ؛ ففاجأ القوم رجل من المستمعين بالدعوة بالرحمة حيث كانت روحه قد فاضت إلى بارئها . فاهتزت القاعة بضجيج الأسف ، وكان أثر هذا النعى فى الحاضرين عظيما . حيث تبدت أمام أنظارهم حياة عامرة بجلائل الأعمال ، انطفأ نورها وكان وهاجا ينير الدياجى الحالكة . فخشعت النفوس أمام روعة الموت ، وحزنت لجلال الخطب بفقد هذا الراحل العظيم . فوقفت الجلسة حداداً عليه ، فكان وقوفها ولما ينقل جثمانه الطاهر إلى مضجعه الأخير تأبيناً بليغاً . وتقديراً سبق كل تقدير ، فى الاعتراف بأن فقده لم يكن مصاباً لأسرته فقط ، بل كان مصاباً قومياً .

« نعم هو مصاب قومى إذا ذكرنا أن الرجال قليل ، وذكرنا أن اسماعيل أباظة باشا كان رجلا من هؤلاء الرجال الأقوياء الذين لهم أثرهم فى الحياة القومية المصرية وأثر الرجل نتيجة لشخصه . وشخصية الفقيد قد تبدو صعبة التحليل .

« وكم كنت أود لو أتيح لى أن أحللها أمام حضراتكم بسلسلة من وقائع تاريخية عاشها وعشتها معه ، لولا أن هذا الطواف يأخذ من وقتكم طويلا ، ويزيد فى ألمى على

هذا الصديق العزيز . شخصية الفقيد غنية بالآداب والفضائل ؛ وهى قائمة على ثلاث ظواهر بارزة : ذكاء فطرى ، وتجاريب واسعة ، وصراع متواصل . أما الذكاء الفطرى فيرجع إلى القاعدة المعروفة وهى أن العقل السليم فى الجسم السليم . ولقد كان رحمه الله متناسب الأعضاء ، جميل الطلعة بنظر حاد ، قوى البنية قوة موروثة من الأسرة الأباظية الكريمة المعروفة بصحة الأجسام وسلامة العقول .

« ويلوح لى أنه حفظ القرآن الكريم صغيراً ، ووعى شيئاً من تفسيره جعله كثيراً ما يذكر الآيات الشريفة ويفسرها تفسيراً ممزوجاً بشىء غير قليل من الذوق وسلامة الطبع والذكاء الفطرى . ولعل ذلك أيضا هو الذى جعله يمارس الكتابة بسهولة نادرة وأسلوب طلى هو دليل نفسه الحساسة وفكره المرتب ترتيباً موزوناً .

« اشتغل الفقيد لأول عهده بالمحاماة ، وهو أول فرد فى الأسرة الأباظية اشتغل بهذه المهنة . واختياره المحاماة مع ما كان له من المؤهلات لتولى المناصب الادارية العظيمة يدل على اتجاه ممتاز محمود فى شخصه ، وعلى أنه كان ذا مطامع وميول أدبية سامية .

« ومما لا مراء فيه هو أن المحاماة كانت خير ميدان لتمرين الفقيد ليكون خطيباً فى المسائل العامة . ولكنه لم يلبث فى المحاماة زماناً حتى انتقل إلى الصحافة . والصحافة من أوسع الميادين فى الحياة العامة مهما يكن مركزها ضعيفاً أيام تحريره جريدة الأهالى .

« ولقد كانت حياته الصحفية حافلة بآثاره الخالدة حيث كان رحمه الله يتناول المسائل الهامة بقلب ينبض بالوطنية ، وإحساس الخير العام لأبناء البلاد .

« انتقل بعد ذلك أكرم الله مثواه إلى ميدان الحياة النيابية فكان عضواً بمجلس شورى القوانين ، وفى الجمعية العمومية ، فبان مديراً برلمانياً جم الاقتدار .

« ولو كانت حياتنا النيابية فى أوروبا لكان إسماعيل أباظه باشا فى مصر يحاكى جيلوتى فى إيطاليا وكليمنصو فى فرنسا . فكلاهما من أهل القدرة في تدبير الأعمال البرلمانية ومن الخطباء المفوهين القادرين وأهل الصراع .

« حقاً إنه كان رجل صراع فى طبعه . ومن صفات أمثاله أن يعملوا على الدوام دون ملل او كلل ، وأن يكدوا الذهن بلا نصب ويواصلوا الليل بالنهار فى تدبير المعارك وتمهيد سبيل الفوز فيها . ففكرة الصراع تقود أعصابهم إلى الأمام وتدفع بهم إلى النضال فتخضع لهم عظائم الصعاب معاً . فاز أباظه باشا فى صراع عام وكان فوزه لمنفعة بلاده . ولاجدال في أن أعظم موقف من مواقفه هو صراعه العنيف الذي سحب فيه الجمعية العمومية وراءه لتقرير رفض مشروع امتداد الامتياز لشركة قناة السويس .

ولقد كان أباظه باشا مصارعاً ماهراً بذكائه الفطرى وحيله المستمدة من تجاربه الواسعة وخبرته بطباع الرجال وشئونهم ، وكان مع هذا موفقاً فى كثير من الأحيان توفيقاً يقوده إلى الفوز . فكان من الطبيعى أن يحقد عليه المهزومون ، ولو عدلوا لأنصفوه ، لأنه كان يصارع لحب الخير ، وكان يجادل للصالح العام ، صالح الوطن .

مثل هذا الرجل كان لابد أن يلفت إليه أنظار الخديو السابق الذي قربه منه وأنزله منزلة سامية ، وهى منزلة مستشار أو وزير غير رسمى ، فكان فعالا من وراء ستار ؛ فما كانت وزارة تتألف إلا استشير فى تأليفها ، ولا حادثة هامة عامة تقع إلا كان لرأيه أثر فى الحكم الذى ينتهي إليه أمير البلاد ، وكان فى نظارات بطرس باشا*١ ومحمد سعيد باشا*٢ ورئيسنا حسين رشدى باشا مسموع الكلمة لصوابها ، معدود الرأى لسداده » .

« ولقد كان أباظه باشا فوق ذلك يستبق الخير ويسارع إلى البر . ما قصده ذو حاجة إلا قضى له حاجته ، ولا لجأ إلى ساحته مكروب إلا كشف كربه .

« فوداعا أيها الصديق الراحل . وداعاً لا يخفف لوعتى فيك إلا شعورى بأن اسمك خالد على صفحات الزمان بأحرف من نور ، وأنك فى جنات خلد عند ربك الكريم » ،

رأى ثروت وعدلى فى كلمتى : وقد علمت فيما بعد ممن حضروا الحفلة أنهم استحسنوا هذه الكلمة . وقابلت بعد ذلك ثروت باشا فهنأنى على خطبتى فى تأبين اسماعيل أباظه باشا قائلا : إنها خطبة تاريخية ليس فيها جمل جوفاء لامعنى لها ؛ بل إنها سردت وقائع ، وشخصت الرجل تشخيصاً حقيقياً . وقال لى إنه لما سمع « إن المنهزمين أمام إسماعيل أباظه فى مواقفه النيابية كانوا يحقدون عليه ولو عدلوا لأنصفوه . . . ألخ » غمز عدلى باشا الذى كان بجانبه وقال له : « ها هو شفيق يغمز » . فأجبته إننى قلت ما قلته على وجه العموم ولم أقل شيئاً بصفة خاصة . قال : ولكن كان ظاهراً من عنيت « بالمهزومين » ثم قال : إن الفرق كبير بين إسماعيل أباظه وسعد ، فالأخير لا يتمالك نفسه إذا وجد من يجادله ويصارعه بعكس أباظه فإنه يتمالك شعوره .

---

١ م ج ١ ؟ ح ٢ ق ١ ؟ ح ٢ ق ٢

٢ م ج ٢ ق ٢ ؟ ج ٣

حفاوة الرابطة بضيوف مصر

الشاعر تاجور فى مصر . تكريم الدكتور مارتن هول . استقبال ملك الأفغان . سلطان حضرموت فى مصر . مأدبتى لضيوف نجديين فى الرابطة . تكريم السير رنسوم روس .

* * *

الشاعر تاجور فى مصر : حضر الشاعر الهندى العظيم تاجور[1] إلى مصر ، وقد دعاه شوقى بك لتناول الشاى يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٢٦ ، ولبى الدعوة سعد وعدلى وبعض الوزراء وأعضاء مجلس النواب وكثير من الصحفيين والأدباء والشعراء من المصريين والسوريين .

وكنت حاضراً الحفلة ، وفى نهايتها تقدمت إلى تاجور عن نفسى وعن الرابطة الشرقية ودعوته لتناول الشاى مع أعضاء الجمعية ، فرأى أن يأخذ بطاقتى ليخبرنى بما إذا كان وقته يسمح له بتلبية الدعوة ، لأن ذلك متوقف على قيام الباخرة .

وفى يوم ٣٠ منه توجهت مع السيد البكرى والسيد رشيد رضا وميرزا مهدى بك[2] والسيد التفتازانى إلى فندق شبرد حيث ينزل الشاعر الكبير ، وجددنا الدعوة إلى الشاى ، فان لم يتسع الوقت فلزيارة الرابطة ، وتركنا لموسيو سوارس رائده سجل زيارات الرابطة .

وفى المساء وردت لنا منه رسالة اعتذار لأنه فى تعب شديد مع الشكر للرابطة ، ورد السجل موقعاً عليه منه .

تكريم الدكتور مارتن هول وزير أمريكا المفوض : كان الدكتور مارتن هول من أصدقاء الشرق وبمناسبة قرب مغادرته لمصر مستقيلا من وظيفته قد أقمنا له حفلة شاى فى فناء دار الجمعية بشارع الدواوين يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٧ . ولكن مما يؤسف له

---

١ الحولية الثالثة ، م ج ٢ ق ٢ ، م ج ٣ .

٢ م ٠ ج ٣ .

أنه لم يحضر من الأعضاء إلا القليل منهم السيد عبد الحميد البكرى رئيس الجمعية ، وكاتب هذه السطور ، والأستاذ صالح جودت المحامى ، والأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور يعقوب صروف[1] من أصحاب المقطم ، والشيخ على سرور الزنكلونى ، والدكتور منصور فهمى بك ، والشيخ محمد الغنيمى التفتازانى ، والدكتور ماكلانهان مدير الجامعة الأمريكية ، وبعض الأمريكيين والأمريكيات ؛ وكان يهمنا أن يحضر أكبر عدد ممكن لإظهار الرابطة بمظهر لائق . وكنا قد طلبنا من المفوضية الأمريكية أسماء من يرغب الوزير فى دعوتهم من أصدقائه فأرسلته ، وهو يحوى أسماء ستين مدعواً وقد حضر منهم ومن الرابطة أربعون .

وبعد أن تناول المدعوون الشاى وأخذت صورة شمسية لهم تقدمت فألقيت بالفرنسية ما ترجمته :

« بإذن حضرة صاحب السماحة الرئيس أتقدم إلى حضراتكم سيداتى وسادتى لأعرب لكم عن شكر جمعية الرابطة الشرقية لتلبية دعوتها للاحتفال بصديق مصر جناب الدكتور مارتين هاول ، بمناسبة تركه المنصب فى مصر . إن الرابطة الشرقية التى تقدر إحساساته الطيبة حق قدرها نحو مصر والمصريين من يوم أن قدم أوراق اعتماده إلى جلالة الملك فى قصر عابدين ، وأظهر هذه الإحساسات فى خطابه الرسمى ، وجب عليها أن تقيم له هذه الحفلة العائلية ، وتعلن اعترافها بالجميل نحوه ، وتعرب لجنابه عن أسفها العظيم لمفارقته مصر ، لأنه فى مدة السنوات الستّ التى قضاها فينا قد خدم مصر والمصريين سواء كان فى المسائل الاقتصادية أو المسائل الاجتماعية . وإننا سنذكره بالخير رغم بعاده عنا ونفصح له عن تمنياتنا الخالصة » .

ثم قدمت السيد أحمد مراد البكرى نجل السيد البكرى فألقى كلمة باللغة الانجليزية ترحيباً بالمحتفل به ؛ وبعده قام الأستاذ صالح جودت السكرتير العام للرابطة الشرقية وألقى الكلمة الآتية :

« يا جناب الوزير ، يا حضرات السيدات ، ويا حضرات السادة :

« كما ارتفع صوتان للترحيب بضيفنا الكريم باللغتين الفرنسية والانكليزية يرتفع صوت اللغة العربية لتكريمه ، والاحتفاء به ، حتى تشترك معظم اللغات الشائعة فى العالم فى ذلك كما

اشترك فيه أعضاء هذه الجمعية الممثلة لشعوب وأمم الشرق المختلفة . وإن فى هذا الاشتراك معنى كانت أمريكا فى مقدمة الداعين إليه ، ألا وهو وجوب التضامن فى خدمة الفضيلة وتقديرها تحقيقاً لأسمى مبادىء الإنسانية بقطع النظر عن عوامل الخلف بين الناس ؛ وليس هذا بغريب على أمة تكونت من أقوام شتى مختلفى الأجناس والأديان ، فأصبحوا بفضل تضامنهم القومى أمة واحدة رافعة علم الانسانية الحرة عالياً بين الممالك . وإن فى مدارسها المنتشرة فى الشرق ، وفى علمائها المنقطعين لتربية الشبيبة فيه ، فضلا لاينكر على بلادنا . كما كان وزيرها من أكبر العاملين على ترقية القوى الأدبية والعلمية فى هذه البلاد ؛ فاذا كرمناه اليوم فانما نكرم فيه تلك المبادىء السامية التى أذاعتها أمريكا فى أنحاء العالم ، والتى يمثلها تمثال الحرية فى مدخل أرض القارة الجديدة . فلتحى أمريكا ولتحى مصر » .

ثم وقف الدكتور مارتين هاول وارتجل الكلمة الآتية : وقد لخصها حضرة الأستاذ حسن حسنى بك المحامى .

« سيداتى وسادتى :

« منذ مدة غير بعيدة حضر جماعة من أمريكا ومعهم أستاذ يعرف لغات كثيرة من لغات العالم . زارنى هذا الأستاذ فقلت له : « أنت تتكلم لغات كثيرة » . قال: « نعم » . وذكر عدد اللغات التى تعلمها ، فقلت له : « أين تكون اللغة العربية من هذه اللغات التى تعلمتها » قال : « إنها تقع بين جميع لغات العالم فى مقدمتها وخيرها وأعذبها » . لذلك صرفت غير قليل من الوقت فى تعلم اللغة العربية (تصفيق) .

« لقد حضرت فى هذه الحفلة لا لأحدثكم بشىء ، وإنما لأشترك معكم فى هذا الاجتماع . فان لكم فى الكرم والدعة مقاماً بالغ النهاية . وإننى أعتقد أنكم اجتمعتم للاحتفاء بى لا بسبب وظيفتى وإنما بسبب ما قمت به من العمل القليل خارج عملى الرسمى ، من الاشتراك البسيط الذى قمت به لشعبكم وبلادكم الجميلة .

« سعيت جهدى لإيواء مهاجرى الأرمن فى مصر ، فقد وصلنى تلغراف من أحد كبار الأمريكيين يلتمس مساعدتى ؛ وكان علىّ أن أقوم بإيواء ٥٠٠ من صغار الأرمن بين أولاد وفتيات ، وإن كان هذا مما لا يرحب به المسلمون .

« عرضت المسألة فى سنة ١٩٢٤ على معالى وزير الخارجية المصرية ، فقال لى: « إن شعورك نحو المهاجرين يقابل بالاحترام . وإننى أعرض المسألة على دولة رئيس الوزراء » ، وكان

زغلول باشا ، فحدد لى موعداً فلما قابلته قال: «إن شعورك شريف ونقدره ؛ وسأعرض المسألة حالا على زملائى . ولكن من الآن نقبل عشرين من المهاجرين». ثم قبلت الحكومة المصرية ٥٠٠ مهاجر ومهاجرة واشتغلوا بخدمة المنازل فكانوا وكن أمناء .

« سادتى : إنى أشكركم كثيراً على حفاوتكم بى وإكرامى . أشكركم على أنكم ذكرتمونى . وإنى لأطلب لكم خيراً كثيراً » .

ثم تكلم حضرة الدكتور يعقوب صروف ، فذكر أنه من الذين كان لهم شرف التعليم فى الجامعة الأمريكية ببيروت ؛ وأثنى على الجمعية أطيب الثناء لقيامها بالاحتفاء بالدكتور هاول قائلا : « إنه يستحق التكريم من الشرقيين، لأنه أحب الشرقيين وعمل لهم ، وأعرف من أمر خدماته الشىء الكثير » .

وعلى أثر ذلك انفرط عقد الاجتماع ؛ وكانت حفلة جميلة.

استقبال ملك الافغان فى مصر : تقرر أن يحضر إلى مصر جلالة ملك الأفغان أمان الله*[١] ، فرأيت أن هذه فرصة مناسبة لتوثيق الصلات بين مصر وبلاده ، إذ أحسن استقباله وقد أذعت البيان الآتى يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ فى جريدة الأهرام

بيان للأمة المصرية : « أيتها الأمة الكريمة :

« لا يزال الابتهاج ملء النفوس على أثر الاحتفالات العظيمة التى أقامتها حكومات الدول العظمى وشعوبها لصاحب الجلالة الملكية ، فكان تكريمه تكريماً لكم ، واحتراماً لقوميتكم ؛ وكانت وفادته على هذه الأمم الكبيرة تدعيما لصداقتكم بغيركم من الأمم الحية ، والاحتفاء به تحية مباركة من تلك الشعوب لنهضتكم الفتية ، وعزتكم القومية ، وتجلة حسنة لماضى تاريخكم ، وتشجيعاً لحاضركم ، وترحيباً بمستقبلكم .

« إزاء هذه الاحتفالات العظيمة ، وهذا العطف الجميل ينبغى أن نقفو أثرهم ، فنتبع هذه السنة الحسنة ، فى حسن السياسة ، لدى زيارة أحد العظماء من الملوك أو رؤساء الحكومات ، حتى نبرهن على أننا أمة استعادت مكانتها تحت الشمس ، وأننا جديرون بالصداقة ، حقيقون بالعطف .

« وهاهوذا صاحب الجلالة ملك الأفغان الذى نهض بأمته نهضة كان لها أثرها الصالح فى مختلف نواحى حياتهم ، ينزل بعد قليل من الأيام ضيفاً على صاحب الجلالة الملكية .

---

١ الحولية الخامسة .

ولما كان ضيف جلالته ضيفكم فتسابقوا للترحيب به . وانتهزوا هـذه الفرصة السعيدة للحفاوة اللائقة بهذا الملك الجليل .

« أبناء وطنى الأعزاء :

« لايخفى على فطنتكم أن الاحتفال بجلالته مُحْدِث ولا بد من الأثر الحسن فى الشعب الأفغانى كله ، بل فى سائر الشعوب الشرقية ما نؤمله من تقوية الأواصر ، وتوثيق العرا . وأعتقد أنكم لستم بمتراخين ، ولا وانين عن مثل هذا الواجب الأقدس غافلين ، ولـكنها تذكرة والذكرى تنفع المؤمنين » .

وفى يوم ٢٣ منـه توجهت مع السـيد عبد الحميد البكرى لزيارة وزير الأفغان الذى حضر قبل الملك . وقد طال انتظارنا نظراً لوجود النحاس باشا عنده ، فانصرف البكرى وقابلته بعد ذلك وحدى ، وكان معه سفير الأفغان فى أنقره وأنا أعرفه ، فأظهرا سرورهما من النداء الذى نشرته الصحف ، وتحادثنا فى شئون الشرق ونهضته .

هدية الرابطة للملك : وفى يوم ٢٤ عقدنا اجتماعاً فى الرابطة تقرر فيه تقديم علبة على الطراز العربى توضع بها كلمة تحية من الرابطة للملك بالعربية والفارسية موقعاً عليها من أعضـاء مجلس الإدارة . ثم دعوة جلالته لحضور حفـلة تكريم بسراى الخرنفش ، وإرسال برقية تحية عند وصوله إلى بورسعيد ، وقد أرسلتها باسم رئيس الرابطة .

مخاوف دبلوماسية : وفى يوم ٢٦ لقيت السيد البكرى فأخبرنى أنه قابل الأمير يوسف كمال ، وأطلعه على برنامج احتفال الرابطة بالملك ؛ فلاحظ أنه لا ضرورة لحفلة التكريم خوفاً من أن يشير جلالته فى كلمته إلى مسائل سياسية لها مساس بالإنجليز ، وأن الأصوب أن وفداً يقابله حيث ينزل ، ويقـدم له التحية بعد تلاوتهـا ، فإذا رد عليهـا بشىء فيه مساس ، لا يسمعه إلا أعضاء الوفد .

برقيات الرابطة : وقد أرسلت الجمعيـة برقية إلى حضرة صاحب الجلالة ملك الأفغان ببورسعيد هذا نصها :

« حضرة صاحب الجلالة ملك الأفغان المعظم ببورسعيد

إلى مقام جلالتكم السامى ترفع جماعة الرابطة الشرقية تحية الإعظام والتبجيل وترحب بزيارة الملك الشرقى العظيم » .

رئيس جماعة الرابطة الشرقية الـكبرى

وكذلك أرسلت إلى حضرة صاحب المعالى محمود طرزى خان وزير خارجية الأفغان برقية هذا نصها :

« صاحب المعالى محمود طرزى خان وزير خارجية الأفغان ببورسعيد

« ترجو جماعة الرابطة الشرقية أن تتفضلوا برفع أسمى عبارات الترحيب والإجلال إلى مقام حضرة صاحبة الجلالة الملكة المعظمة » .

رئيس جمعية الرابطة الشرقية الكبرى



الملك أمان الله خان وزوجته الملكة ثريا

زيارة الرابطة الشرقية : وفى يوم الثلاثاء ٢٨ ديسمبر قصد أعضاء جمعية الرابطة الشرقية فى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر إلى قصر الجزيرة للتشرف بمقابلة جلالة ملك الأفغان . وبعد أن اجتمعوا فى قاعة الاستقبال حضر سعادة وزير الأفغان فى أنقرة مرحباً بهم ومحيياً إياهم بكلمات رقيقة . وبعد عشر دقائق شرف جلالة ملك الأفغان القاعة ؛ وتقدم حضرة صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكرى رئيس الجمعية إلى جلالته وصافحه ؛ ثم قدم حضرة ميرزا مهدى رفيع مشكى ، رئيس الفرقة الإيرانية وأمين صندوق الجمعية بمصر ، إلى جلالة الملك أعضاء الجمعية الواحد بعد الآخر ، فصافحهم مرحباً بهم شاكراً لهم رقيق شعورهم وهم :

أحمد شفيق باشا ، أحمد زكى باشا ، الشيخ على سرور الزنكلونى ، السيد محمد رشيد رضا ، السيد محمد الغنيمى التفتازانى ، ميرزا محمد رضا قزوينى ، صالح جودت بك ، محمد أمين واصف بك ، نور الدين مصطفى بك ، عزيز على المصرى بك (باشا) ، إبراهيم دسوقى أباظه بك ، الدكتور منصور فهمى بك ، الأستاذ نسيم صيبعة ، حبيب جرجس افندى ، على رفاعى بك ، الميرالاى توفيق فهمى بك .

وعلى أثر ذلك تلا سماحة السيد البكرى كلمات ترحيب باللغة العربية ترجمها حضرة ميرزا مهدى بك إلى الفارسية .

خطاب السيد البكرى : وقدم صالح جودت بك السكرتير العام لجلالته الخطاب فى صندوق جميل من الخشب المحلى بالصدف ومنقوش فوقه « تحية الرابطة الشرقية لجلالة أمان الله خان ملك الأفغان سنة ١٣٤٦ » . وبعد أن انتهى من ترجمتها تعطف جلالة ملك الأفغان فخاطبهم بخطبة صغيرة بالفارسية ، وكان ينقل جملها إلى العربية جملة جملة حضرة ميرزا مهدى بك وإلى القراء ملخصها :

قال جلالته إنه سعيد بتعرفه إلى أعضاء الجمعية التى من أغراضها العمل على تقدم الشرق ، وإنه ليشعر بنفسه فى وسطه ، وسط الشرقيين ؛ وإنه سعيد بأن يذكرنا بأن شرق اليوم غير شرق الأمس . فان شرق اليوم ناهض ؛ وإن اجتماع الروابط الشرقية هو اجتماع ليس المقصود منه أى عداء للغرب ، وإنما المقصود تحسين حال الشرق بما عنده من حسنات واقتباس خير الغرب ، وتقريب جميع الناس بعضها من بعض ، وانه إذا قال « روابط شرقية » فانه طبعا يتعدى اختلاف الأديان واللغات ، فيتناول مثلا الهندوسى واليابانى وغيرهما .

وذكر أنه مسرور من زيارته لهذا القطر الشرقى الذى يحوى كل علائم التمدن ، وأنه سيحفظ الأثر الذى أهدته إليه الرابطة الشرقية كمذكر طيب لهذا الظرف الطيب .

سلطان حضرموت فى مصر : حضر إلى مصر فى أول عام ١٩٢٨ صاحب السمو صالح بن غالب سلطان حضرموت ، ومعه وزيره السيد أحمد بن الحسين المنصب ، فاستقبلته الرابطة الشرقية بالحفاوة .



احتفاء الرابطة بسلطان حضرموت

وفى ٢٦ يناير قمنا معه برحلة إلى السنطة حيث مزارع أوقاف المنشاوى باشا التى يتنظرها الأستاذ محمد شوقى الخطيب عضو الرابطة . وكان معنا من الأعضاء السيد محمد الغنيمى التفتازانى ، والشيخ عبد الوهاب النجار . وقد توجهنا إلى المدرسة الصناعية التابعة لأوقاف المرحوم المنشاوى باشا ، فاستقبلنا فريق من العمد والأعيان ، وفى مقدمتهم الشيخ المحترم إبراهيم بسيونى الخطيب عضو الشيوخ ، ومأمور المركز ، وناظر المدرسة ، وعباس الخطيب عضو مجلس إدارة بنك مصر ، وهتف التلاميذ بحياة السلطان .

وبعد أن استراح تفقد المدرسة وشاهد مصنوعاتها ؛ ثم قصدنا إلى ديوان المركز . وبعد تناول الغداء على مائدة حضرة شوقى الخطيب بك زرنا سراى وقف المنشاوى وحديقته

بالقرشية . ومن هناك قصدنا طنطا لزيارة المسجد والضريح الأحمدى ، ثم تكية ومستشفى ومدرسة المنشاوى .

وفى المساء عدنا إلى القاهرة .

وبعد سفره وصلت إلى رسالة من أحد الأصدقاء الحضارمة جاء فيها :

« وقد وصل السلطان شاكراً حامداً للسرى ، مسروراً بما قمتم به نحوه ، وما خدمته به الرابطة حياها الله وبياها . ولا بد أن كل أمير شرق أو ذى حيثية فى الشرقيين ينشرح صدره إذا سمع بما جرى من الرابطة .

«فجزاكم الله خيراً وزادكم توفيقاً » .

مأدبة لضيوف نجديين فى الرابطة الشرقية : فى مايو سنة ١٩٢٨ حضر إلى مصر السادة عبد الرحمن القصيبى ، وإبرهيم الفضل ، وقاسم المشيراوى ، وعبد الله آل زايد ، ومحمد إبرهيم الباقر — من كبراء نجد والبحرين .

فدعوتهم إلى تناول الشاى باسم الرابطة يوم ٥ منه ، وقد لبى الدعوة الشيخ فوزان السابق معتمد الحجاز ونجد ، والسيد عبد الحميد البكرى رئيس الرابطة ، والأستاذ الزنكلونى ، والشيخ رشيد رضا ، والأستاذ إبراهيم أطفيش ، والأستاذ التفتازانى ، وعبد الرحمن فهمى بك*[١] ومحمود سالم بك*[٢] وإسمعيل المفتى بك ، وصالح جودت بك ، وغيرهم من أركان الرابطة . فجاء مصورو المجلات ، وأخذوا رسم الحضور ، ثم صعد الجميع إلى الطابق الأعلى ، وانتظموا حول موائد الشاى والحلوى ، وكان يتخلل ذلك محادثات عامة تناولت الموضوعات الحاضرة فى الشرق .

ثم ألقيت الكلمة الآتية :

« أيها الإخوان النجديون : باسم جمعية الرابطة الشرقية أرحب بحضراتكم ترحيب الأخ بأخيه ، لأنكم فى الواقع لستم ضيوفاً بيننا ، ولسنا نشعر بوجودكم معنا شعور المضيف لضيفه ولكن بهرنا السرور الذى يبهر الشقيق حين يلقى شقيقه بعد طول فراق .

---

* ١ م . ج ٣ ، ج ٢ ق ٢ وتمهيد جزء أول

* ٢ م . ج ٢ ق ١

« الشرق هو الوطن الأكبر لنا جميعاً . هو جامعة واحدة ، أسرة واحدة ، أسرة مرتبطة القلوب متحدة العواطف والشعور ، ولو تباعدت مساكن جماعاتها وأفرادها .

«وهل هناك دليل أقوى من وجود جمعيتنا التى يؤلفها إخوانكم الشرقيون من مختلف الأمصار ؟

« إن الرابطة الشرقية لم تؤلف لتجمع ما تفرق من صفوفنا ، وتوحد ما تشتت من نزعاتنا فحسب ؛ بل هى تنظم هذه الصفوف لتكون رمزاً حياً دائماً للارتباط المتين بيننا ، الذى يجب أن ينشأ عليه أبناؤنا وأحفادنا .



تكريم أعيان البحرين

«وإنكم أيها الإخوان لتجولون فى البلاد الشرقية من أقصاها إلى أقصاها ، وتلاقون فيها ترحيباً وتأهيلا من جميع أممها ، فلنا كبير الأمل أن تساعدوا الرابطة بتوسيع نطاق هذه الفكرة السامية بإيجاد شعب لها فى جميع أقطار الشرق ، وأن تعربوا لأبنائه أنه يسرنا جداً إذا ما وصلوا أرض مصر أن نتقدم لهم بمزيد الاغتباط بكل ما يحتاجونه من المساعدات . حقق الله الآمال » .

ثم تكلم الأستاذ التفتازانى سكرتير الرابطة العربى ، والأستاذ جودت بك سكرتيرها العام ؛ فرد السيد عبد الرحمن القصيبى باسم إخوانه وباسمه على المرحبين ، وذكر ما يعلقه

أبناء الأقطار العربية على جمعية الرابطة الشرقية من الآمال ، وشكر للرابطة أعمالها الطيبة ثم ختم كلمته قائلا : «إننى وإخوانى نعدكم بتأسيس شعبة للرابطة فى بلادنا، ونتقدم للانتساب إلى جمعيتكم ، والانتظام فى عضويتها من الآن » . فقوبلت كلمته بالتصفيق والاستحسان .

وبعد جلسة لطيفة دارت فيها المناقشات عن أمور البلاد العربيـــة وجارات مصر انصرف الجميع ، وهم يذكرون للرابطة الشرقية مساعيها الكثيرة لخير الشرق وسكانه .

وقـد اجتمع مجلس إدارة الرابطـة فى مســـاء الخميس ١٠ مايو ، وقرر قبول عضوية الضيوف .

تكريم السير دنسون روس : حضر إلى مصر السير دنسون روس من كبار المستشرقين الإنجليز ، ومدير مدرسـة اللغات الشرقيـة بلندن ، فقابلته مع جماعة من المصريين الصحفيين والأدباء فى الجامعـة الأمريكية ، وهنأته بسلامة الوصول لمصر باسم الرابطة الشرقية ، ودعوته لتناول الشاى فى ناديها — فشكر واعتـذر بضيق الوقت . ثم قدمت له العددين الأول والثانى من مجلة الرابطة مع قانونها .

وقد ألقى ليلتها محاضرة عن الأدب الفارسى يوم ١٦ يناير سنة ١٩٢٩ . وفى يوم ١٧ منه اجتمعت به فى حفلة شاى أقامها له ميرزا مهدى بك ، وكنت جالساً عن يمينه ، فتحادثنا عن الرابطة وعن المؤتمر العربى الذى كنا نفكر فى عقـده . وفى المساء حضر مأدبة عشاء عند الدكتور منصور فهمى .

شؤون التعليم فى مصر والبلاد العربيـــة

مؤتمر التعليم الاولى الاجبارى . قرارات المؤتمر . توحيد برامج التعليم فى البلاد العربية . جمعية الدراسات العربية . قضية اللغة العربية . تبسيط نحوها وصرفها واصلاح هجائها واملائها . مشكلة التعليم المصرى .

* * *

عنيت منذ زمن بعيـد بشئون التعليم ، واشتغلت بكثير من مسائله سواء أيام كنت وكيلا للجامعة المصرية القـديمة ، أم مديراً للأوقاف معنياً ببرامج الأزهر وقوانينه ، أم وكيلا للجمعية الخيرية الإسلامية . كما أنه لم يفتنى تتبع حركة التعليم على وجه العموم . والقارىء لهذا الفصل يرى طرفاً من هذه العناية الدائمة .

مؤتمر التعليم الاولى الاجبارى : قرأت فى الصحف أن نقابة المعلمين العليا قررت إقامة مؤتمر للبحث فى مسـألة التعليـم الأولى الإجبارى المجانى ، ووضعت منهجاً له يشمل كل الأبواب التى تتعلق به ، وفتحت باب الاشتراك لكل من أراد البحث فى هذه الموضوعات ، وجعلت قيمة الاشتراك عشرين قرشاً ، فراقنى المنهج واشتركت .



محمد لبيب الكرداني بك

وكان افتتاحه يوم ١١ يوليو سنة ١٩٢٥ فى الجامعة الأمريكية . وقد افتتح الحفلة رئيسه الرجل المفكر العظيم محمد لبيب الكردانى بك (المرحوم) ، ناظر المدرسة الخديوية ونقيب المعلمين ، بكلمة طيبة ، وأعقبها بتلاوة رسالة من وزير المعارف محبذاً ومشجعاً للمؤتمر .

وبدأ بعده محمد نصار بك المفتش السابق

بالوزارة فألقى محاضرة فى « الغاية من التعليم الأولى » ، ثم الدكتور طه حسين (بك) *١ ملخصاً بالعربية محاضرة لمدام سان بوان بعنوان « كلمة عامة » ، ثم ناظر مدرسة المنصورة الثانوية عبد الحميد العجاتى بك فى « مشكلة التعليم الأولي » ، ثم الأستاذ عبد الله أمين ناظر مدرسة المعلمين بانبابة فى « الغاية من التعليم الأولى » ، وأخيراً يوسف العارف افندى المدرس بالفنون والصنايع فى « علاقة التعليم الأولى بالتعليم الفنى والصناعى » . ثم جرت مناقشات فى هذه الموضوعات .

وعقب الجلسة الأولى تحادث معى أحمد عبد السلام الكردانى بك سكرتير المؤتمر فى رياسة الجلسة الثانية فترددت أولا ، ثم قبلت .

وقد انعقدت يوم ١٢ منه فافتتحتها باسم العلم وقلت : « إننى ولو لم أكن من طائفة المعلمين ، إلا أنه يغفر لى ميلى مدة طويلة لترقية التعليم » . وشكرت اللجنة على حسن ظنها بى . وقد تحدث فى هذه الجلسة الأساتذة الشيخ محمد حسن الفقي ، والشيخ مهدى أحمد خليل ، والسباعى السباعى بيومى ، فى موضوع « مدارس المعلمين وما يتعلق بها » وكانت محاضراتهم قيمة ، وفيها إحصاءات دقيقة . ثم تكلمت السيدة إميلى عبد المسيح المفتشة بالوزارة « فى التربية الخلقية فى المدارس الأولية » وكانت محاضرتها جيدة ؛ ثم أعقبها الدكتور محمد خليل عبد الخالق فى « الأمراض المتوطنة عقبة كؤود فى سبيل التعليم فى مصر » ، مصحوبة بعرض سينمائى .

وبعد انتهاء المحاضرات دارت عدة مباحثات فى موضوعاتها .

وفى يوم ١٣ رأس الجلسة الثالثة أحمد لطفى السيد بك (باشا)*٢ وتكلم المستر روب مراقب التعليم الابتدائى فى « تحقيق إجبارية التعليم وتوزيع نفقاته على الأمة » ، ومحمد نصار بك فى « التعليم الراقى والفرق الإضافية » ، والمستر والز المدرس بالخديوية فى « مقترحات عامة » ، والأستاذ محمد شفيق غربال المدرس بالمعلمين العليا فى « هل يكون نظام تعليم البنات هو نفس نظام تعليم البنين » ، والأستاذ أمير بقطر سكرتير الجامعة الأمريكية والأستاذ محمد على مصطفى المدرس بدار العلوم فى « التعليم المشترك بين الجنسين » .

وكانت المحاضرات فى هذه الليلة ممتعة والمناقشات حولها طويلة . وقد اشتركت فى

---

*١ م ج ٣

*٢ م ج ٢ ق ٢



الأستاذ محمد شفيق غربال

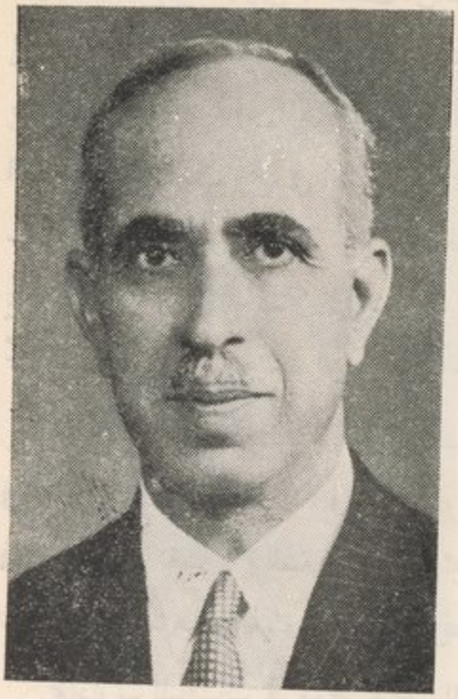

عبد الحميد العجاتى بك



الأستاذ السباعي بيومى



الأستاذ عبد الله أمين

مناقشة المحاضرة الأولى ، فبينت أن مسألة الأماكن التى أشار إليها مستر روب يتعذر إيجادها إلا بنفقات كبيرة ، وأنه يمكن تذليلها بسهولة وبقليل من النفقات لأن جو بلادنا يساعدنا على ذلك بخلاف الحالة فى انجلترا ، ويمكن الاكتفاء مؤقتاً بإقامة أماكن فى الهواء الطلق . ثم انتقدت رأيه فى البدء بالمدن قبل القرى ، لأن سكان القرى أولى بالتعليم من سكان المدن ، الذين يجدون مدارس أخرى غير الأولية ، وأن الأماكن التى اقترحها يمكن أن تجمع بين الجنسين فى التعليم ، وأننى من المحبذين لذلك حتى سن العاشرة . ثم وقف مستر روب وأخذ الرأى على تأخير نشر التعليم فى القرى فلم يوافقه أحد .

وفى يوم ١٤ انعقدت الجلسة الرابعة وتحدث الأساتذة أحمد فهمى العمروسى بك فى « تربية الذوق السليم » ، وحبيب جورجى المدرس بالمعلمين العليا وأحمد شفيق زاهر فى الموضوع نفسه . والمستر كليلاند رئيس الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية فى « كلمة تفسيرية لشريط هدية الحياة » وكان الشريط يشرح كيف يهب الله الحياة للانسان والنبات.

ثم دارت المناقشات فى موضوعات الليلة . وعقدت الجلسة الخامسة يوم ١٥ فتكلم الأساتذة محمد رفعت المدرس بالمعلمين العليا فى «مناهج التعليم الأولى» ، وعبد الحميد حسن المدرس بدار العلوم فى الموضوع نفسه ، فراقنى جداً فى بحثه وإلقائه ؛ وعبد الله أمين والشيخ أحمد أمين قاضى محكمة الأزبكية الشرعية ، ومحمد أحمد الغمراوى الكيماوى بمصلحة الصحة فى « التربية الخلقية » .

وكانت الجلسة الأخيرة يوم ١٦ ؛ وتحدث فيها الأساتذة أحمد فهمى القطان بك مساعد مراقب التعليم الفنى فى « تجارب عملية فى التعليم الأولى » فأبدع فى محاضرته ونصار بك فى « الإدارة العامة » ومحمد عبد الواحد خلاف المفتش بالجمعية الخيرية الإسلامية فى الموضوع نفسه فأجاد وأمين إبراهيم كحيل المدرس بالسعيدية فى « اقتراح بشأن الإدارة العامة » ومحمد فريد ابو حديد المدرس بفاروق الثانوية فى « شروط أماكن الدراسة » ، والشيخ عبد العزيز جاويش فى « التطور الحديث فى التعليم الأولى » والدكتور سيد كامل بك[١] فى « الإدارة العامة » . ثم وقفت فألقيت الكلمة الآتية :

« سيداتي وسادتى :

« وعدت حضراتكم أن ألقى على مسامعكم بعض ما يعن لى من الآراء فى تعميم التعليم

---

١٠ م ج ٢ ق ٢



الأستاذ محمد فريد أبو حديد



الأستاذ عبد الحميد حسن



أحمد فهمي العمروسى بك



الأستاذ أمين ابراهيم كحيل

الأولى مع مراعاة وجوه الاقتصاد حتى لا نخرج فيما نقترح عن نطاق مقدورنا . فها أنا موف بوعدى بطريق الإيجاز . وقبل الكلام فى الموضوع أعرب لكم عن سرورى يوما فيوما من سماع المحاضرات القيمة . فشكراً لنقابة المعلمين على فكرتها الجليلة من عقد هذا المؤتمر ، وشكراً للأساتذة المحاضرين .

١ — الكلام عن التعليم الأولى للبنين والبنات معاً فى القرى .

السن : — من ٤ — ٦ التعليم فى رياض الأطفال .

من ٧ — ١٠ « الأولى .

التعليم المشترك : « أحبذه لأن فيه مزايا اجتماعية سبق الكلام عليها من حضرات المحاضرين ، فلا لزوم لتكرارها اليوم ، ولأن الأحكام الشرعية تبيحه إلى السنة العاشرة .

محال التعليم : « تكون واحدة للجنسين وفى الهواء الطلق ، خصوصا والأطفال فى القرى متعودون على قضاء أوقاتهم فى الحقول .

« ولكى تصلح المحال فى تعميم التعليم الأولى وجعله إجبارياً كما قضى به الدستور يحسن بنا ألا نتشبث للوصول إلى هذه الغاية بضرورة إقامة أبنية . فان انتظار إقامتها يستدعى مدة طويلة ؛ وعندئذ يفضل اتخاذ تدبير وقتى للحصول على أمكنة للتعليم الأولى بأن تقام المدارس من أخشاب وتغطى بالحصير المشدود ؛ فإذا وجدت هذه الأمكنة خصص منها قسم لرياض الأطفال وقسم للتعليم الأولى . ويلزم أن يكون هناك حديقة وساحة كبيرة للرياضة البدنية ، ودورة مياه صحية بسيطة ، وطلمبة ؛ وتكاليف ذلك قليلة جداً ؛ ويلوح لنا أننا إذا اتخذنا هذه التدابير الوقتية أمكننا الحصول فى مدة لا تزيد على خمس سنوات على جميع الأمكنة اللازمة لجعل التعليم الأولى إجباريا على الأقل فى القرى .

« وأما فى المدن فقد يصح أن توضع لمدارسها الأولية سياسة بناء إنشائية من مميزاتها أن تكون سريعة التنفيذ ورخيصة التكاليف . ولزيادة الدقة فى التعبير نقول إنه لو لزمنا خمسة عشر ألف مدرسة فى القرى ، وكانت تكاليف الواحدة بالوصف المتقدم لا تزيد عن ٣٠٠ جنيه مصرى ، لكانت جملة تكاليف هذه المدارس تبلغ ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى.

« ولو قدرنا تكاليف إنشاء المدرسة الواحدة فى المدن فى المتوسط بألف جنيه مصرى لكان مايلزم لتشييد مبانى هذه المدارس مبلغ خمسة ملايين جنيه ؛ بضمها إلى المبلغ الأول يكون المطلوب لتعميم التعليم الأولى إجبارياً هو تسعة ملايين وخمسمائة ألف جنيه

إلى عشرة ملايين جنيه بأكثر تقدير للأمكنة ، وهو مبلغ من السهل فى حالة البلاد المالية والاقتصادية الحاضرة أن تحتمله مقسطاً على خمسة أعوام .

المعلمون : « أما المعلمون فمهما تصورنا صعوبة وجودهم فإن هذه الصعوبة ليست من الشدة إلى حد أنه لا يمكن اجتيازها بالتدريج فى ظرف خمسة الأعوام التى قدرناها لإقامة محال الدراسة الأولية ، فإن فى البلاد بكل أسف عدداً كبيراً من المتعلمين يكاد يكون عاطلا من عمل . ففيها من حاملى شهادات الأزهر من أولية وثانوية ما يعدون بعشرات الآلاف يلتمسون الوظائف الصغيرة فى الأوقاف وغيرها . وهؤلاء يكونون سعيدين جداً إذا تهيأت لهم فرصة العمل فى مدارس التعليم الأولى فى جهاتهم الريفية ونواحيهم القروية ، والبلاد تغنم بتوظيفهم غنيمة كبرى لأنهم من حفظة القرآن الشريف ومن الذين تلقوا جملة من العلوم العربية والدينية والعلوم الحديثة . ولدينا من حملة الشهادات الابتدائية والكفاءة ، بل البكالوريا ، عدد ليس بالقليل يعيش بغير عمل تقريباً وهؤلاء يكونون سعيدين أيضاً إذا أتيحت لهم فرصة التعليم فى المدن التى يعيشون بها . وإذا قدرنا أن العدد اللازم للمدارس الأولية هو مائة ألف معلم باعتبار خمسة معلمين لكل مدرسة فإنه يلوح لنا أن من الميسور حشد هذا الجيش العرمرم بنسبة عشرين ألف لكل عام لمدة خمسة أعوام ، ويكفى أن تعمل للمرشحين لوظائف التعليم مدارس راقية للمعلمين تكون مدة دراستها سنة واحدة يلقنون فيها مبادئ من التربية وأصول النظام المدرسى وغير ذلك من المعلومات الضرورية النافعة لإرشادهم نظريا إلى أفضل طريقة للقيام بأعباء وظائفهم عند تعيينهم فيها .

مناهج التعليم فى رياض الأطفال : « يحسن أن تقدم للأطفال أدوات اللعب المصنوعة من الخشب والكرتون بحيث يمكنهم تركيب أشكال هندسية متنوعة . ويجب أن يوجد من الأعداد والأحرف الهجائية الخشبية ما يسهل عليهم قراءة الكلمات والأعداد ، كل ذلك بمساعدة وإرشاد المعلم . حتى إذا عرفوا استعمالها تركوهم وشأنهم يتصرفون فى هذه الأحرف والأعداد والألعاب ويتفنون فيها بحيث يتاح لهم أن يمرنوا عقولهم على استعمالها بالطرق التى تنصرف إليها أذهانهم وترشدهم إليها ميولهم الطبيعية . وكذلك يلزم تدريبهم على عمل السلال والمقشات وغيرها من النخيل والأشجار ، وأن تطلق لهم الحرية فى مدرستهم ؛ ويجب أيضاً على المعلم أن يصف لهم بطرق سهلة ما يقع تحت نظرهم من المناظر الطبيعية كالنبات والحيوان والطيور والحشرات كدروس أشياء عملية .

« ويلزم أن يكون هناك مكان لتربية الدجاج والبط والأوز وغيرها ، فإن فى وقوع نظر الأطفال على هـذه الطيور وهى فى مفارخها من اللذة ما يقوى فيهم ملكة الملاحظة ويغرس فيهم حب الطيور الداجنة من الصغر .

«ومن المهم أن يجتهد المعلم فى تهذيب أخلاق الأطفال باللين والحنان وبالحسنى بحيث يستميلهم إليه ويحببهم فيـه وفى المدرسة ، وأن يعتـبرهم كالزهرة الحساسة تبقى بين يديه زاهية غير ذابلة ، فيبين لهم وجوه الخطأ والصواب فى أعمالهم وحركاتهم ، ويصف لهم الضرر من الخطأ والنفع من الصواب . وبهـذه الطريقة يصل الطفل إلى درجة من المعـلومات البسيطة التى تؤهله للدخول فى قسم التعـليم الأولى . وكثيراً ما يظن البعض أن رياض الأطفال لا تصلح إلا لأبناء الموسرين ، وأن ليس من المستطاع اتخاذها أساساً للتعليم الأولى ، وذلك لاعتبارات مالية منشؤها الاعتقاد بأن رياض الأطفال الموجودة الآن فى البـلاد قد أقيمت بمصاريف باهظة حملت على الظن أن كل روضة إنما تقام بتكاليف مثل تكاليف الرياض الموجودة الآن ، ولـكن الواقع فى اعتقادنا أن من الميسور إيجاد رياض الأطفال فى الأرياف والمدن بتكاليف لا تذكر .

« وإنما نحن نتمسك بوجوب إيجاد رياض الأطفال فى التعليم الأولى لاعتبار آخر هو أن ننقذ الطفل وهو صـغير فى الرابعة من سنه ، وأن ندعه فى القرية أو المدينة تحت إشراف المدرسـة ، بابعاد التأثيرات غـير المحمودة التى نشاهدها فى الطرقات وفى خارج المدرسة والتى يصعب انتزاعها إذا نحن بدأنا التعليم الأولى فى سن السابعة .

مناهج التعليم : « القراءة والـكتابة تكون بالخط الرقعة دون سواه ، والحساب بقواعده الأربع والـكسور الأعشارية والمكاييل والموازين وبعض الأشكال الهندسـية والرسم ثم شىء من جغرافية مصر وتاريخها الحديث ومبادىء الصحة ودروس الأشياء من نباتات وحيوانات وجمادات مما هو واقع تحت نظر التلميذ فى غدوه ورواحه ، ثم التربية الدينية والخلقية وتدخل فيها الحقوق الوطنية ؛ وفى سن العاشرة يحفظ التلميذ جزءاً من القرآن الشريف مع تفسير بسيط .

« ويخصص فى هذه السنة فصل لتعليم البنات القواعد الصحية اللازمة لهن ومبادىء التدبير المنزلى وأشغال الإبرة وغـير ذلك مما يهمهم ، وما عدا ذلك فمناهج التعليم للبنين والبنات تكون واحدة . وقبل انصراف تلاميذ وتلميذات القسمين من المدرسـة ينشد الجميع أناشيد وطنية .

مواعيد الدراسة : « تكون واحدة للقسمين من الساعة السابعة إلى الحادية عشرة فى فصل الصيف ؛ ومن الساعة الثامنة إلى الظهر فى الشتاء . وأما بعد الظهر فيتصلون بآبائهم حتى لا تكون المدرسة داعية لإخراجهم من وسطهم .

« ولما كان الغرض من التعليم الأولى ليس هو فقط محاربة الأمية وإنما هو أيضاً إعداد الأطفال المتعلمين تعليما أولياً لمزاولة المهن التى كانوا يزاولونها بطبيعة مراكز آبائهم الاجتماعية قبل تعميم التعليم الأولى، فإنه يحسن أن يلاحظ دائماً جعل التعليم الأولى موجهاً إلى هذه الفكرة الأساسية وهو أنهم لا يخرجون من وسطهم الاجتماعى . وينبغى بناء على هذا الاتجاه أن تقوم المدرسة الأولية بتوجيه ميولهم نحو مزاولة هذه المهن ؛ فنى القرى يحسن أن توجد بجوار المدرسة الأولية حقول مقسمة تقسيما يدعو إلى اختصاص كل تلميذ أو أكثر بقطعة منها للمران على زرعها وعلى بعض الأعمال المرتبطة بالزراعة كتربية دود القز والانتفاع من خلايا النحل . وفى المدن يجب أن توجه المدرسة الأولية ميول الطلبة إلى مزاولة الصناعات والأعمال المتصلة بها أو بالتجارة بحسب حالة كل منطقة من المناطق .

الرياضة البدنية : « تكون مشتركة بين البنين والبنات فتكون بكيفية مفرحة للأطفال معودة إياهم النشاط والنظام ، ويصح أن يأتى دورها قبل الأناشيد الوطنية .

السينما : «أى الصور المتحركة ؛ وهى واسطة فعالة من وسائط التربية الحديثة ؛ والطفل وغيره تنطبع فى ذهنه المعلومات بواسطتها أكثر مما تنطبع بواسطة القراءة . والكتاب مهما اشتمل من الصور الصامتة لا يحرك فى النفوس مثل ما تحركه الصور المتحركة . ولقد أصبح أثرها عظيما فى حياتنا العصرية من الوجهة التعليمية حتى إن مدارس الدول أخذت فى العهد الأخير تدمجه فى مناهج التعليم على اختلاف درجاته .

« ونحن فى مصر قد شعرنا أخيراً بهذه الحاجة فألفنا شركة وطنية لمعاونة بنك مصر للسينما إلى شرف الاشتراك فيها ، وضعنا من أهم أغراضنا أن نفحص ونتحرى عن أفضل شرائط الصور المتحركة التعليمية المختارة التى يحسن عرضها على أنظار التلاميذ والتلميذات والطلبة والطالبات على اختلاف درجات التعليم تحقيقا لما نشعر به من أهمية عرض الصور المتحركة والانتفاع بطريقها فى تعليم الشعب . وبرنامج التعليم بالسينما يشمل المناظر التى تمثل الآثار المصرية والمصانع الكبرى والمناظر الجميلة فى الأقطار الشرقية والغربية من جبال ووديان وغابات وأنهر وبحيرات وما هناك من الحيوانات والطيور التى تلفت نظر

الأطفال بجمالها أو بأشكالها الغريبة ، وفى ذلك من الفوائد للأطفال ما يهذب عقولهم ويوسع مداركهم .

كلمة الختام : « هذا ما خطر لى أن أجمله فى موضوع التعليم الأولى مع مراعاة وجوه الاقتصاد وما يمكن أن ينتفع به الطفل بعد السنة العاشرة من وراء هذا التعليم فى أسباب معاشه ومستقبل أيامه .

« وأرجو فى ختام قولى أن أشير إلى أن الفرصة سانحة اليوم أمامكم للأخذ بالجد فى هذا العمل الجليل لما نراه من اتفاق المساعى على نجاحه بين نبهاء الأمة ، وما نعلمه من الحث عليه والتنشيط إليه بهمة صاحب المعالى على باشا ماهر وزير المعارف مستمداً ذلك من الرعاية السامية التى يظله بها مولانا صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول أدام الله بقاءه » .

واختتم المؤتمر رئيسه بكلمة ، وتقرر بعدها أن يوكل إلى لجنة خاصة وضع النقط التى تصدر بها قرارات وتعرض فى جلسة آتية .

وقد دعوت هيئة المؤتمر ومجلس إدارة نقابة المعلمين والمحاضرين لتناول الشاى عندى تكريماً لهم .

وفى يوم ٢٤ حضروا إلى الحفلة وصادف وجود سمو النواب السير أمين الدين أحمد خان بهادر نواب لوهار سابقا والطبيب محمد أجمل خان أحد زعماء الهند فى مصر فدعوتهما لحضور الحفلة فلبيا الدعوة .

قرارات المؤتمر : اجتمعت لجنة فحص أعمال المؤتمر وبذلت الجهد فى تلخيص الآراء ثم رفعتها إلى هيئة المؤتمر كاملة فى جلسة عقدت بمدرسة دار العلوم بعد ظهر الأربعاء ٢٢ يوليه سنة ١٩٢٥ برياسة حضرة صاحب العزة محمد لبيب الكردانى بك نقيب المعلمين وناظر المدرسة الخديوية .

وقد بدئت الأعمال بتوزيع ملخص القرارات الذى أعدته اللجنة ثم دارت المناقشة واشترك فيها كثير من حضرات الأعضاء . وأفاض فضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش فى الكلام على كل ما جاء فى الملخص . وقد لاحظ فضلته أن فى ملخص القرارات التى ستؤخذ عليها الآراء ما قد استنته وزارة المعارف فى سياستها الجديدة فى التعليم الأولى وسارت عليها بالفعل . وفيها ما هو رغائب يريد المؤتمر أن يتخذ بشأنها قرارات نهائية

لعرضها بعد ذلك على وزارة المعارف ، ثم تليت مواد القرار وأدخلت عليها بعض التغييرات واستقر الرأى على الصيغة النهائية وهى :

الغاية من التعليم الأولى : لا يصح أن يكون الغرض من التعليم الأولى مجرد محو الأمية بل يجب أن يقصد فيه أيضاً إلى ما يأتى .

١ — تثقيف عقل الطفل .

٢ — تقويم خلقه .

٣ — تقويم جسمه .

٤ — إعداده للحياة العملية .

علاقة التعليم الأولى بغيره : (ا) يجب أن يتصل التعليم الأولى بالتعليم الابتدائى فيرتب المنهج بحيث يتسنى لمن أتم السنة الرابعة بالمدرسة الأولية أن يلحق بالسنة الثالثة الابتدائية ويقتضى ذلك ألا يتعلم اللغة الأجنبية قبل السنة الثالثة الابتدائية . ويتمنى المؤتمر أن يكون ترقى التعليم الأولى كفيلا بعد زمن يسير بتحقيق الفكرة السائدة الآن فى الممالك الديمقراطية الحديثة وهى توحيد المدرستين الأولية والابتدائية والاكتفاء بالأولى على أن تكون هى المدرسة العامة لجميع أفراد الشعب .

(ب) يتصل التعليم الأولى بمدارس المعلمين الأولية والمعاهد الدينية والمدارس المتوسطة للزراعة والصناعة والتجارة بفرق إتمامية اختيارية متنوعة تعد لهذه المدارس . ويجب أن يكون من هذه الفرق فرق حفاظ .

(ج) تكون روح التعليم فى السنتين الأولى والثانية من المدارس الأولية مماثلة لها فى رياض الأطفال .

نظام التعليم الأولى ومناهجه : (ا) مدة الدراسة الزامية ست سنوات من السابعة إلى الثالثة عشرة . مدة الدراسة الاختيارية فى الفرق الاتمامية سنتان على الأقل . وقد روعى فى هذا التقدير :

١ — أن هذه أقل مدة يتيسر فيها إعطاء العناصر الضرورية فى التعليم الأولى .

٢ — أنه قبل السن التى ينتهى فيها الطفل من التعليم على هذا النظام لا يصح أن ينقطع للعمل .

(ب) يوافق المؤتمر على نظام التعليم نصف اليومى فى المدارس الأولية بشرط أن تتخذ الوسائل الكافية للتحقق من اشتغال التلاميذ فى نصف النهار الآخر بالأعمال اليدوية، وذلك إلى أن يحين الوقت الذى يكون فيه هـذا التدريب العملى جزءاً من عمل المدرسة الأساسى .

(ج) يجب أن تكون المناهج مشتملة على المواد الآتية زيادة على ما جاء فى مناهج المدارس الأولية لسنة ١٩١٦ وهى :

الأعمال اليدوية ، الرسم ، دروس الأشياء ، الموسيقى بالأناشيد ، الرياضة البدنية والألعاب ، دروس فى التربية الوطنية والتعاون .

(د) تكون المناهج مرنة بحيث تلائم البيئات المختلفة .

التعليم الأولى الراقى : ثبت من التجربة نجاح المدارس الأولية الراقية للبنات . فالمؤتمر يوافق على تعميم هـذه المدارس وتكون مقابلة للفرق الإتمامية الاختيارية للبنين وفى الجهات التى يصعب فيها إيجاد مدرسة أولية راقية تلحق بالمدرسة الأولية فرق إتمامية أسوة بمدارس البنين . ويقترح المؤتمر أن يعاد النظر فى مناهج المدرسة الأولية الراقية للبنات .

التعليم الأولى للبنات : (ا) يكون نظام تعليم البنات والبنين واحداً فى جميع المواد ما عدا الأشغال فيعطى لكل نوع ما يلائمه .

(ب) يرى المؤتمر ألا يلجأ إلى التعليم المشترك بين الجنسين إلا عند الضرورة ؛ ويجب ألا تتجاوز هذه الضرورة سن العاشرة .

مدارس المعلمين والمعلمات : (ا) تكون مدة الدراسة فى مدارس المعلمين والمعلمات ثلاث سنوات؛ وتعدل مناهجها بحيث يعنى فيها بما يدرس بالمدارس الأولية وما له مساس به .

(ب) الوسائل الوقتية لاعداد المعلمين والمعلمات .

١ — الاكثار من مدارس المعلمين والمعلمات وتوسيع المدارس الحالية .

٢ — زيادة الأقسام الليلية لطلاب المعاهد الدينية وسواهم .

٣ — إنشاء فرق معلمات بالمدارس الأولية الراقية للبنات .

(جـ) يرى المؤتمر استخدام المعلمات فى السنتين الأولى والثانية فى مدارس البنين عند الامكان لأن روح التدريس فيهما هى روح رياض الأطفال .

(د) معلم الفرقة ومعلم المادة :

يرى المؤتمر سريان نظام معلم المادة لأن وسائل إعداد المدرسين فى الوقت الحاضر ليست كفيلة بأن يقوم كل معلم بتعليم الفرقة جميع المواد .

(هـ) عناية الدولة بالمعلمين :

يرى المؤتمر ضرورة اهتمام الوزارة بخلق باحثين أكفاء لدراسة نفسية الطفل والصبى المصرى وضرورة إنشاء مكتبة كبيرة حافلة بالكتب خاصة بالمدرسين ويلحق بها متحف للنماذج .

أماكن الدراسة : (ا) تكون مستوفية الشروط الصحية . ويراعى فيها ملاءمتها للبيئة مع الاجتهاد فى إدخال العناصر التى تجملها وتساعد على تربية الذوق السليم .

(ب) يرى المؤتمر عدم استئجار أماكن للمدارس إلا عند الضرورة القصوى . ويرى وضع سياسة واضحة لبناء جميع المدارس بحيث تتم فى مدة لا تتجاوز خمس عشرة سنة .

(حـ) لا تكون دراسة كل المواد داخل الغرف بل يجب أن يدرس فى الهواء الطلق ما يمكن تدريسه .

الوسائل العملية لتحقيق إجبارية التعليم الأولى : يرى المؤتمر ضرورة تطبيق قانون الإلزام فى كل إقليم تتم فيه معدات التعليم من حيث الأماكن والمعلمون بحيث لا يتجاوز ذلك عشر سنوات .

المركزية واللامركزية فى إدارة التعليم : يرى المؤتمر أن تكون إدارة التعليم الأولى لا مركزية .

ويكون فى كل إقليم مجلس خاص للتعليم ينتخب نصف أعضائه من ذوى الكفايات العلمية والأدبية وتعين وزارة المعارف النصف الآخر .

ويكون لهذه المجالس حرية التصرف فى الأعمال الإدارية والمالية وفى المسائل الفنية التى لا تتضارب مع السياسة العامة للتعليم ويكون الاشراف العام والتفتيش لوزارة المعارف .

ويلح المؤتمر فى تعديل قانون مجالس المديريات من حيث إشرافها على التعليم .

توزيع النفقات : يوافق المؤتمر على أن تقوم وزارة المعارف بنفقات إعداد المعلمين والمعلمات والتفتيش العلمى والصحى والكتب والأدوات المستهلكة ومرتبات الموظفين .

وتقوم الأقاليم ببناء الأماكن اللازمة للمدارس وتأثيثها .

رغبات عامة : ١ — نظراً لانتشار الأمراض الطفيلية ، خصوصاً الأنكلستوما والبلهارسيا بين طلبة المدارس وتأثيرها السيئ باعتياقها نمو الجسم والعقل يرى المؤتمر أنه من الضرورى معالجة التلاميذ من هذه الأمراض عند التحاقهم بالمدارس .

٢ — يجب أن يعنى بالتربية الخلقية فى المدرسة بكل الوسائل الممكنة كاحكام اختيار المدرسين والاعتماد على القصص والعمل على خلق جو صالح بالمدرسة تنمو فيه الفضيلة .

٣ — يود المؤتمر أن تعنى وزارة المعارف بإنشاء هيئة فنية تقوم بعمل إحصاءات دقيقة وتجارب عملية عن التعليم لتسهل مهمة الباحثين فى ذلك .

٤ — يرجو المؤتمر أن تقدر الحكومة أهمية عمل المدرس تقديراً كافياً يهون عليهم أعباء الحياة .

* * *

توحيد برامج التعليم فى البلاد العربية : لما أقيم احتفال تكريم المرحوم شوقى بك فى هيئة مؤتمر عربى عرضت عليه فكرة انعقاد مؤتمرات دورية للثقافة العربية ، فنال الاقتراح كل استحسان .

وشاءت المصادفات الطيبة أن أجتمع فى موسم الحج مع جلالة الملك ابن السعود وأن أعرض عليه الفكرة فتنال موافقته كما مر .

حديث مع الملك فيصل : وفى الصيف قابلت جلالة المرحوم الملك فيصل ملك العراق فى قبرص يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٧ ، وكنت هناك للاصطياف ، وكان فى زيارة والده الملك حسين . فأبديت له اقتراحى فأظهر رغبة شديدة فى عقد هذا المؤتمر ، وتمنى أن يكون انعقاده فى مصر بصفة رسمية للبحث فى برامج التعليم ، لحاجة البلاد العربية إلى مصر ، التى يعتبرها زعيمة النهضة العلمية ، ثم قال جلالته إنه كان يفكر فى عقد مؤتمر للتعليم ، ولكن إذا كان سيعقد فى القاهرة بصفة رسمية فإنه ينضم إليه ويرسل مندوبين عن العراق توحيداً للجهود ، ويساهم فى نفقات المؤتمر ، وإنه على اتصال بالسيد أمين الحسينى بفلسطين فى هذه الفكرة ، فوعدته بالتحدث مع رجال الحكومة فى مصر عند عودتى .

مخابراتى مع الثعالبى : ثم ورد إلى خطاب من الأستاذ الثعالبي بالعراق فى ١١ أغسطس يعرب فيه عن الاستحسان الذى لقيته الفكرة فى الأوساط العلمية بالعراق ، وأنا أثبته هنا بنصه لما فيه من آمال كبيرة وروح سامية .

« تحية وإكباراً وشوقاً وإعظاماً . أما بعد فقد مضت مدة غير قصيرة لم أتمكن فيها من مراسلتكم لأسباب يطول شرحها ، منها كثرة الأشغال ، والاهتمام بإنجاز الرغبة التى أبديتموها وانتظار أوبتكم من الحجاز . وحيث زالت تلك الأسباب بادرت إلى التلبية راجياً صرف النظر عن الإبطاء ؛ والكريم من تفادى وعفا وعذر .

« قرأت ، مولاى ، مشروعكم المفيد فراقنى جداً ؛ وقرأته أيضاً على طائفة من العظماء العراقيين الذين عينتموهم وهم من المولعين بتوحيد الثقافة العربية بين الناطقين باللغة العربية ، وأعجبوا به إعجاباً شديداً وأثنوا عليكم ثناء جميلا ، ونوهوا بأعمالكم الجليلة التى تبرون بها من وقت إلى آخر للشرق الأسيف .

« وأى برأفع وأجدى من السعى فى توحيد الثقافة العربية وتخليص عقلية المجتمع العربى من الجمود وإرشادها إلى اجتناب الطرائق البالية التى كانت تسير عليها فى التربية والتعليم من عهد المعلم الأول (أرسطو) والجمود عليها فى العصر الحاضر ؛ وهى من جملة العلل التى أوهنت الروح العربية ، وأودت بعظمة العرب الغابرين ، ومزقت أعقابهم شر تمزيق بحيث لم يبق عضو من جسم الأمة العربية يعرف مكانته من الحاجة إلى بقية الأعضاء الآخرين ، شأن الأشلاء المقطعة .

« أليس من المخازى أيها الصديق أن تكون الأمة العربية — وهى ممتدة من شطوط الأطلانطى إلى تخوم البلوخستان — مقطعة الأوصال ، عارية عن الثقافة ، ليس لها منهاج معين تتبعه ، ولا مبدأ تسير عليه ؟ وإن كان زعماؤها الأولون وقادتها السابقون أهملوا ذلك بسبب جهلهم وغفلتهم ، أفيحسن بزعماء اليوم أن يهملوه وهم رجال المواهب ومنهم المحنكون فى السياسة والخبيرون بالحروب والاخصائيون فى الفنون والإدارة والاقتصاد والواقفون على مناهج التعليم ؟ وهم لو توفقوا إلى تأليف مؤتمر لأتوا بنتائج مثمرة تدهش العالم ؟

« إن سكوت هؤلاء الزعماء ورضاءهم بالحالة الحاضرة المنكرة لا يمكن تفسيره إلا بضعف الأخلاق وفقد الغيرة ، وهى صفات لا تتفق أبداً مع العبقرية التى ينتحلونها .

«ألا قل لى بربك ما عندهم ؟ وهل بعد الحق إلا الضلال ؟ ما ينقص الأمة العربية من وسائل النهضة ومعدات الكفاح وهى السائدة على العالم القديم بما أوتيت من عظمة وأديان ومدنيات . فبلادها ملتقى طرق العالم وفيها كنوز الدنيا وأراضيها من أخصب البقاع . نعم لديها كل شىء ولكن تنقصها الإدارة والعمل الاجتماعى المنظم . وفى وسع المثقفين فى محيط الأمة العربية أن يتلافوا هذا النقص الشائن وذلك بأن يجمعوا المؤتمرات لأى غرض شاءوا ، فان كل مؤتمر يعقدونه يكتشفون به مافى مطاوى نفوسهم من مواهب وقوى .

« وحقاً إن اليوم الذى يجتمع فيه المراكشى والجزائرى والتونسى والطرابلسى والمصرى والفلسطينى والسورى والحجازى واليمانى والنجدى والعمانى والعراقى لوضع منهاج للتعليم أو الثقافة لتوحيد روحية هذه الأقطار ، يومئذ يعتقدون جميعاً أنهم عنصر غلاب ويستحيل فى حقهم أن يرضوا بالموت حتف أنوفهم تحت خداع وختل سياسة الاستعمار .

« حقاً أيها الصديق أن مستقبل المدنيات هو حق طبيعى للعنصريات القوية المترامية الأكناف لا للدول المستعمرة ؛ لأن الاستعمار أثر من آثار الطفيلية والتغلب تنبو عنه الآداب والشرائع المستقبلة . ولم تبق اليوم من العنصريات القوية المتغلب عليها غير العرب . فاذا تكونت ثقافتهم فانهم سيتخلصون من هذا الاستعباد بكل وسيلة ، ويستعيدون مركزهم الاجتماعى الأول حيث يكونون على قدم المساواة أمام العناصر الأخرى ، أمام السكسون والجرمن والسلاف واللاتين والمغول والطورانيين .

« نعم أعترف أن هذا العمل صعب ، ولكن أصعب منه احتمال الضيم وقبول الفناء فى إرادة الغير . أما صعوبة التخلص فهى فى التماس وجوه الحيل ، وأى حيلة تعاصت عن التذليل على إرادة القادرين ذوى العزيمة الحديدية . على أننا لا نكون فى عملنا مبتكرين ومخترعين بل حسبنا أن نكون فى عزمنا مقلدين ومنظمين . ولنا فى التاريخ مثل وعبرة .

«حسبنا أيها الصديق العامل من الإهمال والغفلة ما قد مضى . فلنعتمد على أنفسنا ولنسر فى طريق الحياة قدماً غير هيابين ولا وجلين . ولنجرب إرادتنا ولو مرة واحدة فإن كل ساعة نصرفها فى السير خارج محيط الجامعة العربية جريمة شنعاء غير قابلة للمغفرة .

« علمت من أصحاب المقامات العالية فى بغداد بمناسبة عرض كتابكم عليهم أن الحكومة العراقية تلقت فى السنة الماضية كتاباً من المجلس الإسلامى الأعلى فى فلسطين يلتمس موافقتها على تأليف مؤتمر عربى عام للنظر فى توحيد مناهج التربية والتعليم . وهى بعد

المداولة مع المراجع العليا للحكومة ، قررت مبدئياً الاشتراك فى كل مؤتمر ينعقد من هذا النوع ، وأرسلت كتاباً بذلك رسمياً إلى المجلس الإسلامى الأعلى بتوقيع رئيس الوزارة بالموافقة على أصل الاقتراح . ويؤخذ من هذا الجواب القطعى أن الحكومة العراقية لا تتردد فى قبول أى دعوة تعرض عليها لعقد أى مؤتمر من هذا النوع فى أى قطر عربى ، ووزارة المعارف العراقية مستعدة لذلك على ما أشعرنى به ساطع الحصرى بك المدير العام السابق لها . وغاية ما أريد أن تستعرف عنه صفة الهيئة التى تباشر الدعوة للمؤتمر ومكان انعقاده وموافقة الهيئات الرسمية .

«أما المكان الذى ينعقد فيه المؤتمر فإن أصحاب الشأن من العراقيين مجمعون على اختيار القاهرة لأسباب كثيرة أهمها وجود صحافة راقية فيها لا توجد فى غيرها ، وهى خير واسطة للدعاية والنشر . وثانياً توفر العلماء الإخصائيين والبحاثين فى مصر دون غيرها . وثالثها وجود المكتبات الممتعة المحتوية على نفائس الكتب فى اللغة والأدب والتاريخ والتراجم التى يندر وجودها فى الأقطار الأخرى . ورابعها توفر أسباب الإقامة والراحة فى مصر بصورة لا تتأتى فى بغداد مثلا .

«أما رأيهم فى البرنامج فهم يرون أن أيسر طريقة هى تأليف لجنة من المقيمين بمصر تباشر تحرير مشروع البرنامج ، وقبل اعتماده يعرض على الأقطار التى تدعى للاشتراك فى المؤتمر ، وبعد إجماع الآراء فى اللجنة ينقح المنهاج بالصورة الدائمة ، ثم يطبع ويقرر .

« أرانى قد أطلت لأن الموضوع واسع يحتاج للاطناب فاعذرنى يامولاى . وسأعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى إن شاء الله » .

رسالتي للملك ابن السعود : وفى يوم ١٩ سبتمبر كتبت لجلالة الملك ابن السعود رسالة جاء فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من العبد الفقير لرضاء ربه ، المخلص للشرق والشرقيين عامة والأقوام العربية خاصة ، إلى حضرة صاحب الجلالة السعودية ملك الحجاز ونجد :

« فى أثناء وجودى فى قبرص تقابلت مع حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل ولى به معرفة قديمة ، فتكلمنا فى الرابطة الشرقية — وهو يحبذها ويعطف عليها — وفى المؤتمر العربى الذى اقترحت إقامته للبحث فى الثقافة العربية وقررته اللجنة التنفيذية لتكريم شوقى بك الشاعر ووفود الممالك الشرقية العربية التى اشتركت فى هذا التكريم .

« وقد علمت أن جلالة الملك فيصل كان فى عزمه إقامة مؤتمر للنظر فى برامج التعليم العربى . وبعد المناقشة بينى وبينه قرر أنه إذا كان المؤتمر الذى سيقام فى الربيع القادم إما فى مصر أو فى القدس سيتناول البحث فى برامج التعليم فانه ينضم إلينا ، ووعدنى بإرسال صورة من البرنامج الذى تعده الآن وزارة المعارف ببغداد .



الملك عبد العزيز آل سعود

« ولما كان أمر هذا المؤتمر جديراً بالعناية من ملوك العرب جميعاً حتى يسود بين أقوامهم روح واحدة ، ولا يخفى على فطانة سيدى الملك الفوائد العديدة التى تعود عليهم من ذلك ، أحببت أن أتقدم إليكم بهذا البيان الآن بصفة خصوصية لتأمروا بإعداد برنامج التعليم فى الأقطار الحجازية والنجدية ؛ وطبعاً ستجتمع اللجنة التنفيذية فى الشهر القادم إن شاء الله وكل القرارات التى تصدرها سترسلها بصفة رسمية لجلالتكم .

« وإنى انتهزت فرصة سفر صديقنا الشيخ فوزان إلى مكة المكرمة فرجوته رفع خطابى هذا لجلالتكم » .

مخابراتى مع السيد أمين الحسينى : وفى يوم ٤ اكتوبر كتبت للسيد أمين الحسينى رسالة أخبره فيها بما تقرر بين الملك فيصل وبينى فى هذا الموضوع . ثم قلت :

« بما أن المصالح الحكومية سترجع من مصيفها بالاسكندرية بعد أسبوع فإنى سأفاتح صديقى وزير المعارف على باشا الشمسى فى الموضوع ؛ ولكن المنظور أن القرار لا يكون إلا بعد موافقة ثروت باشا وبعض كبار النواب . وقد ظهر لى من الآن استصواب مدير الجامعة أحمد بك لطفى السيد للمشروع حتى إنه وعد بالكلام عنه مع رئيس مجلس الوزراء وعلى باشا الشمسى ، وكذلك حافظ بك عوض أظهر استحسانه للفكرة .

« وقد ورد لى من أخينا وزميلنا فى الرابطة الأستاذ الثعالبى الخطاب الذى أرسلت

لكم صورة منه لتكونوا على بينة أولا فأولا بما يحدث فى مسألة مؤتمر الثقافة العربيـة .

« وفقنا الله جميعاً لما فيه خير البلاد الشرقية على العموم والعربية على الخصوص » .

وفى يوم ٢٠ اكتوبر ورد لى من السيد أمين الحسينى الكتاب التالى :

«حضرة صاحب السعادة الصديق الكريم المفضال أحمد شفيق باشا المكرم حفظه الله

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد شرفنى كتابكم الكريم فى حينه مع كتاب سعادة الأستاذ الكبير السيد عبد العزيز الثعالبى . وقد سرنى جداً ما توفقتم إليه من النتائج الحسنة التى سوف تعود على الأمة العربية بالنفع العظيم فى سائر الأقطار . وإنى أنتظر أن تتفضلوا باخبارى عن نتيجة مساعيكم المحمودة فى هذا الخصوص مع رجال الحكومة المصرية . وقد رأيت من المناسب إعطاء صورة من الكتابين المذكورين لبعض رجال الصحافة فى فلسطين لنشرها وكتابة بعض مقالات تمهيداً وتهيئة للأفكار مع ترك أسماء أصحابها طى الكتمان فى الحال الحاضرة ؛ ويهمنا جداً أن توافق الحكومة المصرية على توحيد مناهج التعليم كما وافقت عليها حكومة العراق .

« وقد سبقت لى مباحث مع بعض رجال حكومة فلسطين المسئولين فى هذا الأمر وحصلت على وعد منهم بقبول هذه الفكرة ، ولا أظن فى إمكانهم التملص منه بسهولة . وعلى كل فنحن على استعداد لقبول المنهج الذى يتفق عليه وتطبيقه فى مدارسنا الإسلامية الأهلية ؛ وسنقوم بنصيبنا من الدعاية لهذا الموضوع الجليل الفائدة فى الأقطار العربية . وختاما أرجوكم إبلاغ أزكى التحية والسلام إلى السادة الكرام فى القاهرة المحروسة . والله يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير والصواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المخلص

محمد أمين الحسينى

٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٤٦

مذكرتي لرئيس مجلس الوزراء : وفى يوم ٢٩ نوفمبر قدمت لرئيس مجلس الوزراء ثروت باشا المذكرة الآتية :

فى آخر يوم من أسبوع تكريم أحمد شوقى بك (المؤتمر العربى) اقترحت عقد مؤتمرات دورية للثقافة العربيـة فنال هـذا الاقتراح استحسان المصريين وضيوفهم

الشرقيين الذين اشتركوا فى المؤتمر ، كما أن الصحف فى البلاد الناطقة بالضاد حبذته كثيراً .

« وفى أثناء اصطيافى بقبرص اجتمعت بجلالة الملك فيصل وتحادثنا فى هذا الموضوع فأظهر رغبة شديدة فى عقد هذا المؤتمر ، وتمنى أن يكون انعقاده فى مصر بصفة رسمية للبحث فى برامج التعليم لحاجة البلاد العربية . ثم أظهر جلالته أنه كان يفكر فى عقد مؤتمر فى العراق ، ولكن قل إذا كان المؤتمر العربى الذى سيقام فى مصر بصفة رسمية أو غير رسمية سيتناول البحث فى هذه البرامج فإنه ينضم إليه لتوحيد الجهود . فوعدته بالتحدث مع رجال الحكومة فى رغبته . وقد تسلمت خطابا من السيد عبد العزيز الثعالبى من أساتذة جامعة بغداد يعرب فيه عما تناله الأمم العربية من الخير بعقد هذا المؤتمر ويبين فيه أيضاً ضرورة اجتماعه فى العاصمة لأسباب متعددة وأرفق مع هذا صورة من الخطاب .

« وبما أن فلسطين ليست أقل اهتماماً من العراق فى هذا الموضوع حررت لسماحة مفتيها بما حصل فيه من المخابرات فأرسل الرد المرفق ومنه يتضح وعد الرجال المسئولين فى فلسطين بقبول فكرة المؤتمر .

« ولا أشك مطلقاً فى اشتراك المجمع العلمى بدمشق لأن رئيسه الأستاذ كرد على الذى حضر المؤتمر السابق وافق عليه أثناء وجوده بمصر .

« أما الإمام يحيى فانه بعث إلى برسالة رداً على دعوتى له لإرسال وفد يمنى لحضور المؤتمر العربى السابق يأسف فيها جد الأسف لتسلمه الدعوة فى وقت ضيق لم يسمح له بارسال من يمثل اليمن فيه .

« ولما تقابلت مع الملك ابن السعود أثناء الحج السابق وتكلمت معه فى هذا الموضوع أظهر لى أنه يحبذ الفكرة .

« فبناء عليه أتشرف برفع هذه المذكرة لدولتكم راجياً النظر فى اقتراح عقد مؤتمر للثقافة العربية بصفة رسمية فى مصر » .

رئيس لجنة تكريم شوقى والمؤتمر العربى

مقابلتى معه : وقد قابلت رئيس الوزراء بعد ذلك ، فقال لى إنه سيشير على وزير المعارف ببحث هذا الموضوع وعلى أن أقابله .

وقد زرت وزير المعارف على باشا الشمسى وحادثته فى الموضوع فأبدى استعداداً لبحثه

وزير المعارف لا يؤيد الفكرة : ولكن الوزارة استقالت بعد ذلك ، وتولى وزارة المعارف فى الوزارة الجديدة أحمد لطفى السيد بك (باشا) فزرته كذلك وأعدت الحديث معه فلم أجد عنده قبولا للفكرة فى هذا الظرف .

بعث المشروع : ونامت الفكرة حتى سنة ١٩٣٨ حينما قرأت أن العشماوى بك وكيل وزارة المعارف اقترح فى ٢٤ مارس أن يعهد إلى لجنة من كبار رجال التعليم فى الوزارة والجامعة بحث فكرة عقد مؤتمر يدرس شئون التعليم بين الأمم الشرقية وتحديد الموضوعات التى يعنى بها . وتكونت اللجنة من العشماوى بك رئيساً والوكيل المساعد للوزارة وعمداء كليات الجامعة والدكتور عبد السلام الكردانى بك والأستاذ محمد فهيم بك والأستاذ محمد قاسم عميد دار العلوم والأستاذ نجيب حتاته والأستاذ على الجارم بك أعضاء .

فأرسلت للأهرام بكلمة استبشرت فيها باتجاه تفكير الوزارة فى هذه الناحية ، وذكرت ملخصاً لما دار بينى وبين الملك فيصل والملك ابن السعود والإمام يحيى والسيد أمين الحسينى والأستاذ الثعالبى والأستاذ محمد كرد على حول هذه المسألة .

وقلت : « إذا كانت الظروف السياسية والأحوال الاجتماعية والاقتصادية قد حالت فى الماضى دون تحقيق الفكرة فأرجو أن تكون الفرصة اليوم سانحة » .

وقد تحدثت مع الدكتور طه حسين بك والأستاذ محمد العشماوى بك فى الأمر ، وقلت لهما : إن هناك ثالثاً فكر منذ سنوات فيما فكرتما فيه ، وأنه يوجد فى وزارة المعارف ملف يضم أشتات المخابرات التى دارت فى هذا الشأن وهو يدل على موافقة ملوك البلاد الشرقية ومفكريها على الفكرة . ولاهتمامى بهذا الموضوع أنشر ما قامت به وزارة المعارف والهيئات العلمية نحو إحياء هذا المشروع .

وقد عقدت اللجنة جلسات لبحث وسائل تنفيذ الفكرة .

جمعية الدراسات العربية : وفى عدد من أعداد مجلة الرابطة العربية قرأت أنه ألفت لجنة برياسة الأستاذ أحمد أمين باسم « جمعية الدراسات العربية » فكتبت إليه رسالة أستفهم فيها عن مهمة هذه الجمعية وعما إذا كانت ستعنى ببحث موضوع « توحيد البرامج » فجاءتنى منه الرسالة التالية :

« اطلعت على كلمة سعادتكم فى الأهرام ، وكنت أعلم ما بذلتم من جهد فى هذه السبيل . أما مجهودى الضعيف فهو أن جماعة من إخواننا السوريين من دمشق وبيروت وفلسطين تشاوروا فى إيجاد رابطة علمية ثقافية تعمل على إحياء العلوم العربية وترقيتها بالدرس والنشر .

« وقد تشاورت أيضاً فى مسألة توحيد البرامج ، ولكنها رأت إرجاء ذلك إلى فرصة أخرى .

« وفى رأيى أن توحيد البرامج أمر هام يفيد مصر والعالم العربى كله ، ولكن بمعنى توحيد الأسس والسماح لكل قطر أن ينظر فى التفاصيل حسب حاجة قطره . ففى دراسة الجغرافيا والتاريخ يعنى كل قطر بجغرافيته وتاريخه أكثر من عنايته بالممالك الأخرى . وعند التمثيل فى دروس الحساب والأدب ونحو ذلك تشتق الأمثلة من حالة القطر ، وهكذا .

« وقد سمعت أخيراً من العشماوى بك وكيل وزارة المعارف اهتمامه بهذا الموضوع وسعيه فى عقد مؤتمر لهذا الغرض . وأرجو له التوفيق ، كما أرجو لسعادتكم الصحة التامة . وأعلن اغتباطى بحرصكم على كل ما ينفع مصر والأقطار العربية ، والمساهمة فى كل عمل نافع .

أعمال لجنة توحيد البرامج : وقد قرأت بعد ذلك فى جريدة منبر الشرق كلمة عن أعمال اللجنة المشكلة بالمعارف جاء فيها :

« اتصلت الوزارة بوزارة الخارجية تطلب إليها بيانات عن الخطط والبرامج ومشاكل التعليم ونظامه ونوع المعونة التى تقدمها الأقطار الشرقية لتشجيع الجهود الثقافية ومجموعة من الكتب الدراسية . فردت بالموافقة على فكرة عقد المؤتمرات الحكومة اليمنية وفلسطين وشرق الأردن ولبنان وسورية والعراق وإيران . ولما كانت حضرموت تحت الحماية البريطانية وسلطة حاكم عدن وليست بها إدارة معارف حكومية والتعليم فيها لا يخضع لسلطة ما فقد تقرر صرف النظر عنها . أما تونس والجزائر ومراكش فقد ردت عنها الحكومة الفرنسية بأن طرق التعليم بهذه البلاد تسير طبقاً لعاداتها ، وتعتذر هذه الحكومة عن عدم موافقتها على الاشتراك فى المؤتمرات . كما أرسلت الوزارة إلى المنطقة الخليفية ببلاد المغرب لتساهم فى هذا المشروع فلم ترد . وأرسلت للسودان بذلك فرد عليها جناب وكيل حكومة السودان فى ١٢ يناير سنة ١٩٣٩ بأنه

تسلم كتاب الوزارة وسيجعله موضع العناية . وأما إيران فقد تقدم فخامة رئيس وزرائها بمقترحات تتلخص فيما يلى :

« عقد مؤتمرات دورية من أساتذة الجامعات بالقطرين وتبادل أبحاث الاستكشافات الأثرية والتعاون العلمى بين العلماء وتبادل المطبوعات .

« وقد وافقت لجنة الآثار بجلسة ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٨ على تبادل أبحاث الاستكشافات والتعاون العلمى بين العلماء ووعدت المصلحة بتقديم مقترحاتها على ضوء ما تقترحه مصلحة الآثار الإيرانية فى نظام هذا التبادل وأخطرت السفارة الإيرانية بذلك . ووافقت الجامعة الأزهرية على عقد الاجتماعات والتعاون العلمى بين العلماء وتبادل المطبوعات ، واقترحت كلية الآداب تبادل المطبوعات بين الجامعات ودور الكتب والمكتبات التجارية واختيار المراسلين الثقافيين .

« أما جلسات اللجان فقد عقدت اللجنة العامة بوزارة المعارف جلستها الأولى فى ٤ يوليو سنة ١٩٣٨ وقررت بحث وسائل تنفيذ فكرة عقد المؤتمرات ودراسة سياسة التعليم والمناهج على أن تسير الأمم الشرقية كعشائر تربطها صلات الرحم ولكل عشيرة تقاليدها وتنظيم العلاقات بين البلاد التى ردت على مصر والانتفاع بتبادل الآراء وتكوين اللجنة الفرعية . كما اطلعت اللجنة العامة بجلستها الثانية فى ٣ يناير سنة ١٩٣٩ على موجز نظم التدريس فى الأقطار الشرقية على ضوء ما قامت الوزارة بتلخيصه مما ورد من هذه الأقطار من كتب ومناهج وبرامج وعلى ردود الأقطار العربية ؛ وقررت استقصاء الموضوع من جميع وجوهه قبل دعوة المندوبين إلى مؤتمرات تعقد ، وتكوين المكتب الدائم من سكرتير وكتبة للتحضير ويجتمع كل سنة . أما اجتماع المؤتمر فكل سنوات ثلاث ويطلق عليه اسم « مؤتمر توثيق الصلات الثقافية بين البلاد الشرقية ودرس مشكلات التعليم فيها » ، وأن يكتب للأستاذ محمد المكى الناصرى مدير بيت المغرب بالجيزة للتوسط بين الوزارة وبين منطقة تطوان فيما يختص بالمساهمة فى هذا المشروع الجليل وأن تخطر الوزارة جناب وكيل حكومة السودان لتقديم المساعدات اللازمة لتشجيع هذه الفكرة وأن تكون اللجنة الفرعية لموالاة البحث .

« وانعقدت اللجنة الفرعية المشكلة من حضرات فهيم بك والدكتور الكردانى بك والأستاذ محمد قاسم والأستاذ نجيب حتاته وعلى الجارم بك فى ١٠ يناير سنة ١٩٣٩ وقررت أن المشروع كما حددته اللجنة العليا هو توثيق الصلات الثقافية بين الأقطار الشرقية

ودراسة مشكلات التعليم فيها وتفصيل الأغراض لاستفادة كل قطر بما لدى الأقطار الأخرى من ميزات ، وخصائص تعليمية وثقافية . وهذا يتم بوسائل عدة منها تبادل المحاضرين والأفلام ونظم التعليم والمناهج وألواح تصور الحياة والمناظر الطبيعية فى الأقطار الشرقية وتنظيم الرحلات والإذاعة ودراسة مسائل وموضوعات معينة تهم جميع الأقطار ، وإنشاء مجلة تحررها الشعب الثقافية ، وأن يكون تنظيم العمل بإنشاء مكتب دائم من مندوب عن كل قطر مهمته تنظيم الصلات الثقافية والتعليمية يجتمع مرة فى العام فى أى قطر ويرأسه رئيس ينتخبه أعضاء المكتب .

« كما قررت أن يندب المكتب الدائم هيئة تنفيذية من سكرتير عام وأمين صندوق وكتبة ، تدعو الأعضاء للاجتماع مرة فى العام ، وتشرف على المجلة ، وتتلقى المباحث من الأقطار المختلفة لنشرها ، وتنتخب الهيئة لخمس سنوات ، وتؤلف بكل قطر شعبة لانتخاب مندوب القطر فى المكتب الدائم ، وتتصل بالهيئة التنفيذية لابداء المقترحات وإرسال المباحث . وتتكون الشعبة من أعضاء يمثل كل منهم ناحية من نواحى التعليم والثقافة بالقطر ، وأن يحدد المكتب الدائم مكان اجتماع المؤتمر وموعده والموضوعات التى يدرسها ، ويعقد كل ثلاث سنوات ، وتدعى للمؤتمر جميع الشعب والهيئات التعليمية بالأقطار المختلفة ، ويباح الاشتراك فيه لمن شاء من المثقفين بشرط دفع الاشتراك الذى يحدده المكتب الدائم .

« تتفق البلاد التى تتخذ اللغة العربية لغتها الرسمية على أساس الفكرة التى عرضتها وزارة الخارجية ، وهى مشروع معاهدة للتعاون الثقافى بين مصر والبلاد العربية كالعراق مثلا . وقداستقت هذه الوزارة معلوماتها وبنت مشروع المعاهدة على أساس معاهدة الثقافة التى أبرمت فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٣٨ بمدينة طوكيو بين اليابان وألمانيا .

وينقسم المشروع الذى وضعته الخارجية إلى :

(١) المـــواد :

وضع العلاقات الثقافية على أساس مكين وإحياء اللغة العربية بتقوية العلاقات الثقافية فى اللغة والآداب والتاريخ والفنون الجميلة والموسيقى . وتقرر السلطات المختصة — بعد تبادل الموافقة — الاجراءات اللازمة لذلك ، وتنضم للاتفاق كل دولة لغتها الرسمية العربية أو العربية إحدى لغاتها الرسمية ، وذلك بموافقة الطرفين . وتنفذ المعاهدة من تاريخ توقيعها وتنتهى بعد مضى عام من تاريخ إخطار أحد الطرفين الآخر بانتهاء المعاهدة .

(ب) الفكرة الأساسية :

المعاملة بالمثل على أساس إحياء اللغة العربية والثقافة .

(ج) برنامج العمل :

السلطات المختصة هى المعارف والهيئات العلمية التابعة لها كالجامعة والمجمع ودار الكتب ودار العلوم . ويتناول عملها المحافظة على العربية وإحياء آدابها ونشر الثقافة وتشجيع الترجمة وتوحيد المصطلحات العلمية .

(د) التنفيذ :

إيجاد لجان دائمة لاحياء الآداب العربية والتبادل بين دور الكتب وعلماء الآثار وأعضاء المجامع اللغوية والجمعيات العلمية والأساتذة والمدرسين والمهندسين والأطباء والفنيين والطلبة والصحف والمجلات والكتب العربية والأفلام السينمائية العربية أو المترجمة إليها والفرق التمثيلية وزيارات الطلبة والبعثات العلمية وفتح فصول دراسية فى المعاهد فى أثناء الاجازات وإلقاء محاضرات وإعارة بعض الأساتذة والمدرسين لمدد معينة ودخول رعايا الدولتين المباريات العامة فى التأليف والبحث والترجمة وإقامة مهرجانات وأعياد لكبار الشعراء والمؤلفين فى تاريخ الآداب العربية وهيئات تقرب لغة الكلام من لغة الكتابة وتوحيد الخطط والمناهج فى التعليمين الابتدائى والثانوى وكتب القراءة والتهجى وعقد مؤتمرات لمحاربة الأمية ولتوثيق الصلات الثقافية » .

وقد اطمأننت لما قرأت هذا على مصير الفكرة وأنها ابتدأت تدخل فى دور التنفيذ ؛ وعسى أن يتم ذلك قريباً إن شاء الله .

* * *

قضية اللغة العربية : تبسيط نحوها وصرفها وإصلاح هجائها وإملائها : إذا كنت قد عنيت بمسائل التعليم عامة كما قدمت ، فقد عنيت بمسألة تعليم اللغة العربية للناشئين خاصة ، وحاولت فى وقت ما أن أضع كتباً لتعليم القواعد للأطفال بطريقة جديدة لولا أن صرفنى عن ذلك بعد البدء فيه كثرة مشاغلى .

عناية بهى الدين بركات باللغة العربية : وقد ظللت أتتبع هذه المسألة حتى سمعت صاحب المعالى الأستاذ بهى الدين بركات باشا وزير المعارف يفتتح موسم الإذاعة المدرسية بمحاضرة يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٣٨ ، ويطرق فيها مسألة إصلاح الهجاء العربى وتسهيله على الأطفال ، ومسألة تبسيط اللغة العربية : نحوها وصرفها .

ثم قرأت بعد هذا حديثاً لمعاليه فى الاهتمام بهذا الموضوع جاء فيه :

« لقد كانت قضية اللغة العربية ، والعمل على رفع شأنها ، من أولى المسائل التى شغلت ذهنى منذ وليت أمر وزارة المعارف فى المرة الأولى سنة ١٩٣٠ ، فقد لاحظت حينذاك أن اللغة العربية لا تزال غريبة على الطلاب ، وأننا لم نستطع أن نجعلها سهلة التداول ولا أن نبلغ بطلبتنا المستوى الذى يصل إليه نظراؤهم من الطلاب فى البلاد الأجنبية بالنسبة للغتهم .

« لذلك أخذت أفكر من ذلك الحين فى سبيل معالجة الحال ، فهدانى البحث إلى وجوب الإصلاح فى ثلاث نواح مختلفة :

الأولى — جعل الكتابة العربية مفهومة مع المحافظة التامة على خصائص الخط العربى والكتابة العربية .

الثانية — تسهيل تدريس قواعد اللغة والبيان ، بحيث يستطيع الأشخاص العاديون إدراكهما من غير عناء .

الثالثة — تغيير نظم التدريس تغييراً يجعل الطلبة يعتادون التحصيل والدرس بأنفسهم دون أن يكونوا على الدوام مجرد آلات لحفظ ما يلقى عليهم .

أما عن المسألة الأولى فإننا نشاهد أن الولد الأوربى يستطيع ، وهو فى سن التاسعة أو العاشرة ، أن يقرأ الكتب التى تطبع فى لغته ، وأن يفهم الشىء الكثير منها ، بينما نرى الولد المصرى ، فى هذه السن ، لا يستطيع أن يقرأ غير كتب الأطفال المشكولة ، فهو لا يستطيع أن يقرأ جريدة أو إعلاناً ، إذ أن القراءة عندنا ليست وسيلة الفهم ، ولكن الفهم وسيلة القراءة . لذلك لا يستطيع الولد عندنا أن يقرأ بغير مساعد ، لأن ذكاءه وتفكيره لا يكونان ، وهو فى سن التاسعة أو العاشرة ، قد وصلا إلى الدرجة التى يستطيع معها استحضار جميع الفروض التى تحتملها قراءة اللفظ الواحد ، واختيار النطق الذى يعينه المقام للكلمة بمجرد وقوع بصره عليها .

ولهذا كان رقى اللغة العربية بطيئاً جداً ، حتى رأينا أكثر الناس ذكاء ، وأوسعهم اطلاعاً يتعبون فى ضبط الكلمات ؛ وقد يفضلون مطالعة الكتب الأجنبية لسهولتها مع أنها ليست لغتهم الأصلية » .

ثم قال :

« وإنه ليسرنى أن أجد المجمع اللغوى يقرر وجوب تذليل تلك الصعوبات ويشكل لجنة لتعمل بجميع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية ، والابتكار فى ذلك لتيسير القراءة العربية الصحيحة ، على ألا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة عن أصول أوضاعها العامة — وفق ما جاء فى محضر ٢٤ يناير سنة ١٩٣٨ .

« وإنى لأرجو أن تجد تلك الحركة المباركة من جانب المجمع اللغوى تأييداً ومعونة من جميع من يعنيهم الأمر ومن يستطيعون مساعدة المجمع من العلماء والفنانين الذين وهبوا من العبقرية ما يجعلهم خداماً نافعين لوطنهم وللعربية وأهلها .

« أما المسألة الثانية التى أود أن يساعدنى جميع المدرسين والنحاة وأهل البيان على تذليل صعوباتها فهى : أن قواعد النحو والصرف والبلاغة لا تزال تدرس الآن بنفس الطريقة القديمة التى مضت عليها قرون وقرون من غير أن تتطور فى أسسها ولا فى شكلها ، وذلك يحدث عندنا بينما الأجرومية الفرنسية يهذبها علماء اللغة الفرنسية باستمرار ويجعلونها أبداً فى مستوى التلاميذ ليسهل تناولها وفهمها .

« ولقد نتج عن تلك الحال عندنا أننا لا نكاد نجد من يستطيع ضبط الكلمات ولا فهم قواعد النحو والصرف وذلك لشدة تعقيدها . وليس يخفى على أحد أن جميع تلك القواعد إنما ابتدعت لا لقيمتها الذاتية بل لتكون وسيلة لضبط الكلمات وصحة اللغة .

« فاذا استطاع العلماء — وهم باذن الله مستطيعون فى وقت قريب — أن يسهلوا تلك القواعد ويبسطوها فانهم يؤدون بذلك أعظم خدمة فى تعليم النشء لأن الوقت الذى يوفرونه له من هذه الناحية يستطيع الانتفاع به فى توسيع مداركه وفى زيادة معارفه وفى تحصيل اللباب دون القشور ، فقواعد اللغة وسيلة لا غاية وقد وجدت لمنع الخطأ فى اللغة .

« أما النقطة الثالثة التى أود الإشارة إليها — وملحوظتى فى هذه المرة ليست مقصورة على اللغة العربية وحدها — بل إنها تمتد إلى تعليم اللغات الأجنبية كذلك ، فهى أنى لاحظت أن البرامج فى التعليم الثانوى تخصص أكثر من نصف الحصص لتعليم اللغات ، ومع ذلك فان الطلبة الذين يتخرجون فى المدارس لا يبلغون المستوى الذى تتطلبه الحياة العملية .

قلت : وهل تعتزمون شيئاً فى هذا الصدد ؟

قال : « نعم فإننا نرى من المفيد أن نغير شيئاً من نظام تعليم اللغات ؛ وسأضع تحت البحث الاقتراح الآتى : وهو تكليف الطلبة فى المدارس الثانوية وفى الفرق الأخيرة من المدارس الابتدائية دراسة كتاب أو كتابين يختارهما الطالب من بين قائمة كتب توصى بها المدرسة عند بدء الأجازات ، على أن يمتحن الطلاب فى أول العام الدراسى التالى فيما يكونون قد درسوه من تلك الكتب ، ويمنحون درجات تحتسب لهم فى نجاحهم آخر العام .

« ومن رأيى أن تطبيق هذا النظام يعلم الطلبة الاستقلال فى المطالعات ، ويساعدهم على فهم اللغات وتذوقها ، ويوفر وقتاً وعناء يكابدونه فى الدراسة الآن » .

حديثى معه : سمعت المحاضرة وقرأت الحديث فابتهجت وسررت ، وقلت فى نفسى : لقد هيأ الله للغة رجلا فى مركز يسمح له بالإصلاح لأنه وزير المعارف . ثم طلبت من معاليه صورة من محاضرته التى ألقاها ، فتفضل بزيارتى ودار الحديث بيننا عن اللغة والتفكير فى إصلاحها ، فأظهرت له اهتمامى السابق بهذه القضية وقلت إننى كثيراً ما فكرت فيها ، وفى رصد جائزة كبرى لمن يستطيع تحقيق الإصلاح المنشود مع المحافظة على الحروف العربية لأننى لست من أنصار استبدال الحروف اللاتينية بها . فقال : إن هذه المسألة تحتاج إلى بحث طويل ، كما تحتاج إلى اشتراك البلاد العربية فيها .

لجنة تبسيط اللغة العربية : وقد ألفت لجنة فى وزارة المعارف لدراسة هذه القضية والتقدم بمقترحات لتسهيل تدريس اللغة العربية ، فأتمت مهمتها وقدمت مقترحاتها فى يونيو سنة ١٩٣٨ ، وكان فى وزارة المعارف الدكتور محمد حسين هيكل باشا وكان معاليه قد تابع الاهتمام بإنهاض اللغة فى المدارس .

غير أن مقترحات اللجنة أثارت اعتراضات جمة . وقد أبدى كثير من الأساتذة ملاحظاتهم على تلك المقترحات .

اعتراضات على مقترحات اللجنة : ففى يوم ٢٧ يونيو سنة ١٩٣٨ كتب الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين خطاباً مفتوحاً لوزير المعارف جاء فيه :

يامعالى الوزير :

«قرأت فى الصحف تحت عنوان « تيسير قواعد اللغة العربية » التقرير الذى وضعته

اللجنة المؤلفة لهذا الغرض وعما قالت عنه إنه بحث فى تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة.

« وإنى مع احترامى لحضرات أعضاء اللجنة وللآراء الحرة أيضاً ، أرى أن فى هذا التقرير تعقيداً لا تيسيراً . وخلطاً ينبو عنه الغرض الذى وضع النحو له : فالنحو إنما وضع لخدمة اللغة العربية من حيث صحة النطق وعدمها . كما هو معنى الاعراب عند من يعلمون أن الاعراب هو الكشف بعلامة عن معنى ما وضعت الجمل له . فمثلا يكشف حال زيد فى «جاء زيد» بأنه فاعل بواسطة الضمة الظاهرة الدالة على الفاعلية . فاذا قيل فى الاعراب : أن زيداً تظهر فيه الحركات الثلاث — كما تقول اللجنة — ضاع هذا البيان والتبس الحال . وإذا قيل — كما قالت اللجنة أيضاً — إن الفتى اسم تقدر فيه الحركات الثلاث : واقتصر فى الاعراب على ذلك ، جاء هذا الخلط واللبس .

« وإذا قيل للتلميذ عند إعراب قوله تعالى« ذلك عيسى بن مريم » أن عيسى — كما هو رأى اللجنة — اسم تقدر فيه الحركات الثلاث وأن « ابن » بدل منه مرفوع ، اضطرب ذهنه وسأل : لم كان مرفوعاً ولم يكن منصوباً ؟ فان بين الأستاذ له أنه فاعل وأن الحركة — وهى الضمة — مقدرة على الألف لتعذر النطق بها ، رجع به إلى البيان بما اصطلح عليه العلماء على وجه يوجب التعقيد بما صنعته اللجنة . وإذا تركه بدون بيان بأن الضمة هى المقدرة فقط فقد يتجه ذهن الطالب إلى أنه يجوز فيه تقدير الحركات الثلاث فيعرب « ابن » تابعاً له بالحركات الثلاث — وإذن يحصل التحريف فى القرآن وينعكس الحال بعد هذا التعقيد إلى ما يفسد أساس الدين .

« وهذه وجازة من هذا الافساد سقناها من باب ضرب المثل حتى نبين ، فيما بعد ، فساد ما قالت اللجنة به بالتفصيل .

« يامعالى الوزير ، يتساءل الناس : لم هذا العمل الذى لا فائدة منه ، ولا خير فيه ، ولا ثمرة له إلا التشكيك وإلباس الحقيقة التى بنى عليها العلماء أنظارهم فى تدوين الفنون وتعقيدها ثوب التشكيك فيها بما يؤدى إلى عدم الهداية فى فهم الكتاب والسنة واللغة .

« يا معالى الوزير ، إن هذا العمل متعلق بأصل اللغة ، واللغة ليست ملكا للمصريين ولا لوزارة المعارف المصرية فحسب ، بل هى ملك العالم العربى أجمع ، فهل يجوز التصرف فيها بأمثال هذا التصرف من فئة لا تمثل القائمين بأمر الثقافة العربية ؟

« إن فى مصر الأزهر الشريف ، وفيها المجمع اللغوى، وفيها دار العلوم، وفيها معاهد

كثيرة أخرى ، وفى خارج مصر علماء من رجال العروبة راجحو العقول . أفلا يكون من البر باللغة إشراك كل هؤلاء فيما يتعلق بهـــا بدل الاقتصار على فئة أتت فى تقريرها بأوهام هى مزيج من التعقيدات التى يتبعها ضرر محقق ؟

« يا صاحب المعالى : إن سمعة مصر لا تحتمل هذا ولا شيئاً منـــه ، فمصر تزعم أنها قائدة الشرق وقائدة العروبة . فاذا أتت بمثل هذا ، ورده عليها أهل الأقطار الأخرى بما يكشف خطأها ويصورها هازلة ، انحطت مرتبتها ، وبطلت دعواها الزعامة ، وسقطت قيمتها العلمية سقوطاً شائناً .

« يا معالى الوزير :

«إن التجديد فى كل شىء أمر طبيعى ؛ وقد جاءت به الأديان . فمابعث نبى إلا لتجديد الإصلاح فيما أفسدته الشعوب قبله .

« وقد جاء القرآن الكريم مهيمناً على كل الكتب المنزلة كذلك . فنحن لا نأبى الاصلاح ، إنما نرجوه ، على شرط الغرض الصحيح والعقل السليم ، وأن يكون إصلاحاً تنتجه أفكار جمهرة رجال العلم جميعاً .

« وهذا ما قصدت أن أنبهكم إليه حسبة لله تعالى وخدمة للغة القرآن الكريم .

« والسلام عليكم ورحمة الله » .

وقد رد الأستاذ أحمد أمين أحد أعضاء اللجنة على الأستاذ الشيخ اللبان بكلمة جاء فيها :

« كان أول ما قرأنا من النقـد نقد الأستاذ الجليل شيخ كلية أصول الدين . فماذا صنع فى نقده ؟

« أما فى الموضوع فقد اقتصر على أسطر قليـلة إن دلتنا على شىء فانما تدلنا على أنه لم يقرأ التقرير بامعان أو قرأ أسطراً قليـلة منه ، فذكر أننـا اكتفينا فى إعراب زيد فى « جاء زيد » بأنه مرفوع ولم نذكر أنه فاعل . ولعـله لم يطلع على ما كتبنا تحت باب الموضوع والمحمول ، فقد بينا أن زيداً موضوع ومتحدث عنـه ومخبر عنه إلى غير ذلك من الأسماء التى تدل أكبر دلالة على المعنى .

« هذا كل النقد . فأما ما فى التقرير من أصول مسائل ومقترحات ملأت أربع عشرة

صفحة من القطع الكبير فلم تثر اهتمام الأستاذ الكبير فى قليل ولا فى كثير ، وأما برنامج البلاغة كله فلا شىء فيه من خطأ أو صواب .

« وأما الجزء الأطول من مقالة الأستاذ فهو الذى عنى به كل العناية فقد استعدى علينا وزير المعارف ورئيس الحكومة . فرمانا بقصر العقل وسوء الغرض وأنا أتينا بأوهام ، إلى آخر ما فاض به قلم الأستاذ النبيل . وزاد على ذلك شيئاً آخر هاما ، وهو أن العمل بهذه المقترحات يوقع اللبس فى الكتاب والسنة ، كأن النحو ومصطلحاته مقدسة تقديس الكتاب والسنة .

« لا لا ، ياسيدى الأستاذ .

« فهذا النوع من النقد كان صالحاً فى القرون الوسطى ولم يعد صالحاً الآن فى قليل ولا كثير .

« كان فيما مضى يكفى للقضاء على كل شخص وكل شىء أن يرمى بأنه ضد الدين وكفى ، من غير بيان أسباب معقولة وبراهين ثابتة . أما اليوم فلم يصبح هذا جائزاً فى شرعة العقل والدين والقانون .

« وما النحو ومصطلحاته والدين ؟ لقد أتى الاسلام ولم يعرف نحواً ؛ وعاش الصحابة والتابعون ولم يعرفوا مصطلحا من مصطلحات النحو ؛ وعاش القرآن والسنة أزهى عصورهما من غير نحو .

« فإذا أردنا الآن أن نغير مصطلحاً من المصطلحات التى وضعها الأعاجم قلتم إنه ضد الدين ، وقدرتم أن هذا يجوز على العقول » .

وكتبت جماعة دار العلوم مذكرة مطولة ناقشت فيها آراء لجنة التيسير فكرة فكرة ، وبينت ما رأت فيها من أخطاء بعد مقدمة جاء فيها :

« نشكر للجنة ما أبدت من مقترحات بشأن العناية بلغة المعلمين فى جميع مواد الدراسة وبتصفية اللغة العربية مما يزاحمها من العامية الجارية على الألسنة فى شتى النواحى . ونحمد لها رغبتها فى أن يخلص التعليم الابتدائى للغة الوطنية وأن يمكن التلاميذ وقتاً ما من التفرغ للغتهم والانقطاع لها بحيث لا تزاحمها على عقولهم وأذواقهم وذاكرتهم لغة أجنبية . نشكر للجنة كل هذا ونرجو أن تعمل وزارة المعارف على تنفيذ هذه المقترحات ذات الشأن فى ترقية اللغة العربية والنهوض بها .

« وإنا إذ لمحنا فى تقرير اللجنة الرغبة الخالصة فى الاصلاح وترحيبها بنقد الناقدين نتقدم بما عنّ لنا فى هذا التقرير فنجمل ملاحظاتنا على ما أبدته من آراء فى القواعد العربية وتيسيرها ؛ وما نريد إلا الاصلاح » .

ثم ختمت الجماعة مذكرتها قائلة :

« وبعد فنحن من أنصار تيسير القواعد العربية ولكنا لا نرتضى الطرق التى سلكتها اللجنة فى هذا التيسير . ولا نوافق على التغيير الذى اقترحته فى نواح شتى . فإنا نعتقد أن التيسير ليس فى تغيير الاصطلاحات أو فى إدخال بعض الحقائق فى بعض . ولكن دعائم التيسير يجب أن تقوم على الاقتصار على ما يحتاج إليه تلاميذ المدارس ، وعلى ما له صلة بالغاية التى تدرس القواعد من أجلها ، وهى النطق السليم والكتابة الصحيحة . وإلى جانب هذا تدرس الحقائق بالأساليب العملية دراسة ممتزجة بتكوين الجمل حتى ترسخ الأساليب السليمة فى أذهان المتعلمين » .

وبعد هذا قامت الجماعة بوضع مذكرة أخرى ضمنتها اقتراحات فى تسهيل تدريس القواعد فى المدارس بحذف الأبواب التى لا يحتاج إليها التلميذ وتخفيف بعضها ولا سيما فى الإعراب وفى دروس الصرف والبلاغة .

وقد نشطت الأفكار والأقلام لدراسة هذه القضية فى الصحف كذلك ، وكنت أتتبع ما يكتب بعناية واهتمام .

آراء جريئة : ومما لفت نظرى بصفة خاصة كلمة للأستاذ حسن الشريف ، نشرها فى مجلة الهلال ، ومما جاء فيها :

« الأجرومية العربية عسيرة غاية فى العسر ، معقدة غاية فى التعقيد ، يدلك على ذلك ما يلاقيه الطلاب من الصعوبة فى فهمها واستظهارها ، وما يجده المعلمون من الصعوبة فى تعليمها وتلقينها ، ويدلك على ذلك أيضاً أن من الناس من يقضون نصف العمر فى دراستها ثم يخرجون منها بمحصول لا يساعدهم على تحرير مقالة سليمة من اللحن والخطأ .

« ولقد أحست وزارة المعارف ذلك فعهدت إلى لجنة من خيرة أدباء مصر أمر النظر فى تيسير وسائل تعليم قواعد النحو على المدرسين وتسهيل فهمها وحفظها على التلاميذ . ولست هنا فى مقام تقدير عمل هذه اللجنة ولا فحص النتائج التى وصلت إليها . وإنما

ألاحظ أن الوزارة أخطأت إذ توخت تيسير تدريس القواعد النحوية بدلا من أن تتوخى تيسير هذه القواعد نفسها . وهى لو فعلت لأسدت إلى اللغة العربية وأهلها خدمة لاتقدر ، ولو وصلت إلى اليسر الصحيح من طريقه الطبيعى المأمون لا من هذا الطريق الذى لا يمكن أن يؤدى إلى يسر يحسن الاكتفاء به أو السكوت عليه .



الأستاذ حسن الشريف

« ووزارة المعارف إذ تكتفى بتيسير طرائق تعليم القواعد النحوية وتغفل تيسير القواعد ذاتها إنما هى كطبيب يريد أن يشفى مصاباً بتخمة فلا يعالج التخمة وإنما يعلم المصاب طريقة يتناول بها الأطعمة التى تتخمه من دون أن يخفف هذه الأطعمة وغيرها . ليس العيب عيب المعلمين ولا عيب المتعلمين ولا عيب طرق التعليم ، وإنما هو عيب الأجرومية العربية المعقدة العسيرة التى تحدث التخمة فى عقل الأستاذ والتلميذ . فعالجوا هذه الأجرومية نفسها وهذبوها وبسطوها وهونوا عقدها وألغازها ينتظم الأمر للمعلم والمتعلم ويسهل على كليهما حفظ النحو والإفادة منه خير إفادة . أما الوقوف عند حد الاستغناء عن الإعراب التقديرى بالإعراب المحلى ، أو الاستغناء بألقاب البناء عن ألقاب الإعراب ، فليس بالدواء الشافى الذى ييسر الأجرومية على طالبها واللغة العربية على الراغبين فى تعلمها .

« هذه الأجرومية العربية ملأى بقواعد يمكن حذفها برمتها من دون أن يترتب على هذا الحذف تغيير جوهرى فى ضبط الكتابة ولا تعسير فى فهم الكلام . وهى أيضاً ملأى بقواعد يمكن تهذيبها واقتضابها من دون مساس بجوهر اللغة وأساسها » .

ثم ضرب أمثلة كثيرة على القواعد التى يمكن حذفها أو اقتضابها إلى أن قال :

«سيقولون: هب أصحاب العربية أخذوا برأيك وعدلوا النحو ذلك التعديل الذى تقترحه فكيف يقرأون القرآن بعد ذلك وهو كما تعلم أساس اللغة وأساس الدين ؟ فأقول :

أولا : إن التعديلات التى اقترحتها لا تمس أحكام النحو الأساسية التى تتعذر بغيرها قراءة القرآن الكريم . فالغاء موانع الصرف وقولنا « مساجداً » بدلا من « مساجد » لا يغير معنى الكلمة ولا يبعد بالقارئ عن مرماها . وجعل العدد من جنس المعدود وقولنا « أربعة مسائل » بدلا من « أربع » لا يزيد هذا العدد ولا ينقصه ولا يحدث فى ذهن القارئ أى لبس أو اضطراب . وإلزام المنادى النصب فى جميع حالاته لا يخرجه عن كونه منادى ، فاذا ناديت « يا محمداً » بدلا من « يا محمد » فسيسمع محمد وسيجيب. وإذا نصبت نائب الفاعل وقلت قتل عليا ، فسيفهم القارئ أن عليا قتل ولن يفهم غير ذلك فلا لبس ولا اضطراب . والاكتفاء بجمع واحد من جموع التكسير لن يلغى الجموع الأخرى وإنما سيهملها فى الاستعمال فتندثر كما اندثر كثير من الكلمات . وإذا صادفناها فى القرآن الكريم فلن نظن أنها خطأ وإنما سنذكر أنها جمع مهجور . وهكذا الحال فى جميع القواعد التى ذكرتها .

ثانياً : إن دراسة القرآن ونحوه وصرفه وأسلوبه إنما هى دراسة عالية لا تتلقاها إلا طبقة خاصة من المتعلمين لا يمكن لغيرها من طلاب المدارس الثانوية مثلا أن يشاركوها فيها مشاركة تؤدى إلى فهم كتاب الله فهما صحيحاً .

« وكما أن للقرآن أسلوباً خاصاً انفرد به بين أساليب الكتابة العربية فإن له نحواً خاصاً يسمو فى كثير من المواضع عن القواعد التى نقرؤها فى كتب النحو المتداولة بين أيدى الطلاب حتى إننا لا نتجاوز الحق إذا قلنا إن هذه الكتب وحدها لا تكفى لإعراب بعض آيات القرآن بل لا بد من الاستعانة بالتفاسير للتمكن من الإعراب . وإلا فكيف نعرب كلمة « الصابرين » فى قوله تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء » . كيف نعرب كلمة الصابرين المنصوبة هنا مع كونها معطوفة على جميع المرفوعات التى سبقتها إلا إذا عاونتنا المفسرون ؟

« ولا شك أن الذين يتلقون الدراسة العالية فى الأدب والنحو وفقه اللغة يتعلمون فى مايتعلمونه أصول القواعد وتطوراتها ، ويقفون على الأدوار التى مرت بها ، ويعرفون ما هجر

منها وما بقى . فاذا قرأ أحدهم قول الله تعالى : « إنْ هذان لساحران » — وهى قراءة معترف بها إلى جانب القراءة الثانيـة : « إن هذان لساحران » — فهو لا يقف حائراً عند « هذان » كما يقف طالب شهادة الدراسة الثانوية ولا يتساءل لماذا لم ينصبها القرآن وهى واقعة فى اسم إن . نعم إن صاحب الدراسة العالية لا يقف عند هـذا الرفع الذى يبدو شذوذا وما هو بالشذوذ بل سيعلم من أول نظرة أن الكتاب الكريم نزل بمختلف لغات العرب وأن من تلك اللغات لغة قبيلة بلحرث التى كانت تلزم المثنى الألف فى جميع حالاته وأن فى قوله تعالى « إن هذان لساحران » استعمالا لقاعدة كانت موجودة ولكنها هجرت الآن فلا تحتويها كتب النحو المتداولة .

« ومتى قررنا أن القرآن الكريم ليس فى متناول رجل الشارع بل ولا فى متناول المتعلم العادى ، وأن دراسته ودراسة أسرار نحوه وقف على خاصة الخاصة من المتعلمين ، وجب أن نعترف بأن لا محل للخوف على كتاب الله من ذلك التعديل الطفيف الذى نقترحه ، لأن خاصة المتعلمين ستتعلم النحو المعدل والنحو القديم معا ، وستعرب القرآن طبقاً لقواعد النحو القديم رغم أخذها بالنحو الجديد كما نعرف اليوم قواعد بلحرث ولا نعمل بها ، ولأن عامة المتعلمين يستوى لديها هذا التعديل وعدمه ما دامت تجهل أسرار نحو القرآن ولا تطمع فى تعلمها » .

وضرب كثيراً من الأمثلة التى يخالف فيها القرآن قواعد النحو المعروفة عند عامة المتعلمين . ثم قال :

« وهنالك اعتراض ثان يتعلق بالأدب العربى القديم ، ذلك التراث الغالى الثمين الذى يجب أن نعض عليه بالنواجذ فى سبيل المحافظة عليـه . فسيقول بعضهم : كيف نقرأ هذا الأدب وكيف نفهمه إذا عدلنا عن نحوه إلى نحو آخر ؟

« وجوابنا على هـذا الاعتراض هو نفس جوابنا على الاعتراض بالقرآن الكريم : فالأدب العربى القديم من شأن خاصة المتأدبين لا عامتهم ، وهذه الخاصة تدرسه كما يدرس طلاب الأدب فى الجامعات الراقية أدبى اليونان واللاتين بنحوهما وصرفهما فلا يضيع كما لم يضع هذان الأدبان . وإلا فمتى كان أدب الجاهليين والأمويين والعباسيين فى متناول العامة حتى نخشى عليه أن يضيع منها ؟

« ولسائل أن يسألنا : « أليس فى أجروميات أرقى اللغات الأوربية وأوسعها انتشاراً

عقد ومشاكل وشواذ كالتى نجدها فى النحو العربى ، فما بال تلك الأمم ترضى بأجروميانها ولا تتبرم بها ولا تتناولها بالتغيير والتبديل ؟

« والجواب على ذلك أن الأجرومية الفرنسية مثلا لا تخلو من التعقيد والشذوذ ولكن عقدها وشواذها لا تبلغ عشر معشار تلك التى نصادفها فى النحو العربى . ومع ذلك فالفرنسيون لا يترددون عند الحاجة فى تعديل أجروميتهم بل ومفردات لغتهم بغية التيسير والتسهيل كلما لاح لهم وجه للتعديل .

« تلك آراء عنت لى فدونتها وما أبغى من ورائها إلا الاصلاح والتيسير . فليتناولها الباحثون والنقاد على أنها محاولة بريئة ترمي إلى تحقيق غرض شريف . وليعلموا أن العدل يقضى بمناقشة الرأى وتقليبه على وجوهه المختلفة قبل الحكم فيه ، وأنه لا شىء يفسد المناقشة ويسممها إلا سبق إصرار أحد الطرفين على تفنيد رأى الطرف الآخر قبل استيعابه والإلمام بكل نواحيه » .

وبعد فان وزارة المعارف لم تأخذ حتى اليوم برأى لجنة التيسير ولا بمذكرة جماعة دار العلوم ، ولعلها تبحث القضية بجد واهتمام يحقق آمال المصلحين .

* * *

مشكلة التعليم المصرى : ظهر كتاب « على هامش السياسة » للدكتور حافظ عفيفى باشا . وبعد اطلاعى عليه كتبت الكلمة الآتية فى الأهرام بتاريخ أول أغسطس سنة ١٩٣٨ .

« نشر سعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا كتابه الأخير « على هامش السياسة » الذى بحث فيه بعض مشكلاتنا القومية بما له من الخبرة والتجربة والنظرة الصادقة .

« وقد وجد الكتاب من التقدير الشىء الكثير ، واستنفد الكتاب والأدباء الذين تحدثوا عنه معجبين آيات الثناء فلم يبق لى ما أقوله فى هذا المعنى .

« ولكننى أرى أن هذا المجهود العظيم ليس كثيراً على رجل عظيم كالدكتور حافظ عفيفى باشا درس الحالة الاجتماعية فى مصر دراسة حقيقية ، وحمله حبه لبلاده على ألا يضن بنتائج دراسته ، فسجلها فى كتاب .

« ويا حبذا لو أن كل عظمائنا يجدون من أنفسهم هذا النشاط ، وهذا الاهتمام بمصالح

البلاد الكبرى سواء كانوا داخل الحكم أو خارجه . فالمسائل الاجتماعية لا تقل عن المسائل السياسية أهمية إن لم تزد عليها ، فلا يجوز أن نحصر كل همنا ونصرف كل نشاطنا فى النواحى السياسية ، ولا سيما بعد أن نلنا استقلالنا الذى لا نستطيع أن ننتفع به ما لم نصلح شؤوننا الداخلية .

التعليم فى مصر : « وقد عالج المؤلف الفاضل فى كتابه مسألة التعليم وخصه بنحو سبعين صفحة ضمنها كثيراً من نقد الخطط القائمة التى تسير عليها وزارة المعارف فى شئون التعليم . ولم يكتف بالنقد ، بل اقترح الطرق التى يراها كفيلة باصلاح الفاسد ، وتقويم المعوج وتسيير التعليم فى الطريق الصحيح ، الذى تستفيد منه الأمة فى حاضرها ومستقبلها .

« ولقد كنت فى حياتى أتتبع هذه المسألة ، واتصلت بها فى كثير من الأحيان التى ندبت فيها للاشراف على امتحان بعض المدارس ، أو لتقديم تقارير عن حالة التعليم العامة ، أو للاشتراك فى إصلاح النظم والمناهج فى بعض المعاهد ، وبقيت على هذه الصلة حتى اليوم .

تعليقاتى على آرائه : « وإننى أستميح الدكتور الفاضل فى إبداء بعض التعليقات على آرائه القيمة ، مما أعرفه عن حالة التعليم ، وما كونته من رأى سابق فيه .

« إننى أتفق فى كثير من الآراء مع سعادة المؤلف ، ولا أختلف معه إلا فى القليل . ومن بين المسائل التى نتفق فيها رأيه فى المدارس الأجنبية فى مصر وإهمال الكثير منها للغة البلاد وتاريخها وثقافتها .

« ومما نتفق فيه كذلك رأيه فى نشر التعليم الالزامى وبرامجه الدراسية ، ولا سيما غرس العادات الصحية الطيبة فى الأطفال بقدر ما تسمح به بيئتهم الريفية حتى نضمن تنشئة جيل جديد متشبع بالمبادئ والعادات الحسنة فى حياته ، وحتى نقاوم الأمراض الطفيلية التى تفتك بصحة الفلاح .

« أما أبنية المدارس الالزامية فقد كان لى فيها فكرة أبديتها فى مؤتمر التعليم الالزامى الذى أقيم سنة ١٩٢٥ ، تتفق فى جوهرها مع رأى سعادته .

« وقد جاء فى كلمتى التى ألقيتها بالمؤتمر ما يأتى « لكى تصلح الحال فى تعميم التعليم الأولى وجعله إجبارياً كما قضى به الدستور ، يحسن بنا ألا نتشبث للوصول إلى هذه الغاية بضرورة إقامة أبنية ، فإن انتظار إقامتها يستدعى مدة طويلة . وعندئذ يفضل

اتخاذ تدبير وقتى للحصول على أمكنة للتعليم الأولى بأن تقام المدارس من أخشاب وتغطى بالحصير المشدود ، فاذا وجدت هذه الأمكنة خصص منها قسم لرياض الأطفال وقسم للتعليم الأولى .

« ويلزم أن تكون هناك حديقة وساحة كبيرة للرياضة البدنية ودورة مياه صحية بسيطة ، وطلمبة — وتكاليف ذلك قليلة جداً . ويلوح لى أننا إذا اتخذنا هذه التدابير الوقتية أمكننا الحصول ، فى مدة لا تتجاوز خمس سنوات ، على جميع الأمكنة اللازمة لجعل التعليم الأولى إجبارياً على الأقل فى القرى .

« وأما فى المدن فقد يصح أن توضع لمدارسها الأولية سياسة بناء إنشائية من مميزاتها أن تكون سريعة التنفيذ ورخيصة التكاليف .

« ولزيادة الدقة فى التعبير نقول إنه لو لزمنا خمسة عشر ألف مدرسة فى القرى وكانت تكاليف الواحدة بالوصف المتقدم لا تزيد على ثلثمائة جنيه مصرى ، لكانت جملة تكاليف هذه المدارس تبلغ ٤ر٥٠٠ر٠٠٠ جنيه .

« ولو قدرنا تكاليف إنشاء المدرسة الواحدة فى المدن بألف جنيه فى خمسة آلاف مدرسة لكان ما يلزم لتشييد مبانى هذه المدارس مبلغ خمسة مليونات جنيه ؛ وبضم المبلغين نجد أن المبلغ اللازم هو تسعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات أو عشرة مليونات . وهو مبلغ من السهل أن تتحمله ميزانية البلاد على أعوام » .

« أما رأى سعادته فى مزاولة التعليم فى الهواء الطلق ، فأنا أوافق عليه كل الموافقة . وقد سبق أن دارت مناقشات حول هذا الموضوع فى اجتماعات الرابطة الشرقية فووفق عليه .

« غير أننا نختلف فى مسألة التعليم الجامعى ، فالمؤلف الفاضل يرى أن تتسع المدارس الثانوية لجميع الراغبين فى دخولها ممن أتموا الدراسة الابتدائية ، وأن تتسع المدارس العالية لجميع الراغبين فيها من حملة البكالوريا ؛ ولسعادته فى ذلك رأيه وبراهينه .

« أما رأيى الخاص فهو أنه يحسن وضع نظام يجعل الدخول فى المرحلة التالية من التعليم مقصوراً على من يظهرون كفاية خاصة ، واستعداداً كبيراً لها . فلا يباح التعليم الثانوى إلا لمن يحصلون على درجات عالية فى نهاية مرحلة التعليم الابتدائى لا لكل من اجتاز الامتحان كما هو الحال الآن .

« وكذلك لا يباح التعليم الجامعى إلا لمن حصل على درجات عالية وأظهر استعداداً ممتازاً لتلقى التعليم العالى .

« أما الذين يتخلفون عقب كل مرحلة فنوفر لهم الأمكنة اللازمة فى التعليم الزراعى والصناعى والفنى ، فلعله يكون أنسب لهم وأوفق لمواهبهم من التعليم النظرى الذى لم يبرهنوا على استعداد كامل له ، وبذلك نوفر عليهم السنوات التى كانوا سيقضونها بلا فائدة فى المرحلة التالية ، لينتفعوا بها فى دراستهم الجديدة ، أو ليتعلموا صناعة آبائهم أو أية حرفة أخرى ينتفعون بها فى كبرهم .

« ولا تكون هذه الغربلة مضمونة وناجحة إلا إذا وجهنا الامتحانات فى كل مراحل التعليم إلى اختبار ذكاء التلميذ وعقليته وفهمه وحقيقة استعداده . فنحن لا نريد تلاميذ حفاظاً بدون تفكير ، لأن هؤلاء الذين يمرنون الذاكرة وحدها قلما يفلحون فى الحياة العامة بعد تخرجهم .

« وأعتقد أن هذه الطريقة تفيدنا من عدة وجوه :

الأول : ألا ينال التعليم العالى إلا من يستحقه ومن نضمن انتفاع البلد بمواهبه الممتازة فى المستقبل حينما توكل أمور البلد إلى الجيل الجديد .

والثانى : أننا نقلل من عدد المتعطلين الذين يتعلمون تعلما عالياً . فإنى أرى أن البلاد ستظل مدة طويلة من الزمن فى حاجة لمن تعلموا تعليما زراعياً وصناعياً وفنياً ، أكثر من حاجتها لحملة الدبلومات العالية .

والثالث : أننا لا نعود نسمع الشكوى كل عام من الامتحانات ، ولا نشغل أنفسنا بمطالب الراسبين الذين تخلفوا لضعف استعدادهم ، وعدم التدقيق فى اختيارهم للمرحلة التى يدرسون فيها .

والرابع : هو الإقلال من الشكوى التى تثيرها كليات الجامعة من انحطاط مستوى الطلاب فيها تبعاً لانحطاط التعليم الثانوى ، لأن طلبة الكليات سيكونون خلاصة الاختيار فى مرحلتين سابقتين .

وهؤلاء هم الذين نأمن أن نكل إليهم تصريف الشئون الكبيرة التى سيعهد بها إليهم فى المستقبل .

« وقد ذكر سعادته شيئاً عن المدارس الأجنبية وعدم عنايتها بتقاليد البلاد وباللغة العربية . وهذه المسألة كان لى عمل فيها ، فقد كان لى ولدان بمدرسة الآباء اليسوعيين وفى يوم من الأيام عرضا على كتاباً تاريخياً يدرس لهم . وعند الكلام عن تاريخ القرون الوسطى تعرض مؤلفه لظهور النبى صلى الله عليه وسلم بلهجة غير لائقة . فأرسلت ترجمة هذه الفقرات مع الأصل إلى الأستاذ الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر الذى خابر الحكومة فى ذلك فتدخلت فى الأمر ، ووعدت إدارة هذه المدرسة بحذف هذه الفقرات من الطبعة التالية للكتاب ؛ ولذلك يجب تشديد الرقابة على هذه المدارس .

« وقد تحدث سعادة المؤلف عن « الأقسام الداخلية » فى مدارسنا المصرية فذكرنى هذا الحديث برأى لى فيما يختص بمدارس البنات أبديته منذ أربعين سنة تقريباً ليعقوب أرتين باشا حين كان وكيلا للمعارف .

«فقد عرضت عليه أن تنشأ مدرسة داخلية للبنات تختار لها ناظرة ومدرسات ممتازات لتعليم بنات الطبقة الراقية .

«على أن يكون النظام فى هذه المدرسة نظاماً عائلياً . بحيث تدرب البنات على أعمال المنزل وعلى استقبال الزائرات وملاطفتهن ، وعلى الخدمة الاجتماعية كالتمريض ، وتنظيم البيت وفراشه ومطبخه وتقديم الطعام فيه إلى غير هذا مما ما تزاوله البنت فى الحياة الحقيقية حتى إذا خرجت الفتاة من المدرسة كانت على استعداد لإنشاء منزل منسق راق كالمنزل الذى كانت تعيش فيه بالفعل .

« وشفعت اقتراحى هذا بأن تعهدت له أن أكون وسيطاً بين الأسر الراقية وبين إدارة هذه المدرسة فى إلحاق بناتهم بها على أن تدفع الواحدة منهن مائة جنيه سنوياً .

« ولا زلت أرى أن هذا الاقتراح صالح للتنفيذ ولتكوين الأسر والمنازل النموذجية التى نوفر على أنفسنا المبالغ الكبيرة التى يدفعها عظماؤنا لتربية بناتهن فى المدارس الأجنبية ونضمن تنشئتهن فى وسط شرقى راق بعيد عن الأوساط التبشيرية .

« وفى النهاية أشكر لسعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا أن أتاح لى هذه الفرصة للحديث عن مسألة التعليم ، وهى مسألة هامة ، أرى من الخير أن تجول فيها الأقلام . وأن يتقدم كل ذى رأى برأيه ، والله ولى التوفيق » .

اجتماعيات

الاسلام وأصول الحكم . الزى القومى . آراء واقتراحات فى المجتمع المصرى . أزمة الزواج فى البلاد الاسلامية عامة . آمالى بعد بلوغى سن الثمانين . شعورى فى سن الثمانين . وزارة على ماهر باشا والمجلس الاجتماعى الأعلى . جمعية الدراسات الاجتماعية . وزارة الشئون الاجتماعية . دعوة الأستاذ الأكبر لعلاج أمراض المسلمين . لا تسول ولا احتياج فى عهد الفاروق . ضيافتى لطلبة ستراسبورج . التهويش فى حفلات الطرب . مدينة حلوان . جورج ابيض فى ماضيه وحاضره . حفلات الموالد فى مصر . الزيارات فى الأعياد وتطور تقاليدها . شبابنا المتعطلون . طرق النجاح فى الحياة . التاريخ المصرى الحديث . تطور المآدب الرسمية .

* * *

ليس اهتمامى بالمسائل الاجتماعية حديث العهد ، فقد كانت تجول فى نفسى بين مشاغلى الكثيرة ، وكنت أتحين الفرص لبذل عنايتى — ما استطعت — بهذه الشئون . ولا زلت أرجو أن يفسح الله فى أجلى ويقوى صحتى حتى أستطيع إرضاء نفسى من هذه الناحية ، كما قلت لمندوب مجلة كل شىء والدنيا عن « آمالى بعد بلوغى سن الثمانين » مما يراه القارىء ضمن هذا الفصل . وفيما يلى بيان نشاطى فى هذا الميدان :

الاسلام وأصول الحكم : فى يوم ٣٠ يوليو سنة ١٩٢٥ اجتمع عندى السيد عبد الحميد البكرى ، ومحمود سالم بك ، وصالح جودت بك ، والدكتور منصور فهمى ، والدكتور سيد كامل ، ودار الحديث حول اللجنة التأديبية التى شكلت تحت رياسة شيخ الأزهر من هيئة كبار العلماء لمحاكمة الأستاذ على عبد الرازق على تأليفه كتاب « الإسلام وأصول الحكم » .

وقد كان من أسباب التشدد معه صدور هذا الكتاب فى الوقت الذى ألفت فيه لجنة شبه رسمية فى مصر لبحث مسألة الخلافة والاتجاه إلى تحقيقها .

اتهام المؤلف فى دينه : وقرأ لنا الدكتور منصور فهمى صورة دعوة الأستاذ أمام اللجنة للمحاكمة والتهم الموجهة إليه ، والنقط التى يشتمل عليها الكتاب مما يخالف الشريعة

والسنة وجاء فيها أن هذه الأشياء « لا تصدر من مسلم فضلا عن عالم وقاض شرعى » . فوجدنا أن استعمال هذه اللهجة يشتم منه رائحة الحكم عليه بالردة والمروق من الإسلام ، فاستهولنا الأمر ، وتم الاتفاق بيننا على الاجتماع مع بعض أنصار الشيخ على عبد الرازق للمناقشة وتقرير ما نراه . على أننى حتى هذه اللحظة لم أكن قد تعرفت به .

وكان الدكتور منصور فهمى والدكتور سيد كامل يميلان إلى عقد الاجتماع فى الرابطة الشرقية ، فعارضت فى ذلك حتى لا تتهم بالتدخل فى مسائل دينية . وقد وافقنى السيد البكرى وتقرر الاجتماع بمكتب صالح جودت بك .

وفى اليوم التالى قابلت محمود سالم بك وتحادثنا فى الموضوع فقلت له : « لقد فكرت فى الأمر وأرى أن هناك نقطتين يجب الالتفات إليهما :

الأولى : أنه يجب على الشيخ على عبد الرازق أن يعلن فى دفاعه أنه لا يقصد مطلقاً إقامة جمهورية فى مصر .

الثانية : ألا يشترك الدكتور منصور فهمى فى توقيع القرارات التى تنتهى إليها اللجنة لأنه متهم بالإلحاد فى بعض الأوساط . فوافقنى على رأيى ، ولكنه لاحظ أن الدكتور منصور هو الداعى إلى هذا الاجتماع . فقلت إننى سأقنعه برأيى ، وقد وافق فعلا عليه حينما عرضته عليه .

التماس لجلالة الملك : وفى يوم ٢ أغسطس اجتمعنا وكان صالح جودت بك قد حضر مشروع التماس لجلالة الملك وآخر لوزير الحقانية ، فتقرر أن يكون الالتماس الثانى لرئيس الوزراء .

وكان الالتماس الأول يحوى كلاماً عن نقطة « الخلافة » وفيه « إن مصر أولى بالخلافة من سواها من البلدان الإسلامية » وبيان لأسباب ذلك . وكذلك جاء فيه كلام عن نقطة « الجمهورية » وأن الكتاب ليس فيه ما يدعو إليها .

ولكن اللجنة رأت ألا يكون هناك كلام عن الكتاب أو موضوعه أو الشيخ على عبد الرازق نفسه ، بل الغرض ألا ندع لطائفة معينة التحكم فى الأفكار وتقييدها .

ولما حان وقت التوقيع على الالتماس قال الدكتور منصور فهمى : « ماذا تقولون ؟ أأوقع أم لا ؟ » فقال الدكتور نصر فريد أحد الحاضرين : « الأصوب ألا توقع » .

وسكت الآخرون برهة ، ولم أرغب أنا فى إبداء رأيى ، وأخيراً أشار بعض الحاضرين بأنه لا مانع ؛ فوقع . وبعد خروجنا قال لى : « لقد طلب إخواننا أن أكون فى الوفد الذى يحمل الالتماس للسراى فكيف لا أوقع عليه ثم أقدمه ؟ » فقلت له : « إننى لا زلت عند رأيى ولكنى لم أرد إبداءه فى الجلسة » .

وفى يوم ٤ نشرت السياسة خبر اجتماعنا ونشرت نص الالتماس وأسماء الموقعين عليه وكذلك كوكب الشرق فى المساء وكان صاحبها من بين حاضرى الاجتماع وها هو نص الالتماس :

« يا ذا الجلالة :

« نلجأ إليك، وأنت رب الدستور، لتحول دون استباحته فى قدس ما كفل وصان وهى حرية الفكر . إن مؤاخذة مؤلف عالم وهو فوق ذلك قاض لنشره بحثاً علمياً حوى آراءه الخاصة فى مسائل دينية أو اجتماعية حسبما وصل إليها بحثه فى تأويل مصادرها ومراجعها لهى مصادرة لحرية الفكر المكفولة بدستورنا المصرى ، والمقدسة لدى جميع الأمم المتمدينة ورجوع بمصر إلى عهد الظلمة ، وهى فى عصر العلم والنور . ثم إن محاكمته تأديبياً أمام لجنة تصطبغ بالصبغة الدينيـــة أمر مناف للمبادئ الدستورية التى نسخت ما قبلها من الأوضاع المناقضة لها ومخالف للتقاليد التى جرت عليها حكومتنا المصرية حتى الآن ، ولا يتفق مع روح النظام الاجتماعى الحاضر ، ولا مع طرق النقد العلمى القائمة على المناقشة والمناظرة لا على التأديب والمحاكمة ؛ ومن شأنه أن يحول دون الرقى والإصلاح بإرهاب رجال القلم من العلماء والباحثين ، وأن يجعل سيطرة لطائفة من الأمة تتحكم فى الضمائر والعقول ، وهو ما ننزه عنه نظام الشرع الإسلامى المؤسس على الحرية والعلم .

« فنلتمس من جلالتكم أن تحوطوا الدستور — وهو عهدكم المقدس — بعين رعايتكم الكريمة ليبقى مصدراً للخير والبركات ، وملجأ عند وقوع الملمات ؛ فتتحقق به سعادة الشعب فى عهد مليكه المعظم ؛ أطال الله بقاءه وأيد حكمه وحفظ لنا ولى عهده المحروس » .

وفى يوم ١٠ منه كتبت جريدة كوكب الشرق كلمة جاء فيها :

استقالة الشيخ بخيت والشيخ الدجوى من الرابطة : « ذاع البارحة أن كلا من صاحبى الفضيلة الشيخ محمد بخيت والشيخ يوسف الدجوى استقالا من جمعيـة الرابطة الشرقية احتجاجاً على ذهاب كل من سعادة أحمد شفيق باشا وكيل الجمعيـة ، وصالح جودت بك

أحد أعضائها إلى الإسكندرية لطلب إلغاء محاكمة الأستاذ الشيخ على عبد الرازق ، لأن فضيلة الأستاذين رأيا هذا المسعى خارجاً عن دائرة نشاط جمعية الرابطة الشرقية .

« وإذا صح هذا النبأ كان غريباً فى بابه ، لأن جمعية الرابطة الشرقية هيئة غير دينية بل هى من الهيئات التي تسعى فى توحيد كلمة شعوب الشرق فى غير ما نظر إلى الفوارق الدينيـة ، ولأن فضيلتى الأستاذين لم يشترطا على أعضاء الرابطة أن يرتبطا بفكريهما فى جميع المسائل والقضايا سواء أكانت دينية أم علمية أم اجتماعية ، ولأن شفيق باشا وجودت بك لم يعملا لمصلحة الأستاذ عبد الرازق باسم الرابطة وإنما عملا بصفتهما الشخصية . فهل يريد الأستاذان أن يحجرا على حرية رأى أعضاء الرابطة وبينهم كثيرون من المفكرين؟ أو يريدون أن تكون مربطاً للعقول ترتبط فيـه بآراء نفر من أعضائها دون سواهم ؟

« هذا ما أريد أن أفهمه ، ولمولانا الشيخ الدجوى ، ومولانا الشيخ بخيت الشكر سلفاً إذا تفضلا بالجواب منفردين أو متحدين .

« ولا يأخذن أحد من هذا القول ، أو من اشتراكنا فى الاحتجاج على محاكمة الشيخ على عبد الرازق أننا نوافقه على كل ما جاء فى كتابه ؛ وإنما أردنا أن نطلق حرية الرأى فيما لا يمس الآداب العامة والقوانين العامة وفيما لا يكون فيه طعن على الدين الإسلامى . والخطأ فى الرأى يستدعى الإقناع والإفحام لا المحاكمة والتكفير » .

الحكم باخراج المؤلف من زمرة العلماء : وفى يوم ١٣ أغسطس صدر حكم هيئة كبار العلماء وهو يقضى بإجماع أربعة وعشرين من الهيئة بإخراج الشيخ على عبد الرازق من زمرة العلماء .

صدى الحكم فى الصحف والرأى العام : وقد كتبت جريدة الكوكب يوم ١٥ منه كلمة جاء فيها :

« ومن الحقائق التى يجب أن تقرر فى هذا الحادث هو أن هيئة كبار العلماء ، أو الذين أشاروا عليهم ، أو استفزوهم إلى محاكمة الشيخ على عبد الرازق قد أخطأوا جميعاً فى تناول هذا الحادث والتصرف فيه ، لأنهم لو تركوا كتاب الشيخ على عبد الرازق واعتبروه رأياً من الآراء التى تنشر من آن لآن ، وتظهر فى الكتب أو الصحف ، لما حفل بالكتاب وبآراء كاتبه إلا عدد قليل من الذين يقرأون مثل هذه المباحث .

« ولو أنهم كذلك لم يفكروا فى محاكمته على الطريقة الإدارية التى ليست من أصـول

الدين الإسلامى وليست من تقاليده — لو كان هذا وذاك لما أحدثوا هذه الضجة ولما وضعوا الشيخ على عبد الرازق على غير إرادتهم فى منزلة يلقب فيها « بالمصلح الإسلامى » أو الداعى إلى منهج فى الإسلام جديد أو إلى شقاق فى الدين حديث ، ولما لفتوا نظر العالم كله إلى كتابه بحيث أصبح يطلب بالمئات والألوف فى مصر وفى غير مصر ، ولما وصل الشيخ إلى المنزلة التى تنقل الأسلاك البرقية أنباء محاكمته مقروناً اسمه بكبار المصلحين السابقين واللاحقين .

« فإن لم يخطىء العلماء فى حكمهم فقد أخطأوا خطأ كبيراً فى تصرفهم » .

ومنها أيضاً : « نرجو منهم كذلك ألا يكثروا من إثارة الغبار حول هـذا الحادث لأن المبالغة حتى فى الدفاع عما يعتقد صاحبه أنه حق قد تنقلب إلى نتائج لا يرضاها المندفعون فى تلك المبالغة أنفسهم ، ونرجو منهم كذلك أن يتخذوا من هذا الحادث موعظة يتعلمون منها أن الأحرار من كل الأحزاب فى حاجة إلى التآزر أمام الأخطار الرجعيـة مما يمس الدستور وما كفله من الحريات العامة .

« وشعورنا بهذا الخطر هو الذى دعانا إلى مصارحتهم مراراً بأن التئام الصفوف أصبح ضربة لازب » .

وفى يوم ١٧ منه أرسل الأستاذ حسن نافع عضو مجلس النواب السابق برقية إلى الأستاذ على عبد الرازق هذا نصها :

« سيدى فضيلة الأستاذ الـكريم الشيخ على عبد الرازق :

« أهنئكم يا سيدى الأخ بما استهدفتم له فى بسالة وبطولة ، وأهنئكم بالمركز السامى الرفيع الذى ارتقيتم إليه بين أجناد الحرية المستقتلين فى الذود عن حوضها . وليكن لـكم فيمن سلف من اتحاد رجال الإسلام الذين أوذوا فى السبيل الحقة أسوة حسنة . والبركات الطيبات لـكم : إنكم أول من حوكمتم من تلك الهيئة ، وسنرى من بعد تتابع نشاطها فى خدمة الملة والدين .

« سلاماً على الدستور فى سجنه ، وسلاماً على منبره العالى تهتز أعواده من صيحة الحق فيتوارى الظلم فرقا » .

ووردت كذلك عليه برقيات كثيرة من هذا النوع كلها تأييد لموقفه .

وفى يوم ٢٣ أغسطس كتب الأستاذ وحيد الأيوبى كلمـة فى الأخبار بعنوان « الـكتاب الفظيع » جاء فيها :

« نقلت إلينا صحفنا قولة من مراسل التيمس فى سبيل عطفه على ذاك الذى فظع اعتداؤه على الدين ، فحكمت عليه محكمة الدين العليا .

« لو ألم مراسل التيمس بالحقيقة وعرف أن ذلك الكتاب الفظيع المهيأ باسم المحكوم عليه « كتاب إلحاد » وفطن لما تسعى إليه تلك الصحيفة أو « السياسة » التى لا مشغلة لها الآن غير نشر الإلحاد ، والتى بات أمرها مفتضحاً لدى الجميع — لاجتنب صفحة الإلحاد وسد أذنيه عن معرفتها .

« وإليهم أيضاً — أى إلى عبد العزيز فهمى باشا ومحمد على باشا وتوفيق دوس باشا رئيس وعضوى الحزب المعلن فى جبهة السياسة أنها صحيفته — نقول لهم أيضاً إن المسلمين مدهوشون من إصرار صحيفتهم على مهاجمتهم فى دينهم . وليس هذا الدهش إلا لأنهم الثلاثة وزراء فى حكومة دولة دينها هو الدين الذى تواصل صحيفتهم اعتداءها عليه أفظع اعتداء تواصل نشر ما هو طافح مكياله بذاء وتفحيشاً من الطعن والثلب لدين الدولة التى هم وزراء حكومتها ، دين أهل البلد الذى هم موظفون فى حكومته . وإنا نذكر شيئا واحداً وهو القاذورة المنشورة فى عدد الجمعة ٢١ منه بتوقيع « فريد » أى هذا الذى لو كان له وجود لكان من المدانيس الذين هم كالذباب فى المقاذر ، فقد امتلأت تلك القاذورة المنشورة فى تلك الصحيفة قبحاً وفحشاً حول دين المسلمين . وبلغت رجاستها مبلغاً تراه أنظار القارئين .

« إنا نخاطبهم كرئيس وعضوى الحزب الذى صحيفته تلك الباغية المتهتكة بخروجها على دين المسلمين خروج اعتداء يشهد فجوره وطغيانه ويبصر فظاعته الناس جميعاً ، فهل هم منتبهون بعد ؟

« إلى الحكومة — وهل حكومة الدولة الإسلامية عاملة واجبها إزاء هذا الاعتداء الذى يواصله الملاحدة علانية على دين الدولة ، دين العرش ، دين الراية ، دين المليك ، دين أهل البلد ؟ إن المسلمين فى مصر متضرمة قلوبهم غيظاً من هذه الحال ، وإنهم لفى فرط التعجب من صمت الحكومة الذى طال واستطال » .

أثر الحكم فى علاقات الأحزاب : وقد كان لهذا الحكم بعد ذلك ضجة فى الصحف وأثر سياسى فى انفصال حزب الأحرار الدستوريين من الحكم وانفراد حزب الاتحاد به وحده

ومن أراد الاطلاع على تفصيلات هذا الموضوع فليراجع الحولية الثانية من حوليات مصر السياسية الخاصة بحوادث سنة ١٩٢٥ .

الزى القومى : سبق أن ذكرت فى الجزء الأخير من « مذكراتى فى نصف قرن » المناقشات التى دارت فى الرابطة عن الأزياء والزى الذى ابتدعته وعرضته على الأعضاء وجماعة الأطباء .

وقد رأيت أن أرتدى هذا الزى أمام الجمهور ، فانتهزت فرصة ذهابى لوداع الأستاذ السيد عبد العزيز الثعالبى[١] يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٦ على محطة القاهرة وذهبت مرتدياً هذا الزى .



المؤلف فى الزى الجديد

وقد تعجب من جرأتى ، وكان هناك جمع كبير من معارفى وكثير من أعضاء الرابطة ، فاستغربوا لهذه المفاجأة وما كان يدور بخلدهم أننى أجرؤ على مخالفة التقاليد والخروج بهذا الزى المبتكر الجديد وقد أظهر بعضهم استحسانه ، والآخرون لم يرقهم ، ولا سيما الشيخ التفتازانى[٢] .

وفى يوم ١٤ اكتوبر كنت مدعواً لتناول الشاى عند السيد البكرى وكان من حاضريها عزيز المصرى بك[٣] (باشا) وزوجته الأمريكية ، ونجل السيد وزوجته الإنجليزية ، فاستعلمت منى عن سبب عدم ارتدائى الزى القومى الآن ، فأجبتها إنه غير صالح للشتاء وقد برد الجو ، فقالت : ولماذا لم تصنع زياً للشتاء ؟ فقلت : إننى أبحث فى هذا . فوعدتنى بأن تضع له تصميما حسب ذوقها فشكرت لها . ثم دار الحديث عن الزى بيننا جميعاً ، فلم تستنكره السيدة . وقال عزيز بك إنه لا بأس به ولكنه لا يستحسن غطاء الرأس .

وقد كتب الأستاذ عبد الحميد حمدى فى جريدة السياسة الأسبوعية مقالا ينتقد فيه هذا الزى صدره بنشر صورتى مرتدياً الزى الجديد وتحته ما يلى :

« وبعد فهل رأيت أيها القارئ تلك الصورة الموضوعة فى رأس هذه الكلمات ؟ وهل عرفت أنها صورة شفيق باشا وأنها صورة غير كاريكاتورية إذ هى منقولة نقلا صحيحاً عن صورة فوتوغرافية حقيقية ؟ وأن هذه الصورة الفوتوغرافية نشرت من قبل فى « المحور » بطلب الباشا نفسه ؟ إذا كنت لم تعلم ذلك فاعلم أنه الواقع وأن هذه الصورة تمثل شفيق باشا ، فيما اخترع للمصريين من لباس للجسم وللرأس يتفق مع جو البلاد ، وأن الباشا لبس هذا اللباس ومشى به فى الطريق العام ولكن بكل أسف لم يوجد واحد يقلده فى لباسه ، أو يرى ما فى ذلك اللباس من ذوق سليم !

« أما أنا فأول ما وقع نظرى على هذه الصورة حسبت المصور يقدم لقرائه صورة بستانى أتى عملا يستأهل التنويه ! »

آراء واقتراحات فى المجتمع المصرى : زارنى مندوب مجلة « المعرفة » فى مايو سنة ١٩٣١ وطلب أن أدلى له بآرائى فى المجتمع المصرى واقتراحاتى فى إصلاح عيوبه فقلت له :

طابع الرجولة الذي أتخيره للشباب : « إن لكل من الشرق والغرب تقاليد وعادات يتأثر بها ولا يستطيع عنها نزوعا لما مر عليها من قرون وحقب ، واصطلح عليها من ظروف ومؤثرات . وليس الخير فى أن يأخذ المرء بتقاليد قومه وينطبع بطابعهم جملة . أو يرغب عن تقاليدهم وطابعهم جملة إلى غيرهم .

« وليس يخفى علينا أن للشرق تقاليده وعاداته المتناقلة الموروثة ، كما أن للغرب كذلك. وليس يغرب عنا أن من هذه العادات وتلك التقاليد الحسن والضار . والرجولة الكاملة العاقلة ليست فى أن ينقاد الشخص إلى تقاليد الشرق أو الغرب انقياداً تاماً ، ولكنها فى المزج بين تقاليد الاثنين واستصفاء ما هو أنفع وأجدى .

المزج بين المدنيتين الشرقية والغربية : « وإنه لمن الجمود والتعصب عندى أن تقف بالمرء فى دائرة ضيقة وأمام أفق محدود ، فلا تدعه يضرب فى طريق التقدم والترقى . ولذلك فانى من أنصار المزج بين الحضارتين والأخذ بما فى كليهما من الفضائل . فذلك وحده طريق الرجولة الكاملة . وليس يختلف اثنان فى أن الغرب قد سبق الشرق بأشواط بعيدة فى ميدان الحضارة والتقدم . ولذا وجب على الشرق أن يأخذ عنهم فضائل هذه

الحضارة : يأخذ عنهم العلم المهذب المصفى ، والاقتصاد والعناية بالصحة ، ومعرفة الواجب والمحافظة على الوقت واستثماره فى النافع ، والثقة المتبادلة والصدق والأمانة ، وغير ذلك من الصفات التى جاء بها الشرع الشريف ولا تتنافر وتقاليدنا ، والتى كان من إهمالها ما نحن عليه من الضعف والتأخر . كما يجب علينا أن نتأى بجانبنا عن سيء العادات شرقياً كان أو غربياً .

رأيى فى الأزياء : « ويجرنا هذا الموضوع إلى مسألة «الزى» وهى مسألة خطيرة لأنها جزء من القومية . والغريب أنك لا تجد ، كالشرق عامة وكمصر خاصة ، أمة تختلف فيها الأزياء اختلافاً كبيراً . فانك تكاد تجد لكل طائفة زياً خاصاً ، ولباساً يميزها من سائر الطبقات . وعندى أن أحسن الأزياء ما كان اقتصادياً صحياً يقدرك على العمل فى راحة ونشاط . ولقد تسرب إلينا الزى الأفرنجى وذلك عادة سيئة أخذناها عنهم دون تبصر أو تدبر . فانه علاوة على أنه يكلفنا الأثمان الباهظة ضار بالجسم . فمثلا غطاء الرأس « الطربوش » نفهم أنه مفيد لمن يعيشون فى البلاد الباردة ، لما يكسب رؤوسهم من الدفء . أما فى مصر ، وجوها صحراوى حار ، فانه لا يقى العينين ولا الرقبة من الشمس . كذلك القميص المنشى ورباط الرقبة (الكرافات) لا أرى لهما فائدة ، بل بالعكس فإنهما يضايقان الجسم .

الزى الجديد : « ولقد ابتكرت زياً كاملا للصيف ، اقتصادياً عملياً صحياً ، ولبسته ولكن بكل أسف لم ترق هذه البدعة فى أعين من رآها لأنها ليس لها من الأناقة ما لغيرها . ونرجو أن يكون هناك فى المستقبل من يرجع إلى هذا الزى بالتنقيح والتجميل حتى يصير مقبولا .

رأيى فى النساء والسفور والحجاب : « أما النساء فانى أكره منهن الخلاعة الزائدة فى الأزياء . تلك التى تتعارض والقواعد الصحية والمالية والشرع الإسلامى والذوق . ولست من أنصار الحجاب الكلى . وإنما أبيح للمرأة ، كما يبيح لها الشرع ، أن تكون سافرة الوجه واليدين ، لما فى ذلك من المزايا التى أهمها أنها تقلل من لهفة الرجل على المرأة وأن يكون من ذلك حارس لها عن الزلل . لأنها بسفورها تكون معروفة ؛ وشعورها بمعرفة الناس لها يعصمها عن الخطأ . كما أن السفور يسهل على طالب الزواج أن يرى من يريد أن تكون شريكة له فى حياته كما تراه . ولا يخفى ما فى ذلك من منع المشاكل التى

طالما قامت على عـدم الرؤية ، ولست مبتدعاً . فقد جاءت الشريعة الغراء بذلك ، حيث عرض أحد الصحابة على الرسول أمر زواجه فأوصاه بقوله : « انظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » .

« وإن ما يبتدعه النساء من أمور « الزار » والعويل فى الجنازات وغيرهما لعادات قبيحة يجب العدول عنها .

« ولست أرى أن يتشبه الرجل بالمرأة وينافسها فيما خصتها به الطبيعة من صـفات ومميزات بل أرى أن يكون رقيقاً فى شهامة ، وديعاً فى رجولة ؛ وإن المرأة ليعجبها من الرجل الرجولة بكامل معناها ، لا التأنث والترهل ، لأنهـا لاتريد بجانبها امرأة أخرى تسابقها فى صفاتها .

عقد مؤتمر للعائلة الاسلامية : « والتعديل الذى أراه أن نأخذ من الغرب ما لا يتنافى مع المدنية الشرقية ، سواء كان من جهة الشرع أو العرف . وأفضل الوسـائل عندى عقد مؤتمر يسمى « مؤتمر العائلة الإسلامية » وفيه يبحث عن العادات الحسنة والضارة ، ثم يقرر الصالح منها ، ويعدل ما يلزم تعديله بحيث لا يختلف مع الشرع والتقاليد الشرقية .

« وبعد فان الغرب برقيه المادى والفكرى لايستغنى عن الشرق . لأنه متمم له ولا غنى لأحدهما عن الآخر وإن اختلفت الأديان . وإنه أصبح من مصلحة الإنسانية أن يكونا صديقين متضامنين فى خدمتها لا خصمين عاملين على شقائها .

رأى المجلة : بعد أن نشرت المجلة هذا الحديث أردفته بما هو آت :

« شفيق باشا شخصية من أكبر الشخصيات البارزة ، التى أجمع الكل على احترامها .

وليس هـذا فى مصر فحسب ، بل فى عامة البلاد الشرقية . وحسبه فخراً أنه من المؤسسين لفكرة الرابطة الشرقية . فهو إذا ما حدثنا عن شىء ما ، فانما يحدثنا عن الرأى الصائب ، والفكرة الناضجة . ويسر « المعرفة » أن تبلغ سعادة الباشا شكرها الحار على رأيه وفكرته . وهى تعلن ، منذ الآن ، موافقتها على فكرة سعادته فى اقتراح عقد مؤتمر العائلة الاسلامية ، وستدعو جهد طاقتها إلى إخراج الفكرة من حيز القول إلى حيز العمل .

« كذلك يسرها أن تبلغ الباشا موافقتها التامة على فكرته الخاصة بتوحيد الزى . فأما من حيث شكله وبخاصة غطاء الرأس (الطربوش) فمسألة فيها نظر .

أزمة الزواج فى البلاد الاسلامية عامة : كانت مجلة المعرفة تقوم باستفتاء لحل أزمة الزواج . وقد طلب منى صاحبها إبداء رأيى فكتبت الفصل التالى فى المجلة فى أول يوليو سنة ١٩٣١ :

« لا أستطيع أن أتحدث بإسهاب عن البلاد الإسلامية الأخرى ، بل سأقصر الحديث عن مصر التى أعرف عنها بطبيعة الحال أكثر مما أعرف عن أى بلد آخر . ولكنى أقول بوجه عام عن البلاد الإسلامية إن الدين فيها يحض على الزواج ولا يقف عقبة فى طريقه بل أكثر من ذلك يعده من متممات الدين ، ويرى أنه ضرورى لحفظ أخلاق الشبان والشابات وأجسامهم لموافقته للطبيعة البشرية ، فضلا عن أن الدين الإسلامى يتخذه وسيلة لتكثير النوع الإنسانى بطريقة منظمة . فالدين إذن فى البلاد الإسلامية مما يساعد على الزواج فى جميع نواحيه .

«أما عن مصر فالذى أعتقده أن كلمة « أزمة » لا تعبر عما بها تعبيراً حقيقياً بدليل أن الأرياف عندنا لا تعرف هذه الأزمة وإنما تسمع عنها فى المدن فقط . وأكثر من ذلك أن الطبقتين الثانية والثالثة تميلان فى الريف إلى تعدد الزوجات : فى الطبقة الوسطى لأسباب نفسية وجسمية ، وفى الطبقة الثالثة لأسباب اقتصادية ، إذ أن الفلاح البسيط فى حاجة إلى الأيدى العاملة لمساعدته ، وهو يجدها فى الأبناء الكثيرين بتعدد زوجاته . يضاف إلى ذلك أن حياة الريف بطبيعتها مساعدة على طلب الزواج ، للتقارب العام بين تربية الفتى والفتاة ، ولأن الرجل فى حاجة دائماً إلى المرأة تهيئ له طعامه وتعد له مسكنه وتنظف له ثيابه . . . الخ بخلاف المدن التى يستطيع الرجل فيها أن يحصل على كل ذلك بنقوده . هذا وتكاليف الحياة فى القرية بسيطة ، ونفقات الزوجة والأبناء مما لا يثقل المتزوجين . من ذلك يرى أن الأرياف فى مصر بمنجاة من أزمة الزواج ، وأنه إن كانت هناك أزمة فهى فى المدن دون القرى ، لأن حياة المدينة وطبيعتها مما يقلل أهمية الزواج فى نظر الشاب ، فهو يستطيع أن يجد فيها كل ضروريات الحياة ولوازمها متوفرة ما دام يملك النقود بما فى ذلك الناحية الجسمية التى قد تكون الدافع الأول فى عهد الشباب للزواج .

« وما دام قد استطاع إرضاء ضروريانه وإشباع طبيعته فإنه ينظر بعد ذلك إلى الزواج على أنه تحمل لمسئوليات لا دافع لها ولا ضرورة ملجئة إليها .

« على أن هناك أسبابا خاصة لكل طبقة من الطبقات الثلاث فى المدن تحول بينها وبين الزواج على رغبتها فيه :

« فأما الطبقة الثالثة فالشبان غالباً يكونون قد حصلوا على قسط من التعليم والذوق لا يسمح لهم بالزواج من الطبقة الثالثة التى تكافئهم مادياً ، بل يتطلعون إلى بنات أرقى من طبقتهم ، الأمر الذى لا تسمح به حالتهم المالية . وأضرب لك مثلا الشاب الذى حصل على كفاءة التعليم الأولى ، أو شهادة الدراسة الثانوية قسم أول ، ووظف بأربعة جنيهات فهذا المبلغ لا يكاد يسمح له وحده بالحياة . فإن تمدد بعد ذلك ليسمح بالزواج ، فمن أحط الطبقات ، وهذا ما لا يرضاه شاب حصل على قسط من التعليم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذا الشاب يفكر فى أبنائه الذين سيأتى بهم ، وتعليمه يجعله ميالاً إلى تعليمهم ، وهو يرى نفسه عاجزاً عنه — فيحجم عن الزواج .

« وأما الطبقة الثانية فيحول بينها وبين الإقبال على الزواج عدة موانع : منها أن كلا من الشاب والشابة يطلبان شريكا أعلى من طبقته غالباً . فالشاب الذى دخله عشرون جنيهاً يتطلب فتاة لها مثل دخله . وعلى حسب نظام الإرث عندنا — للذكر مثل حظ الأنثيين — لا بد أن تكون هذه الفتاة من أسرة أغنى كثيراً من أسرة الشاب . وكذلك تصنع الشابة أو أهلها فى بحثهم عن الزوج المناسب . ومنها ارتفاع المهور وتكاليف الزواج ونفقاته . وسماع الشبان بحوادث الإسراف والمطالب الباهظة لفتيات هذه الأيام ، مما لا يسمح له به دخله . وكذلك بالتفكير فى الأبناء ونفقات تعليمهم تعليما راقياً مما يثبط الهمم .

« فاذا أضفت لذلك أن الشاب فى هذه الطبقة يستطيع أن يرضى مطالبه وشهواته فى الخارج دون تحمل لمسؤليات الزواج وتكاليفه ، وأن الفساد الخلقى العام يبيح له الناحية الجسمية فى سهولة ، ويلقى فى قلبه بذرة الشك من ناحية كل فتاة خشية أن تكون زوجته واحدة من الكثيرات اللواتى يستطيع الحصول عليهن فى كل يوم وليلة ؛ إذا أضفت ذلك كله إلى ما مر فإنك ستجد مندوحة للشبان عن الزواج بل أكثر من ذلك ، ما يدعو إلى الإحجام والتردد الطويل .

« أما الطبقة الراقية فإن لإسراف الزوجات إسرافا قد لا تعرفه مثيلاتهن فى أوربا دخلا كبيراً فى الإحجام عن الزواج . ففتاة الطبقة الراقية ميالة إلى الكماليات الباهظة

المنقطعة النظير ، بحيث يقف الشاب مدة طويلة للتفكير فى موارد ثروته وهل ستكفى هذا السيل الجارف الذى لا ينفد من الطلبات ؟ ولا يقدم على الزواج إلا بعد التردد والإحجام الطويلين .

« وإذا كنا نعتقد أن الزواج هو أمنية كل فتى وكل فتاة ؛ وهو أعذب أمل يود كل منهما تحقيقه ، فانه لا بد من إزالة هذه العقبات المصطنعة من طريقهما ، حتى يتمتعا بأعذب أمنية لهما فى الوجود .

« والآن نشير بما يأتى على وجه الإجمال :

١ — العمل على مداواة داء الإسراف . وتستطيع المدرسة أن تقوم بقسط وافر من هذه المهمة إذا أدخل فى برامجها — كمادة أساسية — تعليم الحياة الاقتصادية علمياً وعملياً فى العصر الحاضر .

٢ — العمل على علاج الحالة الخلقية العامة — وهذه مهمة المدرسة كما هى مهمة المنزل ؛ فاذا تعاونا عليها أمكن كمالها ، ولا سيما إذا ضم لذلك تحريم المسكرات .

٣ — تنظيم المهور ومظاهر الأفراح ؛ ولا بأس من أن تتدخل الحكومة بتشريع يساعد على ذلك .

٤ — الإكثار من التعليم الصناعى بمختلف درجاته ، وتسهيل طريقه للطوائف جميعها بحيث يستطيع الآباء أن يضمنوا لأبنائهم مستقبلا يعيشون منه مع قليل من النفقات . بمثل ذلك نستطيع أن نحارب أزمة الزواج فى المدن ، وأن نتيح للفتى والفتاة الفرصة للاجتماع فى ظلال الرابطة الزوجية المقدسة » .

وفى سنة ١٩٣٣ طلب منى الأستاذ محمد فريد جنيدى إبداء رأيى فى تلك الأزمة فأدليت له بالبيان الآتى بعد ، ونشره فى كتابه « أزمة الزواج فى مصر » .

« ليست أزمة الزواج من المشاكل السهلة ، أو القليلة الأثر فى حياة الأمة . وإذا عرفنا أن الحياة الزوجية هى قوام الأسرة ، وبالتالى قوام الأمة ، بل قوام الانسانية جميعها . إذا عرفنا هذا أمكننا أن نقدر خطورة أزمة الزواج ، ووجوب العمل على علاجها .

« إن أزمة الزواج طارئة على مصر ، أعتقد أنها وفدت عليها كعدوى من المدنية الغربية التى أصيبت بهذه الأزمة قبلنا ، وقد زادتها الظروف الموضعية شدة فأخذت

فى السنوات الأخيرة شكلا واضحاً ، وبعد أن كانت محصورة فى المدن فقط ، جعلتها الأزمة الاقتصادية الناشئة تتسرب كذلك إلى القرى ، وهذا هو الخطر العظيم فى بلاد كمصر تعتمد على الأيدى العاملة فى الحقول . ولكى يسهل بحث أسباب هذه الأزمة ، فإننا نقسمها إلى أسباب اقتصادية واجتماعية وخلقية :

« فأما الأسباب الاقتصادية ، فلست فى حاجة إلى التدليل عليها ، والأزمة المالية تأخذ بالخناق ، وتضيق موارد الأفراد فى جميع الطبقات وموارد الأمة كذلك ، وتلزم الناس بالاقتصاد فى كل شىء ، ويكاد كثير من الأفراد لا يجدون قوتهم ، وهؤلاء من الصعب عليهم أن يفكروا ولو مجرد تفكير فى تزويج أبنائهم فى هذه الأزمة الخانقة بخلاف ما كان الحال قبل هذه الأزمة حيث كان الفلاحون يعددون الزوجات للحصول على أولاد يعاونونهم فى حقولهم .

« وإذا أضفنا إلى ذلك أن تكاليف المهور والمظاهر أصبحت مرضاً اجتماعياً خطيراً عرفنا كيف تقوم هذه التكاليف والمظاهر حاجزاً بشعاً بجوار الأزمة المالية يصد الكثيرين عن الزواج فى الوقت المناسب .

«وهناك أسباب اقتصادية أخرى أنتجتها الحياة الاجتماعية والعلمية الحديثة . منها أن الشاب المتعلم الآن يخرج من مدرسته ، فلا يجد أمامه مجالا للعمل الذى كان من قبل ينتظره فى دواوين الحكومة ، فيضطر للمغامرة والجهاد . وقد يفلح وقد يخيب ، وحتى فى حالة فلاحه ، فإنه يحتاج إلى وقت طويل حتى يطمئن من الناحية المادية ويبدأ يفكر فى اختيار شريكة حياته . وهو لا يقدم على ذلك إلا إذا كان مستوثقاً من قدرته على الإنفاق على منزله وعلى أبنائه ، ومن استعداده لتعليمهم . وهذا بطبيعة الحال مما يؤخر سن الزواج ، ويساعد على الأزمة الزوجية .

« أما الأسباب الاجتماعية ، فأعتقد أن للحالة الخلقية نصيباً كبيراً فيها ، ذلك أن هذا الفساد الذى يتدهور فيه الشباب من فتيان وفتيات ، والاختلاط الذى جاء فجأة على أثر الحركة الوطنية ، واشتراك السيدات فيها دون تمهيد من قبل لهذه الظاهرة .

« كل ذلك أوجد بين الشباب ما يشبه أن يكون إباحية ، ومن طبيعة هذه الحالة أن تعرقل حركة الزواج . فالشاب — ولا سيما فى دور الشباب الأول — يكتفى بإرضاء غرائزه الجنسية فى هذا الكلأ المباح ، دون أن يحمل نفسه أعباء الزواج وتكاليفه

القاسية ، ودون أن يقيد نفسه بمنزل وأسرة وأبناء ، ويحرمها لذات الفسح واللهو مع الأصدقاء والصديقات .

« وهو حتى عند ما يشاء الخروج من هذه الحالة بعد أن تكتمل رجولته ، لا يجد بنفسه الاطمئنان الكافى لاختيار شريكة حياته ، بعد ما جرب أخواتها وعلم أنهن سهلات الانقياد ، ومن الذى يدريه أن زوجته التى يختارها لا تخونه مع شبان يزينون لها طريق الفساد !

« وقد ضعف الوازع الدينى الذى كان يأمر بالزواج المبكر ، ويعتبر الزواج نصف الدين ، وينهى عن الرذيلة ، ويحض على العفاف والصيانة . فكان هذا نكبة جديدة أصابت الحياة الخلقية ، وبالتالى أصابت الحياة الزوجية .

« وزد على ذلك أن المنازعات بين الرجل والمرأة ، فى داخل المنزل ، قد ازدادت ووصلت أخبارها إلى المحاكم الشرعية ، بسبب الفساد الخلقى من ناحية ، وبسبب حرية المرأة ومضادتها لسيطرة الرجل التى تعودها من ناحية أخرى ، وكثرت شكوى الأزواج من حياتهم المنزلية ، مما نفر العزّاب وأخافهم من هذه الحياة وجعلهم يفرون منها فوق ما هم فارون من قبل . وأخذت الصحف تذكر الحوادث والمنازعات الزوجية فى صورة مكبرة مشوهة فكان ذلك ضغثاً على إبالة .

« وكذلك لا ننسى انتشار المخدرات والبغاء العلنى والبغاء السرى بشكل ذريع ، وهذه كلها عوامل على إضعاف الرغبة فى الزواج ، بما تضعف من الأجسام وتقتل من النشاط وتضيع من الأموال .

« أما أوجه العلاج التى يمكن اقتراحها فهى بحسب الأسباب التى ذكرناها ويمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا — العمل على تخفيف الأزمة الاقتصادية الخانقة . ومهما تكن هذه الأزمة عالمية فان من المستطاع تخفيف حدتها بعوامل موضعية .

ثانياً — تخفيض المهور ومظاهر الأفراح إلى الحد المعقول ، ويمكن الاستعانة على ذلك بسن قوانين مناسبة .

ثالثاً — الاكثار من التعليم الصناعى وتقصير مدته ، حتى يستطيع الشاب أن يجد له بعد تخرجه سلاحاً من تعليمه يجول به فى ميدان الأعمال الحرة . ولا نكتفى بذلك بل نعمل على إيجاد المصانع والشركات التى يستطيع هؤلاء الشبان صرف جهودهم وخبرتهم فيها .

رابعاً — الإكثار من نسبة المجانية فى المدارس الابتدائية لأبناء الموظفين الصغار الذين يعجزون عن تعليم أبنائهم . ويمكن الاستعانة على هذه المجانية بفرض ضريبة على العزاب الذين هم فى سن الزواج ، ولا توجد لديهم موانع مقبولة .

خامساً — العمل على رفع المستوى الخلقى فى المدارس والبيوت وجعل تدريس الدين أساسياً فى المدارس على اختلافها .

سادساً — التعليم المشترك منذ الطفولة ، لأن هذا يولد توافقاً من عهد الصغر بين البنين والبنات ، وهو من ناحية أخرى أقل خطراً من الاختلاط المباغت فى عهد الشباب . والشرع الإسلامى لا يمنع اختلاط الصبية من الجنسين .

سابعاً — عدم نشر أخبار المنازعات الزوجية فى الصحف إلا فى صورة ملطفة ولبحث اجتماعى يذكر فيه العلاج ، لا أن تكون كما هى اليوم مادة للنشر فقط لاجتذاب القراء .

« بمثل ذلك نستطيع أن نحارب أزمة الزواج فى المدن . وأن نتيح للفتى والفتاة الفرصة للاجتماع فى ظلال الرابطة الزوجية المقدسة » .

آمالى بعد بلوغ سن الثمانين : بعثت إلى مجلة كل شىء والدنيا سنة ١٩٣٦ سؤالا تحت عنوان « ماذا تصنع حينما تبلغ الثمانين » ؟ فكتبت إليها الجواب الآتى :

« لا تزال « مجلة كل شىء والدنيا » تطرق بنا أبواب الابتكارات وتغرينا بالموضوعات الجذابة والاستفتاءات الخلابة ، فتنزلنا راضين على حكمها وتحفزنا مغتبطين لإجابتها .

« حينما تبلغ سن الثمانين ماذا تنوى أن تعمل ؟ .

« سؤال يستثير الرغبة فى الجواب عنه . ومن ذا الذى لا يود أن يمتد به الأجل حتى يبلغ كل الأمل .

« إنى كما تعلمون قد نيفت على السبعين . ومنذ السبعين وما قبيل السبعين وأنا أهتبل فرصة الأيام اهتبالا ، وأغرق زمنى فى العمل مما أتاح لى أن أخرج فى سنين قلائل « حوليات مصر السياسية » فى عشرة أسفار هى مرجع المؤرخ والباحث فى قضية مصر منذ الحرب

العالمية حتى نهاية سنة ١٩٣٠ . وما كدت أفرغ منها حتى أخرجت مؤلفى الفرنسى « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبي فيها » ؛ ثم توفرت على إخراج « مذكراتى فى نصف قرن » تلك المذكرات التى قيدتها فى حياتى عن كل ما وقعت عليه عينى أو سمعته أذنى مما دق وجل من الأمور .

« وقد ظهر الجزء الأول منذ عهد قريب ورأيت بحمد الله من الإقبال عليه والتقدير له ما جعلنى أنصرف كلى للعكوف على إخراج الجزءين التاليين .

« فاذا تحقق هذا الرجاء وكان لا يزال فى الأجل متسع عملت على إخراج كتيبين أحدهما لتعليم مبادىء الحساب فى أسلوب قصصى مترجم عن الفرنسية والثانى لتلقين مبادىء اللغة العربية على طريقة استحدثتها موضحة بالصور. وأرى فى هذين الكتيبين نفعاً كبيراً إذا عنى بتدريسهما للناشئة .

« وبعد فإنه لا يزال هذا الوطن العزيز يتطلب الإصلاح وينادى المصلحين الاجتماعيين والأخلاقيين . فإذا انتهيت من ذلك كله وكان لا يزال لصوتى مدى يبلغه ، فإنى لا أضن برفعه جهرة لأدل المصلحين على مواطن الضعف وأسباب العلاج .

شعوري فى سن الثمانين : وفى ١٢ يناير سنة ١٩٤٠ طلب إلى مندوب من المصور أن أحدث القراء عن شعورى فى سن الثمانين فأدليت إليه بحديث قدمته الصحيفة بما يلى :

« فى هذا العام يبلغ صاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا عامه الثمانين من عمره السعيد الطويل . وسيقيم قريباً لهذه المناسبة اللطيفة حفلا جامعاً بقصره بشبرا احتفاء بهذا المهرجان . وقد تفضل فكتب للمصور هذه الكلمة النفيسة التى يصف بها شعوره فى هذه السن التى يحتفظ فيها بنشاطه الدائم وذاكرته القوية ، ويضرب فيها للشباب مثلا حسناً فى العمل والجهاد . أطال الله عمره ، ومتعه بالصحة والعافية » .

وهذا هو الحديث :

«حينما سئلت مثل هذا السؤال منذ عشر سنوات ، كان أهم ما يشغل بالى ، وما أتمنى تحقيقه هو إخراج « مذكراتي فى نصف قرن » .

«وقدحقق الله أمنيتى ، فأخرجت للناس هذه المذكرات ثلاثة أجزاء فى أربعة مجلدات . وكان من حق نفسى على أن أطمئن واستريح بعد تحقيق هذه الأمنية العزيزة .

« ولـكن الإنسان طماع ، ما يكاد يحقق أملا حتى تهفو نفسه إلى أمل جديد ، وهكذا لم أكد أفرغ من مذكراتى حتى رأيت أن أتم هذا العمل باصـدار كتاب عن « أعمالى بعد مذكراتى » ؛ وهأنذا مشغول بهذا الشاغل الجديد ، وسأنتهى منه قريباً بعون الله .

«ولقد كان من أكبر أمانى بعد انتهاء مؤلفاتى التى تستغرق كل وقتى ، والتى تشغلنى يقظاً ونائماً ، وتملأ مخيلتى فى ذهابى وإيابى . أقول كان من أكبر أمانى بعد ذلك أن أشتغل بمسائل الإصلاح الاجتماعى ، لاعتقادى أن هذه المسائل جديرة بعناية كل وطنى .

« ولـكننى يجب أن أعترف لنفسى بحقها على هذه السن المتأخرة ، وأن أراعى صحتى المتعبة ، وأن أضع لمجهوداتى حداً ، قانعاً بما حققت من آمال ، وما قمت به من أعمال .

«ولقد أصبحت على ثقة أن كل مجهود جديد ليس فى مصلحة صحتى وليس فى إمكانى المثابرة عليه .

«لهذا فأنا أنتظر الفراغ من طبع هذا الـكتاب الأخير لأستجم وأستريح فى مكان هادىء ، بعيداً عن ضجة الحياة وإنهاك العمل ؛ وسأختار مستشفى منعزلا آوى إليه بعض الأسابيع فى أوقات متقطعة للاستشفاء والراحة من العناء .

« ولـكنى أعـلم من نفسى أننى مهما آثرت الراحة ، فلن أستطيع السكون الدائم والانقطاع الطويل ، ولهـذا فسأسلى هذه العزلة بالاستماع إلى تفسير القرآن الـكريم ، والاطلاع على بعض الصحف بقصد التسلية والترويح والاتصال بالعالم .

«وأهم مايريح بالى ، هو شعورى بأننى أديت واجبى فى الحياة ولم أضع عمرى فى اللهو ، بل فى عمل متواصل لوطنى ولأبنائى وللأجيال القادمة كذلك .

« والله لا يضيع أجر العاملين » .

وزارة على ماهر باشا والمجلس الاجتماعى الأعلى : لما وليت الحكم وزارة على ماهر باشا سنة ١٩٣٦ وألفت « المجلس الاجتماعى الأعلى » كتبت فى الأهرام مذكراً بما كتبته بخصوص المسائل الاجتماعية ثم قلت :

« واليوم أحمد الله الذى وفق حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا لسد هذا الفراغ والعناية بالإصـلاح الاجتماعى وتأليف المجلس الاجتماعى الأعلى ، للنظر فى تطهير البيئة المصرية من الآفات الاجتماعية والخلقية التى تغلغلت فيها .

« والحق أن مهمة هـذا المجلس من أدق المهمات وأصعبها لأن أمامه عملا شاقاً طويلا ، بعد ما أصاب الضعف الاجتماعى معظم نواحى البيئة المصرية .

« وإننى لأجهر الآن بأن هذه العيوب — مع الأسف — لم تصب طبقة دون طبقة ، وأن هذه العيوب تشمل كثيراً من رجال الأعمال ورجال الحكم فينا كما تشمل البيئات النسوية وبيئات التعليم .

« ولم يبق فى الامكان السكوت على هذه الحالة التى تهدد الشعب بتقويض نظامه الخلقى والاجتماعى .

« وإذا كان المجلس الاجتماعى سيضطلع بهذه المهمة الكبرى ، فإن من الواجب على كل ذى رأى منا يلاحظ عيباً من العيوب ، ويعرف طريقة علاجه ، أن يدلى برأيه ، وألا يترك العبء كله لغيره .

« وفق الله العاملين لما فيه صلاح الأمة وفلاحها » .

جمعية الدراسات الاجتماعية : علمت أن الأستاذ أحمد نجيب الهلالى بك وزير المعارف السابق ألف جمعية للدراسات الاجتماعية فكتبت إليه مستحسناً هذه الفكرة وشرحت له فى رسالتى سابق اهتمامى بهذا الموضوع وأننى منضم إلى الجمعية ، فجاءنى منه الرد بتاريخ ٥ أكتوبر سنة ١٩٣٧ وفيه يقول :

« تشرفت بخطاب سعادتكم فملأ قلبى سروراً وقد استبشر جميع الإخوان بانضمامكم إلى جمعية الدراسات الاجتماعية التاريخية وسيزوركم وفد من حضراتهم للشكر لسعادتكم والتحدث إليكم فى شئون الجمعية » .



أحمد نجيب الهلالى بك

وفى ٢٠ اكتوبر تلقيت منه رسالة جاء فيها :

« أنشئت فى القاهرة مدرسة للخدمة الاجتماعية نشرت الصحف بياناً عنها ورحبت

بها أجمل ترحيب ، وبدأت الدراسة فيها من يوم ١٦ اكتوبر بعدد من الطلبة يبلغ نحو من خمس وستين . وأعتقد أن سعادتكم توافقوننى على أنه قد آن الأوان للقيام بمجهود مشترك فى سبيل الوصول بهذه المدرسة إلى مستوى المدارس التى أسست فى جميع البلاد الأوربية والأمريكية لتخريج إخصائيين أكفاء لمعالجة المسائل الاجتماعية » .

وعهد بإدارة المدرسة إلى السيدة الفاضلة برتا فهمى خريجة الجامعات الأمريكية (١) فى الخدمة الاجتماعية ، تعاونها لجنة مؤلفة من السيدة حرم الدكتور منصور فهمى بك ناظرة مدرسة الأميرة فوزية الثانوية رئيسة للجنة والدكتور وندل كليلاند مدير قسم الخدمة الاجتماعية بالجامعة الأمريكية والدكتور عبد الواحد الوكيل بك مفتش صحة مدينة القاهرة وأستاذ علم الصحة بكلية الطب والسيدة زاهية مرزوق المفتشة بوزارة المعارف ومن الإخصائيات المدربات على أعمال الخدمة الاجتماعية ، والسيدة ا . مايستر خريجة مدرسة الخدمة الاجتماعية بجنيف أعضاء .



السيدة برتا فهمي

وكان إنشاء هذه المدرسة نتيجة لدراسة قام بها بعض الباحثين فى الشئون الاجتماعية المصرية وخرجوا منها بضرورة إيجاد مثل هذه المدرسة لتخريج عدد من الإخصائيين المدربين الذين يستطيعون القيام بالمشروعات الاجتماعية التى تحتاج إليها البلاد وبضرورة إثارة الرأى العام المتنور لمساعدة هذه المشروعات وتنفيذها على الوجه الأكمل حتى يتم بذلك رفع مستوى المجتمع المصرى وتوفير أسباب رفاهيته وبذلك ترمى مدرسة الخدمة الاجتماعية إلى هدفين :

الأول — تدريب القائمين بشئون اجتماعية من محترفين ومتطوعين تدريباً فنياً صحيحاً متلائماً مع الأحوال المحلية فى مصر .

---

(١) مقتطف من تقرير مجلس الادارة .

الثانى — إثارة اهتمام الرأى العام فى أعمال الخدمة الاجتماعية ووسائل تحقيقها .

وقد وضع برنامج محكم للدراسة بهذه المدرسة ، روعيت فيه حاجات البلاد المصرية فوضعت أهمية خاصة للمسائل الاجتماعية الهامة فى مصر كالمسائل الصحية والمسائل الريفية والأحداث المهملين والمجرمين وغير ذلك من الموضوعات التى تساعد على تنفيذ المشروعات الجديدة التى تحتاج إليها البلاد كالمشروعات المتعلقة بإصلاح القرى وتحسين حال الفلاحين وإنقاذ الأطفال المشردين وغير ذلك .

وقد سارت المدرسة بنجاح فى أداء مهمتها وكثر إقبال الطلاب والطالبات عليها .

وفى يوم ٢٢ يناير سنة ١٩٣٩ وردت لى رسالة من مجلس إدارة الجمعية ومما جاء فيها :

« حضرة صاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا

«أتشرف بأن أنهى إلى سعادتكم أن الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية قد قامت فى سنتها الأولى بكل ماتعهدت به عند تأسيسها فأنشأت مدرسة الخدمة الاجتماعية وأدارتها مما دعا إلى رضاء وزارة المعارف العمومية وكذلك الهيئات العامة الأخرى فى مصر والخارج».

وزارة الشئون الاجتماعية : وفى أغسطس سنة ١٩٣٩ ألف على ماهر باشا الوزارة وأنشأ للشئون الاجتماعية وزارة خاصة تشرف على جميع نواحى النشاط الاجتماعى فى مصر وضمت إليها عدة مصالح حكومية لها علاقة بالمسائل الاجتماعية ، فدل إنشاء هذه الوزارة على شدة اهتمامه بهذه الشئون ، وعلى تنبيه الأفكار إلى أهميتها .

دعوة الاستاذ الأكبر لعلاج أمراض العالم الاسلامى : وفى ليلة الاحتفال بالمولد النبوى ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى كلمة قيمة فصل فيها برنامجاً عملياً لإصلاح حال المسلمين فكتبت فى أهرام ٦ يونيو سنة ١٩٣٧ كلمة جاء فيها :

« إننى — والحق يقال — معجب بهذا البرنامج الذى سنه فضيلة الأستاذ الأكبر للبحث ومعجب خاصة باشارته إلى تعليم الدين على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب فى الحياة وما أخرجته العقول من ثمرات ناضجة ، فقد نفى بها تهمة التعصب ، وتهمة الرجعية وأزال عن المبادىء الاسلامية ما ترمى به باطلا من محاربة التجديد والانتفاع بكل جديد من المعارف الإنسانية .

« ولكن أخشى ما أخشاه أن تنسى دعوة الشيخ التى دعاها لعلاج أمراضنا الاجتماعية وأن تكون قولا لا ينتج عملا .

« ولعل فضيلته يسمح لى أن أقترح عليه تولى هذه الدعوة لعقد جماعة من القادة والمفكرين من جميع البلاد الإسلامية ؛ فهو فى مركز يهيء له نجاح هذه الدعوة . ولا سيما الآن ، وقد أخذت أمم الشرق تعمل للتقرب بل الوحدة . فقد أبرم الحلف العربى بين العراق والحجاز واليمن ؛ وربما انضمت دول أخرى إلى هذا الحلف المبارك . والسياسة التى كانت ترمى إلى التفريق بين هذه الأمم ، وتحارب كل دعوة للوحدة ، أصبح من مصلحتها الآن أن تتحالف هذه الشعوب وأن تكون كتلا قوية . ولقد وضح الأستاذ برنامج البحث وفصله تفصيلا ؛ فلم يبق إلا أن يجتمع مؤتمر إسلامى أو شرقى لفحصه والانتهاء إلى آراء حاسمة فيه .

« فليدع الشيخ دعوته ، والله يوفقه إلى ما فيه خير الأمة الإسلامية » .

لا تسول ولا امتياز فى عهد فاروق : تحت هذا العنوان كتبت يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٧ فى الأهرام ما يلى :

« لا تزال الأمة المصرية فى أفراحها المنقطعة النظير بتتويج المليك الشاب فاروق الأول. وقد صنع الشعب فى استقبال جلالته ما لم يصنعه فى استقبال حاكم آخر ، وأظهر من شعائر الود والإخلاص ما لم يظهره لأية شخصية أخرى .

« وإن هذا الشعب المجيد لمحق فى فرحه واغتباطه بجلالة المليك . فقد ثبت أنه يستحق هذا الحب وأكثر منه ، وأنه يحب شعبه كما يحبه ، ويضمر له الخير ، وينوى العمل على إسعاده بكل ما يستطيع من مجهود .

« دعانى هذا كله أن أتقدم لهذا الشعب المتفانى فى حب مليكه باقتراح ، وهو تخليد هذا الحب وتسجيله فى أثر خالد باسم « فاروق » . وقد اخترت أن يكون هذا الأثر هو القيام بعمل حاسم لمنع التسول نهائياً فى مصر ، ذلك أن عهد فاروق يجب أن يكون عهد سعادة ورخاء وغنى لكل فرد من أفراد شعبه ، كما يكون عهد كرامة لهذه الأمة فى مجموعها وأفرادها ، حتى يذكر التاريخ « أن التسول كان يوجد فى مصر حتى تولى الملك ملك شاب محبوب هو « فاروق الأول » فمحا هذه الوصمة عن جبين الشعب ، وبطلت هذه الظاهرة نهائياً » .

« ولست أرى أن تعالج هذه المسألة عن طريق التشريع وحده ، فالتشريع لا يكفى ما دام المتسولون — وخصوصاً صغار الأطفال — لا يجدون الأماكن الكافية لإيوائهم جميعاً ولتعليمهم صناعة يعيشون فى المستقبل منها .

« فالعمل الحاسم الذى أقترحه هو أن تتبرع الأمة على اختلاف طبقاتها باسم فاروق تبرعاً كافياً لإنشاء الملاجئ التى تضم جميع المتسولين المضطرين للتسول ؛ وعندئذ فقط ينفذ قانون منع التسول تنفيذاً حاسما لا هوادة فيه ، وترفع درجة العقوبة كما رفعت فى جرائم المخدرات فيصبح التسول للمحترفين عملا شره أكثر من خيره ، وعندئذ يقلعون عن هذه العادة السيئة التى تحط من كرامتنا أمام أنفسنا وأمام الأجانب .

«وأرى أن يخصص بعد ذلك فى كل عام أسبوع يسمى « أسبوع فاروق » تجمع فيه التبرعات لهذا المشروع على طريقة « مشروع القرش » لضمان الإنفاق على هذه الملاجئ .

« وأعتقد عن ثقة أن هذا الشعب الذى أحب فاروق حباً قريباً من العبادة لن يبخل بالتبرع بما يستطيع إذا دعى باسمه إلى التبرع كل عام .

« وبجانب اقتراحى الأول ، أرى أن تعمم الحكومة توزيع صور حضرة صاحب الجلالة الملك فى الأرياف فى ديوان العمد ومشايخ البلاد ليراها الريفيون فى كل مكان . فيعرفوا ملكهم الذى يسمعون به ، والذى سيدعون للتبرع باسمه ، كل بما يستطيع .

جعل الله عهد الملك الجديد المحبوب عهد بر ورخاء واطمئنان » .

وفى اليوم التالى لنشر هذه الكلمة نشرت الأهرام أنها تلقت كتاباً من الآنسة « تحية رفعت » تحبذ الاقتراح وتفتتح الاكتتاب بمبلغ جنيه .

وفى يوم ٢٠ أغسطس نشرت الأهرام ما يأتى :

تلقينا كلمة بتوقيع « محمد عبد الله فريد بالمطبعة الأميرية » عرض فيها للاقتراح الذى نشرته الأهرام حول الاكتتاب لمشروع ملاجئ يطلق على كل منها اسم « ملجأ فاروق » . وقد ذكر الكاتب أن الفكرة حسنة فى ذاتها ، ثم عقب على ذلك بقوله :

«إذا كان مشروع الملاجئ صالحاً فى الغرب فهو فى الشرق قليل الجدوى ، وذلك لأننا لم نفهم بعد المغزى السامى من إنشاء الملاجئ . فاللاجئون يعتقدون أنهم فى سجن يحد من حريتهم ؛ وحريتهم هى مضايقة عباد الله ، وموظف الملجأ يعتقد أنه هو وحده الحكومة :

ومن هنا نشأ الخلاف ، وكانت « الثورة » التى يقوم بها بعض من أبطرتهم الراحة والشبع بعد مسغبة مثل ثورة « ملجأ العجزة » بالهيـاتم على نحو ما ذكرته « الأهرام » حتى إنهم آثروا عدم العودة إلى الملجأ وقالوا : السجن أحب إلينا من هذا .

« على أنى أعتقد أنه من الخير لبلادنا ولهؤلاء المتسولين شراء قطعة كبيرة من الأرض الزراعية فى الضواحى يطلق عليها «مستعمرة فاروق» ، يشتغل فيها المتسولون الأصحاء فى زراعة الخضر والفواكه والبقـول ومستخرجات الألبان ؛ وتتولى الحكومة إدارتهـا بموظفين مثقفين ، كما تتولى بيع منتجاتها فى الأسـواق وتوزع عليهم أثمانها بعد خصم النفقات . وذلك على أن تشمل المستعمرة المساكن والمخازن والحراس ؛ وأما المقعدون والعميان والعجزة فنهيئ لهم صناعات تلائمهم ، كغزل الصوف وعمل السلال والمقاعد من القش والخيزران والمكانس والحصر وغير هذا من الصناعات اليدوية الخفيفة .

« وبهذا تزول المناظر البغيضة التي نشهدها كل صباح ومساء فى الطرقات من أشباح قذرة تظهر كالخفافيش بعد العاشرة ليلا . فهذا متسول يستر جسده بأسمال ممزقة ليريك مبلغ عريه وبؤسه ؛ وآخر يهز يديه كأنه ممسوس أو مشلول . ولا يطيب الوقوف لهؤلاء إلا عند محطات الترام فى شارع فؤاد الأول أو على رأس شارع عماد الدين ليضايقوا الرائح والغادى فى أكبر الشوارع العامة .

« فاذا نجح مشروع « مستعمرة فاروق » كان على الحكومة أن تشدد عقوبة التسول فى الطرقات ، وكان على الجمهور أن يكتتب بالصدقات والزكاة لهذا المشروع النافع الجليل » .

وبعد الانتخابات وظهور النتيجة توفر مبلغ من الترشيحات التى لم يحز أصحابها عشر لأصوات، فكتبت الأهرام بتوقيع «محمد يوسف» ما يلى :

« يوجد الآن مبلغ لايستهان به من التأمينات التى لم يحصل أربابها على عشر الأصوات، وهى المبالغ التى توزع عادة على الأعمال الخيرية، وهو ما يفكر فيه الآن صاحب المقام الرفيع وزير الداخليـة . وأمامنا مشروع خطير هو من أهم مشروعاتنا الخيرية ، وعليه تتوقف سلامة الجيل المقبل ، وهو إيجاد ملجأ لإيواء أطفال الشوارع فى العاصمة ، ولصاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا أن يختلس جزءاً من وقته ليمر بنفسه فى بعض الشوارع ، فيشاهد المأساة الإنسانية الفاجعة فى أشخاص هؤلاء الأطفال .

« لذلك أقترح على مقامه الرفيع أن ينتهز هذه الفرصة لتخصيص مبلغ التأمينات جميعه لهذا المشروع حتى يمكن إخراجه إلى حيز التنفيذ فى أقرب وقت ممكن ، فتحل مشكلة من أهم مشاكلنا الاجتماعية والخلقية ؛ وبالله التوفيق » .

وقد قام محافظ العاصمة عبد السلام الشاذلى باشا أخيراً بمشروع جليل لمقاومة الشحاذة وهو جمع أطفال الشوارع وإرسالهم إلى مزرعة فى منطقة « السرو » حيث يزاولون الأعمال الزراعية مقابل أجر يحفظ لهم ما يتبقى منه بعد الأكل والملبس لينفعهم فى كبرهم .

وقد كتبت بعنوان « تأمينات الترشيح ومكافحة التسول فى مصر » .

« حينما جلس مليكنا الشاب المحبوب على عرش مصر ، اقترحت أن تتخذ هذه المناسبة السعيدة فرصة للقضاء على التسول فى مصر ، لكى يذكر التاريخ فى صفحاته « أنه كان بمصر تسول ومتسولون ، حتى جلس على عرش مصر ملك شاب يسمى فاروق الأول فبطلت هذه العادة ومحى أثرها » .

« واليوم تعرض فرصة طيبة لتنفيذ هذا الاقتراح بوجود مبلغ ضخم من تأمينات الترشيح التى لا ترد لأصحابها والتى ينص القانون على إنفاقها فى المشروعات الخيرية . فهذا المبلغ يجب أن يخصص لمكافحة التسول ، وهو أكبر مشروع خيرى تتجه إليه الجهود .

« إن التسول مرض اجتماعى خطير ، يمهد لسقوط الهمم ، ونشر الجرائم ويطبع مصر بطابع التأخر والانحطاط . والمال هو عصب الحياة لكل مشروع ، ولا فائدة من وضع القوانين واقتراح المشروعات دون أن نضمن الوسيلة العملية لتنفيذها وهى المال . وها هي ذى المصادفات السعيدة تسوق إلينا مبلغاً ضخما فيجب ألا نتوانى فى محو هذه الوصمة عن جبين مصر العزيزة .

« فهيا إلى العمل ؛ والله ولى التوفيق » .

ضيافتى لطلبة استراسبورج : فى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٧ زار مصر جماعة من أساتذة وطلبة جامعة استراسبورج ، فدعوتهم لتناول الشاى ومعهم الدكتور محجوب ثابت . وقد نشرت الأهرام عن هذه الدعوة يوم ٢٥ سبتمبر كلمة جاء فيها :

« وقد رحب بهم سعادته بكلمة نوه فيها بجمال مدينتهم وخاصة ساعتها الأثرية المعروفة والكاتدرائية والجامعة ثم قال : « إن زيارتكم الآن لى تثير فى نفسى ذكريات طيبة .

وإنه يسرنى كمصرى أن أرد بعض الجميل الذى يلقاه المصريون فى البلاد الأجنبية لأمثالكم من الأجانب المثقفين » .

« واختتم كلمته بمناشدتهم ألا ينسوا مصر عند عودتهم وأن يذكروا لمواطنيهم ما شاهدوه من مظاهرها وعطف أهلها .

« ثم وقف أحد الضيوف وشكر سعادته وقال إنهم لن ينسوا هذا الوقت السعيد الذى قضوه فى روضته الجميلة على ضفة النيل . وبعد أن ظل الضيوف يتسامرون ويتجاذبون الحديث إلى الساعة السادسة مساء ، انصرفوا شاكرين ومودعين بالحفاوة » .



المؤلف بين طلبة استراسبورج

التهويش فى حفلات الطرب : وفى ١٦ فبراير سنة ١٩٣٨ نشرت فى مجلة الدنيا المصورة كلمة عن حفلات الطرب جاء فيها :

« تعودت ألا أغادر بيتى فى المساء وأنا فى هذه السن ، سن الشيخوخة ، إلا لضرورة وأن آوى إلى الفراش فى الساعة العاشرة مساء .

«وفى يوم الأحد الماضى وصلت إلى دعوة من حضرة الوجيه مناع جاد الله أحد أصحابى المجاورين لى فى حلوان إلى سهرة يحييها المطرب المشهور الأستاذ محمد عبد الوهاب ابتهاجا بالزفاف الملكى السعيد .

« توجهت مع زميل لى فى الموعد المحدد على أن أعود إلى منزلى فى ميعاد نومى ولكن « الأوركستر » المرافق للأستاذ المطرب بدأ يعزف فى الساعة العاشرة ، وابتدأ صوت المغنى بأغنية جميلة عن الزفاف الملكى فراقنى التلحين والموسيقى والغناء ، وما فيها من التجديد الطريف ؛ وعندئذ قلت فى نفسى لامانع من التأخر الليلة «وهى ليلة فى العمر» .

« كانت هذه الوصلة الأولى أعقبتها استراحة قصيرة . وبناء على طلب المستمعين أن يسمعوا شيئاً من أغانى فيلم عبد الوهاب الجديد «يحيا الحب» بدأ الوصلة الثانية بقطعة : «يا وابور قل لى رايح على فين»

وانتهت الوصلة عند منتصف الليل .

« وقد كنت أتابع المغنى وأنصت لغنائه بكل جوارحى رغم التشويش من كثير من المستمعين ، مما كان يفسد على السماع ، وينقلنى من صوت المغنى المطرب ، إلى الأصوات المنكرة التى ترتفع بالضجيج ، مبدية الاستحسان ، أو طالبة الإعادة . أو هاتفة بالتشجيع ، مما يقولون عنه : إنه يدعو لحماسة المغنى ويجعله « ينجلى » حتى كدت أرفع صوتى طالباً منهم الإنصات كما كان يصنع « المطيباتى » قديما فيقول « سمع . هوس » وتأجيل الاستحسان والتشجيع إلى نهاية الوصلة ، حتى لا تتأذى الأسماع بالتقلب بين مختلف الأصوات .

« أعادت المظاهر التى شهدتها فى هذه الحفلة إلى ذاكرتى ليالى الطرب فى الأستانة ؛ وأخذت أوازن بيننا وبين المستمعين هناك فوجدت الفارق كبيراً .

« كان أغنياء القوم من السكان على ضفة البوسفور فى الصيف يقيمون حفلات طرب بين الماء والقمر ، ومنهم البرنس سعيد حليم ، فيدعو إخوانه هواة السمع . وبعد تناول العشاء فى سرايه ينزلون فى « صندل » كبير إلى البوسفور ، ويفرشونه بالبسط والسجاجيد وفوقها الحشايا (الشلت) للجلوس ومعهم تخت أحد المطربين .

« وما يكاد الخبر ينتشر عند سكان البوسفور حتى يستعدوا لمرافقة الصندل بزوارقهم وهو يسير الهوينى فى الماء ، وصوت المطرب يلعلع فى ضوء القمر .

« وكان البرنس يأمر بالوقوف مدة أمام سراى المرحومة والدة الخديو السابق فى يبك وأمامه متسع فى الخليج ، يزدحم بالزوارق حتى يخيل للرائى أنه من الممكن اختراق البوسفور من ضفة إلى أخرى على ظهور الزوارق المزدحمة .

« ومع هذا الزحام لم يكن الإنسان يسمع فى أثناء سير الزوارق وراء الصندل صوتاً لأى اصطدام ، ولا للمجاديف ، محافظة منهم على السكون اللازم للسماع . فإذا أضفنا إلى ذلك أن إخواننا الأتراك فى ليالى الطرب كانوا يتهيأون له بتناول شراب « العرقى » ويستمعون بعد ذلك بكل أدب وسكون ، عرفنا الفرق بين الحالة عندنا والحالة عندهم .

« فهل ياترى ذلك التشويش هنا من مستلزمات الغناء ؟

« أنا أعلم أن المرحوم « محمد عثمان » المطرب المعروف ، كان لا يطيق الكلام فى أثناء الغناء ؛ وكان إذا سمعه صاح قائلا « أمال أنا باغنى لمين » ؟

« وعلى أية حال فأنا أترك لمجلة « الدنيا » التى تعنى بالاجتماعيات ، أن تتعرف آراء المطربين والمطربات وعلى رأسهم الأستاذ محمد عبد الوهاب والآنسة أم كلثوم وهواة السمع ».

وقد علقت المجلة على هذه الكلمة فقالت :

« لقد أصاب سعادة العلامة أستاذنا أحمد شفيق باشا فى نقد الحالة الراهنة فى الحفلات الغنائية فى مصر ، فقد اعتاد جمهور السامعين الضجة المزعجة فى أثناء سماع المطربين والمطربات حتى أصبحت هذه الحفلات ليست لسماع أجمل الأصوات ، وأمتع النغمات ، بل للضوضاء المقلقة التى تذهب بلذة النفس وجمال الغناء . فإذا كان هؤلاء السامعون يطربون حقاً بالصوت الجميل ، فلم لا يتألمون من صوتهم المنكر ؟ »

مدينة حلوان : تألف فى مدينة حلوان اتحاد لملاكها وسكانها للدفاع عن مصالحها وقد انضممت إلى هذا الاتحاد واشتريت عشرين سهما من أسهمه ، نظراً لرغبتى فى إحياء هذه المدينة الجميلة . وفى يوم ٢٧ مايو سنة ١٩٣٨ دعوت أعضاءه إلى تناول الشاى بمناسبة انتقالى إلى روضتى فى شبرا .

وقد كتبت المقطم يوم ٢٨ منه ما يأتى :

« اعتاد صاحب السعادة الحاج احمد شفيق باشا أن يقضى أشهر الصيف فى روضته بشبرا وأشهر الشتاء فى مدينة حلوان .

وبمناسبة انتقاله إلى مصيفه دعا حضرات أعضاء اتحاد الملاك بحلوان الذى تألف للدفاع عن مصالح المدينة إلى تناول الشاى بداره .

« وألقى سعادته كلمة عن حلوان فى ماضيها وحاضرها ذكر فيها أنه يحب هذه الضاحية وكل من يسعى فى خيرها ؛ وأنه لهذا دعا حضراتهم باعتبارهم المدافعين عنها ، الساعين فى خيرها ، ليعرب لهم عن شكره وتشجيعه لهذا العمل الجليل . ثم استطرد فى ذكرياته التاريخية عن المدينة فقال :

« قبل نصف قرن انتدبنى الخديو توفيق باشا فى أوائل حكمه لمشاهدة حلوان وإعطائه معلومات عنها لما بلغه من بعض الأطباء عن جودة مياهها الكبريتية وأهميتها ، فذهبت إلى المدينة لهذا الغرض . ومما أذكره من مشاهداتى أن الطريق المؤدية إلى الحمامات كانت لا بأس بها ، ولكن الحمامات نفسها لم تكن منتظمة كما هى الآن . وكانت أمامها « لوكاندة الحمامات » (مدرسة البنات الثانوية الآن) . وكانت المدينة تحتوى على بيوت قليلة يصعب الوصول إليها لكثرة الرمل فى الطرق . ولم يكن فيها شىء من المنشآت الحالية كالكازينو والمتنزهات والمدارس .

« وبعد رحلة فيها عدت فعرضت على الخديو ما شاهدته .

« ثم سافرت إلى باريس للدراسة بصفتى موظفاً مساعدة لى من الخديو ؛ وفى أثناء وجودى فيها سنة ١٨٨٩ جاءنى أمر بالبحث عن سيارة من طراز جديد عرضت بمعرض باريس لاستعمالها فى صحراء حلوان ؛ فركبت فيها مع الأميرين عباس ومحمد على لتجربتها ؛ وهى تشتغل بالفحم الحجرى ومدخنتها فى الخلف ؛ ولكنها لم تكن وافية بما يطلبه الخديو . ومن هذا الوقت عرفت أنه بنى قصراً بحلوان وأخذ يهتم بترقيتها .

« ولما عدت من فرنسا وجدت بعض إخوانى بالمعية قد استوطنوا حلوان . ودعونى لزيارتها فى أحد أيام الآحاد ، فوجدت جموعاً كثيرة وطرقا ممهدة ومحال تجارية وفنادق وحالة جديدة غير التى عهدتها .

« وقد رغبنى إخوانى فى شراء أرض وبنائها ، فطلبت منهم أن يبحثوا لى عن أرض مناسبة ، فأخبرونى أن محمود فهمى باشا رئيس الديوان العربى يستطيع إرشادى لما أطلب ولما لقيته أخرج من جيبه مفكرة ثم قال لى : « إن الخديو أعطاك قطعة أرض » . وذكر لى رقمها وكانت فى ميدان إبراهيم . وبهذا أعتبر نفسى من أقدم ملاك حلوان .

« وكان هذا التمليك موقوفاً على شرط أن أبدأ بالبناء قبل مضى تسعة أشهر . وقد سلمت القطعة ودفعت رسومها ؛ ولكنها ضاعت منى بسبب تأخرى فى البناء فكنت من ملاك حلوان مدة عام فقط !

« وقد كان الخديو توفيق — والحرم فى بعض الأحيان — يشاهدان ما يعرض فى الكازينو ، فكانت هذه دعاية عظيمة للبلدة ؛ فأقبل عليها سراة القوم وأكابرهم ، وسميت شوارعها بأسمائهم .

« ولكن بعد وفاة الخديو توفيق أهملت ، حتى قمتم الآن تعملون لتحسين حالها . وأنا أرجو أن تنال حلوان من عناية مليكنا الشاب فاروق الأول مثلما نالته من عمه توفيق فتستعيد مجدها على يديه .

« وإن مما يحببنى فى هذه المدينة أننى تمتعت فيها بصحة جيدة إذ كنت أجدد نشاطى فيها سنويا لطيب هوائها وجفاف جوها ونقاوته . على أن هذه الضاحية تمتاز باعتدال نفقات الإقامة فيها ، وتوافر كل الطلبات لمن شاء سكناها ؛ وفى أولها المدارس على اختلافها .

« ثم دعا إلى تكوين ناد فى حلوان يؤمه المثقفون من رجالها ، ووعد بأن يهدى لهذا النادى العتيد جميع مؤلفاته كنواة لمكتبته كما أهداها إلى مكتبات مجالس المديريات والمجلس البلدى بالإسكندرية وغيرها تسهيلا لنشر الثقافة التاريخية .

« ثم وقف النائب المحترم سيد بهنس بك رئيس الاتحاد وارتجل الكلمة الآتية :

« إن الاتحاد يعتبر دعوة سعادتكم لرجاله لتكريمهم أكبر مشجع له على المضى فى عمله بخطى ثابتة نحو الغرض الأسمى الذى ينشده ، وهو النهوض بمدينة حلوان الحمامات التى وفيتموها سعادتكم فى كلمتكم وصفاً والتى تعتبر أحسن مشتى فى العالم .

« ولا شك أننا فى عملنا لا نبتغى غير مرضاة



سيد بهنس بك

الله وراحة ضمائرنا من جهة النهوض بفرض خدمة بلادنا ؛ لأن النهوض بحلوان الحمامات وتبوءها لمقامها اللائق بها بين مصحات ومشاتى العالم يعتبر أجل خدمة لمصر وطننا جميعاً .

« ومن محاسن المصادفات أن يكون عملنا وليد احتفائنا بسفر جلالة الملك فاروق الأول فى رحلته الميمونة إلى الصعيد ؛ لأننا عندما تكونت جماعتنا لتقديم فرض الحفاوة اللازمة للمقام الملكى رأينا أن نطبق على أنفسنا الاسم الحقيقى لتكويننا باعتبارنا من ملاك حلوان فسمينا أنفسنا « اتحاد ملاك حلوان » ؛ وجعلنا كلمة « ملاك » تشمل المالك والساكن ؛ ورأينا السير فى إصلاح المدينة كأثر من آثار الاختيار الملكى العالى لمينائها للسفر منها إلى الصعيد ؛ وهذا يدل على أن حلوان كما هي مدينة بوجودها لسمو الخديو توفيق باشا تعتبر مدينة فى تجديدها إلى صاحب الجلالة الملك فاروق الأول .

« إن اشتراك شفيق باشا معنا فى الاتحاد ، مع ما هو عليه من الخبرة ، نتيجة تجارب طويلة فى مراكز عالية ، لأكبر دليل على نجاح فكرة الاتحاد ، واشرف عظيم يرى الاتحاد أنه قد ناله ، وأكبر مشجع لرجال الاتحاد على بذل كل مجهود فى نجاح الفكرة خدمة لبلادنا العزيزة التى يجب على كل منا أن يبذل فى سبيل إسعادها كل ما يملك من نفس ونفيس » .

« ثم وقف الأستاذ محمود علام القاضى ومستشار الاتحاد فقال :

« يكفى اتحاد ملاك حلوان فخراً أن تقابل فكرة تكوينه وإنشائه من صاحب السعادة أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوى ومدير عموم الأوقاف سابقاً بالقبول والرضا والتشجيع الذى شاهدناه مجسما فى حفاوة سعادته برجال الاتحاد اليوم ؛ لأن سعادة شفيق باشا المؤرخ المعروف والعالم المحقق الدقيق ليس بالرجل العادى الذى لا يعنى بقوله أو عمله إلا بقدر معلوم ؛ لأن سعادته اشتهر بالاتزان فى قوله ، والحكمة والتروى فى عمله وله من ماضيه المجيد والوظائف الكبيرة التى تقلب فيها أكبر



الأستاذ محمود علام القاضى

دليل على أننا فى حضرة رجل يعتبر صحيفة من صحائف التاريخ الخالدة التى تعد فخراً لصاحبها وذويه ومواطنيه . وإنا لنرجو أن يمد الله فى عمر الباشا ويمتعه بالصحة والقوة حتى يرى كيف تحققت فراسته فى جماعة اتحاد ملاك حلوان ، وكيف أن المدينة خطت خطوات واسعة إلى الأمام نحو الرقى والتحسين المنشود فى ظل حضرة صاحب الجلالة مليكنا الشاب المحبوب فاروق الأول حفظه الله » .

« وبعد ذلك سلم سعادة شفيق باشا عشرة جنيهات لحضرة الوجيه مناع جاد الله ، أمين صندوق الاتحاد ، وزكاه جميع الأعضاء واعتبر من وقتها منضما للاتحاد » .

منع مستشفى للأمراض الصدرية : وقد فكر أحد الأطباء فى افتتاح مستشفى خاص للأمراض الصدرية بالمدينة ، فسعى الاتحاد لمنع ذلك حتى لا يشوه ذلك مدينة الحمامات ويسبب نفور الناس منها ؛ إذ أن الاتحاد يطالب بنقل المصحة العامة منها . وقد أجاب وزير الصحة محمد كامل البندارى باشا طلب الاتحاد ، وأمر بعدم افتتاح هذا المستشفى ؛ فكتبت فى المقطم أشكر هذا الموقف فيما يلى :

« أرى من الواجب على أن أسجل — فى اغتباط — همة صاحب المعالى وزير الصحة فى العناية بمدينة حلوان الحمامات فى هذه الأيام ، وأنا من الذين يقضون الشتاء فيها كل عام من زمان بعيد .

« لقد أمر معاليه ألا يفتح مستشفى أهلى للأمراض الصدرية كان بعض الاطباء يهمون بافتتاحه فيها ، محافظة على سمعة هذه المدينة الفريدة فى مصر وبين مدن العالم بجوها ومياهها المعدنية .

« والواقع أن حلوان كنز لم نحسن حتى اليوم الانتفاع به ؛ ولو وجدت هذه المدينة فى أوربا لكان لها شأن عظيم وشهرة فائقة ، ولكانت موضع دعاية تأتى إليها بالسائحين من كل مكان . وهذه مدن الحمامات فى أوربا — وهى لا تمتاز بجميع مزايا مدينتنا — يبذل لها من العناية بكل مرافقها ما يجعلها محط الرحال وملتقى السائحين والمستشفين من جميع بلدان العالم ؛ والآن وقد لقيت هذه المدينة عناية من وزير الصحة الفاضل فاننا نرجو أن تتبعها عناية أخرى .

« إذا كان هذا المستشفى الأهلى قد منع فان هناك كثيراً من المرضى بالأمراض الصدرية

موزعين بين الفنادق والمثاوى « البنسيونات » والبيوت الخاصة حيث يتاح لهم الاختلاط بغيرهم ومشاركتهم فى أدواتهم ومرافقهم ونقل العدوى للمخالطين لهم .

« ومن شأن هذه الحالة أن تنفر السكان ، وأن تذهب بجمال هذا المشتى الفريد ، الراغبين فى المدينة من النزوح إليها فى حين لا يجدون عوضاً عنها فى مدينة أخرى من مدن القطر تجمع كل مزاياها فى وقت واحد .

« ولنا فى همة الوزير العامل ويقظته أمل كبير بأن يعمل على تطهير هذه المدينة من المرضى فى غير المصحة ، وذلك بحظر إقامتهم إلا فيها .

« وفيها أسرة خالية فى الدرجتين الأولى والثانية بينما يوجد كثيرون يرغبون فى دخول القسم المجانى المزدحم فلا يستطيعون ، فيجب أن تحول الأسرة الخالية إلى القسم المجانى .

« وبهذه المناسبة أذكر ما وقفت عليه من آراء الأطباء الفنيين فى جو حلوان وتأثيره فى هذه الأمراض ، فهم يكادون يجمعون على أن الجو بها غير صالح لتلك الأمراض وأنه أصلح ما يكون لعلاج الروماتيزم والأمراض العصبية .

« وما دام الأمر كذلك فيجب أن تفكر وزارة الصحة فى نقل المصحة كلها من هذه المدينة حتى يستطيع الناس الانتفاع بها فى نواح أخرى .

« كما يحسن أن تكثر المصحات فى نواحى القطر التى يصلح جوها لعلاج السل حتى لا نكلف المرضى من جميع الجهات مشقة السفر إلى مصحة واحدة .

« وإلى أن يتم ذلك فان لنا رجاء كبيراً فى معالى الوزير هو أن ينفذ ما ذكرته فيما سبق من حظر الإقامة مع المرضى بالسل فى الفنادق وغيرها وذلك بالتفتيش الصحى فيها .

« لقد رأت حلوان فى ماضيها عهداً من أزهر العصور ؛ ورجاؤنا ان يعود لها اليوم عصرها الذهبى بهمة الوزير المصلح فى ظل جلالة الملك المحبوب؛ وقد اختار — حفظه الله — هذه المدينة لبدء رحلته المباركة إلى الوجه القبلى فى العام الماضى .

جورج أبيض فى ماضيه وحاضره : دعانى الأستاذ جورج لحضور تمثيل رواية «انتيجونا» التى يقوم بدور البطل فيها ، فأعجبت بتمثيله . ولما كانت لى ذكريات سابقة عنه فقد كتبت فى المقطم الكلمة الآتية :

« يا لله ! ما أجمل الشباب وعهد الشباب ! إنه عهد الفتوة والحرارة والحماسة . ومتى

أراد الشاب أمراً فانه يندفع إلى تنفيذه بقوة لا تردد ، وجرأة لا تهاب ، وإرادة لا تنثني . وهو فى الغالب يفلح فى غرضه ، وينال ما يتطلبه .

« كان جورج أبيض موظفاً فى محطة سيدى جابر ؛ وكان يهوى التمثيل فأقام حفلات صغيرة مع بعض إخوانه الهواة فى الاسكندرية .

« وفكر جورج فى مستقبله فرأى الوظيفة سجناً لمواهبه وقبراً لنبوغه . وساءل نفسه : « ماذا ينقصنى لأكون ممثلا من النابغين البارعين ؟ وأجاب : ينقصنى دراسة هذا الفن الذى توجهت نفسى إليه .

« عندئذ ترك وظيفته ؛ وضحى بمصدر رزقه ؛ وسافر إلى فرنسا مهبط الفن ليغذى شغفه وميوله الفنية . فرحب به الأستاذ الكبير سيلفان لما رآه فيه من استعداد ، وساعده فى دراسته .

« ولما أحس بقرب نفاد ماليته لم ييأس وقال لنفسه « إذا كان الخديو عباس قد عاون مصطفى كامل فى دراسته حتى صار رجلا عظيما فقد أنال مساعدته على إتمام دراستى » . ودفعه هذا الأمل إلى إرسال ملتمس إلى سموه أوضح فيه حالته وخطواته فى دراسته وما يرجوه من النجاح بشهادة أستاذه العظيم ، وطلب أن يشمله عطف الخديو ومساعدته ، وأحال الخديو هذا الملتمس إلى ؛ فأعجبت بجرأة هذا الشاب وتوسمت فيه النجاح ؛ وأبديت رأيى بإعانته ؛ فصدر الأمر بكفالته مدة تعلمه بفرنسا .

« ولقد كان عند حسن ظنى به فنجح نجاحاً باهراً وجاء إلى مصر على رأس فرقة باريسية ومثل معها رواية « أوديب الملك » بالأوبرا أمام الخديو فأجاد دوره ، وأظهر براعة تامة فهنأه سموه بنبوغه .

« ذلك جورج أبيض فى ماضيه ، أما فى حاضره فليس فى مصر من يجهل مكانته فى فنه وتفوقه فى تمثيله ؛ وقد سعدت أخيراً بمشاهدته يمثل رواية « انتيجونا » على مسرح الأوبرا فازددت به إعجاباً .

« ولقد أجاد دوره كما أجادت السيدة فردوس حسن دور « أنتيجونا » حتى إن بعض السيدات التركيات اللواتى لا يعرفن العربية تأثرن تأثراً كبيراً لحركاتهما ومواقفهما فى الرواية ، وهذا منتهى النجاح . وقد هنأت الأستاذ جورج بهذا النجاح وأبديت له الإعجاب .

« وبالإجمال فقد أحسنت الفرقة القومية فى تمثيل هذه الرواية وفى تمثيل الكوميديا الصغيرة بعدها « المتحذلقات » ؛ وكانت الفكاهة فى هذه بلسما للتأثر العميق فى تلك .

« وعدت إلى دارى بعد هذه السهرة وقد عادت إلى ذاكرتى أيام جورج أبيض الأولى والحوادث التى ذكرتها هنا فقلت فى نفسى :

« ألا بارك الله فى الشباب فانه يحقق المعجزات » .

مفهومات الموالد فى مصر : بمناسبة البشرى السعيدة بمولد الأميرة فريال كتبت فى أهرام ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٨ الكلمة الآتية :

« اعتاد الشعب المصرى أن يهتم باليوم السابع للمولود ، كل على حسب طاقته وطبقته . وكانت تتولى عملية التوليد امرأة تسمى « الداية » تلقت المعرفة بهذا العمل على أيدى من سبقوها عن طريق التمرين .

« ولكل « داية » عدة عائلات تتولى توليد سيداتها ، وهى تتردد عليهن فى أثناء الحمل لمعرفة الوقت التقريبى للوضع ، وللعناية بحالتهن الصحية قبله وبعده هن وأطفالهن منذ الولادة .

« وفى يوم السبوع تحمم الداية الوالدة والمولود ، وتحضر سيدات الأسرة وصديقاتها ويوقد الشمع الأسكندرانى بأيدى الأطفال ، وتزف الوالدة وتطوف الداية والمولود على يدها بحجرات الدار وبعده تطلق البخور ، ثم تحضر الداية سبع حبوب مختلفة وتتلو عليها تعويذة ترقى بها الطفل من العين ، وبعد ذلك يدقون فى « هاون » ويقولون للطفل .

« اسمع كلام أمك ولا تسمع كلام أبيك » وتأخذه الداية وتغنى له وتقول « برجالاتك برجالاتك حلقة دهب فى وداناتك . تجرى هنا وتمشى هنا . وتحصل خياتك » وتكرر ذلك بسرور وفرح وينثر الملح مخلوطاً بالحبوب ؛ ثم توزع على الزائرات أكواب المغات والكراوية وبذلك تنتهى حفلة السبوع .

حفلات الأسرة المالكة : « هذا عند الشعب أما حفلات الأسرة المالكة بأولادها السعداء فتختلف عن ذلك ؛ ولست أدرى إذا كانت قد أقيمت حفلات بمناسبة ولادة أبناء الخديو إسماعيل قبل توليته أو بعدها ، وهو أمر لم يكن مألوفا غير أنه فى مدة خديويته كان النظار والكبراء عند ما يعلن خبر ولادة المولود يهرعون إلى سراى عابدين لتهنئته وتنشر الوقائع فى القسم غير الرسمى قصائد الشعراء .

« أما مولد سمو الخديو السابق عباس الثانى فقد سمعت من عمى محمد موسى — وكان موظفاً فى دائرة ولى العهد توفيق باشا — نقلا عن أحد الأغوات ، أنه لما أذيعت البشرى ذبحت الذبائح ، وتلى القرآن الكريم ، وتلقى الخديو توفيق التهانى من والدة الخديو إسماعيل ومن باقى أفراد الأسرة .

« وفى اليوم السابع مدت الموائد داخل سراى القبة للأميرات ، وخرجت دولة الوالدة من مخدعها لأول مرة بعد الوضع لشكر الزائرات وتحيتهن.

« ومما لا أنساه أن أحد الشعراء قال فى قصيدة عن مولد الأميرة نعمة الله كريمة توفيق مؤرخاً « نعمة الله أزلفت للعزيز » .

« أما مولد الأمير عبد المنعم ولى عهد عباس فقد حضرته واشتركت فيه ؛ ولدى عنه معلومات وثيقة . وتوجد مشابهات بين ظروف ولادته وظروف المولود الملكى السعيد فى هذه الأيام .

« فقد كان الخديو عباس يحب الاسكندرية وسراى المنتزه ، وكانت دولة الحرم إقبال هانم تشاطر سموه ذلك ، وفى أثناء حملها اتفق على أن يكون الوضع فى المنتزه فتأخرت عودة الخديو إلى القاهرة حتى الشتاء .

« وحينما كان الخديو عباس يرى داعياً من شئون العمل للسفر إلى القاهرة ، يقضى يومين بها ، ثم يعود ليكون بجانب حرمه . فلما قرب الوضع أطال الاقامة بالاسكندرية ؛ وكانت المخابرات جارية بين عابدين والمنتزه لتصريف شئون الدولة .

« وفى صباح ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٩ سرت البشرى بمولد ولى عهد للخديوية المصرية ، فهرع كبار رجال السراى للقيام بالاجراءات اللازمة فى هذه المناسبة ، وصدر الأمر لى ولمحمود شكرى باشا بالاسراع فى الحضور إلى المنتزه لتلقى أوامر الخديو ، وكذلك أمرت دولة الوالدة التى كانت بجوار حرم نجلها باستدعاء وكيل دائرتها محمود فهمى بك لتنفيذ أوامرها بهذه المناسبة .

« وقد أعلن الخبر لرياسة مجلس النظار فاجتمع وقرر الاحتفال بهذه البشرى فى القاهرة بإطلاق مائة مدفع ومدفع ، وإبلاغ المصالح بمنشور برقى للمحافظين والمديرين وآخر من ناظر الخارجية إلى قناصل الدول الجنرالية ؛ وكذلك رفعت الأعلام على ديوان المحافظة والمصالح الحكومية ودور القناصل .

« وبعث الجناب الخديوى ببرقية إلى جلالة السلطان يخبره فيها بما أنعم الله عليه .

« وتوافد الأعيان والكبراء على سراى رأس التين يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات. وكثرت برقيات التهنئة على مكتب تلغراف الإسكندرية فرأت مصلحة التلغرافات أن خير وسيلة للخلاص من تكدس هذه البرقيات أن تبعث بأصولها الخطية إلى مكتب تلغراف المنتزه ، وبعثت بعدة عمال لنقل صور هذه البرقيات . وقد أمرنى سموه بأن أرد على هذه البرقيات بالشكر . وعدنا معه يوم ٢٢ منه إلى سراى القبة . وفى صباح ٢٣ منه نزل إلى عابدين حيث احتشد المهنئون احتشاداً عظيما .

« وكان بالمنتزه تكية ومسجد ، فتلى القرآن الكريم فيهما ، وذبحت الذبائح فى السراى ووزعت على الفقراء داخلها وخارجها ، وزينت قصور الأمراء جميعاً .

« وأقيمت الزينات بالمساجد والمنازل بالاسكندرية وفى طول البلاد وعرضها ؛ وتليت الأدعية فى المساجد ؛ ووزعت الخاصة ستين رأساً من الغنم على تكايا الثغر ومساجده ومثلها فى القاهرة ؛ وتبرعت دولة الوالدة بمبالغ عظيمة للفقراء ؛ كما أنها أغدقت العطايا على الطبيب الخاص والحكيمة المولدة ؛ وأهدت بهذه المناسبة السعيدة إلى كبار رجال الحاشية — وخصوصاً من وجد منهم بالمنتزه — علباً للسجاير وساعات ذهبية محلاة بالجواهر .

« وفى اليوم السابع أقيمت حفلة عائلية داخل الحريم. وبعد مضى أسبوعين عادت الوالدة ومعها حرم الخديو إلى القاهرة حيث أقامت جملة حفلات كان أهمها الحفلة التى أقيمت يوم ٤ مارس فى سراى عابدين ؛ ودعى إليها نحو ستمائة من كبار المصريين والأجانب . وقد نصب فى الميدان عدد كبير من السرادقات والزينات والأنوار ، وتليت الآيات القرآنية فى بعضها ؛ وجلس المغنون يشنفون الآذان بالألحان الشجية وفى مقدمتهم عبده الحمولى والشيخ يوسف المنيلاوى ، ومحمد عثمان . ووقف محمود شكرى باشا بمدخل السراى يستقبل الوافدين ومعه حسن عاصم باشا والموسيقى العسكرية تصدح بأنغامها ؛ واستمرت الحفلة إلى ما بعد منتصف الليل ، ثم باتت المدينة فى فرح عظيم .

الزيارات فى الأعياد وتطور تقاليدها : بمناسبة عيد أضحى عام سنة ١٣٥٧ هـ كتبت فى أهرام ١٧ فبراير سنة ١٩٣٩ الكلمة الآتية :

« منذ نصف قرن أو أكثر كان للزيارات فى الأعياد تقاليد خاصة تختلف قليلا أو كثيراً عما هو متبع فى هذه الأيام .

« فى اليوم الأول من أيام العيد كان البرنسات والنظار والعلماء وكبار الموظفين والأعيان يذهبون إلى السراى لحضور التشريفة بالملابس الرسمية والنياشين ؛ وبعد ذلك يذهب الموظفون بهذه الملابس نفسها إلى بيوت رؤسائهم لتهنئتهم بالعيد .

« أما الأصدقاء فكان تزاورهم ، عادة ، يبتدىء فى اليوم الثانى . ونظراً إلى صعوبة المواصلات كانوا يكتفون بأصدقاء الحى ، وقليل من المتفرقين فى الأحياء الأخرى .

« وفى شبابى كنت أذهب مع والدى لزيارة رياض باشا ، وعلى مبارك باشا ، والشيخ الشربينى — وكانوا قريبين منا — وإلى السيد على البكرى فى الخرنفش . وهنالك كنا نجد الكثيرين ذهبوا إليهم للتهنئة بالعيد .

« وكانت هذه الزيارات تظهر بهجة العيد ، وتوثق الروابط بين الأصدقاء والمعارف ، وتجعل من أهل كل حى شبه أسرة ، فكانت عظيمة القيمة من الوجهة الاجتماعية .

« ثم تطورت هذه التقاليد بما قامت به الجمعية الخيرية الإسلامية . إذ قررت أن يدفع كل عضو من أعضائها نصف جنيه بدل معايدة ؛ وكان لهذا العمل الإنسانى أثره الجليل فى مساعدة الفقراء . وظلت هذه التقاليد تتطور حتى صارت فى أيامنا هذه مقصورة فى معظم الحالات على زيارة الدور لترك البطاقات فى عجلة وسرعة ، فهى تسلم للخدم أو توضع فى صناديق البريد الخاصة بالبيوت .

« ويقع فى هذا المرور حوادث مضحكة ليس فيها من معنى المعايدة شىء . فكثيراً ما ينتهز الزائر الفرصة كيلا يراه أحد وهو يضع بطاقته حتى لا يضطر إلى مقابلة رب الدار إذا هو رآه ؛ وكثيراً ما يتحين فرصة خروجه من المنزل ليذهب إليه فيترك بطاقته آمناً من « القبض عليه » كما يقولون ! وهذه حالة لا تجعل لتلك المعايدات أية قيمة نفسية ولا اجتماعية .

« أما فى حلوان فان جمعية اتحاد ملاكها التى أنشئت أخيراً ، قد استبدلت بهذه التقاليد أحسن منها ، فأوجدت لها مركزاً جميلا فوق الكازينو دعت إليه فى اليوم الثانى من العيد أعضاءها فكان اجتماعاً ساراً ، حضره نحو الثلاثين من وجهاء ملاك المدينة وتبادلوا بينهم أطيب الأحاديث . ولا شك أن هذه ظاهرة حسنة ، ستوثق الروابط بين سكان حلوان بل أعتقد أن عدد الذين اجتمعوا فى هذه المرة سيزداد فى المناسبات القريبة ، وأن الدار التى اختاروها ستصبح موضعاً للتعارف وتبادل الآراء فيما يعود على المدينة بالخير ، والوقوف

على المجهودات الطيبة التى يبذلها الاتحاد فى رقيها ، ولا سيما بعد أن اعترفت الحكومة رسمياً بجمعية الاتحاد لما تبينته من صدق عزيمة أعضائها على المضى فى تحقيق أغراضها لإحياء مدينة المياه المعدنية .

« ولعل الطوائف والهيئات المختلفة فى مصر تسير على هذه السنة فتجتمع أيام الأعياد لتبادل التهانى بدلا من تلك الطريقة الجافة — طريقة ترك البطاقات — ويصبح ذلك تطوراً جديداً فى تقاليد الزيارات » .

الاحتفال بالعام الهجرى: وبمناسبة أول العام الهجرى لسنة ١٣٥٨ كتبت فى الأهرام بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٩ تحت عنوان « الاحتفال بالعام الهجرى » الكلمة الآتية :

« درج إخواننا المسيحيون على الاحتفال برأس السنة الميلادية احتفالا فخما يشترك فيه الجميع ، وتبدو فيه كل مظاهر الاهتمام والعناية .

« ولم ننتبه نحن إلى ضرورة الاحتفال برأس السنة الهجرية إلا منذ عهد قريب ؛ وإن كنا قد تداركنا معظم ما فات . وها هو ذا رأس السنة تحتفل به البلاد ، وعلى رأسها جلالة مليكها المحبوب فاروق الأول ، فقد تقبل جلالته فى الصباح تهانى رعاياه المخلصين من جميع الطبقات . وفى المساء ألقى جلالته كلمته الكريمة فى المذياع ، مهنئاً شعبه الوفىّ بالعام الهجرى الجديد ، فسن بهذا سنة حميدة لأمته فى الاحتفال بأيامها المجيدة . وقد احتفل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى بهذا اليوم وألقى كلمته القيمة التى نشرتها الأهرام أمس ؛ وأقيمت الحفلات فى طول البلاد وعرضها ؛ وعطلت المصالح والدواوين .

« ونظراً لما لهذا اليوم من الأثر الحاسم فى تاريخ الإسلام أرى أن يستمر الاحتفال به ؛ وأن يضم إلى مظاهر هذا الاحتفال إقامة حفلات فى ليلته بالمساجد يلقى فيها الخطباء شيئاً من تاريخ الهجرة ، ويشيدون بهذا اليوم ؛ ثم يدعون الله أن يجعل العام الجديد خيراً وبركة على العالم . وما من شك فى أن فضيلة الأستاذ الكبير وزير الأوقاف(١) قد فكر فى تنبيه خطباء المساجد وأئمتها إلى القيام بشىء يشبه هذا .

« ولقد قامت جمعية إحياء السنة المحمدية فى حلوان بإحياء حفلة من هذا النوع فى أحد مساجدها .

« كما أرى أن يعد هذا اليوم عيداً من أعياد البلاد الرسمية يتبادل المسلمون فيه التهانى ويجتمعون فى منتدياتهم لهذا الغرض ، أو يتزاورون على مثال ما يصنعون فى الأعياد .

---

(١) الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بك

« وقد أعجبت بالنظام الذى وضعتـه وزارة المعارف للاحتفال بهذا اليوم منـذ العام القادم . وهو جدير بأن يبث فى نفوس النـاشئة حب دينهم ، ويعرفهم بيوم من الأيام العظيمة فى تاريخ هذا الدين .

« أعاد الله هذا العيد على المسلمين وعلى العالم كله بالخير والبركات » .

تطور المآدب الرسمية : فى ٢ فبراير سنة ١٩٤٠ كتبت بهـذا العنوان فى المصور الكلمة الآتية بمناسبة صدور قرار من صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا بتحريم تقـديم الخمور فى الحفلات الرسمية :

« قرأت فى المصور أخيراً ذلك القرار الحـكيم الذى أصدره رفعة على ماهر باشا خاصا بعدم تقديم الخمور فى المـآدب الرسمية ؛ فوضع به الأمور فى نصابها ، وصان به لمصر الاسلامية تقاليدها السليمة المناسبة لمركزها باعتبارها قلب الإسلام والشرق .

« وبهذه المناسبة رأيت أن أسـتعرض تقاليد هذه المآدب فى نصف قرن من الزمان حسب معلوماتى فى أيام الخديوين الثلاثة : إسماعيل وتوفيق وعباس .

« كان إسماعيل نزاعا إلى جعل مصر قطعة من أوربا ، فنقل إليها كثيراً من تقاليد البلاط الفرنسى فى عهد نابليون الثالث . وكان يشرف على تنظيم مآدبه بعض الفرنسيين الإخصائيين فى تنظيم المـآدب . وكانت الأنبذة المختارة تقدم للمدعوين فى كؤوس يختلف حجمها وشكلها حسب نوع النبيذ الذى يقدم فيها ، كما كان المشروب يتفق مع نوع الطعام حسب نظام خاص .

« ومن أشهر أنواع المشروبات التى كانت تقدم الشمبانيا ونبيذ « الراين » الألمانى الأبيض ، ومن أنبذة فرنسا المشهورة « بوردو » و « ميدوك » و « برجونى » .

« وكان يرافق ولىّ العهد « توفيق » فى الحفـلات التى يدعى إليها بسراى عابدين سكرتيره « دومرتينو باشا » . فلما ولى العرش أصبح هذا يشرف على تنظيم حفـلاته ومآدبه . ومع أن الخديو توفيق لم يكن يتناول الخمر إلا أن تقاليد مآدب إسماعيل ظلت مستمرة . وفى الحفلات التى يكون فيها ضيف أجنبى عظيم يشرب نخب سموه ، يصب الخادم الخصوصى جزءا من الشمبانيا فى كأس الخديو الذى كان يرفعه كأنه يتناوله .

واستمرت هذه التقاليد نفسها فى عهد عباس ، إذ كان سموه لا يشرب الخمر كذلك .

وكانت كؤوس الشراب توضع على المائدة أمام كل مدعو سواء كان مصرياً أو أجنبياً ؛ ولكل أن يشرب ما يرغب فيه أما أنا فكان الخادم المنوط به تقديم الشراب يقدم لى ماء معدنياً بدلا من الوسكى أو النبيذ .

« وبمناسبة ذلك أقول إن « السفرجية » كانوا فى عهد إسماعيل فرنسيين . أما فى عهد توفيق فقد بدىء باختيارهم من النوبيين ؛ وكذا فى عهد عباس . إلا أن عباساً دعى مرة فى ألمانيا بشركة كروب فى أوائل عهده فأعجبه « السفرجية » الألمان فاستحضر منهم اثنين بملابسهما .

« وعلى ذكر المآدب الخديوية أذكر أنه كان من الأصناف الممتازة طبق « الرز الخديوى المشهور » الذى يقدم قبل الحلوى ، وكان هذا تقليداً معمولا به من عهد إسماعيل نقلا عن المآدب السلطانية فى الآستانة .

وبمناسبة تحريم الخمور فى الحفلات أذكر أنه فى مهرجانى السبعينى منذ عشر سنوات رجوت إحدى السيدات أن تشرف على إعداد المقصف ؛ وكان من بين المدعوين ممثل انجلترا وحاشيته ومفوضو فرنسا وإيطاليا وألمانيا وعقيلاتهم .

وقبيل افتتاح المقصف جاءتنى هذه السيدة مهرولة بدهشة وقالت : لقد نسينا شيئاً هاماً جداً ، فقلت لها : وما هو ؟ قالت لقد نسينا « الويسكى ». فأجبتها : اعلمى أن بيت شفيق لا يمكن أن تدخله الخمور . فقالت : ولكن كيف أنظم المائدة بدونه ؛ وإذا طلب منى بعض المدعوين فماذا أقول لهم ؟ قلت لها : وماذا تظنين أنهم سيقولون سوى أننى متعصب أو غير متمدن ؟ — وكلاهما لا يهمنى شيئاً .

وعلى ذلك انقضى المهرجان بدون « الويسكى » المطلوب .

والآن لا يسعنى إلا أن أهنىء الرجل الحازم الجرىء على ماهر باشا على قراره الإسلامى الحكيم .

شبابنا المتعطلون : ألقى الدكتور حافظ عفيفى باشا محاضرة فى الجامعة الأمريكية أذاعتها محطة مصر للاذاعة فى موضوع « الشبان والأعمال الحرة » .

وقد أعجبت بالآراء القيمة التى تضمنتها هذه المحاضرة . وحسب عادتى فى التنويه

بالآراء الطيبة التى يبديها رجالنا أرسلت للأهرام كلمة تقدير وثناء ؛ وقد نشرت الجريدة يوم ١٣ مايو سنة ١٩٣٩ ملخصاً لهذه الكلمة جاء فيه :

« تلقينا من صاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا كلمة يمتدح فيها الآراء القيمة التى أبداها صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا فى محاضرته عن موقف الشباب من الحياة فى هذا العهد ، واندفاعهم إلى تفضيل الوظائف الحكومية على الأعمال الحرة ، فذكر أن أسباب ذلك ترجع إلى أن الكثيرين منهم يعدون خدمة الحكومة شرفا لهم وجاهاً لأسرهم . أو يؤثرون الإقامة بين أهلهم على الابتعاد عنهم والاغتراب عن المدن وما يتوافر لهم فيها من أسباب اللهو والمرح وقتل الوقت فى المقاهى والمسارح بين الخلان والأصدقاء .

« ثم استطرد قائلا : إن مما يبشر بالخير ويدعو إلى التفاؤل أن تعاليم الدكتور حافظ باشا قد أخذت تثمر فى عقول الشباب ، مستدلا على ذلك بما سلكه أحد أبنائه فى شق طريق الحياة ، فقد استقال من وظيفته فى وزارة التجارة والصناعة ، مفضلا عليها العمل فى شركة السكر بأرمنت ، هذه البلد النائية الواقعة فى أعالى الصعيد .

« ومما ذكره سعادة شفيق باشا أن البعض أراد الوساطة لنجله ليكون مركزه فى القاهرة أو فى الحوامدية ، لكنه اعتذر وآثر الإقامة فى أول حياة عمله فى أرمنت حيث تشتد الحرارة فى زمن عصير القصب ، لكى يثبت أنه شاب عامل بدلا من الانتظار على أبواب الوزارات ، أو الاعتماد على الوسائط والمحسوبيات » .

وقد ألقى بعد ذلك معالى الأستاذ سابا حبشى بك وزير التجارة محاضرة موضوعها « الشبان المتعطلون » جاء فيها بعدة إحصائيات وأرقام عن الشبان المتعلمين الذين لا يجدون عملا ، ودعا فيها إلى تمكين الشباب من تولى الأعمال .

وقد قرأت تعليقاً على هذه المحاضرة للأستاذ خليل توفيق المحامى أثبته هنا نظراً لأهمية هذا الموضوع .

« جاء فى خطاب ألقاه أخيراً معالى وزير التجارة والصناعة أن عدد المتعلمين المتعطلين بلغ عام ١٩٣٧ اثنى عشر ألفاً .

« ولا شك فى أن هذا العدد سيزداد على ممر السنين والأيام ، إلى أن تصبح مشكلة

المتعلمين المتعطلين من أعقد المشكلات ، ما لم تتداركها الحكومة بحل سريع . وقد تساءل معالى الوزير فى خطابه المشار إليه : ماذا أعددنا للشباب المتعلم من مجال يوظف فيه ما كسبه فى سنى الدراسة ، فيفيد ويستفيد ؟ وماذا ينفع التغنى بالعلم وفضائله ، إذا لم يلق فى سوق الحياة العملية إلا البخس والكساد ؟ ولقد أجاب معالى الوزير بأن الفرص كثيرة تحت أقدام الشباب ؛ ثم إنه يجب تمكينهم من الأخذ بأكبر نصيب فى ميادين الاستقلال الاقتصادى الجديدة ، والعمل على إيجاد المشروعات النافعة التى توسع نطاق الأعمال الحرة .

« وإنى أرى أن هذه الفرص الكثيرة ستمر من تحت أقدام الشباب إن لم تتداركهم الحكومة بالتشريع السريع ، فتفسح الطريق للمتعلمين المتعطلين الذين لا تنقصهم الخبرة ولكن ينقصهم تشجيعها إياهم . ولا أدرى ما الذى يعوق الحكومة — وقد أطلقت الآن يدها فى التشريع بعد إلغاء الامتيازات الأجنبية — من استصدار قانون يحتم على كل صاحب مصنع أو مصرف أن يستخدم ثلثى عدد موظفيه من المصريين ، كما هى الحال فى الدول الأوربية ؟

« لا شك أن هذا التشريع يفسح الطريق أمام الشبان المتعلمين المتعطلين ويقلل من عددهم ، فلقد عملت الحكومة على حماية المنسوجات القطنية والصناعات الوطنية بأن أقامت حواجز جمركية كبيرة لتمنع المنافسة الأجنبية عنها . ونأمل أن تعمل شيئاً لحماية الشباب المتعلم الذى لا يجد أمامه إلا أبواب التوظف فى الحكومة ، وله العذر فى ذلك ما دام لا يجد من يحميه من التنافس الشديد الذى لا يستطيع مقاومته إلا بالتشريع . وقد يعترض بعضهم بعدم كفاية الشبان المصريين ، ونقص برامج تعليمهم . وهذا الاعتراض غير صحيح ، لأن أغلب هذه الوظائف ليست فنية ، وهى تقوم على المران أكثر مما تقوم على العلم الذى لا ينقص الشبان المصريين . وأكبر دليل على ذلك المنشآت المصرية التى قامت فى مصر بعد الحرب الكبرى كبنك مصر وشركاته وبنك التسليف الزراعى والبنك العقارى الزراعى المصرى — وقد قامت كلها على أكتاف المصريين وحدهم ، ولم نسمع يوماً أن إدارة هذه المنشآت اختلت لسبب تولى المصريين إدارتها ، بل أضحى الناس ينظرون إليها بعين الإكبار والإعجاب ، من حيث النظام والإدارة وحسن التصريف .

« وإذا سلمنا جدلا بأن هذا التشريع قد يضر بالمصالح الأجنبية إذا نفذ طفرة واحدة

أفلا ترى الحكومة أن تحتم على كل صاحب متجر أو مصنع أو مصرف أن يملأ كل وظيفة تخلو من الآن بالمصريين حتى لا يضطرب عملهم أو تهدد مصالحهم ؟ إني أرى أن هذا الحل — ولو أنه من الحلول البطيئة — يفسح ، إلى حد ما ، طريقاً للعمل أمام فريق من الشبان المتعطلين .

«ولقد يعترض البعض بأن هذا التشريع يضطر الأجانب إلى سحب أموالهم من مصر لاستخدامها فى الخارج . وأرد على ذلك بأن الأجانب الذين عاشوا معنا ضيوفاً مكرمين وتغلغلت مصالحهم فى مصر ، لا يمكن أن يوظفوا أموالهم فى بلد أحسن من هذا البلد إذا تصورنا الضرائب الفادحة التى تفرضها حكوماتهم على الدخل ورؤوس الأموال والأرباح ، والتى تعد فى مصر غاية فى الاعتدال .

« وبهذا التشريع نستطيع أن نفسح الطريق أمام الشبان المتعلمين المتعطلين ، ونكون قد عملنا شيئاً لحل مشكلتهم قبل استفحال أمرها أكثر مما هى عليه الآن .

طرق النجاح فى الحياة : طلب إلى أحد الشبان أن أدل الشباب على أحسن الوسائل للنجاح فى الحياة ، والتى سلكتها فكان سبباً فى نجاحى ، لينتفع بها الجيل الجديد ، فأجبته بالفصل الآتى :

« أعتبر نفسى — كما يعتبرنى إخوانى — من الناجحين فى حياتهم والحمد لله . وقد اتبعت فى حياتى مبادئ أعتقد أنه يرجع إليها معظم نجاحى واحتفاظى بصحتى إلى هذه السن .

« ومن هذه المبادئ : اتباعى لأوامر الله بابتعادى عن تعاطى المشروبات الروحية . ومما ساعد على ذلك أنه كان لنا جار مدمن لا يعود إلى داره إلا وهو نشوان يتأرجح رأسه بين كتفيه ، وتسلمه حائط إلى أخرى ، وهو لا يكاد يعى ما يقول . وفى ليلة ممطرة رأيته محمولا إلى داره بخفيرين أحدهما يمسكه من يديه والثانى من رجليه ، وهو ملطخ بالوحل ، فانطبعت هذه الصورة البشعة فى ذهنى ، وزادت نفورى من الخمر وشاربيه .

« ومنها أننى لم أدخن قط ، ولم أتعاط القهوة إلا قليلا ممزوجة باللبن ، لما علمته من تأثيرها السيئ فى الأعصاب ، ومثلها بقية المنبهات .

« كذلك تعودت عدم الأسراف فى ملاذ الحياة ، فلا فى الأكل كنت نهما ، ولا فى غيره كنت مسرفا . وكانت البساطة لا تزال قوام حياتى ، فاذا لم أصادف الفراش الناعم والخبز اللين رضيت مغتبطاً بالفراش الخشن والكسرة الجافة .

« ومنها تعودى الرياضة ، فقد كنت مولعاً بالسير على الأقدام أمشى الساعة والساعتين والثلاث فى اليوم ، فاذا عدت إلى مستقرى أكلت بشهية ، ونمت براحة مبكراً كما أستيقظ مبكراً .

« ومن أهم الأسباب بعد ذلك أننى اعتـدت أن أنتفع بوقتى كله انتفاعاً منظماً ، ولم أكن لأقتل وقتى فى المقاهى والملاهى ، لأنه لم يكن لدى وقت رخيص ، وكذلك لا أدع فرصة تمر دون اقتناصها ، وتخير الوقت المناسب للاقدام عليها .

« وقد عنيت بتأدية كل ما يوكل إلى من الأعمال بدقة وعناية وأمانة من وقت أن كنت موظفاً صغيراً حتى ارتقيت إلى المناصب الكبيرة ؛ ولم أنكمش داخل الوظيفة بل كنت أشتغل ببعض الشئون العامة . وكلما سمعت عن مشروع نافع ، أو جمعية ذات أغراض طيبة ، اهتممت به وانضممت إليها — وتلك طريقتى حتى اليوم .

« وقد وجهت همتى إلى استكمال الناقص من الأعمال والمشروعات فى وطنى ، وإلى طرق الأبواب التى لم يطرقها أحد . ومن ذلك إنشائى لصحيفة الاعلانات ، وإصدارى « للحوليات » ، وكتابتى للمذكرات . وكذلك قيامى بالدعوة إلى تكريم المرحوم أحمد شوقى بك فى مؤتمر عربى عقد فى مصر ؛ وكنت على نية تكريم النابغين غيره فى كل عام تشجيعاً لهم وحثاً لسواهم .

« وكلما سمعت أو قرأت عن صاحب شخصية ممتازة فى مصر قام بعمل عظيم أو أبدى فكرة قيمة ، أرسلت إليه شاكراً ومثنيا ، حتى يحس أن أعماله وجهوده تجد اهتماما فيزداد نشاطا ، وينسج غيره على منواله .

« فنصيحتى للشبان تتلخص فى اتباع هذه الطرق ، ففيها النجاح لهم إن شاء الله » .

التاريخ المصرى الحديث : فى يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٣٩ استمعت من محطة لندن للاذاعة العربية محاضرة للسير رونالد ستورس قال فيها بعد تحية المصريين تحية طيبة :

« إنه يتمنى لو أن المصريين عنوا بتدوين أخبار مصر كما دونها الجبرتى » .

فعلمت من هذا أنه لم يطلع على مؤلفاتى « الحوليات والمذكرات ومصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » ؛ ورأيت تصحيحاً لهـذه الفكرة أن أبعث إليه مذكراتى فى نصف قرن ومصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها بالفرنسية هدية ، وكتبت له الرسالة التالية :

٢٢ يوليو سنة ١٩٣٩

« عزيزى صاحب السعادة السير رونالد ستورس

« كان لى الحظ الأكبر لاستماع حديثكم القيم المذاع من استديو لندن فى مساء الثلاثاء ١٨ الجارى ؛ وكان سرورى عظيما لما وجهتموه لمصر والمصريين من التحية الطيبة بصوتكم وباللغة العربية .

« فبالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن مواطنى أرد على هذه التحية بأحسن منها مضاعفة ؛ مع عظيم شكرى لعواطفكم النبيلة نحونا .

« قد تمنيتم فى حديثكم لو أن المصريين عنوا بتدوين أخبار مصر كما دونها الجبرتى . وما قولكم فى محدثكم الذى قام بهذا العمل حينما كان طالباً وسجل يومياته وأخرجها فى أربعة مجلدات تحت عنوان « مذكراتى فى نصف قرن » ؟

« وسأرسل لسعادتكم منها ثلاثة وألحقها بعد ذلك بالجزء الأخير عند إخراج الطبعة الثانية . وتجدون مع خطابى هذا بياناً بمؤلفاتى .

وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول أطيب التحية ووافر الاحترام » .

فجاءنى منه الرد بالشكر .

وفى مساء يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس استمعت إلى نشرة المطبوعات عن وزارة المعارف من محطة مصر للاذاعة وقد جاء فيها ما يلى :

العناية بالتاريخ القومى فى المدارس الثانوية : تعنى وزارة المعارف بأن تغلب فى مناهج التاريخ بالمدارس الثانوية الموضوعات التى تتصل بتاريخ مصر الحديث وتاريخها القومى والحوادث العالمية التى تتصل بهذه الموضوعات .

وقد اقتضت هذه السياسة أن تعدل الوزارة منهج التاريخ فى السنتين الرابعة والخامسة فعهدت بهذا الأمر إلى حضرة الأستاذ محمد شفيق غربال بك عميد كلية الآداب الذى وعد بعمل منهج تفصيلى بسيط يكون مرشداً للمدرسين ومعيناً لهم على تعرف النقط والموضوعات التى يطلب إليهم معالجتها فى هذا الشأن .

فكتبت رسالة إلى معالى النقراشى باشا وزير المعارف فى ٣٠ أغسطس ١٩٣٩ هذا نصها :

« حضرة صاحب المعالى محمود فهمى النقراشى :

« استمعت مساء الثلاثاء الماضى إلى نشرة إدارة المطبوعات الخاصة بوزارة المعارف فسرنى توجه عناية معاليكم إلى دراسة التاريخ العصرى لأبنائنا الطلاب ؛ وهى أول مرة يعنى فيها وزير معارف بهذه المادة التى كانت مهملة تقريباً .

« حتى لقد لاحظ علينا أحد الأجانب ، وهو السير رونالد ستورس ، فى حديث له من محطة الإذاعة العربية بلندن أننا لا نعنى بتاريخنا الحديث ، ولا يوجد بيننا « جبرتى » آخر يدون حوادث بلاده .

« ويسمح لى صاحب المعالى أن أرفق بخطابى هذا صورة من رسالة بعثت بها للسير رونالد ستورس أصحح بهـا بعض ما جاء فى محاضرته ؛ وقد أهديت إليه « مذكراتى فى نصف قرن » مع كتاب « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » بالفرنسية .

« ولقد أصدرت هذه المذكرات وقبلها الحوليات ؛ وبذلت فيها أغلى ما أملك وهو بصرى اتقاء لمثـــل كلمة هذا المحاضر ؛ وأهديتها لجميع دور الكتب فى القاهرة والأقاليم والنوادى نشراً للثقافة التاريخية بين جمهور الشعب حتى لم يبق منها إلا عدد قليل ، غير ناظر إلى ما أنفقت فيها من جهد ومال .

« ولما رفعت مؤلفاتى إلى جلالة الملك المحبوب وردت إلىّ رسالة من صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس ديوان جلالته يومئذ بأمر جلالته ، توجت حياتى ، وكانت أعظم جزاء على تضحياتى ، وخير مشجع للمؤلفين غيرى .

« حرس الله جلالته وأبقاه راعياً لشعبه مشجعاً للعاملين فيه .

« وتفضلوا معاليكم بقبول خالص تحياتى » .

الاختيـــار قبل الانتخاب

كلمة عن عبد العزيز عزت — عيوب النظام الحزبى البرلمانى وعلاجها — صدى الاقتراح — رأيى فى الاقتراح — رأى قلبنى فهمى باشا — تأييد واعتراض — تعقيب لعزت باشا — كلمة أخيرة .

كلمة عن عبد العزيز عزت : عبد العزيز عزت باشا رجل كفء من رجال مصر البارزين ، ومن العاملين الصامتين ، الذين يبحثون المسائل فى هدوء ودقة تفكير حتى إذا انتهى إلى رأى معين جاهر به فى شجاعة وقوة . ومما أذكره له أنه حينما كان فى حاشية الخديو عباس وكانت تعرض الآراء للبحث فإنه لا يتأخر عن مصارحة سموه ولو خالف ذلك رأيه . وفى بعض الأحيان كان يقول : أنصح لأفندينا بكذا . مما كان سبباً فى تضايق الخديو ، وأدى إلى استقالة عزت باشا من الديوان الخديوى .

ولما رأى أن قانون الانتخاب الحالى ، لا يؤدى إلى الغاية المرجوة من الدستور ، وهى اختيار الأكفاء لمجلس البرلمان ، نشر فى الأهرام بحثاً قيما بعنوان « الاختيار قبل الانتخاب » بتاريخ ٥ و ٦ و ٧ فبراير سنة ١٩٣٨ ؛ وقد قدم لبحثه بقوله :

« من وقت أن صـــدر الدستور فى مصر وقام فيها برلمانها توجه نظرى إلى حالة البرلمان الانجليزى ، وعادت إلىّ من ذلك الحين ذكريات كنت طالعتها عنه من قبل وكانت مدعاة لوقوفى على حالة الحزبية فى انجلترا ونظام الحكم الحزبى فيها . ثم فكرت فى هل هذا النظام هو فى الحقيقة أحسن نظام تصل إليه الأمم أو هل فيه عيوب تجعله لا يفضل غيره . فاستعرضت بعض الحالات واطلعت على أقوال بعض السياسيين فوصلت إلى نتيجة رأيت أن أدلى بها إلى مواطنى الأعزاء .

« ولست أقصد بكلمتى هذه حزباً معيناً أو شخصاً بالذات وإنما أقصد مجرد عرض أفكار دارت بخلدى حول نظام الحكم الحزبى من حيث هو نظام فحسب . ولعل فى الأخذ بها فائدة ، وبالأخص لبلادنا ، بالنسبة لحالتها وحيث البرلمان حديث العهد فيها » .

عيوب النظام الحزبى البرلمانى وعلاجها : ثم تحدث عن النظام الحزبى الذى يقوم عليه البرلمان فى مصر فقال :

« كل من يعنى بدراسة الشؤون العامة ويبحث فى مسائلها ويتتبع مجرى الحوادث فى سيرها ، يصل به البحث إلى حقيقة ثابتة يراها واضحة جلية أمامه ، وهى أن الحكومة متى كان بناؤها مؤسساً على النظام الحزبى لا تستطيع ، مهما كانت صبغتها ، القيام باعباء المهام العظمى الملقاة على عاتقها ، ولا تقوى على حل ما فى المشكلات التى تواجهها من العقد والصعوبات ، ولا تقدر أن تصرف عن الأمة ما قد ينزل بها من ضرر وأذى ، وحتى لا تتمكن من تخفيف شىء من الآلام التى قد تتوجع منها الناس .

« ولا ريب فى أن الأمة إذا كانت فى دور تبدل وانتقال وحال غير مستقرة ، كما هو شأن العالم اليوم ، وجب أن تكون الحكومة القائمة أثناء هذه الفترة أصدق ولاء وأشد إخلاصاً وأعظم نزاهة وأكثر حذراً وأبعد نظراً منها فى زمن الاستقرار والطمأنينة . وحرى بها أن تصرف كل تفكيرها وتوجه جل همها إلى تصويب سهام عملها إلى ناحية الغرض الذى ترمى إليه ، وتركز جميع قواها عليه فتسير على نور الهدى واليقين لجنى ثمار أعمالها .

« أضف إلى هذا أن الفرد الواحد فى الأمة ، مندمجاً فى عدد مجموعها الهائل من الناخبين الذين لهم حق التصويت فى الانتخابات العامة للنيابة ، لا يكون نصيبه فى الواقع من مفعول هذا الحق وأثره إلا اليسير الذى لا يذكر والذى لا يلبث مع هذا أن ينزل إلى نهايته الصغرى ، فلا يكاد يساوى شيئاً وتنعدم قيمته ، لأن الناخب فى الحقيقة ونفس الأمر لا يكون له رأى ما فى تكوين القرارات التى يتخذها منتخبه النائب عنه ، ولا تزيد كلمته فى تلك القرارات إن طلبت منه إلا على الموافقة أو عدم الموافقة عليها إيجاباً أو سلباً .

« لذلك يعلق الباحثون الآن أهمية كبرى على شخصية النائب ويرونها من أخطر الأمور الواجب مراعاتها ، وأصبح التفكير يتجه نحو البحث فى معرفة ما إذا كان النظام الحزبى هو خير وسيلة لإيجاد خير النواب ، وما إذا كان يؤدى حقيقة إلى انتخاب الشخصية الواجبة للتمثيل » .

ثم أخذ يستعرض بعد ذلك نظم الانتخاب فى إنجلترا أمام النظام البرلمانى ، وآراء شراح القوانين الدستورية ، والمراحل التى سار فيها نظام الانتخابات حتى وصل إلى ما هو عليه الآن . وقرر أن النظام الحزبى كان ضرورة فيما مضى وأنه أدى للأمة الانجليزية خدمات

طيبة فى حينها ، ولكنه الآن أصبح موضع الشكوى ، لأنه يفوت كثيراً من الأغراض النافعة لمجموع الأمة . إلى أن قال :

« ومن المشاهد المرئى أن المعارك الانتخابية تتبارى فى ميدانها جميع المزايا إلا تلك التى ما جعلت الميادين إلا لها ، فمن كان ذا صوت جهورى عذب اللفظ رقيق المعنى يعرف كيف يملأ خطبه بالبدائع الفكهة وينمقها بالنكات والملح وما إلى ذلك من المحسنات اللفظية الجوفاء مما يعرفه كل من له صلة بأمر الانتخابات كان من أصحاب المزايا التى لا يفوقها فى الأهمية شىء سواها لنيل الحزب كرسى النيابة . أما المزايا الحيوية الحقة والصفات الجوهرية الصامتة فلا قيمة لها فى نظر الانتخابات . وليت الشر يقف عند هذا الحد ولا ينزل إلى عمق أسفل من ذلك ، إذ يضطر المرشح أثناء سعيه لكرسى البرلمان أن يعد وعوداً لا يستطيع إنجازها ولا يمكن الوفاء بها حتى لقد انقضى ذلك الزمن الذى كان فيه صوت الناخب يشترى بثمن جنيهات خمسة . ولانجلترا أن تفخر بانقطاع الرشوة فى انتخاباتها على هذه الصورة ؛ ولكن أليست الوعود فى الانتخابات ضرباً من الرشوة فى صورة أخرى ؟ على أنها وعود إن أمكن الوفاء بها أدت بالأمة إلى الإفلاس ؛ وإن لم يحصل إنجازها تولدت فى النفوس روح الاستياء .

« فأمثال هذه الوسائل لا يمكن أن يتأتى معها انتخاب من كان أميناً صادق الوعد لأن هؤلاء يصعب عليهم أن يعدوا وعوداً يعرفون أنهم لا يقدرون على إنجازها ، ثم إن العضو متى صار نائباً فى البرلمان التزم بمظاهرة حزبه وتأييده ؛ ولا يستحب منه أن يستعمل قدراً من ذكائه يخرجه عن هذا الحد . وكم من نواب كثيرين ليس لهم فى البرلمان واجب سوى التصويت لجانب حزبهم ينساقون إليه مغمضة عيونهم من غير بحث أو تفكير . ونحن إذا كنا لا نستطيع أن نقول إن هذا النظام فيه ما يمنع العضو من فحص المشروعات المقترحة فحصاً صحيحاً صادقاً يبدى بعده فيها رأيه عن عقيدة خالصة فإنا نستطيع أن نقول إنه ليس فيه ما يحث العضو أو يشجعه على أن يفعل ذلك » .

وبعد أن ضرب عدة أمثلة تصدق نظريته فى فساد النظام الحزبى قال :

« إذا كانت الحال شأنها على هذا المنوال بالنسبة إلى أول برلمانات العالم نشأة ، وإذا كان نظام الحكم الحزبى حتى فى انجلترا نفسها وهى أعرق الأمم فى الحياة النيابية بدأت تظهر فيه عيوب ونقائص لها خطورتها — فكيف الحال بنا فى مصر وهى بلد حديث العهد

بالشؤون السياسية ولما تصل فيه خبرتها إلى درجة أن مضار السياسة الحزبية فى الحكم تجد أمامها من يستطيع مقاومتها ويصحح ميزانها سواء من ناحية الناخبين أو من ناحية المنتخبين لعدم كفاية تجاربهم وخبرتهم ونضجهم السياسى .

« وفى مصر ، حيث الثقافة العامة حديثة العهد ، وحيث نسبة العامة بين الناخبين لا تقل عن ٨٠ ٪ إن لم تكن أكثر ، لا مفر من أن يكون الشعب أكثر استعداداً من الشعب الانجليزى للتأثر بالوعود الوهمية والأحاديث الخلابة .

« فالتمثيل العام فى مصر ، شأنه فى انجلترا ، أقرب إلى الخيال منه إلى الحقيقة . فمنذ سنة ١٩٢٣ وحكومة مصر فى سلسلة من متاعب معقدة الحلقات من جراء الاضطرابات والمنازعات والانقسامات الحزبية . وكان المأمول زوال كل هذه الخلافات الآن ، لكنا ما زلنا نرى أن فى الأحزاب ميلا إلى مواصلة المكافحة واستبقاء المنازعات على الرغم من عقد المعاهدة مع انجلترا التي بها كانت تستقر الأمور وتتحد الأمة لو أن الأحزاب أقلعت عن منازعتها ، وتجاوزت خلافاتها ، وألقت بها وراء ظهورها ، ووجهت همها نحو غرض واحد وهو إدارة الحكم فى البلاد على أحسن وجه .

« وفوق هذا فللحزبية فى مصر أضرار خاصة من طبقة مغايرة للأضرار العامة المتقدم ذكرها ، إذا أضيفت إليها زادتها سوءا ووسعت فى مدى الخطر لا سيما فى بلد يسعى ليتبوأ مكانه بين الأمم الراقية . ولا يفوتنا أن نذكر على وجه الاختصار أن هذه الأضرار فى مصر لم يزل معناها على إطلاقه ولما توضح لها أوصاف لتحديد مداه وتعيين مرماه .

« ومن عجب أن كثيرين من الكتاب كتبوا كثيراً عن الحكم الشرقى واستبداده وما خطر لهم أن يتناولوا الاستبداد الحزبى بمثل ما تناولوه عن الحكم الشرقى ظنا منهم أن الاستبداد الحزبى شىء آخر مغاير لاستبداد الحكم الشرقى ؛ وفاتهم أنه فى الحقيقة ضرب من الاستبداد يقبض على زمامه حكام عديدون ذوو نزعات متعارضة وأهواء متباينة بدلا من أن يقبض عليه حاكم واحد متجانس فى نزعاته وأهوائه ؛ وفات هؤلاء الكتاب أن الحزبية إن هى إلا حافز لإيثار النفس ، وتناقض صريح صارخ لأبسط مبادىء الديمقراطية ، وعامل يجعل حرية الانتخاب مهزلة من المهازل والسخرية . على أن شر الحكام المستبدين لهم أجل معلوم ينتهى عنده شرهم وأذاهم ، أما الاستبداد الحزبي فيطول أمده ، ويمتد أجله ، وليس له حد ينتهى عنده شره » .

وبعد أن انتهى من بيان عيوب النظام الحزبى فى مصر ذكر علاج هذه الحالة فقال :

« إذا ظهر الداء فاين الدواء وكيف العلاج ؟ أنجده فى تغيير طريقة الانتخاب من أساسها ووضع أساس جديد له ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما الذى يجب أن يكون عليه ذلك الأساس ؟

« والجواب على هذا يشمل أمرين :

« نظام الانتخاب ، والتمثيل .

« أما نظام الانتخاب عن طريق الأحزاب فيجب هدمه من أساسه . وأما التمثيل النيابي فيجب أن يبنى على الخلق القويم والكفاية الممتازة فى الشخص ، وهذا يتطلب أن يوضع للشعب نظام يضمن به ألا ينتخب ممثليه إلا ممن عرفوا بالنزاهة وسداد الرأى . ولا يتحقق التمثيل النيابى على هذه الصورة إلا إذا كان البرلمان مؤلفاً من رجال برهنوا فعلا على حكمتهم واستقامتهم فى الحياة العامة والخاصة لا يتأثرون فوق ذلك بالاعتبارات الحزبية ولا يتورطون.

« وليس الأخذ بهذا المبدأ والعمل به من أصعب الأمور . ففى كل بلد وكل أمة وفى كل صناعة وحرفة طائفة من الناس معروفون بكفايتهم واستقامتهم يضع فيهم الجمهور ثقته التامة لاحترام زملائهم لهم وتوقيرهم إياهم . وهذه الظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية الشائعة ؛ ويمكن استخدامها فى الحصول على أفضل الرجال وأكفأهم وتقديمهم للأمة تعينهم فى مجالسها لإدارة شؤونها كما هو الشأن فى الشركات الصناعية والمالية عند تعيين الكفء من الرجال لإدارتها .

« والإجراء الذى يتخذ تنفيذاً لهذا المبدأ هو أن تعد لكل دائرة من دوائر الانتخاب قائمة بأسماء المعروفين للجمهور بحسن الخلق وجليل الأعمال الذين أثبتوا أنهم جديرون بتمثيل المصالح العامة . ويجب أن تشتمل القائمة على عشرة أسماء أو عشرين اسما بدلا من الثلاثة أو الأربعة الذين ترشحهم الآن الأحزاب ، وأن يكون كل اسم وارد فى تلك القائمة مشهوداً له بالإجماع بحسن السيرة والسمعة ، وتعرض القائمة أولا لمدة معينة مرفقاً بها بيان مختصر عن تاريخ حياة كل شخص ورد اسمه فيها وعن المبررات التى تخوله حق التمثيل ، ويسمح للشعب بالوقت الكافى لدراسة القائمة وتقديم اعتراضاته عليها المبنية على الوقائع الثابتة . وكل اسم يقع الاعتراض عليه من عدد معين من الناخبين يشطب من القائمة ويوضع مكانه غيره . وبذلك تنقطع تلك الدعايات الحزبية التى تحصل الآن فى

الانتخابات . إنما ينبغى عند اقتراب يوم الانتخاب أن يقيم كل مرشح فى دائرة انتخابه فترة من الزمن يتصل فيها بناخبيه يحادثهم فى شئونهم ويجيبهم على أسئلتهم إذا سألوه . وفى الإعلان عن اسم المرشح على الصورة المشار إليها حافز له يدعوه إلى التمسك بأسباب النزاهة وحسن السير فى العمل والمحافظة على الشهرة التى نالها من مجرد ورود اسمه فى القائمة المذكورة . ولا يجوز للذين حصل انتخابهم أن يرشحوا ثانية بعد انتهاء مدتهم إلا إذا حصل انتخاب جميع من وردت أسماؤهم فى القائمة كل بدوره ، وبذلك يطمئن كل واحد من هؤلاء على مركزه فى البرلمان ، وأن يومه فيه آت بلا ريب ، فلا تدعوه الحال إلى الدعاية عن نفسه إذا ما حان الوقت المعين للانتخاب .

« أما إعداد تلك القوائم فيمكن أن يجىء عن طريق الهيئات من أصحاب الحرف وأرباب التجارة . فيعهد إلى كل هيئة من هذه فى كل دائرة من الدوائر الانتخابية أن تضع اسمين أو ثلاثة وتكلف بتقديمها إلى الجهة المختصة . ويصح أن تكون محكمة النقض والابرام الهيئة التى تقوم بالحركة كلها مع الإشراف عليها ، فهى التى تصدر أوامرها لاختيار أسماء المرغوب فيهم وتراقب أعمال التحرى عن كفاية أصحابها وجدارتهم ومؤهلاتهم وماضى تاريخهم . وإنما اتجه نظرنا إلى محكمة النقض أو المحكمة العليا واخترناها كهيئة تقوم بتأدية هذه الوظيفة لأن لها — وهى الهيئة الدائمة — مقاماً رفيعاً وهيبة محترمة لابد منها للاضطلاع بمسئولية العمل ، ولأنها بحكم طبيعتها فوق الاعتبارات الحزبية كافة .

« ولأجل أن تكون هذه المحكمة أكبر هيئة عليا متمتعة على الدوام بتمام استقلالها ، بعيدة عن أى تأثير وإغراء ، حائزة أرفع مقام وأعظم هيبة تتناسب مع واجبها الأقدس فى خدمة الوطن ، يجب أن يعين أعضاؤها فيها مدى الحياة وأن يوضعوا فى مستوى الوزراء على قدم المساواة معهم فى الرتبة والمرتب .

« ورب معترض ثان يقول إن مثل هذا النظام إذا أخذ به لا يهيئ من الأسباب ما يدعو إلى توجيه الانتقادات الجدية المتزنة كالتى يوجهها حزب فى المعارضة .

« ورداً على هذا نقول : دلت التجارب على أن أى جماعة من الناس يتباحثون ويتناظرون فى أمر ذى بال ، يهتمون حقيقة به ، لا بد من أن تتولد أثناء البحث والمناقشة ملاحظات شتى وانتقادات متنوعة من تلقاء نفسها ما دام أفراد الجماعة من ذوى الكفايات . ويبعد الفراغ من بحث مسألة من غير أن تكون الجماعة نظرت فيها من كل

وجوهها وبحثتها من جميع أطرافها . هذا هو شأن جميع الهيئات الإدارية ولجان التحقيق وما شاكلها من الجمعيات الصناعية والاقتصادية والتجارية وما إلى ذلك .

« وعليه فالنظام يكفل تحقيق الانتقاد ، ولا وجه إذن للاعتراض . وإن كان هناك شيء يخلو منه هذا النظام فإنما هو المشاغبة الهازلة التى تخلقها المعارضة الحزبية ، تلك المعارضة المبنية على أسباب حزبية محضة والتى كثيراً ما يقوم بها من لا يؤمن بها فى قرارة نفسه . وهذا الإجبار على المعارضة لمجرد المعارضة هو الذى سوف لا نجد له محلا فى محيط البرلمان المقترح ، إنما المحل للمعارضة الجدية الصادقة المبنية على الأسباب الصحيحة المعقولة .

« وإذا كان هناك شيء يرمى هذا النظام إلى إبعاده عن محيطه ولا يسمح له بالدنو منه فهو محترف السياسة الذى يتخذها مرسحاً له ، لأنه أصبح فى الحقيقة لا محل له فى هذا العالم الحديث وسط مشكلاته المعقدة ومسائله الصعبة التى التفت جذورها بعضها حول بعض وتشابكت سوقها وفروعها ، حتى إن خول الساسة أنفسهم وجدوا أنهم غير قادرين على السير وحدهم فالتجأوا إلى استشارة الإخصائيين من الفنيين ، وجاءوا بهم إلى جانبهم لمعاونتهم ولا سيما فى الشؤون الاقتصادية . وما كان لسياسى ، مهما أوتى من الحكمة وسداد الرأى ، أن يتصدى لمعالجة شأن منها وحده ، وهى كما لا يخفى من أهم الأمور التى تمس مصالح الناس الحيوية ، بل هى فى ذلك أعظم اتصالا بها من الأمور السياسية وأكبر منها خطراً . ففكرة التعاون موجودة ومبدأه قائم فعلا مأخوذ به عملا . والمشروع المقترح لنظام الحكومة الجديد سيتناول هذا التعاون ويجعله أساساً جوهرياً لحسن سير الإدارة ، تتركب عناصره من اتحاد الحكمة السياسية بالخبرة الفنية المستمدة من جميع نواحى الحياة القومية ، تلك الخبرة المودعة فى أفراد الأمة الذين هم فى الحقيقة خلاصة خاصتها » .

وختم بحثه بقوله :

« شغل بالى هذا الموضوع منذ أول انشقاق حدث فى سنة ١٩٢١ من جراء المفاوضات مع انجلترا وتزايد الخلف بعدئذ بين الأحزاب فى مصر بسبب تنافسها وتنازعها . وإنما دفعنى إلى الكتابة فيه اليوم ما رأيته من قيام الحكومة القومية فى انجلترا وما كان لها من حسن الأثر فى إدارة البلاد وخدمتها مما أدى إلى تكرار التجربة باقامتها للمرة الثانية . وكنت فى الحقيقة منتظراً أرقب ما تسفر عنه نتيجة هذه التجربة الثانية فى أقدم برلمان

فى العالم . وها قد ظهرت النتيجة ودلت على نجاح التجربة وهى تشير باشارات واضحة إلى أن الشعور العام أخذ يتجه فى الوقت الحاضر ضد قيام الحكومة الحزبية . وكلنا يرى فى أفق السياسة أن يوم القضاء على الحكومة الحزبية — وقد بدت طلائعه — آت لا ريب فيه عاجلا أو آجلا . وقد يخطر بالبال بطبيعة الحال فى هذا المقام أنه إذا كانت الحزبية نفسها آخذة فى التلاشى شيئاً فشيئاً والزوال من الجو البرلمانى ، أفلا يكون من خطل الرأى الاحتفاظ بها كوسيلة ينتفع بها فى الانتخاب ؟

« وما أقصد فى وضعى مشروعاً جديداً كهذا أحاول فيه تعديل سياسة الحكم على الصورة التى أقدمها اليوم إلا لتمهيد السبيل إلى إيقاظ الديموقراطية الصحيحة فى سياستها ، وإثارة شعور الناس للاهتمام بمصالحهم العامة ، والتوصل إلى إيجاد برلمان مؤلف من أعضاء غير مقيدين بسلاسل الخوف من دسائس الحزبية ، فخورين بأنهم لم يعتمدوا فى انتخابهم إلا على كفايتهم ومؤهلاتهم وحسنات أعمالهم وماضى تاريخهم المجيد لا على مؤثرات حزبية ومساع ذاتية .

« وأنا إذ أضع هذا المشروع وأقدمه لأهل وطنى آمل أن يكون عوناً على بناء أمتن أساس تقوم عليه الحكومة الديموقراطية الحقة الذى يعتبره جميع أئمة السياسة وأهل الرأى أنه الأساس الوحيد الذى يتحمل بناءها — وذلك الأساس هو تمثيل الأمة تمثيلا صحيحاً يقوم به رجال رائدهم خدمة المصلحة العامة وفائدتها ، لا يخشون فى الحق لومة لائم ، ولا يخافون نتيجة الجهر بالرأى الحر الصادر عن إخلاص وعقيدة . أولئك يمثلون الأمة حقاً وهم أساس حكومتها المتين . وهذه هى الحكومة التى وصفها الرئيس لنكولن فى خطبته التى ألقاها فى جتزبرج فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٦٣ بقوله « حكومة الأمة بالأمة للأمة » .

« والآن بعد أن عقدت البلاد معاهدة التحالف مع انجلترا ، وسوت بذلك مركزها ووضعت أساساً جديداً لإنشاء مصر نشأة أخرى حديثة ، نرى أن الآونة الحاضرة أنسب الأوقات وأصلحها لقيام نظام للحكم فى البلاد على مثال النظام المقترح هنا ولا سيما أن تنفيذ المعاهدة أمر يتصل بمرافق الأمة جمعاء ، ومسئوليته واقعة لا محالة على عاتقها كلها لا على طائفة دون أخرى . مما يجعل تلك المسئولية ذات صبغة قومية وطنية توجب السير فى التنفيذ من غير رجوع إلى الأحزاب .

« وفى نظرى أن مصر أمامها الآن فرصة لا تعوض ينبغى أن تحرص عليها ولا يصح

أن تفلت من يدها بل يجب أن تنتهزها فى الحال لتحرير نفسها من قيود عتيقة دلت التجارب على عقمها . ولا يخالجنى أدنى شك فى أنها آخر فرصة ذهبية تسنح لمصر فان هى انتهزتها كانت عاملة على أن تكون عاملا قوياً من عوامل تدعيم السلام فى العالم وتوطيد أركانه ، وأخشى إن لم تكن فاعلة أن تضيع الفرصة وتصبح على مافرط منها نادمة . ولما لمصر من المركز الحربى الهام بين الشرق والغرب ، ولما نراه من تزايد التنافس بين الدول الحربية الكبرى — ومصر ما برحت مطمح أنظارها — أخاف أن يأكلها الذئب إذا ما جد الجد ووقعت الواقعة ، لا قدر الله ، وهى فى غفلتها ساهية » .

صدى الاقتراح : وقد كان لهذا الاقتراح المبتكر المدعم بالحجج والأسانيد صدى قوى فى أوساط المفكرين ، فكتبت الأهرام فى يوم ٩ فبراير للأستاذ عباس المصفى وكيل الأهرام بالاسكندرية بتوقيع « ع . م » كلمة جاء فيها :

« لقد عرف الجمهور عزت باشا الرفيع المقام قبل الآن أنه من العاملين الصامتين فى هذا المحيط الصاخب . وهو لا يتقدم إلى ميدان القول إلا لإبراز ثمرة من ثمار عمله وتفكيره . ولا تزال هذه البلاد تذكر له قوة دفاعه عن حق مصر فى السودان أيام كان سفيراً لمصر فى لندن ، فان الخطب التى ألقاها فى القوم فى ذاك الوقت ونقل البرق تفاصيلها إلى مصر أثارت كل إعجاب فى هذه الديار .

« وهو الآن يستأهل كل حمد وتقدير من أجل هذا البحث السياسى الذى أوصله المنطق فيه إلى اقتراح الأخذ بقاعدة « الاختيار قبل الانتخاب » لتقويم النظام النيابى فى مصر . ولا شك فى أن هذا الرأى الجديد من أصوب الآراء فى بابه ؛ وبه يحل الإشكال القائم . والمقترح يقترن بحجج تظهر وجوه النفع فيه ومنطق يوحى بقبوله .

« ولكن كيف السبيل إلى العمل به الآن والأعصاب متوترة من كل جانب بسبب المشادة الحزبية فى البلاد والتأهب للكفاح فى ميادين الانتخابات ، فلا تدع مجالا للبحث فيما يبعد المتناضلين عن الأغراض التى تقيمهم وتقعدهم . صحيح أن الفرصة سانحة لقبول هذه النصيحة الثمينة ، ولكننا نخشى أن تكون فى هذه الآونة كنصيحة السلام التى تلقى بين المتحاربين ليسمعها كل سميع ولا يجد أحد منهم سبيلا إلى اتباعها قبل أن تنتهى المعركة وتحقق الأغراض .

« على أن العبرة بالنتائج . وهيهات أن تحسن الحال إذا أسفرت النتيجة عن توطيد الحزبية القديمة ؛ وهل يستقيم الظل والعود أعوج » ؟

وكتب الأستاذ محمد فريد وجدى بتاريخ ١٠ منه كلمة جاء فيها :

« حلل دولته الموضوع تحليلا دقيقاً ؛ ولم يدع جهة غامضة منه إلا ألقى عليها نوراً يكشف جميع أنحائها الخفية : شأن السياسى الخبير ، والدبلوماتى البارع . فكل ما ذكره من عيوب الحكومة الحزبية ومن نقائص الترشيح الحزبى بقصد الاستكثار من الأنصار والأشياع ومن أن أصلح حكومة هى الائتلافية التى تجمع بين مختلف الميول والنزعات فى الحكم كل ذلك قد أشبعه دولته بحثاً وتفلية حتى جعله فى مستوى البداهات العقلية ، ولكنه لم يبلغ هذا الشأو فيما قرره من وسائل الحصول على هذا الإصلاح البرلمانى العظيم الشأن فيخشى أن تفضى الحال ببحثه إلى مثل ما أفضت إليه بكل بحث مثله ، وهو الإعجاب به ثم إهماله وعدم التفكير فيه لتعقد تنفيذه .

« بقدر ما توسع صاحب المقام الرفيع فى بيان سيئات الحكومة الحزبية ، أوجز فى القسم التنفيذى من بحثه فلم يذكر ما أصاب الديمقراطية ذاتها فى هذا العصر من وهن . وما عسى أن يجر إليه قيام مذاهب قوية معارضة لها تمثلها أتم بالغة أقصى نهايات الثقافة والمدنية ، وما يتوقع أن يكون من أثر ذلك فى الديموقراطية المصرية وهى وليدة تلك الديموقراطية العالمية التى يمكن أن يقال اليوم إنها فى حالة النزع » .

ثم لخص آراء عبد العزيز عزت باشا وعقب عليها قائلا :

« إن ماقرره دولة الباشا من أن نظام الانتخاب من طريق الأحزاب نظام فاسد (فى مصر فى عهدها الراهن على القليل) ، وأن التمثيل النيابى يجب أن يبنى على الخلق القويم والكفاية الممتازة — كل هذا حق لاشية فيه ولكن مارآه دولته فى وجوب قيامنا على مثل نظام « الوتنجمت » الإنجليزى الملغى فيه نظر . فإن تكليف كل دائرة انتخاب بإعداد قوائم بأسماء الرجال ذوى الكفايات فيها يدعو (فى بلادنا) إلى خلافات ومنازعات بين الأفراد والأسر تجر إلى معارك دموية ، وينبنى عليها من الطعون ما تعجز أية دائرة عن الفصل فيها . وأقل تأمل فى المعايير التى يزن بها أهل القرى الكفايات فى درجتهم الحالية من العقلية يشكك فى صلاحية هذه الطريقة .

« وأما إسناد هذا النظام الجديد وتطبيقه إلى محكمة النقض والإبرام ، فخلط بين وظيفة القضاء والإدارة . وقد ثبت بما لامزيد عليه أن هذا الخلط بين العملين يجر إلى ارتباكات خطيرة . ولم يقرر فقهاء القانون الدستورى ضرورة الفصل بينهما إلا تفاديا من شر مستطير .

« زد على هذا أن جعل وظائف قضاة هذه المحكمة دائمة ومساواتهم بالوزراء فى المرتبات والاعتبار ، يفضى إلى استحالة محكمتهم إلى هيئة ذات سلطان يتنافى وجوده والنظام الدستورى الذى لايقوم إلا على تعادل السلطات وتكاملها .

« وأما المجلس الثانى الذى يرى صاحب المقام الرفيع أن يقوم إزاء المجلس النيابى وتكون عضويته ممتدة إلى آخر الحياة فسرعان مايستحيل إلى هيئة استبدادية مهما تحلى أعضاؤه بالخلال القويمة ، تعرقل أعمال المجلس النيابى وتقوم عقبة فى سبيله .

« وإذا كان الإنجليز على تحليهم من الآداب الدستورية بأوفى نصيب قد اضطروا إلى الحد من سلطان مجلس لورداتهم ، مع ما لأبناء هذه البيوتات التاريخية الكبيرة من الفضل فى بناء الحياة الديمقراطية فى انجلترا ، فما ظنك بنا ولم نخط فى هذه الحياة الديموقراطية الخطوة الأولى .

« يتضح من هذا أن الأسلوب التنفيذى للاصلاح الدستورى الذى يرتئيه صاحب المقام الرفيع عزت باشا يتعذر تطبيقه كما تعذرت أمثاله على الأمم الديموقراطية ، فإنه ليس فيها من يرى أن النظام المعمول به فى تأليف مجالسها يضمن عدم تسرب العاطلين من الكفايات إليها ، ولكنها لا تزال تبقى عليه لتعقد طرق الوصول إلى غيره » .

ثم رأى هو رأياً آخر فى التنفيذ فقال :

« بقي على أن أدلى برأيى فى الوصول إلى هذا الإصلاح البرلمانى من أقصر طريق وعلى وجه آلى خال من كل تعقيد ، وذلك بجعل الانتخابات للمجلس النيابى من ثلاث درجات لانتخابا مباشراً كما هو الآن ، ولا من درجتين كما جرى عليه العمل لأول اجتماع له . فان هذه التصفيات الثلاث المتعاقبة تنتج الخلاصة التى يرجو كل عارف بتبعات النيابة أن يكون مجلس نوابه مؤلفاً منها .

« أما فائدة هذه الطريقة فى حذف الذيول والإمعات واستخلاص النخبة الممتازة فى

الأمة على أسلوب آلى فلا يحتاج لتدليل ؛ وهى فى الوقت نفسه لا تقتضى قلباً للأوضاع المقررة ، ولا مناقضة للعرف الإنسانى فيما يلجأ إليه لإيجاد الصفوة المرجوة .

« ومن يتأمل فى أن كل ما دخلت فيه مصر من الأدوار الرجعية فى مدى الخمس عشرة سنة الأخيرة يراها ترجع إلى هذه الفتنة الحزبية ، وإلى تغلب بعض عناصر الأمة على بعضها الآخر بواسطة الانتخاب المباشر . ولست أشك فى أن الجرى على هذا الأسلوب عينه سيجر حتما إلى نتائج رجعية من التى سبق حدوثها بسببه ؛ وربما كانت فى هذه الدفعة أطول أمداً وأبعد مدى . فإن كان الذين يصيحون بوجوب حماية الدستور صادقين فى غيرتهم عليه ، وجب عليهم تأييد هذا الرأى أو غيره مما يضمن مجىء الصفوة الممتازة للنيابة عن الأمة وإلا تعرض نظامنا الدستورى للخطر . وفيما غبر معتبر لكل ذى نظر » .

رأيى فى الاقتراح : وفى يوم ١٤ فبراير كتبت فى الأهرام الكلمة الآتية :

« تتبعت باهتمام كبير ما كتبه حضرة صاحب المقام الرفيع عزيز عزت باشا تحت هذا العنوان فى الأهرام . وذلك لمعرفتى الكبيرة بأخلاق هذا الرجل العظيم وعشرتى القديمة له ، التى مكنتنى من معرفة أشياء كثيرة عنه ، فمع غزارة علمه ، وسعة اطلاعه ، ونضوج فكره ، فهو لا يبرز إلا فى المسائل الهامة ؛ ومتى اقتنع بصواب رأيه فى هذه المسائل لا يتردد فى الإفصاح عنه بصراحة وشجاعة نادرتين . ونحن لا ننسى بروزه للدفاع بحرارة عن حقوق مصر فى السودان سنة ١٩٢٤ فى بلاد الانجليز نفسها .

« لذلك لم أشك حين كتب رأيه الأخير عن النظام الذى يجب أن تأخذ مصر به بعد فشل النظام الحزبى وظهور سيئاته فى أنه مخلص فى دعوته هذه مقتنع بصلاحيتها للبلد بعد بحث وتمحيص وإنعام نظر . ومسألة فشل النظام الحزبى فى توفير الخير للبلد مسألة قديمة ليست بجديدة . وقد تلقيت الانقسام الذى حدث فى صفوف الأمة سنة ١٩٢٢ بكثير من الخوف والسخط ؛ ولم أتوان فى العمل على لم الشمل وتوحيد الصفوف مع العاملين إذ ذاك — كما فصلت ذلك فى الجزء الأخير من مذكراتى — لأننى كنت أرى الاتحاد هو الوسيلة الوحيدة لاحترام قضيتنا فى نظر الانجليز ، وأن النهضة القومية التى رفعت رؤوسنا بعد أن كانت منكسة لا تنتج فائدة إلا بدوام الوحدة .

وقد حققت الأيام ظنى فلم تعقد مصر المعاهدة الأخيرة إلا بفضل الائتلاف وتكوين الجبهة الوطنية من جميع الأحزاب .

« واليوم يقوم رجل عظيم كعبد العزيز عزت باشا فيطرح فكرة جميلة للتخلص من التطاحن الحزبى وإنشاء نظام جديد يتوفر فيه الانتفاع بخير الرجال فى البلد وأحسن الكفايات . فمن الواجب ألا نكتفى بسماع هذه الفكرة والتصريح فى مجالسنا الخاصة بصحتها وصلاحيتها .

« ولكن الواجب يقضى على جميع المفكرين فى البلد ، المستقلين عن الحزبية ، أن يعملوا على تحقيقها إن لم يكن اليوم ففى الأعوام القليلة القادمة .

« لقد قرأت ما كتبه حضرة « ع . م » تعليقاً على رأى عزت باشا فراقنى أسلوبه الهادئ وتفكيره المنظم واستوقف نظرى قوله :

« ولكن كيف السبيل إلى العمل به الآن والأعصاب متوترة من كل جانب بسبب المشادة الحزبية فى البلاد ، والتأهب وللكفاح فى ميادين الانتخاب » ؟

«والطريقة التى أراها صالحة هى أن يجتمع ذوو الآراء المستقلة على الدعاية لهذه الفكرة فى كل الأوساط . ولا بأس من إقامة الحفلات لمناقشتها والحوار فيها وإبداء الملاحظات عليها كما صنع الأستاذ العلامة محمد فريد وجدى حتى يتنبه الرأى العام إليها ويؤمن بحقيقتها ، والرأى العام هو المحكمة الكبرى التى تخضع الأحزاب والزعماء لأحكامها .

« وقد رأينا أثر ذلك فى ضم الصفوف سنة ١٩٣٥ وتكوين الجبهة الوطنية تحت ضغط الأمة ، مع ما كان من تنافر وشقاق بين الأحزاب .

« وإن مما يساعد على سرعة إقناع الشعب ، أن الكثيرين أصبحوا يرون الآن أن الأحزاب لا تساير الأمة فى ظروفها بل هى متخلفة عنها ، وإن المهمة التى قامت هذه الأحزاب لتحقيقها قد انتهت بعقد المعاهدة مع انجلترا فلا بد من إلغاء هذه الأحزاب جميعها ، أو على الأقل تجديدها بمبادئ تتناول الإصلاح الداخلى كالتعليم والصحة وحالة الفلاح والعمال . والمسائل الاجتماعية من المسائل التى تختلف فيها وسائل الأحزاب فتجعل للناخب الحرية فى اختيار مرشحى الحزب الذى يوافق على وسائله فى ، الإصلاح ، وبذلك ننتقل من مرحلة مناصرة الأشخاص إلى مناصرة المبادئ والأعمال .

«على أننى أبدى رأيا أعتقد بصحته وصوابه لإيجاد هيئة نيابية صالحة إذا كان لابد لنا من إلغاء النظام الحزبى .

« وذلك بأن نشترط فى المرشح للنيابة درجة من الثقافة والمؤهلات أرقى كثيراً من مجرد القراءة والكتابة التى يقررها النظام الحالى .

«ونشترط فى الناخب معرفة القراءة والكتابة على الأقل ، حتى لانضع مصير الحكم فى البلاد فى أيدى الطبقات التى لا تعرف شيئاً عن تيارات السياسة والتى يسهل خداعها بوسائل الدعايات الانتخابية الساذجة . ولعل فى ذلك فائدة غير مباشرة وهى سعى كل فرد للتعليم وإزالة الأمية . وأرى أن هذا أدنى إلى تحقيق صلاحية الهيئات النيابية من جعل الانتخاب من ثلاث درجات كما رأى العلامة الفاضل فريد وجدى فى كلمته الأخيرة .

« يجب ألا نخضع باستمرار للحجج التى يبديها بعض أصحاب الأغراض من السياسيين من مخالفة مثل هذه الشروط للديمقراطية فى العالم ، وأن نختار ما يصلح لبلادنا دون تقليد . فالأمم التى أباحت الانتخاب لكل فرد فيها لا توجد فيها نسبة الأمية كمصر ، وقد اجتازت شعوبها تجارب كثيرة فى حياتها الديمقراطية جعلتها أصح حكما وأحسن اختياراً لممثليها النيابيين .

« وفى النهاية أدعو كل ذوى الآراء المستقلة إلى مواصلة بحث هذا الموضوع الهام الذى تتوقف عليه سعادة الأمة فى المستقبل .

رأى قليني فهمى باشا : وفى يوم ١٥ منه نشرت الأهرام تعليقاً لسعادة قليني فهمى باشا جاء فيه :

«طالعت بمزيد الغبطة والإعجاب تلك الفصول الرائعة التى نشرها فى الأهرام الغراء حضرة صاحب المقام الرفيع عزيز عزت باشا ، خاصة برأيه السديد فى « الاختيار قبل الانتخاب » . وإنى لمعتقد أن هذه الفصول المستفيضة الحافلة بالآراء الناضجة قد ظفرت باستحسان الجميع ، إذ دلت أبلغ الدلالة على مدى سعة اطلاع مقامه الرفيع ، وعمق دراسته للأنظمة الحزبية المعمول بها الآن بمختلف أمم العالم المتمدين للهيئات النيابية . والذى يستنتج من أبحاثه العميقة أن نظام الأحزاب كقاعدة للانتخاب قد أصبح لا يتفق مع تحقيق المصلحة العامة فى جميع البلاد النيابية ، وخصوصاً فى بلادنا ، وذلك لانصرافها لغاياتها المتباينة من غير النظر لمصلحة الأمة فى مجموعها أو توفير أسباب الخير لبنيها ، أو تعميم الإصلاحات الداخلية فيها ، من جراء ما يصيب الأمة المتفرقة من الضرر ، من تعدد أحزابها ، وتضارب آرائها ، وتشعب جهودها ، ومدى الخسارة الجسيمة التى تحيق

بمرافقها من جراء حرمانهـا من خدمات طائفة من رجالها الأفذاذ المعروفين بكفايتهم ونبوغهم نبوغا لايسمح الزمان بمثله إلا فى النادر القليل .

«ولقد كان الأصل الأصيل الذى حمل صاحب المقام الرفيع عزيز عزت باشا على التفكير الصحيح ، والتوفر على بحث هذا الموضوع الحكيم ، وتجشمه المشاق فى استجماع المصادر والانكباب على درسها وكتابتها ، ما رآه فى مصر من شرور الحزبية ، وتمزيق صفوف الأمة ، وشيوع النزعات المتباينة فيها : وجنايتها على مبادىء الديمقراطية . إذ أن الطغيان الحزبى ليس له حد ينتهى عنده شره المستطير .

«ويرى مقامه الرفيع أن التمثيل النيابى الصحيح يجب أن تنتهى عنـده جميع القوى المتحدة ، وتتلاقى فى أفقه كل الجهود المتجانسة لخدمة الوطن ومصلحته العامة . وهـذا رأى صائب سديد ، دلت عليه الشواهد العديدة التى رآها الجميع أيام «الجمعية التشريعية» حيث كانت كل قوى البـلاد متضافرة متضامنة كشخص واحد ، تطالب وتجاهد وتعمل لمصلحة البلاد ، إذ لم يكن هناك بعـد حزب ولا أحزاب ، بل كانت أمة واحـدة ناهضة للعلا تواقة للرفعة .

« وهذا كله ، فى مجموعه وجوهره ، يتفق مع اقتراحنا السابق نشره فى أهرام ١٨ يناير الفائت ، إذ دعوت فيـه الأحزاب جميعاً إلى تكوين جبهة قوية تتولى السـعى للوصول بالأمة إلى غاية واحدة ، ألا وهى إصلاح الأحوال الداخلية من عمرانيـة إلى اجتماعية إلى اقتصادية .

« وقلت إن قيام الأحزاب على هذه الصورة المتنافرة يناقض رغبة الأمة فى توحيـد جهودها ، والعمل للخير العام ، ولا سيما بعد أن ظفرت البلاد بأملها المنشود الذى كان السبب الأساسى فى وجود الأحزاب ، ألا وهو نيل استقلالها ، والتخلص من الاحتلال الأجنبى !

« وقد يعترض معترض متسائلا : لمن تكون الرياسة فى تلك الجبهة . فجواباً على ذلك ، وتسكيناً للخواطر ، وإرضاء لجميـع رؤساء الأحزاب ، أقترح أيضاً أن يتنـاوب رؤساء الأحزاب رياسة هذه الجبهة لمدد معينة ، يتبادلونها فيما بينهم وذلك خدمة للمصلحة العامة.

« وأظن أن الجميع قد وضح لهم بعد ذلك أن جوهر الأفكار السديدة التى أبداها صاحب المقام الرفيع عزت باشا تتفق فى مجموعها ونتيجتها مع هذا الاقتراح .

« وإنى أعتقد أنه إذا أخذت الحكومة بهذه المبادئ الصالحة فانها تؤدى أجل الخدمات للبلاد ، فتستقر الأحوال الداخلية ، وتعم الإصلاحات النافعة ، وتمتنع الاضطرابات ، ويسود السلام والسكينة جميع الأرجاء .

« وفق الله العاملين لخير البلاد إلى السداد والرشاد ، فى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مولانا فاروق الأول المحبوب » .

تأييد واعتراض : وقد أوسعت الأهرام صدرها لتلقى آراء القراء فكتب يؤيد الاقتراح :

« محمد الشاذلى » ليسانسيه فى العلوم الاقتصادية والمالية ، و « ابن طولون » و « حكمت كامل » ، غير أنه تساءل عن كيفية الوصول إلى تنفيذ مشروع عزت باشا مادامت الأحزاب موجودة ، وهى لابد ستقوم بدعاية ضد المشروع ؛ و « محمود عبد الغنى سيد » بكفر الشيخ ، و « محمد أبو سنه » بميت غمر ، و « محمد نعمة » بالإسكندرية ، و« أمينة حشمت » بوردان ، و «طه حسن بيومي» المدرس ، و «عبدالسلام بدر الدين» بكلية الحقوق ، و « محمود محمد الألفى » بسنهوا .

ويرى « أحمد عمر » من أبو حمص ، مع تأييد الاقتراح ، أن تلغى جميع الأحزاب . ويؤيده فى هذه الفكرة « يوسف أبو الخير » المدرس بمدرسة أسيوط الثانوية ، و «شهدى عطيه الشافعى» بالإسكندرية ، و «سعد الدين مصطفى» بالمنصورة ، و «أنور الصناديقى» ، و« محمد حسن بطاح » المزارع بعزبة بطاح ، و «أحمد كامل مازن » عضو اتحاد كلية العلوم ، ومحمد أحمد عفيفى بالقاهرة .

واعترض « م . م . م » على الاقتراح لأنه يؤدى إلى تفويض جماعة من غير المختصين فى الحكم بين المختصين ، ثم قال :

«والحل الوحيد هو تأليف عدة مجالس يطلق عليها اسم المجالس الاستشارية يختص كل مجلس منها بشأن من شؤون البلد ، فيكون هناك المجلس الاستشارى الهندسى والصحى والزراعى والصناعى والثقافى الخ . ويؤلف كل مجلس من أعضاء حازوا أعلى درجات التخصص فى فنهم ؛ ويراعى فى تأليف كل مجلس اشتماله على أعضاء كل منهم متخصص فى فرع من فروع هذا الفن ، فيشتمل المجلس الهندسى مثلا على أعضاء تخصصوا فى هندسة المبانى ، وآخرين فى هندسة الكبارى ، وآخرين فى هندسة الرى ، وهكذا .

«أما طريقة انتخاب أعضاء هذه المجالس فتكون بتكليف رجال كل فن بانتخاب أعضاء المجلس المختص بذلك الفن ، فيكلف المهندسون بانتخاب أعضاء المجلس الهندسى ، والأطباء بانتخاب أعضاء المجلس الصحى ، وهكذا ؛ فان أفراد كل طائفة أدرى بقدر كل واحد منهم .

«ورب قائل يقول : إننى اعتبرت الانتخاب مفسداً للعائلات . وأنا أرد على ذلك بأنه نظراً لأن المنتخبين هنا ممن نالوا قسطاً وافراً من التربية ، فانه لا يخشى أن يتطور الخلاف فى الرأى إلى خلاف شخصى — بعكس الانتخاب العام .

« ولضمان عدم حرمان البلاد من الانتفاع بجميع الكفايات يكون لكل فرد من أفراد الأمة حق التقدم بما يراه من المقترحات للمجلس المختص ، وحق حضور جلسة المجلس الاستشارى أثناء نظر اقتراحه ، وشرح وجهة نظره .

« وتكون عضوية هذه المجالس مدى الحياة لضمان استقرار الأمور ، إلا إذا صدر من العضو أمر يحط من قدره فعند ذلك يستبدل به غيره .

« ويقوم إلى جانب هذه المجالس مجلس يطلق عليه اسم المجلس الاستشارى الأعلى يضم رؤساء المجالس الاستشارية المذكورة مع من يختارهم الملك من زعماء الأمة والمعروفين برجاحة العقل وحسن السياسة وصدق النظر؛ وتكون وظيفة هذا المجلس النظر فى نتائج أبحاث المجالس الأخرى وتنفيذ ما يرى تنفيذه وتأجيل ما يرى تأجيله طبقاً للصالح العام .

تعقيب لعزت باشا : وفى يوم ٢١ مارس كتب عبد العزيز باشا عزت كلمة تعقيب على ما أبدى من الآراء جاء فيها :

« تفضل بعض كرام الكتاب والمفكرين وتناولوا بالبحث والتمحيص موضوع « الاختيار قبل الانتخاب » على أثر نشره فى جريدة « الأهرام » الغراء ، وأخذوا يساهمون فى فحصه وتحليله . فأجمع الكل على ما فى الانتخاب عن طريق الحزبية من معايب ومساوئ لا تلبث أن تصبح مفسدة لنظام الحكم الصالح ؛ واتفقت كلمتهم على تحبيذ جوهر الموضوع فى ذاته وهو وجوب كون النواب من خيار الأمة ، إذ هو فى الحقيقة لا يقبل شكا فى صحته ولا يحتمل تأويلا أو جدلا فى نفعه وفائدته . فقالوا بوجوب اتخاذه مبدأ لازماً وشرطاً ضرورياً لصلاح الحكم . وإنما كان الخلاف فى آراء البعض منصباً على الخطة التى رسمتها لبيان كيفية التنفيذ فى انتخاب خيار الأمة وضمان ذلك .

« أما الخطة التى رسمتها لتنفيذ المشروع فلست أقول إنها كاملة نقية لا شائبة فيها ، ممهدة لا عائق ولا صعوبة أمامها ، ولا أقول إنها خير الوسائل وأصلحها ، كما أنى لست متمسكا بها بالذات ؛ لكنها هى التى اهتديت إليها بعد طول التفكير والأخذ والرد فيه حتى وصلت إليها ، وهى إلى الآن فى نظرى خير وسيلة تفى بالغرض المطلوب حتى يظهر بالعمل ما هو خير منها . لذلك كان بيانى لها على وجه الاختصار تاركا التوسع والتفصيل للتجربة العملية ، وعلماً منى بأن كل شىء فى أول أمره يجب أن يبدو صغيراً ثم يتزايد وينمو حتى يكمل . وما أنظمة التنفيذ بنوع خاص إلا وليدة التجارب ولا بد لها بتوالى الزمن من التغير والتطور ، يزول منها ما لا يكون ملائماً لبيئته ويحل محله ما فيه نفع للناس تبعاً لاختلاف الأخلاق والعادات وظروف الأحوال وتطوراتها فى كل أمة ؛ ومن البدهى ألا يحدث التغيير ويحصل التعديل إلا إذا شرعنا فعلا فى العمل وسرنا فى سبيل تنفيذه وقطعنا فيه مسافة طويلة نصلح ما قد يظهر فساده ونستبدل به ما نظنه خيراً وأبقى أثناء السير فى الطريق حتى نقترب من درجة الكمال فيستقر الأمر . أما أن نقضى الوقت فى طلب الكمال ونتمادى فيه على ما قد عساه أن يكون فى وسيلة من الوسائل من مساوىء وعقبات ، ونفترض العوائق والصعوبات وما إلى ذلك مما قد يظهر وقد لا يظهر عند القيام بالعمل فأمر لا أرى فيه فائدة عملية مجدية ما دام مبدأ « النواب من خيار الأمة » الجوهر الأصلى فى الموضوع المتفق عليه ، وطريقة تنفيذه غرضاً ثانوياً مهما يكن فيه من نقص فلا يتعذر سده وإكماله عند الشروع فى العمل لا قبله » .

وبعد ذلك كتبت الأهرام كلمة افتتاحية تحت عنوان « إيقاظ روح الديمقراطية ومسألة الاختيار قبل الانتخاب » جاء فيها :

« تتبع القراء المقالات التى كتبها حضرة صاحب المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا فى مسألة « الاختيار قبل الانتخاب » وما ثار حولها من جدل اشترك فيه كثير من الكتاب والباحثين . وأول ما نغتبط له أن هذه البحوث أثارت روح الديمقراطية ، وأيقظت الاهتمام بالشؤون العامة فى نفوس كثيرين من جمهور الشعب ، فقد اشترك فى مناقشة الاقتراح أفراد عديدون من مختلف الطبقات فدل اشتراكهم هذا على أن المصريين معنيون بشئون الحكم فى بلادهم .

« وقد عقب صاحب المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا على هذا بأنه درس الموضوع

دراسة وافية دقيقة وأن ما أشار به هو نتيجة اقتناع ، ولـكنه لا يفرض الأخذ به لذاته . وفى هـذا يقول : « أما الخطة التى رسمتها لتنفيـذ المشروع فلست أقول إنها كاملة نقية لا شائبة فيها ، ممهدة لا عائق ولا صـعوبة أمامها ، ولا أقول إنهـا خير الوسائل ، كما أنى لست متمـكا بها بالذات ؛ ولـكنها هى التى اهتديت إليها بعد طول التفكير » .

« وهو فى هذه العبارات الجلية الواضحة يتحدث بفؤاد العالم الواعى الدارس الباحث ، فان الـكمال المنشـود لم يبلغه أحد . وآية العالم التواضع واتساع أفق الفكر وتقبل النقد والاستعداد للاقتناع .

« والبـاحث المدقق لا يستطيع الجزم بأن اقتراح عبد العزيز باشا أفضل الاقتراحات وعبد العزيز باشا نفسه لا يقول بذلك .

« ولـكن الذى يستطيع أن يؤكده هو أن هذا الاقتراح يصلح أساساً للبحث فهو يقدم للمعنيين بالأمر هيكلا يحسن بهم أن يدرسوه . فقد يزيدون عليه أو ينقصون منه . وقد ينتهى أمرهم إلى رفضه رفضاً باتاً ووضع هيكل جديد ولـكن يبقى فضل صاحبه فى أنه فتح الأذهان ، وكان حديثه الصيحة الأولى بالدعوة إلى الإصلاح .

« هذا هو الوضع الصحيح للمسألة ، وهذا هو ما يجب أن تعالج على أساسه . وكل رجائنا ألا تذهب هذه الصيحة كما تذهب صيحات عديدة أخرى دون أن يكون لها صدى غير أبحاث أفلاطونية .

« فان الاتجاه فى الأمة أصبح واضحاً ، وهو يدل على أن الرغبة فى الإصلاح أصبحت ملحة ، فلم يبق إلا العمل . وقد فتح عبد العزيز باشا الباب له ، وكان مثالا لرجالات مصر أولا فى الانصراف إلى معالجة الشئون العامة ، وثانياً إلى معالجتها بالأسلوب الاستقرائي الرزين الذى نهجه فى بحثه » .

* * *

كلمة أخيرة : « والآن ، بعد استعراض هذا الاقتراح القيم وما أثير حوله من الآراء ، فانى أنتظر من كل من يلى الوزارة ويتسلم مقاليد الحـكم ، أن ينظر فيه عنـدما تسمح له الظروف عسى أن يكون فى تحقيقه ما ينقذنا من مساوئ الحزبية الحاضرة .

« والله الموفق للصواب » .

المؤتمرات الدولية فى مصر

مؤتمر الملاحة . مؤتمر القطن

* * *

مؤتمر الملاحة : كان يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٦ موعد افتتاح المؤتمر الرابع عشر للملاحة فى الأوبرا ، وكنت من المشتركين فيه ، قد حضره جلالة الملك وكان يرأسه زيور باشا* ١ فألقى كلمة الافتتاح بالفرنسية فى رشاقة وظرف ، ثم تبعه رؤساء مندوبى الدول ، ثم مندوب شركة قناة السويس ، فالسكرتير العام للمؤتمر يوسف قطاوى باشا ؛ وبعد انتهائه من كلمته قدم لجلالة الملك هدية المؤتمر وهى مدالية ذهبية .

وبعد الظهر اجتمع أعضاء المؤتمر الرسميون وغيرهم ، وانقسموا إلى فريقين : الأول برياسة إسماعيل سرى باشا* ٢ ويبحث فى الملاحة الداخلية وقد انضممت إليه ؛ والثانى للملاحة البحرية برياسة مسيو كليك عضو مجلس إدارة قناة السويس والمهندس الأول للقناة سابقا .

وقد نظمت لجنة تنظيم المؤتمر عدة رحلات وحفلات للأعضاء ابتدأت يوم ١٢ برحلة إلى سقارة . وفى يوم ١٣ أقيمت حفلة عشاء رسمية فى فندق شبرد ؛ وقد ألقى فيها زيور باشا كلمة قصيرة شكر فيها المؤتمر على أعماله وأعلن ختامه . ثم قام الرئيس « فيفر » وبعض مندوبى الحكومات ومندوب شركة قناة السويس فألقوا كلمات ضمنوها شكر الملك والأمة المصرية ولجنة الاحتفال .

وفى يوم ١٦ منه سافرنا على قطار خاص مجهز بمحلات للنوم قاصدين إلى أسوان ، فوصلنا يوم ١٧ منه وركبنا زوارق صغيرة يجرها لنش إلى الخزان مارين من جهة قصر أنس الوجود ؛ وكان على الخزان عدد من عربات « الترولى » فركبناها ؛ وشاهدنا نزول الماء من بعض فتحات فى الخزان ؛ ثم ذهبنا إلى فندق « كتراكت » للاقامة فيه .

---

* ١ م . ج ٢ ق ١

* ٢ م . ج ٢ ق ٢

وفى صباح ١٨ ركبنا القطار إلى الأقصر ؛ وبعد الغداء ركبنا عربات إلى الكرنك .

وفى صباح اليوم التالى اجتزنا النيل إلى الشاطىء الغربى ؛ فزرنا وادى الملوك والدير البحرى حيث مدت الموائد فى محل كوك . وبعد تناول الغداء ألقيت كلمة بالفرنسية أثنيت فيها على من خطب من رؤساء الوفود الرسميين ومندوب شركة قناة السويس فى حفلة ختام المؤتمر ، حيث أثنى الجميع على ملك مصر وشعبها ؛ وقلت : « إننى سمعت مثل هذا الثناء كذلك من كثير من حضرات الأعضاء ، ولهذا أرجو أن تسمحوا لأحد أبناء هذا البلد ، فى الجو البعيد عن الرسميات الذى يشعر بالأخوة الديمقراطية ، أن يشكركم جميعاً ، رسميين وغير رسميين ، بالإصالة عنه وبالنيابة عن مواطنيه ، على إحساساتكم الشريفة .

« نعلم جميعاً الفوائد العظيمة التى تنتج من المؤتمرات الدولية فى إنماء المعلومات الإنسانية ولكن يخيل إلى أن لها أثراً قوياً فى تقريب الشعوب بواسطة رجالها الممتازين حيث تجمع بين الغربيين والشرقيين فى صعيد واحد دون تميز فى معتقداتهم وأجناسهم فينشأ بينهم رويداً رويداً نوع من التعارف بل الأخوة .

« إننا رحبنا بكم عند قدومكم . وبما أن ساعة وداعكم قربت ، فإننا نرجو لكم الوصول إلى بلادكم بالسلامة ؛ وهناك نرجوكم أن تقولوا لأصحابكم وأحبابكم إن المصريين يقابلونهم على الرحب والسعة عند حضورهم لأن شعارنا « كرماء فى بلادنا للجميع » .

وقد صفق الحاضرون ؛ ووقف مسيو تيمونوف الروسى ، العضو القديم فى مؤتمر الملاحة الدولى ، فرد بكلمة رقيقة .

وقد نشرت البورص إجيبسيان نص الكلمتين بعدد ٢٠ ديسمبر(١)

وبعد زيارة بقية الآثار عدنا إلى مصر يوم ٢١ منه ومنها إلى الإسماعيلية فبورسعيد ؛ وكان جلالة الملك قد ركب يخت المحروسة من الإسماعيلية فوصل إلى بورسعيد قبلنا ؛ وكانت البلد مزينة أبدع زينة .

وقد تعرفت فيها بكل الأعضاء وتبادلت معهم البطاقات .

وفى صباح يوم ٢٢ ركبنا زوارق إلى الشاطىء الشرقى حيث مدينة بور فؤاد ؛ وقد أقيم سرادق كبير استعداداً لوضع الحجر الأساسى بيد جلالة الملك . وفى المساء عدت إلى القاهرة .

---

(١) وقد طلب مسيو تيمونوف من سكرتارية المؤتمر تدوين كلمتي ورده عليها فى محضر المؤتمر فتم ذلك .

مؤتمر القطن : وكان عام ١٩٢٧ موعد انعقاد مؤتمر القطن فى مصر . وقد سافرت مع أعضائه أول أبريل سنة ١٩٢٧ إلى الإسكندرية . وكان من ركاب القطار معى الكونت « دوهمتين » البلجيكى وزوجته الكونتيس وأحد الفرنسيين ، فدار الحديث عن مصر ، ففهمت أنهم وجدوا أجرة الفنادق فى مصر باهظة .

ولما وقف القطار فى كفر الزيات نزلنا لمشاهدة محالج القطن فلاحظوا أن بين العمال المشتغلين فى تنقيته من هم دون العاشرة ؛ فانتقدوا ذلك لمخالفته للانسانية ؛ ورأوا أن تسن الحكومة قانوناً يمنع ذلك . فانتهزت هذه الفرصة للتشنيع على الامتيازات ، فقلت إنها هى التى تغل يد الحكومة عن كل تشريع صالح .

وسمعت منهم ثناء كبيراً على جو مصر وأهلها وحكومتها وعلى خدم الفنادق النوبيين .

وقد واصلنا السفر بعد ذلك إلى الأسكندرية ؛ ونزل بعض الأعضاء فى فندق سان استفانو ، والبعض فى فندق كلاردج .

وفى يوم ٢ منه كانت حفلة الافتتاح الرسمية برياسة فتح الله بركات باشا بمدرسة الأمريكان . وفى اليوم التالى زار الأعضاء البورصة الملكية ، وبورصة مينا البصل ، وبعض المحالج . وبعد الظهر حضروا حفلة راقصة فى « فندق كلاردج » وألقيت بعض الخطب .



فؤاد أباظه باشا

وفى يوم ٤ ألقى فؤاد أباظه بك محاضرة قيمة رد فيها على الغزالين ؛ وقد ضمن خطبته بعض الفكاهات التى أضحكت الحاضرين .

وفى يوم ٥ رأس الجلسة أمين يحيى باشا فشكر الأعضاء على الأعمال الجليلة التى قاموا بها ، ثم أخلى كرسى الرياسة لمعالى فتح الله بركات باشا وقد وافق المؤتمر على قرارات منها :

الثناء على الملك ووزيرى الزراعة والأشغال وعلى معهد الموسيقى الشرقى (وكان قد دعاهم إلى ليلة فى ناديه) وعلى إدارة تياترو حديقة الأزبكية (حيث حضروا حفلة بدعوة من

طلعت حرب بك « باشا ») ، وعلى المحاضرين وكل من ساعدوا المؤتمر وبالأخص لجنة التنظيم . وقد صفقوا طويلا عنـد ذكر فؤاد أباظه وشكروا كذلك جمعية الصادرات .

وقرر المؤتمر تأليف لجنة دائمة من سبعة أعضاء مصريين وسبعة من الاتحاد الدولى للغزالين لبحث جميع ما يتعلق بشئون القطن .

وطلب المؤتمر منع زيادة الرطوبة فى القطن أثناء الحليج والكبس وعـدم خلط أجناس مختلفة وعدم وضع مواد غريبة فى بالات القطن كالدوبار والخشب وسواها .

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر عدنا إلى القاهرة .

من هو ابو الوفد ؟

تحت هذا العنوان كتبت فى الجزء الأول من التمهيد لحوليات مصر السياسية فصلا مطولا عن جميع الروايات التى وصلت إلىّ خاصة بموضوع تكوين الوفد فى مراحله الأولى.

وأنا هنا فى ملحق « مذكراتى فى نصف قرن » ، أثبت ما دونته فى مذكراتى عن هذا الموضوع بتواريخه دون تطويل ؛ ومن شاء أن يبحث عن التفصيلات فعليه أن يطلع على ما سبق نشره فى الحوليات .

فى يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٦ تقابلت مع إسماعيل أباظه باشا وتحادثنا فى تأليف الوفد ، فقال إن الأمير عمر طوسون هو أول من فكر فى تأليفه .

وفى يوم ٢٧ منه تقابلت مع سعد باشا — وكنت قد أرسلت له مذكرة بما علمته عن طريقة تكوين الوفد ، وهو أن الأمير عمر طوسون يقول : إنه هو الذى فكر فيه ، ورشدى باشا يقول عن نفسه كذلك ، والاثنان يذكران أنهما تحادثا فى هـذا مع سعد باشا ، وأن الأمير عمر طوسون فاتحه أولا سائلا : ما الذى نعمله للمطالبة بحقوق مصر . وفى مرة أخرى اقترح إصدار منشور بهذه المطالبة يرسل لممثلى الدول فى مصر ؛ وقد كتبت اليوم للأمير أسأله رأيه فيما سمعت .

وعلمت من سعد باشا أن رشدى وعدلى إنما كانا يطلبان السفر لتنظيم الحماية لا للمطالبة بالاستقلال كما قرر سـعد وأصحابه ، وأنه لما ذهب مع صاحبيه إلى ونجت كان الغرض الأول لهم رفع الأحـكام العرفية . ولما عرف رشدى من ونجت أنه يحتج بأن الثلاثة ليس لديهم توكيل من الأمة فكروا جميعاً فى تنظيم التوكيل .

وقد زرت مع السيد البكرى يوم أول يناير سنة ١٩٢٧ عبد العزيز فهمى بك (باشا) فى منزله بمصر الجديدة ، مستفهماً منه عن تأليف الوفد فى خطواته الأولى ، فأدلى إلىّ ببعض المعلومات ولـكنه لم يعين لى صاحب الفكرة وقال : إنه يجهل المحادثات التى دارت بين الأمير عمر طوسون وسعد زغلول باشا بوجه التفصيل .

وفى يوم ٦ يناير قابلت لطفى السيد بك (باشا) مدير الجامعة للغرض نفسه ، فلم يرشدنى إلى مطلبى . وكان من رأيه ألا أذكر مسألة اجتماع سعد باشا ومحمد محمود باشا وعبد العزيز فهمى بك قبل يوم ١٣ نوفمبر ، وما دار فيـه من حديث أبدى فيه سعد تهيبه المطالبة

بالاستقلال ، نظراً للأحكام العرفية والغطرسة الإنجليزية ، مما يعرضهم للإعدام رمياً بالرصاص ، مقترحاً تأليف جمعية للدفاع عنهم إذا اعتقلوا مما كان سبب دهشة المجتمعين .

وقد رأى أحمد لطفى السيد بك أنه لايحسن تدوين هذه النقطة لأنها لاتخص سعداً كشخص ، حتى لا يكون هناك ضرر من أن يسجلها التاريخ ، وإنما هى تخص القضية الوطنية ، فيحسن ألا تذكر إلا العموميات .

وكان رأيه أن أبا الوفد شائع بين جميع من فكروا فى الأمر حينذاك فى وقت واحد .

وفى يوم ٩ تقابلت مع عبد العزيز فهمى بك مرة أخرى بعد أن أرسلت له الفصل الذى دونته عن هذا الموضوع منذ أيام . فلاحظ أننى قدمت بعض المعلومات وأخرت بعضها ، ثم قال : إن سعداً لا يمكن أن يقبل ما دونته . وحينما تطلعه عليه قبل النشر حسب عادتك سيقرأ ما لا يسره ؛ فاتركه يبدى ملاحظاته كيف شاء ، ثم أظهر لى استعداده لمراجعة ما سأكتبه .

وقد أفهمته أننى لا أريد الحط من قيمة رجالنا ، ولن أكتب ما يجرح سعداً أوسواه .

وفى يوم ١٢ منه أرسلت لسعد باشا صورة ما أعددته للنشر فى الحوليات مرفقاً بالرسالة التالية :

« بناء على طلب دولتكم ، وإنجازاً لوعدى ، أقدم مع هذا ما عقدت النية على نشره فى كتابى « حوليات مصر السياسية » عن موضوع « من هو أبو الوفد ؟ » ، وترون من تلاوته أننى اقتصرت فيه على المعلومات التى استقيتها ممن يوثق برواياتهم ؛ ولعلى أكون بذلك قد بلغت الغاية المرجوة . فأرجو التفضل باخبارى برأى دولتكم » .

فطلب الاجتماع بى وتكلم معى عما دار بينه وبين السلطان حسين ؛ ولكنه لم يمس النقطة التى أرغب فى الوصول إليها ؛ وكان معنا فى هذه المحادثة حامد العلايلى بك ، فاقترح علىّ عدم نشر شىء عن هذه النقطة . ولما رأى سعد تصميمى على شرحها قال « إذن أنا سحب تصريحاتى لأنها ملكى » . فقلت : لك الحق ؛ لن أكتب كلمة واحدة عما سمعته منكم . فقال سعد : وماذا ستفعل لأن ماقلته عن عمر طوسون وحسين رشدى ليس هو الصحيح ؟ فقد طلبنا مساعدة مالية من الأول للمدافعة عن قضيتنا عند ذهاب الوفد إلى فرنسا فرفض . فقلت : هذا لا يمنعنى إذا تحققت ذلك أن أنشره . وبعد كثير من الجدل طلب منى أن أرسل إليه ما أقرره فى هذا الصدد . وقد حصل ذلك وقلت له فى خطابى : إنكم ستقرءون ما قررته وتعلمون منه أننى لم أكتب شيئاً عما سمعته منكم .

التحكيم فى الجدل بين عباس ورشدى

آخر أيام الخديوية فى مصر . تصريح لرشدى باشا . ثم مذكراتى بالأهرام . تصريح لمرتضى باشا . تصريح لعباس . تصريحات وأحاديث لرشدى وعباس . مناقشات بينى وبين رشدى باشا . التحكيم .

* * *

آخر أيام الخديوية فى مصر : بمناسبة وفاة المغفور له إسماعيل أباظه باشا كتبت الأهرام فصولا تحدثت فيها عن آخر أيام الخديوية فى مصر بعد ما رفضت انكلترا أن يعود الخديو إلى مقر ملكه وأن يختار له مكاناً فى أوربا ؛ وذكرت أنه عقد اجتماع من رجال الحاشية فى الأستانة لاتخاذ قرار فى ذلك فانقسموا فريقين : فريقاً يمثله عثمان مرتضى باشا ويرى أن يعود الخديو إلى مصر أو أن يذهب إلى إيطاليا وإلى جانبه أباظه باشا ، وفريقاً يمثله يوسف صديق باشا يرى بقاءه فى الأستانة . وكان رأى عثمان مرتضى باشا متفقاً مع رأى حسين رشدى باشا .

ثم رأت الجريدة أن الصوت الذى يجب أن يسمع فى هذا الشأن هو صوت حسين رشدى باشا ، فقصد إليه مندوب منها ليقول كلمته فيما نشر على صفحات الجرائد ، فأدلى إليه بالتصريح التالى يوم ٢ فبراير سنة ١٩٢٧ .

تصريح لرشدى باشا : كانت البغضاء متأصلة بين الخديو وبين اللورد كتشنر ، فان سموه لم يكن ليغتفر للورد أنه كان سبب إذلاله فى حادثة الحدود المشهورة ، كما أن اللورد كان يأخذ عليه بعده بعداً تاماً عن الصراحة والإخلاص فيما كان بينهما من علاقات ، وكان يحقد عليه كذلك بسبب الحملة التى كان الخديو يثيرها عليه فى لندن من وراء ستار بوساطة قاض انجليزى سابق فى المحاكم الأهلية المصرية يدعى المستر موزلى .

فلما نشبت الحرب استطاع اللورد كتشنر ، بفضل ما كان له من النفوذ العظيم والمكانة الممتازة ، أن يحمل الوزارة البريطانية على تقرير منع الخديو من دخول مصر . فثارت نفسى لهذا المنع ، وبادرت من فورى فبعثت إلى وزير الخارجية البريطانية رأساً رسالة برقية قلت له فيها ما خلاصته :

« إن هذا القرار من جانب الحكومة البريطانية يدعو إلى أعظم الدهشة ، بل هو خطر حقيقي . فان الخديو ، نظراً لما يلحقه من الضيم والإذلال ، ولخوفه على مستقبله ، يسهل إقناعه بالانحياز إلى جانب الألمان ، فينتهز وكلاؤهم هنا الفرصة السانحة ويعملون على إثارة الخواطر وإحداث الاضطرابات والقلاقل من طريق استغلال ما هو مأثور عن المصريين من تعلقهم بالعرش . فى حين أنه لو عاد الخديو إلى مصر لزال كل خوف من هذا القبيل ولا سيما أنه يكون حينئذ بين أيديكم فيعجز عن القيام بأية حركة ضارة ويكون لكم فى حرصه على سلامته وعلى مصالحه أكبر ضامن لالتزامه الحكمة والسكينة » .

« ومثل هذه الأدلة كان من شأنها أن تؤثر تأثيرها فى الرجل السياسى . فلم يلبث السياسى أن تغلب على العسكرى ؛ وعندئذ شخص مستشار السفارة البريطانية فى الأستانة إلى قصر جبوقلى وأبلغ الخديو أن الحكومة الانجليزية لم تعد تعارض فى عودته إلى مصر . وأضاف إلى هذا من عنده قوله : « إن مكانك ليس هنا بل هو فى مصر » .

« وأرسل الخديو ينبئنى بهذا البلاغ ولكنه قال إنه يريد إعمال الروية قبل الاستقرار على رأى نهائى ؛ وطلب منى موافاته ببعض البيانات لهذه الغاية . فسألنى عن الحالة النفسية لدى الأهالى ، وعن لهجة الصحف ، وعن موقف الانجليز ، وغير ذلك من الأسئلة التافهة . فأجبته برسالة برقية هذا نصها :

القاهرة — أغسطس سنة ١٩١٤

« عثمان مرتضى

« بعد البلاغ الذى أبلغته السفارة فى الأستانة للخديو بعدم الاعتراض على عودته لم يبق مجال للتردد فى وجوب العودة إلى مصر » .

« ولكن الحقيقة أن الخديو كان مصمما على ألا يعود . فقد خدعته التنظيمات العسكرية الألمانية فنسى عبر التاريخ ورسخ فى عقيدته أن الألمان لا شك ظافرون ؛ وفاته أن غريزة حب البقاء ستدفع الأمم إلى التحالف لصد ما كان يحاوله الألمان من بسط سلطانهم على العالم . ثم إن فئة قليلة من حاشية الخديو كانت من مأجورى الألمان فبذلت كل جهدها لإقناعه بالبقاء فى الأستانة ؛ وكانت تدعم هذا المسعى بحجج كثيرة منها — إذا سافر فان الإنجليز معولون على القبض عليه فى الطريق واعتقاله فى مالطه — أن إلحاحى عليه فى العودة خطة مدبرة بالاتفاق مع الإنجليز .

« ورغبة فى تأييد هذه الأكذوبة بكل وسيلة أرسل أحدهم كتاباً إلى صديقي عدلى باشا حاول به أن يفصله عنى وأن يضمه إلى جانبهم ؛ فأجابه عدلى باشا بهذه الرسالة الوجيزة « إننى على تمام الاتفاق مع رئيسى » .

« على أن الخديو لم يكشف لى عن نيته تماماً واكتفى بأن بعث لى برسالة قال فيها :

« يهمنا أن نتعرف كيف توفقون بين عودتنا إلى مصر وبين الإهانة التى لحقتنا ، وماذا يكون موقفنا ومركزنا لو نشبت الحرب بين تركيا وانجلترا ؟ »

« ولما تشبث الخديو بالبقاء فى الأستانة أرسلت إليه بوساطة محب باشا برقيات فى ٢ سبتمبر و ٢٣ منه وأول اكتوبر والسابع منه .

« ومع كل هذا فقد وجد من يتهمنى بأننى خنت الخديو وهو الذى كان مليكى فى ذلك العهد . وأية تهمة لم يلصقوها بى . ألم يصل الأمر بأحد العلماء إلى القول بأن الإنجليز قد رشونى بمبلغ تافه هو خمسة ملايين جنيه لا غير . وعلم الله أننى تركت الحكومة وأنا أفقر منى يوم دخلتها . فيالقسوة الشهوات السياسية ! ويالشدة ما يعانيه الناس منها !

« على أنه مما يخفف عنى أن هؤلاء القاذفين عادوا إلى الحق ، واعتذروا عما أخطأ ظنهم فىّ ، ويزيدنى ارتياحاً أن الخديو نفسه شعر بهذا الخطأ فبعث إلىّ برسالة شفهية أبلغنى إياها محمود خيرى باشا — وقد كان فى ذلك العهد ياوراً للخديو فقال : « قل لرشدى باشا من قبلى إن مخالفتى نصيحته كانت حمقاً وجنوناً . وكل ما أطلبه منه الآن هو أن يحول دون تصفية أموالى » . وقد عملت على ذلك فوضعتها تحت الحراسة وهو تدبير عادى فى حالة كحالة الخديو » .

نشر مذكراتى بالأهرام : وبعد هذا التصريح قصد إلىّ الأستاذ محمود أبو الفتح المحرر بالأهرام وسألنى : « لماذا أنت ساكت يا باشا ؟ أليس عندك ما تقوله فى الموضوع ؟ »

فأجبته : « بأن عندى مذكراتى ، وهى تحوى تفاصيل كثيرة عن « عباس والحرب العظمى » ، ولكنى أنوى نشرها فيما بعد كتاباً مع غيرها من المذكرات ، فطلبها منى وأطلع عليها صاحب الأهرام الذى رغب فى نشرها تباعاً بالأهرام .

وبناء على هذا حررنا الاتفاق الآتى :

عقـــد اتفاق

بين كل من :

حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا — طرف أول

وحضرة صاحب العزة جبرائيل تقلا بك ، صاحب جريدة الأهرام ، طرف ثان

قد اتفق الطرفان على أن يخص الطرف الأول الطرف الثانى وحده ، وجريدة الأهرام دون غيرها من الجرائد ، بحق نشر مذكراته عن « سمو الخديو السابق عباس حلمى الثانى والحرب العظمى » ، فينشرها الطرف الثانى فى الأهرام وفى كتاب مستقل ، وذلك بالشروط الآتية :

أولا — بما أنه من ضمن هذه المذكرات ما لا يريد الطرف الأول نشره حال حياته فانه يفصل هذا القسم من المذكرات ويضعه فى ظرف مختوم بالشمع الأحمر ويسلمه إلى الطرف الثانى الذى يتعهـــد بالمحافظة عليـه لنشره بعد وفاته (بعد عمر طويل جداً إن شاء الله) ولا يفض الظرف إلا أمام منـدوب من ورثته يكون عليهم أن ينـدبوه لذلك فى خلال ستة أشهر .

ثانياً — يتعهـد الطرف الثانى بنشر ما يرخص الطرف الأول بنشره حال حياته فى جريدة الأهرام وفى كتاب على حدة يحدد عدد نسخ الطبعة الأولى منه باتفاق الطرفين .

ثالثاً — ينتـدب الطرف الثانى على مصاريفه الخاصـة شخصاً يعتمد عليه الفريقان لتنسيق المذكرات ونقلها تحت إشراف الطرف الأول ، ويقدم الطرف الثانى مصاريف طبع الـكتاب — من ثمن ورق وكليشيهات وغيره — على أن تخصم هذه المصاريف أولا من ثمن ما يباع من الـكتاب .

رابعاً — ما ينشر فى الأهرام لا يتقاضى عنـه أجر . أما الـكتاب فيعمـل حساب تكاليفه ويحدد ثمنه باتفاق الطرفين . وبعد خصم جميـع المصاريف من ثمن المبيع يقسم الصافى إلى نصفين ، لـكل طرف النصف ، يصرف فى آخر كل شهر . أما إذا زادت المصاريف عن الربح فلا يتحمل الطرف الأول شيئاً من الخسارة .

خامساً — المذكرات التى اتفق الطرفان على نشرها بعد وفاة الطرف الأول فبعد خصم كافة المصاريف يكون لورثته فى أرباحها الثلثان وتوزع عليهم بالتساوى ويكون للطرف الثانى الثلث فقط .

سادساً — للطرف الأول الحق فى أخذ مائة نسخة من الكتاب مجاناً وكذلك لورثته من بعده عند نشر المذكرات السرية .

سابعاً — هذا الاتفاق يتناول طبع جميع مذكرات الطرف الأول باللغة العربية فى مدة تنتهى بعد ثلاث سنوات من طبع المذكرات السرية لأول مرة ويحتفظ الطرف الأول بحق الترجمة إلى لغة أجنبية إلا إذا حصل اتفاق آخر بين الطرفين »

وقد نشرت بالفعل عدة فصول ابتداء من يوم ٤ مارس وكانت خاصة بموقف رشدى باشا عند إعلان الحرب العظمى (مما تراه مفصلا فى الجزء الأخير من المذكرات) فأحدث نشرها دوياً عظيما فى الأوساط السياسية دفع الكثيرين لكتابة مقالات وتصريحات حول هذا الموضوع .

ولم ينفذ هذا الاتفاق بتمامه لتوقف الأهرام عن النشر بعد أن نشرت المذكرات الخاصة بالنصف الثانى من سنة ١٩١٤ وذلك لتدخل بعض الجهات التى يهمها عدم نشر هذه المذكرات .

وعندئذ عزمت على طبعها من أولها لا على نظام اليوميات بل على نظام الموضوعات تسهيلا للقراء كما رأوا فى الأجزاء الثلاثة المطبوعة .

تصريح مرتضى باشا : وفى يوم ٧ مارس نشر مرتضى باشا مقالا عن الأيام الأخيرة للخديوية المصرية ذكر فيه ما كان من مساعى الخديو للعودة إلى مصر وموقف الإنجليز منها .

وفى ١٠ منه نشر محمود حمدى بك الأسئلة الآتية وطلب من مرتضى باشا الرد عليها :

١ : ما هو السر الذى دعا عباس لأخذ ما أخذه من الأموال والأمتعة والأوراق الهامة قبيل مبارحته مصر وقبل إعلان الحرب .

٢ : ما هى المهمة التى كان يسافر من أجلها يوسف سكاكينى بك ومحمد عرفى باشا

تحت إشراف الأمير عزيز حسن باشا لدى جمعية الاتحاد فى الأستانة وممن كانت تصرف النفقات اللازمة لهذه المهمة ؟

٣ : ما هى المبالغ الجسيمة التى طلبتها جمعيـة الاتحاد من سمو الخديو وماذا تم بشأنها ؟

فرد عليه مرتضى باشا بما يأتى :

١ : إن الخـديو لم يأخذ كما كان يظن قبيل مبارحته لمصر وقبـل إعلان الحرب العالمية شيئاً من الأمتعة والأوراق الهامة ولم يحول شيئاً من أمواله على أى مصرف كان لعدم وجود تلك الأموال الموهومة . بل إن ما وصله منها كان بعد عودتى من الأستانة لمصر[1] إذا استثنينا ٣٠٠٠ جنيه التى حملها معـه شفيق باشا فـكان إرسالها فى الفترة التى وقعت بين أوائل اكتوبر سنة ١٩١٤[2] وقبيل دخول تركيا فى غمارها . أما عدم وجود الأموال فإنه لم يكن متبقياً منها شىء كثير يذكر عند سفر سموه برغم ما دفعته الحـكومة المصرية له ثمناً لسكة حديد مربوط التى ابتاعتها من سموه .

والسر فى ذلك أن سموه ارتأى ضرورة استشارة كبار رجال بلاطه عنـد قبضه لأثمانها فيما يحسن عمـله فيها إذ من المفهوم أن سموه كان مديناً لبعض المصارف فى مصر فأشار عليه زميل بدفعها كلها سداداً لهذه الديون ولو لم يتبق بيده قرش وكنت أنا أعارض فى دفع أى شىء منها خصوصاً وإن إيرادات سموه تطفو بكثير عن مطالب الغرماء .

وألححت على سموه بضرورة إيداعها فى جملة مصارف أجنبية لتـكون تحت أمره عند الطوارىء ، فتغلب الرأى الأول على رأيى ، فاستنصرت بالمرحوم فريد باشا الصدر الأعظم السابق ، وكان مقيما بلوكاندة هليو بوليس فتفضل بتأييدى لدى سموه . غير أن سموه كانت قد ملـكته أرجحية الخطة الأخرى فأشار بدفعها ودفعت فعلا ؛ وعلى كل حال فان المال الذى تبقى لحساب سموه بعد دفع الديون ما كان بالشىء الهام الذى يستحق الذكر .

وعليه كان ما أشيع من تحويل أموال سموه للمصارف الأجنبية محض خطأ .

٢ : لا أدرى شخصياً المهمة التى كان يسـافر من أجلها يوسف سكاكينى ومحمـد

---

(١) أحمد صادق بك عند ما حضر للأستانة أتى بما كان للخديو من أسهم كوم أمبو والبنك العقارى .

(٢) الحقيقة أننى حملت المبلغ المذكور معى فى ١٩ أغسطس سنة ١٩١٤ وسلم إلي ولي العهـد الأمير نور الدين رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية فى استانبول .

عرفى باشا تحت إشراف الأمير عزيز حسن لدى جمعية الاتحاد والترقى . ولا أعرف أغراضها ولا سمعت عنها شيئاً خاصاً .

٣ : لم أسمع بأن الاتحاديين طلبوا مبالغ قليلة أو كثيرة من الخديو . فان كانوا طلبوا من سموه شيئاً منها فقد يكون ذلك ثمناً لما بذلوه من المحافظة على حياته والاهتمام بكشف أسرار غوامض الجريمة التى لا زالت شبهاتها فى عنقهم حتى بعد انزوائهم واندحارهم .

تصريح لعباس : وقد نشر تصريح لعباس يوم ١٦ مارس مذيل باسم الخديو ذكرت الأهرام أنه ورد من فرنسا ؛ وقالت إنها غير متأكدة من صدوره عن الخديو حقيقة وقد جاء فيه :

« عدت من رحلة فى قلب الصحراء فقرأت متأخراً بياناً لرشدى باشا لا بد لنا من استهجان موقفه الذى أشار إليه فى هذا البيان محاولا تبرير أعماله . وربما أقيم لقوله وزن لو لم يقل إنه آثر المصلحة على المبدأ .

« إنى لا أريد أن أشترك فى جدال لم تأت ساعته بعد . ولكنى مع ذلك أعتمد ، حينما يأتى الوقت ، على الوثائق التى تبين حقيقة موقفى أمام التاريخ . ذلك الموقف الذى بررته الحقائق منذ زمن طويل ، ولن أحيد عن القيام بهذا الواجب .

« ومهما كانت دهشتى للموقف الذى وقفه رشدى باشا ، ومهما كانت الأسباب التى تبرر عمله فإنه لا يستطيع أن يبرئ نفسه . لأنه لا يمكن تبرير عمل رجل تسلم نيابة الملك من يد مليكه واستخدم هذه القوة التى عهد بها إليه لينتزعها من يده . وكيف يستطيع رشدى باشا أن يبرر عمله فى إمساكه بيد عمى حسين وإصعاده مكانى إلى العرش الذى كان حارساً له ؟ بل كيف يفسر احتفاظه برئاسة مجلس الوزراء تحت حكم سيد جديد . تلك الرئاسة التى تسلمها من ذلك الذى ائتمنه . وما قيمة كلام رجل حنث بيمينه الذى أقسمه لأميره ؟

« ربما اتهم بقلة الحذر والبعد عن الحكمة لأنى عهدت بهذه القوة لرجل لم يكن له من الصفات ما يدعو إلى الثقة به .

« إنى كنت أدرك الخطر وكنت فكرت سنة ١٩١٣ أن أعهد بنيابة الملك إلى مجلس

الوزراء بأسره أثناء غيابى وقد كان محمد سعيد باشا رئيساً لمجلس الوزراء . وكنت قد أخطأت فى إجابة هذه الطلبات المعجلة ولـكننى صممت منذ ذلك اليوم على تغيير وزارتى .

« نعم كان يجب على وأنا أعرف طباع رشـدى باشا أن أنفذ ما كنت قد انتويت . ولـكنى مع ذلك عهـدت بنيابة الملك إليه غير عابئ بما أحدثه فى نفسى عمل سعيد باشا ولم أكن أعلق أهمية على نفوذ خلفه ذلك النفوذ الضئيل .

« إذا كان رشدى يزعم أنه بتضحية أميره قد حاول إنقاذ بلاده فالرد عليه أنه بقبوله الحماية على مصر قد قبل أن يقتطع وطنـه من عداد الأمم المسـتقلة بل إنه قبل أن يضع مصر فى مركز أحط من مركز بعض الأقاليم التركية التى نالت استقلالها بفضل الحرب مع أن تلك الدول لم تسع لذلك الاستقلال ولم تهيئ الوسائل له بعكس مصر .

« بقيت مسألة التلغرافات التى أرسلها رشـدى باشا وإنى أتساهل فى الاعتراف بأنه يمكن أن يكون قد أرسلها ولـكنها لم تصل : بل إنه لم يصل إلى من رشدى باشا غير نبأ إرسال رسول إلى سيوقفنى على خبر هام . ولـكن هل ضاع هذا الرسول أيضاً ؟ ! أو أن رشدى باشا عدل عن ذلك لأن الخوف كان دائماً أقوى من رغبته فى الخدمة ؟

« ومن جهة أخرى فان التلغرافات التى أرسلت إلى مرتضى باشا ومحب باشا لم تكن تحمل شيئاً مذكوراً لأننا كنا نعرف الصعوبات التى كانت تضعها السفارة البريطانيـة فى سبيل عودتنا وكانت انجلترا قد أظهرت لى رغبتها فى سـفرى إلى إيطاليا ورفضت أن تسمح لى بالذهاب إلى سويسرا .

« إذا كان رشدى باشا قد وقف حقاً على نيات الإنجليز فمن غير المعقول أن ينضم إلى جانبهم . إنه بموافقته على آراء انجلترا وقبوله أن يكون رسولها عمل على أن يثبت مرة أخرى أنه كان غير عليم بالموقف وغير عالم بنواياها .

« والظاهر أنه أدرك التبعة التى تقع على عاتقه لأنه تركنى أجهل بعض الحقائق ويريد أن يبحث ليجد ما يخفف عنه ثقل تأنيب الضمير .

« أما أنا فقد اعتليت العرش فى سن لم تكد فيه عيناى ترى الحياة . وقد ناضلت مدة ربع قرن لأقود مصر إلى مصـير جديد . ومهما كانت العقبات التى صادفتني فانى أفرح بالنهضة الحاضرة التى أعتقد أنها ستقوى ، وأرجو أن الشعب المصرى الذى أنضجته السياسة

سينتفع بحريته التى حصل عليها وأن يحكم بالعدل يوماً على ما لأولئك الذين اشتركت آمالهم وثقتهم فى خلق حالة سياسية جديدة ترتبط بالماضى حتى لا تنسى التضحية ؛ وليذكر فى المستقبل أولئك الذين دفعوا للعمل المثمر هؤلاء الذين يتمتعون الآن بحرية كانوا يرغبون فيها منذ زمن طويل فاشتروها بثمن غال » .

تصريحات وأحاديث لرشدى وعباس : وقد رد رشدى باشا بما يأتى : فى ١٦ مارس سنة ١٩٢٧ :

« إن التصريح الذى عزى إلى الخديو خاصاً بى مزيف لم يصدر عنه وإنما هو من عمل تلك العصابة الصغيرة من مأجورى الألمان الذين كانوا فيما مضى بين حاشية الخديو أو بعبارة أدق من عمل زعيم تلك العصابة (١) وقد كتب فى القاهرة لا فى باريس » .

وفى يوم ١٧ منه تحادث مراسل الأهرام فى باريس مع الخديو فأكد له صدور الحديث منه وأدلى بالتصريح التالى :

« إننى لا أميل إلى الجدال ولكنى أحب الصراحة وما كنت أحمل على أحد أو أقول كلمة عن هذا أو ذاك سواء كان رشدى باشا أو غيره أيا كان . ولكنى أريد الحقيقة وهذا ما حملنى على إبداء البيانات التى أبديتها وهى فى الواقع ليست تصريحات سياسية . إذ تتناول موضوعا لا يمس السياسة العامة فى شىء ، وتقتصر على مسألة واحدة هى مسألة تاريخية بحتة » .

وبعد نشر هذا الحديث قصد مندوب من الأهرام إلى رشدى باشا وطلب رأيه فى ذلك فقال :

رد رشدى على توكد عباس : « يؤلمنى أن يكون التصريح الوارد باسم الخديو صادرا منه ، يؤلمنى ذلك لا لنفسى بل له ، وكل ما أضيف على هذه الكلمة هو أنى أترك للرأى العام الحكم بينى وبينه . بعد ما اطلع على الوثائق التى نشرت بما فيها ردوده على تلغرافاتى » .(٢)

حديث بين كوكب الشرق ورشدى : ثم قصد إليه مندوب من جريدة كوكب الشرق ودار بينهما حديث هذه خلاصته .

---

(١) يعنى بذلك يوسف صديق باشا .

(٢) نشرت هذه التلغرافات فيما نشر من مذكراتى بالأهرام .

ا — التلغرافات : « إنه لا شك فى وصول تلك التلغرافات إلى الخديو بدليل أنه أجاب عليها ، وقد نشر صور الردود عليها أحد الملتصقين به وهو أحمد شفيق باشا » .

ب — خيانة نيابة الملك : « قد رأيتم من التلغرافات التى نشرت بالأهرام مبلغ الصراع الذى قمت به والمجهود الذى بذلتـه فى سبيل عودته إلى مصر عودة كانت تبقيه على عرشه حتى هذه الساعة » .

ج — الاحتفاظ برئاسة الوزارة : « أوضحت سبب هذا من قبل فى الخطاب الذى رفعته إلى المغفور له السلطان حسين بقبول المهمة التى عهد بها إلى إذ قلت : « إننى وإن كنت وكيلا عن المليك السابق فإننى مصرى قبل كل شىء . فهل يريد صاحب التصريح أن أتجرد من صفتى المصرية لأن الخـديو خلع عن عرشه . إننى بقبول رياسـة مجلس الوزراء أديت واجبى كمصرى » .

د — قبول الحمـاية : أما عن موقفى تلقاء إعلان الحمـاية وفى المـدة التى أعقبت هذا الاعلان حتى انتهاء الحرب ، فقـد جاء فى الخطاب الذى أرسلته إلى جريدة الأهالى أنى لو كنت وقعت بالقـلم العريض على معاهـدة مع انجلترا تضع مصر تحت حمايتها لما كان ذلك يكسب الحماية التى أعلنتها هذه الدولة سـنة ١٩١٤ أقل صبغة من المشروعية لأنى من الوجهة القانونية لم أكن مشخصاً لمصر وإنمـا كنت رئيساً لحكومة مصدرها القوة الإنجليزية . وحتى لو لم يكن الخديو السابق قد خلع وكنت لم أزل قائماً مقامه عند إعلان الحمـاية فأقررتها بهذه الصفة لـكان هـذا الإقرار نفسـه عديم القيمة القانونية بالمرة إذ كان يعترض عليـه بأنه باطل لأن السلطة المخـولة لى بمقتضى توكيلى كانت تنحصر فى إدارة شؤون البلاد فلا تشمل التصرف فى مركزها السياسى . فمن باب أولى لا خوف على مصر من مجرد اشـتراكي فى العمل مع الحمـاية ولا من المدافعـة عنها أمام الشعب » .

هـ — الاشـتراك مع الحماية : « قد اشتركت فى العمل مع الحماية لسببين : الأول خوفى على بلادى من سيطرة أجنبية أخرى أشد من السيطرة الإنجليزية إذ أن عصبة الأمم كانت لا وجود لها . والثانى أن الحـكومة الانجليزية كانت فى ذلك العهـد تنقسم إلى قسمين : قسم يريد الضم وقسم يكتفى بالحماية إذا وجدت سلطة محلية تقبل الاشتراك

معها فى العمل وكنت أخشى إذا انتصر الانجليز وحلفاؤهم — وهو ما كنت أرجحه — أن تصدق الدول على الضم إن كان وقع ؛ ولم أدافع عن الحماية أمام الشعب إلا لأنى كنت أرى أن من المصلحة أن نتجنب كل عمل عدوانى ضد الإنجليز بل أن نساعدهم على قدر الإمكان حتى نعامل عند عقد الصلح معاملة الصديق المتحالف .

« وفى اليوم الثانى لعقد الهدنة طلبت التباحث وجهاً لوجه مع الحكومة الإنجليزية على مصر قبل أن تعرض الحماية على الدول للتصديق عليها لأتمكن من رفعها ، وسوفت الحكومة الإنجليزية فاستقلت ، وتألف الوفد المصرى فدخلت المسألة فى طور جديد . ولما دعيت بعد ذلك للسفر علقت قبولى له على سفر الوفد أيضاً » .

وقال : « إنه ليس له ملاحظات على مذكرات شفيق باشا إلا قوله إن الخديو سأله عن سبب قطع مصر صلاتها السياسية مع ألمانيا . والحق أنى بلغته قطع الصلات ولم يرد الخديو بذلك إلا حمل شفيق باشا على الكلام » .

مناقشات بينى وبين رشدى باشا : وفى يوم ١٩ مارس جاءنى مندوب من جريدة الكوكب ودار بينى وبينه الحديث الآتى :

س — ما رأيكم فى البرقيات التى قال سمو الخديو إنها لم تصل إليه فى حين أن دولة رشدى باشا قد أكد وصولها .

ج — « قابلت رشدى باشا فى يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩١٤ فحادثنى عن الحالة التى كانت قائمة إذ ذاك وصعوبتها وحرج مركزه وتعذر المخابرة مع الجناب الخديوى السابق . وقال لى إنه أرسل لسموه يقول : « إنه لم يصل إليه رد برقيتين بعث بهما إليه » وبناء على طلبه سافرت إلى الأستانة يوم ١٩ منه واجتمعت بسمو الخديو فى ٢٤ منه . ولما سألنى عن قطع العلائق السياسية بين مصر وألمانيا أجبته بما سبق نشره من مذكراتى فى جريدة الأهرام .

وقد قلت لك إنى لم أعتمد فى مذكراتى إلا على الحوادث التى وقعت أمام ناظرى .

أما فى هذه الحالة فإن هاتين البرقيتين قد أرسلتا قبل سفرى إلى الأستانة فما كنت أعلم حينما سألنى سمو الخديو عن أسباب قطع العلاقات السياسية مع ألمانيا إن كانتا قد وصلتا إليه أو ما هو موضوعهما .

وما كنت لأذكرهما قبل اطلاعى على مجموعة الوثائق ؛ فلما أتيح لى بعد ذلك الحصول عليها وقرأت نص هاتين البرقيتين رجعت إلى هـذه المجموعة فوجدت الأولى بتاريخ ٥ أغسطس سنة ١٩١٤ والثانية بتاريخ ٧ منه . هذا هو جوابى على ملاحظة رشدى باشا أنشره للحقيقة وللتاريخ .

س : هل سقطت الوزارة الرشدية لخلع الخديو السابق ؟

ج : فى حوليات مصر السياسية ما يعد جواباً على السؤال .

امتاز رشدى باشا بما طبع عليه من رقة الطبع ومراعاة حسن الذوق . ولـكنه أيضاً امتاز بالتسامح والثقة المفرطة بالناس ، فى سـلامة طوية وعدم تقـدير للعواقب . لذلك كانت لوزارته حسناتها وسيئاتها .

مما يؤخذ عليها عدم اسـتقالتها عندما تولى عظمة السلطان حسين العرش ، وكان رشدى باشا إذ ذاك قائمقام الخديو ؛ ولئن اعتذر دولته بأنه سقط من النظارة بخلع الخديو فان هذا العذر لم يكن ليخلى دولته من هذه الصفة ، ولم يكن ما يمنعه من رفع استقالته إلى الخديو قبل قبول مهمة الحكم التى عهد بها إليه السلطان حسين .

س : تبسط معنا فى إبداء رأيك الشخصى فى أعمال الوزارة الرشدية إبان الحرب .

ج : كان رشدى باشا قائمقام الخديو عباس حين سفر سموه إلى أوربا صيف سنة ١٩١٤ ثم أشهرت الحرب العظمى ، وقد زجت مصر فيها زجا ، دون أن يكون لها فيها صالح أو منفعة وترتب على ذلك خلع الحـكومة البريطانية لسمو الخديو عن أريكته وتوليـة الأمير حسين مكانه مع لقب سلطان . فماذا فعل دولة رشـدى باشا حيال هذه الظروف ؟

قبل أن يكون رئيساً للوزارة التى دعاه السلطان لتأليفها ، فهل خلع عن نفسه صفة القائمقام الخديوى قبل قبول المهمة الجديدة ؟ لم يفعل ! . ولدولته أن يقول : إن الحالة كانت حرجة وإنه لم يكن مناص فى الاستمرار فى الحـكم . ولـكن ما الذى كان يمنعه من رفع استقالته للخديو تلغرافياً ولو قبل الانقلاب بيوم واحد ؟ لقد كان ذلك ميسوراً على كل حال .

يدعى بعضهم اعتذاراً عن دولته أنه كان من الممكن أن يتعرض فى هذا الوقت العبوس

إلى الاعتقال أو النفى أو الضرب بالرصاص إن هو أبى قبول الاستمرار فى الحكم . ولكن ألا يرى هؤلاء معنا أن دولته لو كان تعرض لمثل هـذا العنف والاضطهاد كانت تكون له فيمن قبله ممن خلدت أسماؤهم منقوشة بالتبر من أسماء أبطال الوطن أسوة حسنة ؟

على أن هـذا لم يكن محتملا وقوعه بالمرة لأن استقالته من الحكم القديم ما كانت تستدعى شيئاً من ذلك .

س : ما الذى قصر فيه رشدى باشا حين إعلان الحماية على مصر ؟

ج : قبل دولته بسط الحماية على مصر دون استشارة الأمة مفضلا إياها على الضم ، اعتماداً على التبليغ الذى وجهه المستر شيتهام باسم حكومتـه إلى عظمة السلطان حسين عند توليه العرش ، والذى ورد فيه :

« إن حكومة جلالة الملك تعتبر وديعـة تحت يدها لسكان القطر المصرى جميع الحقوق التى آلت إليها بالصفة المذكورة (سلخ مصر عن تبعيتها للدولة العلية ، وأيلولة كل ما كان لها من الحقوق عليها إلى التاج البريطانى) ، وكذلك جميع الحقوق التى استعملتها فى البلاد مدة سنى الإصلاح (الثلاثين السنة الماضية) . أما كان يحسن بدولته أن يطلب من الإنجليز وثيقة صريحة بهذا ، وينشر هذه الوثيقة فى الصحف ، لتكون بمثابة ميثاق للأمة . خصوصاً وأن ذلك كان من الممكن فى ذلك العهـد الذى كان الإنجليز فيه مضطرين إلى ممالأة كل أمة تنضم إلى صفوف الحلفاء .

أعلنت الحكومة البريطانية فى البـلاغ الذى نشرته على المصريين بمناسبة إعلان الحرب بينها وبين الدولة العلية أنها أخذت على عاتقها وحدها جميع أعباء الحرب بدون أن تطلب من الشعب المصرى أية مساعدة فى نظير إخلاده إلى السكينة . وعـدم قيامه بأى عمل يعرقل أعمال الجيوش البريطانيـة بالديار المصرية أو تقـديم أى مساعدة إلى الجيوش المعادية . ولـكننا رأينا وزارة رشدى تدعو الرديف المصرى لحمل السـلاح والخدمة فى جانب الجيوش البريطانية وتجند كذلك نحو مليون وربع من العمال المصريين بطريق الإجبار لا للدفاع عن مصر وحسب بل لمساعدة القوات البريطانية فى فتح فلسطين وسوريا والعراق وفى ميدان الدردنيل . وحتى استعملت بعضهم فى الميدان الغربى بفرنسا . أضف إلى ذلك اشتراك الجيوش المصرية ذاتها فى الحرب . كما أن هذه الوزارة جمعت للسلطة العسكرية البريطانيـة من أنحاء البـلاد المحصولات على اختلاف أنواعها والدواب

وجعلت طرق المواصلات البرية والنهرية مسخرة للسلطة . وخصصت ورشها الأميرية لصنع القنابل اللازمة لها وسمحت بأن تكون مصر معسكراً عاماً للجنود البريطانيـة وقدمت مستشفياتها لجرحاهم ؛ بل أخلت بعض المدارس ليتخذوها معسكرات ومستشفيات لهم . وفى النهاية منحت وزارته الحكومة البريطانية ثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات المصرية دون أن تطلبها منها ، إلى ما سوى ذلك مما يخطئه الحصر ويقصر عنه العد .

كل هذه الضحايا كانت تكون مقبولة لو عمدت الوزارة المصرية قبل أن تخرج عن تصريح الحكومة البريطانيـة ذانه إلى طلب الشىء الذى سهت عن طلبه فى بدء الحرب وعند إعلان الحماية . خصوصاً وأن القواد الانجليز أنفسهم اعترفوا فى تقاريرهم بأن هذه المساعدات كانت أكبر عامل فى انتصارهم فى الشرق . أما كان من الواجب على الوزارة أن تطلب ثمناً لهذه التضحيات العظيمة فتكون أدت ما عليها للبلاد ؟ وهل كان ينتظر دولة رشدى باشا فرصة أليق من هذه الفرصة للمطالبة بهذه الحقوق وبخاصة عند اندحار الإنجليز أمام الدردنيل واشتباكهم مع الأتراك فى ميدان قناة السويس .

نحن لا يخامرنا أدنى شك فى وطنيـة دولة رشدى باشا . ولكننا لا يسعنا أن نمرّ بهذه الغلطات السياسـية الكبرى صامتين . « فانه حالتنا اليوم هى إحدى نتائجها بل هى النتيجة المنطقية لها » .

رد رشدى باشا على انتقاداتى لسياسته : وفى يوم ٢٢ منه رد رشدى باشا فى الأهرام على هذا الحديث قائلا :

« عزيزى شفيق باشا

« يهمنى أن أجيب على الانتقادات التى وجهتها إلى فى حديثك المنشور بصحيفة كوكب الشرق يوم ١٩ مارس سنة ١٩٢٧ وإذا كنت قد تأخرت قليلا فى جوابى فذلك سببه أننى عدت اليوم من سياحة ذات شأن قمت بها لا فى « قلب الصحراء »[1] ولكن فى حديقة دارى برمل الإسكندرية !

« خلاصة حديثك أن السياسة التى سرت عليها أثناء الحرب كانت سياسة سيئة ممقوتة ولكنى من جانبى أنكر هـذه الدعوى وأستمسك الاستمساك كله بأن سياستى كانت سياسة حكيمة أساسها التبصر وبعد النظر وتقدير العواقب .

(١) إشارة إلى جملة بهذا النص وردت في تصريح عباس !

« ويخيل لى أن جماعة ممن لا يعرفوننى أصلا أو ممن لا يعرفوننى حق المعرفة قد ينسبون قولى هذا إلى الغرور والزهو ، ولكن كل من خبر أخلاقى وعرف بعدى عن الزهو والخيلاء وشدة تواضعى يعلمون أن ليس فى الأمر تفاخر ولا غرور وإنما هى الصراحة التى عرفت بها ونشأت عليها . ولطالما جرت على هذه الصراحة المتاعب وسببت لى الآلام ولكنى مع ذلك قانع بهذا الخلق مغتبط به راض بنتائجه واثق أن نفعه يربو على ضرره فاذا أضر مرة أفاد مرات .

« وأشد ما تأخذه على هو أن الحالة التى نحن فيها اليوم هى النتيجة المنطقية للخطة التى أنتهجتها ولكن غاب عنك أنه إذا كان هذا صحيحاً فما كان أحراك باعتبارك مصرياً بأن توجه إلى الثناء وأن تكف عن اللوم .

« فنحن اليوم — من الوجهة النظرية — أمة حرة مستقلة . ومن الوجهة العملية نستمتع بنصيب كبير من خصائص الاستقلال . ولا تنس أن لنا دستوراً قائماً على أحدث مبادىء القانون العام وأن لنا برلماناً يمثل الأمة تمثيلا صحيحاً ويعبر عن مشيئتها ويهيمن على مصالحها العامة . ولو أننى انتهجت فى سياستى سبيلا يتفق مع آرائك وآراء غيرك ممن هم أقل منك تفكيراً وأبعد عن الحكمة لصارت البلاد إلى حالة يقشعر بدنى لمجرد تصورها . ولو وسوس الشيطان فى صدرى ، ولعبت نزوة الجنون برأسى فعملت على إثارة الفتنة لكانت مصر اليوم فى حكم القانون وفى الواقع ولاية انجليزية أو كانت شملتها حماية لا فرق بينها وبين الضم إلا فى الاسم .

« وسواء أغضبت أم رضيت ياسيدى الباشا فان الوصل بين سياستى وبين الحالة الحاضرة للبلاد وجعل الثانية نتيجة للأولى مما يملؤنى فخراً ويجعلنى أتيه بهذه الصحيفة الناصعة من صحائف حياتى .

ولكن الواقع أن تلك الحالة ليست ثمرة عملى وإنما اشتركت فى تكوينها وتكييفها والوصول بنا إليها طائفة من العوامل الصالحة إذا شئنا ذكرها بالترتيب وجب أن نبدأ بأمثال مصطفى كامل وفريد ثم الوزارة الرشدية الأولى والوفد المصرى والوزارة الرشدية الثانية والوزارة الثروتية .

« ولا ننسى بجانب هذه العوامل جميعاً حتى غلمان الشوارع فى مصر كما لا ننسى أخطاء السياسة الانجليزية والهوس الدموى الذى ملك لب القيادة العسكرية البريطانية فى ذلك

العهد . على أننى أذكر دليلا واحداً على خطأ السياسة الانجليزية وهو ما أبدته من المطل فى إجابة الطلب المتواضع الذى طلبته عند بسط الحماية وهو منح مصر الاستقلال الذاتى وكان جواب وزير الخارجية البريطانية على هذا الطلب الهين ما جاءنى عن طريق دار الحماية وهو : « إننا ننظر بأعظم عناية فى طلب رشدى باشا ولكنا نرى أن هذه المسألة لا يمكن البت فيها إلا عند نهاية الحرب » . فياله من مطل مبارك ميمون ! ويالحسن حظ مصر إن تباطأت انجلترا فى إجابة هذا الطلب ! فلو وضع عند بسط الحماية اتفاق يرتاح إليه المصريون فالمرجح أنهم كانوا ينفذونه بأمانة وإخلاص لما عرفوا به من الوفاء بعهودهم .

« ولا بد فى هذا المقام من إبداء ملاحظة رئيسية : ذلك أنه لولا تلك النهضة المجيدة المباركة التى نهضتها الأمة لذهبت كل الجهود التى بذلها الساسة المصريون فى خدمة القضية الوطنية هباء منثورا — فان أولئك الساسة هم الذين بذروا بذور الوطنية ولكن الأمة هى التى كانت تربة خصبة صالحة لإحياء هذه البذور وهى الآن تنمو وتنضج ولا تلبث أن تستكمل نموها ونضوجها وتتفتح أكمامها تحت أشعة الشمس البهيجة .

« وكانت حجتك الثانية أننى بذلت للانجليز جميع صنوف المعاونة فقدمت الرجال لفرقة العمال والجمالة . وقدمت لهم ما كانوا فى حاجة إليه من الحبوب وأطلقت يدهم فى طرق المواصلات وفى المستشفيات . ولكن فاتك أن هذه المساعدة هى التى أوجدت لمصر حقاً ثابتاً فى عطف انجلترا ودول الحلفاء عامة وأنها هى التى استعملها الوفد سلاحاً يذب به عن قضية مصر فى أوربا وأمريكا ويقول لشعوب القارتين وحكوماتهما لقد كنا حلفاءكم وحملنا نصيبنا من عبء القتال وانتصرنا معكم فخلوا بيننا وبين حرياتنا المغصوبة واحترموا ما لنا من حق طبيعى فى الاستقلال . ثم هب جدلا أن الألمان خرجوا من الحرب ظافرين أفيخطر فى بالك حقاً أنهم بعد إخراج الانجليز من مصر كانوا يتركونها لأهلها ويعودون أدراجهم قانعين من الغنيمة بالإياب . إن كنت تعتقد ذلك حقاً وتؤمن به فى خبيئة نفسك فاسمح لى أن أقول عنك إنك رجل ساذج .

« إن مصر ياسيدى الباشا فريسة ثمينة لم يكن الألمان ليدعوها تفر من أيديهم بل كانوا يرسخون فيها أقدامهم ويحلون محل الانجليز . ثم تعال نتساءل عما كان يترتب على هذا الغزو من الآثار .

« أما الأثر السياسى فوقوع مصر تحت نير أجنبى أقسى من النير الإنجليزى .

«أما الأثر الاقتصادى فتدفق سيل المهاجرين الألمان إلى مصر بسبب ضيق بلادهم تدفقاً يسد أبواب الرزق فى وجوه العدد العديد من الصناع والزراع المصريين فهل كان يرضيك أن نصل إلى مثل هذه الحالة ؟

« ووجه ثالث من وجوه مؤاخذتك لى وهو أننى قصرت فى دعوة الجمعية التشريعية للنظر فى النظام الجديد . ولو أننى عملت بهذا الرأى التعس لكانت النتيجة الحصول على قرار رسمى من ممثلى الشعب بالاعتراف بخلع الخديو الذى ترمينى بخيانته وبالحماية المبسوطة على مصر فى وقت لم يكن قد حدد فيه معنى الحماية . فكان الاعتراف الرسمى بها على هذه الصورة خطراً عظيما على البلاد إذ لا يخفى أن الحماية نظام غامض مبهم لم يحدده العرف الدولى تحديداً دقيقاً فهو عنوان لحالة قد تضيق حتى لا تمس الشخصية الدولية للبلاد المحمية إلا فى علاقاتها الخارجية وقد تتسع حتى تبتلع البلاد المحمية ابتلاعا تاماً تنعدم معه شخصيتها ويزول كيانها .

« ومما كان يحمل الجمعية على قبولها أنه كان منظوراً إليها كضرورة حربية مؤقتة لا يترتب عليها أى مساس باستقلال مصر .

« أفرأيت إذن ما كان يؤدى إليه العمل برأيك من المخاطر ؟ ثم ما بالك تتكلم عن عن استشارة الجمعية التشريعية ؛ وهل غاب عنك أن أعضاء جميع الهيئات النيابية فى البلاد سارعوا إلى قصر عابدين لكى يقدموا للسلطان حسين تهانيهم ما عدا المرحوم لطفى بك المكباتى الذى أبلغ كبير الأمناء عدم اعترافه بالنظام الجديد وأنه يعده باطلا .

« ولأن عباساً فى أيامه الأخيرة كان مكروهاً من الشعب بينما عمه محبوب حتى لقب « بأبى الفلاح » .

« ثم إنه لم يكن أمام رئيس الوزارة المصرية إلا أن يختار بين ثلاث خطط :

الخطة الأولى : وهى التى سلكتها ولم ترق فى عينيك .

الثانية : هى استثارة الشعب ضد الإنجليز وهذه جناية على الوطن إذ لو عملت على إيقاظ الثورة لكان من المحقق قمعها فى ساعات .

الثالثة : موقف الانتظار وهذا مالا يتفق مع الكرامة والواجب الوطنى لأن فيه تفويتاً للفرص .

« لم يبق من حديثك بعد هذا إلا بعض أمور ليست بذات أهمية كبرى وأولها هذا البحث العقيم الذى أثرته بتساؤلك عما إذا كان خلع الخديو قد ترتب عليه سقوطى وزوال صفة القائمقام الخديوى عنى .

« إن البحث فى نيابتى عن الخديوية وسقوطها أو عدم سقوطها إنما هو بحث خيالى . وإننى لو بقيت نائباً عن الخديو لكان أول واجب على أن أصدر الأمر بالقبض على السلطان حسين لكى يحاكم ويشنق فى عابدين ، فهل كان ذلك مستطاعاً وما الفائدة من هذا البحث ؟

« وإن عدم إرسال استقالتى للخديو لم يكن يقدم أو يؤخر فما كان إرسالها ليعوق خلعه . وإن مجرد الخلع يسقط صفة الخديوية فيعتبر هو مستقيلا وسكوتى عن إرسال الاستقالة كان سببه الإدراك السياسى السليم ولم يكن صادراً عن عقوق أو جبن ، وما كنت لأحجم عن إرسالها لو كان فيها أية فائدة لبلادى » .

ثم ختم حديثه قائلا :

« إن هذا الحوار لا يؤثر على صداقتى الشخصية مع شفيق باشا لاعتقادى بحسن نيته وإخلاصه فيما ينشره . »

ردى على رد رشدى باشا : وفى يوم ٢٤ منه حضر إلى مندوب جريدة الكوكب يطلب ردى على رد رشدى باشا ودار بيننا الحديث الآتى :

س : إن رشدى باشا رد على ما تلقيته منكم فى شأن تصرفاته .

ج : نعم وقد قرأت ما كتب .

س : إن دولته لم ينكر عليكم أنه لم يستقل من منصبه ولو يوما واحداً قبل أن يتولى رياسة الوزارة فى عهد خلفه وفى الانقلاب الذى تم على أثر هذا الخلع ، ثم هو فى الوقت نفسه يقول :

« إننى لو كنت نائباً عن الخديو ووزيراً له لكان أول واجب علىّ أن أصدر أمراً بالقبض على السلطان حسين لكى يحاكم ويشنق فى ساحة عابدين . فما رأى سعادتكم فى ذلك ؟

ج : إن دولة رشدى باشا لم يقل شيئاً عن الثلاثة الملايين والنصف من الجنيهات .

إنه اعتذر عن عدم استشارة الأمة بأنه لو جمع الجمعية التشريعية لأقرت النظام الجديد لأنه ليس فيهم من يعلن رأيه جهرة إلا عبد اللطيف بك المكباتى ، وكأن التضحية ليس لها أثر فى نفوس المصريين .

إننى لا أريد أن أزيد فى إزعاج صديقى رشدى باشا فأطلب إليك أن تقتصر على خطاب أوجهه إليه .

« سيدى صاحب الدولة

لما قرأت كتابكم الموجه إلى فى الأهرام أسفت جد الأسف لما بدا بين سطوره من آثار انزعاج خاطركم .

إن الذى نشر فى صحيفة الكوكب إن هو إلا ما بدا لى أن أسطره فى كتابى حوليات مصر السياسية من نقد لسياسة الوزارة الرشدية . وهو رأى شخصى ، وإنى أذكر يا سيدى العزيز أننى توجهت إليكم وقابلتكم فى منزلكم وعرضت عليكم أن تقرأوا هذا النقد وتبدو ملاحظتكم عليه . ولكن ربما لم تجدوا من وقتكم ما يسمح لكم بذلك ولا بد أن دولتكم قد اطلعتم فى مقدمة تمهيد حوليات مصر السياسية على رأيى الإجمالى فى جميع حضرات رؤساء الوزارات الذين تقلدوا الأحكام منذ بدء الحرب من أننى لا يداخلنى شك فى وطنيتهم وأن كلا منهم قد اجتهد على قدر طاقته ، وأن للمجتهد إذا أخطأ أجراً .

لذلك ترونى بعيداً كل البعد عن أن أصف دولتكم بالخيانة والمروق من الوطنية كما أننى أبعد ما أكون عن الشك فى نزاهتكم وشجاعتكم الأدبية . إنما الذى أقوله على وجه العموم فى هذا الشأن : إننا قد اختلفنا فى وجهة نظرنا وحسب .

أما مسألة جمع الجمعية التشريعية للنظر فى خلع الخديو وإعلان الحماية ومسألة احتمال دخول الألمان مصر فى إبان الحرب ومسألة الدعوة إلى ثورة فى تلك الظروف فهذا مما لم يخطر لنا على بال ولم نتعرض له مطلقاً فى نقدنا . إنما كنا نطلب أن تأخذوا دولتكم وثيقة صريحة تحت يدكم ثمناً لما بذلتم .

ولست أود بعد ذلك أن أدخل فى تفصيلات لا طائل تحتها حتى لا أسبب لكم إزعاجاً جديداً غاضاً الطرف عما رميتمونى به فى خطابكم وما نسبتموه إلى وبخاصة لأنى مع

انتقادى للوزارة الرشدية لم أبخسها حقها فى الحسنات التى لايستطيع مكابر أن ينكرها .

هذه يادولة الباشا كلمتى الأخيرة فى هذا الموضوع ومع شكرى الخالص لدولتكم على حسن اعتقادكم فىّ أرجو أن تثقوا بشديد إخلاصى وعظيم احترامي لشخصكم الكريم » .

عرض العرش على الأمير كمال الدين حسين ورفضه : وفى ٢٤ مارس نشرت الأهرام شيئاً من مذكرات رشدى باشا عن محادثته مع الأمير كمال الدين حسين فى تولى العرش وكان ذلك قبل وفاة والده ورفضه رفضاً باتاً على الرغم من أن رشدى باشا ألح عليه واشتد فى الإلحاح بلهجة قاسية ، ولكن الأمير ظل على موقفه .

مذكرتان لرشدى باشا عن أمور مختلفة : وقد نشرت بعد ذلك عدة مقالات تضمنت مذكرتين لرشدى باشا أيام الحرب فى الاحتجاج على الانجليز لكثرة إرهاق مصر بالطلبات . ثم تضمنت ما كان بين الخديو وكتشنر فى الأيام الأخيرة قبل الحرب والاعتداء على الخديو وتدبير الاتحاديين له وغير ذلك مما لا أرى داعياً لإثباته فى مذكراتى الخاصة ومن شاء الاستزادة فليرجع إلى أعداد جريدة الأهرام فى شهرى مارس وابريل من سنة ١٩٢٧ .

رأى ثروت باشا فى مذكراتى : تقابلت مع ثروت باشا يوم ١٧ أبريل ودار الحديث حول مذكراتى التى تنشر فى الأهرام فقال : إن الناس يتتبعونها باهتمام وأنا لم أكن من قراء الأهرام ولكنى الآن أطلع عليها باستمرار لمعرفة هذه المذكرات .

التحكيم : علم القارئ مما تقدم أن الجدال ينقسم إلى شقين : الأول بين عباس ورشدى ، والثانى بينى وبينه . أما الشق الثانى فأترك للقارئ الحكم فيه ، وأما الأول فلا أتدخل فيما دار من الحوار بين الطرفين إلا فى مسألة التلغرافات التى حصل الاختلاف عليها بين الخديو وقائم مقامه .

رد عباس فى تصريحه على ما قاله رشدى باشا بخصوص التلغرافات المتبادلة بينهما فقال : « إنه يمكن أن يكون قد أرسل التلغرافين ولكنهما لم يصلا ولم يصلنى منه غير نبأ إرسال رسول[1] إلىّ سيوقفنى على خبر هام ولكن هل ضاع الرسول أيضاً ! »

فرد رشدى باشا على تصريح عباس بقوله : « إنه لا شك فى وصول تلك التلغرافات إلى الخديو بدليل أنه أجاب عليها وقد نشر صور الردود عليها أحد الملتصقين به وهو أحمد شفيق باشا .

---

(١) الرسول هو المؤلف .

وعلى ذلك سألنى مندوب جريدة الكوكب عن البرقيتين فقلت : إنه سبق لرشدى باشا أن قال لى إنه لم يصل إليه رد برقيتين بعث بهما إليه وأن هاتين البرقيتين قد أرسلتا قبل سفرى إلى الأستانة ، فما كنت أعلم طبعاً حينما سألنى الخديو عن أسباب قطع العلاقات السياسية مع ألمانيا إن كانتا قد وصلتا إليه أو ما هو موضوعهما وأخيراً علمت أن البرقيتين أرسلتا للخديو بتاريخ ٥ و ٧ أغسطس سنة ١٩١٤ وكانتا بخصوص قطع العلاقات بين مصر وألمانيا وهاك نصهما :

فى ٥ أغسطس : انجلترا أعلنت الحرب على ألمانيا ، ولندره طلبت أن يعلن مجلس النظار بعض الإجراءات لصيانة مصالحها فى مصر ، وقد تداول مجلس النظار فى هذه الطلبات (م . ج ٢ . ق ٢ . ص ٣٣٩) .

فى ٧ أغسطس : بعد الانتظار ٢٤ ساعة اضطررنا إلى إصدار قرار نظراً للإلحاح الشديد بتنفيذ المطلوب حالا ، وبعد كل التروى وجدنا أن نقرر ما طلب منا ، فاذا انتصرت انجلترا فالمنتظر أنها تعدل فى النظام السياسى ، وأما شكله وشروطه فيكون بنسبة الخطة التى نسير عليها معهم . أما إذا رفضنا المطالب المذكورة فإن الانجليز يعدلون هذا النظام ، لكى يضمنوا استعمال حقوقهم الشرعية التى تخولها لهم قوانين الحرب .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تكون على حذر منا . وبتنفيذنا الإجراءات المطلوبة نعتقد أننا قد تبصرنا فى العواقب ، للمحافظة على كيان نظامنا السياسى الحالى (م . ج ٢ . ق ٢ . ص ٣٤٠) .

بناء على هذا : يرى القارىء أن هناك مسألتين مختلفاً عليهما بين رشدى والخديو .

الأولى : مسألة إخبار رشدى للخديو بالحالة فى مصر عند إعلان الحرب والمطلع على هذه المذكرات يرى أن رشدى باشا محق فى أقواله بدليل إرساله البرقيتين السالفتى الذكر وفيهما الكفاية فى بيان حالة مصر .

وحيث إن محمود زكى قال فى أهرام ١١ فبراير سنة ١٩٢٧ :

« إن التلغراف أرسله رشدى باشا للخديو بواسطة يوسف صديق باشا وكان أحمد صادق بك إذ ذاك فى مصر وهو الذى أشار على رشدى باشا على ما اتصل بي بإرسال التلغراف المذكور بتلك الواسطة » واتفق أن الخديو كان مريضاً فلما وصل التلغراف

أخفاه يوسف صديق باشا فى محفظته وظل رشدى باشا ١٢ يوماً يترقب جواب التلغراف فلم يأت » وأخيراً أرسل أحمد صادق بك إلى الأستانة ولما قابل الخديو وأخبره بالتلغراف وسئل صديق باشا اعتذر بمعاذير واهية .

وحيث إن هـذا الحادث لم ينفه بيان عباس إذ أن التلغرافات قد وصلته وأنه لم يرد عليهما بما يجب على رشدى اتباعه .

وحيث إن بيان عباس خال من ذكر البرقيتين .

فالذى أراه أن التصريح الصادر فى ١٦ مارس فى هذه النقطة لايصلح أن يكون أساساً للحقيقة ولا يقع اللوم على حسين رشدى باشا إذ التقصير فى هذه المسألة ليس من جانبه بل من جانب الخديو وكبار حاشيته الذين كانوا معه فى هذا الوقت قبل سفرى إلى الأستانة.

أما ما جاء فى البيان من قوله : « ولم يصلنى منه غير نبأ إرسال رسول إلى سيوقفنى على خبر هام ولـكن هل ضاع الرسول أيضاً ؟ » فهو غريب لأن عباس كان يعلم عنـد وصولى للأستانة فى أغسطس أن هذا الرسول هو أنا . وذلك من الحديث الذى دار بينى وبينه .

وعليه فان الذى حرر هذا التصريح لم يتحر الحقائق .

الثانية : مسألة قبول رشدى باشا الحكم تحت رياسة جديدة والتنكر لمولاه السابق . وعدم رعايته لليمين التى أقسمها بالإخلاص له .

وحيث إن المطلع يرى من سياق الأحاديث والتصريحات السابقة أن دفاع رشدى باشا فيها غير كاف ولم يكن هناك ما يبرر الإقدام على الخطة التى اتبعها فكل ما قاله بخصوص هذا الموضوع لا يعفيه من حكم التاريخ عليه بالخطأ .

وأما فيما يختص بالجدل بين رشدى باشا وبينى فلا أود كما قلت أن أكون أنا الحكم فيه ولـكن ذلك لايمنعنى من القول : نحن لا يخامرنا أدنى شك فى وطنية دولة رشدى باشا .

البنك الحجازى وعلاقتى به

كانت لحبيب بك لطف الله[1] علاقة حسنة بالشريف على ملك الحجاز ، ففكر أن ينشىء بنكا حجازياً للتعامل فى موسم الحج يكون من أعضاء مجلس إدارته موظفون من قبل الملك ، ويعتبر بنكا رسمياً للحكومة الحجازية .

وبعد الابتداء فى أعمال البنك وطبع أوراقه فى صورة جميلة مزخرفة بالنقوش العربية ، حدث الانقلاب فى البلاد العربية ، واستولى الملك ابن السعود على الحجاز ، وبذلك وقف البنك عند الخطوات الأولى .

وكان يتولى إدارته عبد الحميد بك شديد ثم استقال .

وفى يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٢٦ حادثنى ميشيل بك لطف الله فى أن أتولى إدارته فترددت فى ذلك ، لاشتغالى بمؤلفاتى وبصحيفة الاعلانات .

وفى يوم ٢ فبراير كنت مدعوا عند جورج بك لطف الله لتناول العشاء فى سراى الجزيرة مع أعضاء لجنة منكوبى سوريا . فالتقيت بشقيقه حبيب بك الذى جدد الحديث معى بشأن البنك ، فتواعدنا على المقابلة فى مركزه .

وفى يوم ٣ منه تقابلت معه فقدم إلى الموظفين والخدم وأجلسنى فى حجرة المدير وطلب منى أن أعرب له عن شروطى ، فقلت : إننى أقبل شروط عبد الحميد بك شديد المدير السابق فذكرها لى ، فقلت : إننى لا أناقش فى هذه الشروط لأننى أحب العبء الملقى على عاتقى فهو داخل فى برنامج الرابطة الشرقية التى أعمل بكل جهدى لإنجاحها ، وإننى مستعد لمرافقته فى كل البلاد العربية التى يود زيارتها لهذا الغرض رغم شيخوختى .

وفى يوم ٤ منه تسلمت أعمال الإدارة وجردت الخزانة وبدأت فى تنظيم العمل .

وفى يوم ١٦ قابلت مصطفى الجمال افندى أحد موظفى البنك بجدة فأفهمنى أن ابن السعود معارض فى إنشائه فى الوقت الحاضر ، ولكنه لا يمانع فى أن يوجد محل تجارى غير رسمى ؛ ومن جهة أخرى فان تجار جدة يعارضون فى إنشائه لأنه ضد مصالحهم ، ويدعون أن لهذا البنك صفة سياسية لأنه معضد من الملك على ، وربما كان واسطة بينه وبين عرب الحجاز ، وهذه دسيسة لإحباط المشروع .

وفى يوم ١٠ مارس تقابلت مع طلعت حرب بك (باشا) فسألنى عن البنك، فأخبرته بأنه لم يفتتح معاملاته لأن قانونه لم يصدق عليه الملك ابن السعود، فقال: ولن يصدق!. لأنه يعلم أنه مؤسسة للملك حسين*[1] وأبنائه وهم خصومه. فكيف يعقل أن يعضد مثل هذا المشروع والمؤسسون له مشبوهون هناك وأنت يا شفيق باشا مشبوه هنا، لأننى سمعت من جلالة الملك أنك تعمل فى الرابطة الشرقية لصالح عباس.

وفى يوم أول مايو سنة ١٩٢٦ أرسلت لملك الحجاز الخطاب الآتى(١):

حضرة صاحب الجلالة السعودية ملك الحجاز وسلطان نجد المعظم

مولاى

« لما كان قوام الملك وقوة الدولة منوطين بثروة الأمة، وكانت سعة الثروة من زراعة وصناعة وتجارة متوقفة فى هذا العصر على النظام المالى العام الذى تقوم بادارة جل مواصلاته وتسهيل أكثر معاملاته المصارف المالية المعروفة « بالبنوك ».

« ولما كان من الواجب على كل عربى مخلص لأمته ويشعر بشرف قوميته أن يخدمها ويخدم دولتها بما استطاع — حصل التفكير منذ بضع سنين فى تأليف شركة مالية مساهمة لتأسيس بنك أهلى للحجاز كما تعلمون.

« وإذ كان الغرض من تأسيس هذا المصرف خدمة الدولة العربية والأمة العربية بإنماء ثروتهما وتسهيل معاملاتهما المالية مع سائر الأقطار وهى خدمة ضرورية ثابتة تقتضيها حالة الزمان فلا تتبدل بتبديل صور الحكومات وأشخاص رؤسائها.

« وإذ كانت الدولة العربية قد كبرت واتسعت مساحتها بما من الله تعالى به على جلالتكم من جعل الحجاز مع نجد وعسير وملحقاتهما تحت رايتكم — فقد كبرت الحاجة إلى هذا النظام المالى وتأكد الرجاء فى نجاحه بيمنكم وسعودكم وتوفيق الله تعالى المؤيد لكم فى جميع أعمالكم.

« فبهذا وبما ظهر من عطف جلالتكم على المصرف واستحسانكم المبادرة إلى البدء بعمله

---

١٠ م ج ٣

(١) هذا الخطاب حمله السيد محمد رشيد عند ذهابه إلى مكة لتقديمه لجلالة ملك الحجاز ولكن السيد رأى عند وجوده هناك عدم لزوم تقديمه حيث علم من الملك امتناعه عن اعترافه بالبنك ولهذا رده إلىّ.

بصفته شركة تجارية موقتاً وإرجائكم النظر فى جعله رسمياً إلى أن تتألف الهيئة العليا للحكومة الحجازية . فيناط ذلك بالدائرة المختصة منها — رأينا أن تعيد هيئة إدارة المصرف النظر فى القانون فتنقحه تمهيداً للسبيل ففعلت .

« وها أنا أتشرف بأن أرفع إلى سدة جلالتكم نسخة من القانون المنقح المقيد بأحكام الشريعة الإسلامية الغراء فعسى أن تصادف التنقيحات الرضا والقبول . وإذا أمرتم بادخال تنقيحات أخرى فيه فاننا مستعدون للامتثال . ثم نعرض القانون منقحاً على جمعية المصرف العمومية للتصديق عليه نهائياً والعمل به .

« ولأتباعكم ورعاياكم أن يشتركوا فى أسهم المصرف بما شاءوا . أدام الله عزكم وسعودكم لهذه الأمة العربية آمين » .

المدير العام
أحمد شفيق

وفى يوم ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ ورد لى خطاب من حبيب بك لطف الله يعرفنى فيه بأنه ينوى الحضور إلى مصر فى آخر هذا الشهر ويقوم معى فى ١٠ يونيو لمقابلة ملك الحجاز ويطلب منى مخابرة المعتمد بمصر بالتماس تحديد ميعاد للمقابلة .

وبناء على إشارة الأمير ميشيل لطف الله توجهت للمعتمد المذكور لأخذ رأيه فى الوقت المناسب لهذه المقابلة فاستحسن بأن أتقدم الأمير فى ذهابى إلى مكة لتمهيد الأمور ثم يتبعنى هو بعد ذلك .

وفى الحال قررت السفر وقمت فى آخر باخرة من السويس بتاريخ ١ يونية سنة ١٩٢٧ ووصلت جدة فى ٤ منه .

استقبلنى على الباخرة سعادة القائمقام ورئيس بلدية جدة وقومندان الموقع موفدين من قبل جلالة الملك لتهنئتى بوصولى وإبلاغى سلام جلالته .

وبعد انتهاء أيام العيد طلبت مقابلة جلالة الملك للكلام فى مسائل البنك بصفة خصوصية وفى ١٥ يونيو حصلت المقابلة بعد صلاة العشاء واستمرت المحادثة إلى نصف الليل على انفراد ولم يكن معنا إلا اثنين من رجال حاشيته ثم سافرت إلى مكة .

وقد لاحظت من كلام الملك أنه لا يود عمل شىء لصالح البنك الآن وفهمت أن الأسباب التى تمنعه عن ذلك هى التى قالها لى مصطفى الجمال افندى أحد موظفى البنك بجدة عند مقابلتى له فى ١٦ فبراير سنة ١٩٢٦ .

وقد وجدت حالة البنك فى جدة لا تسر مطلقاً فإن المستخدمين الذين وجدوا فيه من ابتداء إنشاء البنك لم يكن بينهم واحد له أقل إلمام بأعمال البنوك أو التجارة مما جعلنى أنتهز الفرص لإبعادهم واحداً بعد الآخر .

وقد رفعت مذكرة بكل هذا لمجلس إدارة البنك فى جلسة أول يوليو سنة ١٩٢٧ وقد دون المجلس فى محضر جلسته ما يأتى :

اجتمع مجلس الإدارة برياسة أحمد شفيق باشا وعضوية كل من السيد عبد الحميد البكرى ، والسيد رشيد رضا ، ومحمد على ناصر بك ، وسليم البستانى بك وبعد الاطلاع على محضر الجلسة السابقة والمصادقة عليها اطلع المجلس على المذكرة المقدمة من سعادة المدير عن نتيجة مهمته فى الحجاز والبيانات الشفوية التى أدلى بها بخصوص أعمال البنك بجدة قرر المجلس شكر سعادته على ما قام به من الأعمال . وبناء على ما ورد فى تقرير سعادته من أن حكومة الحجاز لا يمكنها فى الوقت الحاضر أن تعمل شيئاً لمصلحة البنك فوض المجلس سعادة المدير فى مفاوضة صاحب البنك فى الاقتراحات الواردة فى المذكرة وعرض النتيجة على المجلس .

استقالتى من البنك : ولما تأكد لى فشل البنك لم أرد أن أبقى فى رياسته أتقاضى مرتباً بدون عمل ، ولذلك قدمت استقالتى إلى حبيب بك لطف الله فأرسل فى ١٤ نوفمبر يقول : « أما بخصوص رغبتكم فى الاستقالة فلا يمكننى قبولها . لذلك أرجوكم إمهالى إلى آخر السنة » . وقد انتظرت حتى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٧ فلما لم يحضر خاطبت شقيقه ميشيل لطف الله بك مصراً على الاستقالة مع إبداء استعدادى دائماً لمعاونتهم فى كل مشروع أقتنع بفائدته .

وقد سلمت ما فى عهدتى للبنك وانتهت علاقتى به .

حجى وحادثاتى مع ابن السعود

المشادة بين مصر والحجاز . رأيى فى حل الخلاف بين الحجاز واليمن . الحالة الصحية والاجتماعية فى الحجاز . صدمتى مع الملك والخلافات المذهبية . الرقيب فى الحجاز

* * *

المشادة بين مصر والحجاز : كانت قد وقعت فى العام الماضى المشادة المعروفة بين المحمل المصرى والعرب النجديين ، وكاد يحصل ما لا تحمد عقباه لولا أن الملك ابن السعود تدارك الأمر قبل استفحاله .

وفى هذا العام (عام سنة ١٩٢٧) أعلنت الحكومة عدم السفر ، وأنها لا تتحمل تبعة ما يحدث للمسافرين إلى الحج على مسئوليتهم الشخصية . وكانت قد وصلت إلى مصر أخبار عن تشدد الوهابيين فيما يختص بالقباب والقبور والمخترعات الحديثة ، فثارت الأفكار ضدهم فى مصر .

وقد جال فى نفسى أن أسافر فى هذا العام إلى الحجاز وكان غرضى من هذا السفر:

١ — أن أقف على حقيقة الحالة فى الحجاز .

٢ — أن أبذل جهدى فى إصلاح الحال بين الحكومة المصرية والحكومة الحجازية .

٣ — أن أعرف رأى الملك ابن السعود فى مسألة البنك الحجازى التى أسلفت الحديث عنها .

ومما شجعنى على السفر اعتقادى أنه سيكون له وقع حسن عند الملك ابن السعود فى هذه الظروف .

وقد أخبرت الشيخ فوزان السابق[1] بعزمى هذا ، فقال إنه سيكتب للملك عن سفرى . وبعدئذ اتخذت كل الإجراءات اللازمة للسفر .

ومما أذكره أن فتح الله بركات باشا عندما علم بعزمى أخذ يثبط همتى ، ويخوفنى من انتشار الأمراض هناك وكثرة الوفيات وسوء حالة الإدارة . ولكن ذلك لم يثن عزمى .

سفرى إلى الحجاز وحديثى مع رئيس الديوان الحجازى : وقد سافرت كما سبق بيان ذلك .

وفى جدة قابلنى السيد محمد الطيب الهزاز رئيس الديوان الحجازى فدارت بيننا أحاديث عن تعقد الصلات بين حكومتى مصر والحجاز ، وعتب علىّ فى عدم التوسط عند الحكومة المصرية للإصلاح ، فأجبته بأننى لم أتدخل لجهلى بحقيقة الحال فى الحجاز ولهذا حضرت لدراستها ، وعندما أقف على الحقيقة وأجد من المناسب أن أتدخل لا أتأخر عن القيام بالواجب . ثم وجهت الانتقاد للوهابيين على فتاويهم الرجعية . واقترحت أن ينتخب من علمائهم اثنان أو ثلاثة يأتون إلى مصر ويجتمعون مع بعض علمائها للمناقشة فى المسائل المختلف عليها ، ويصلون إلى قرارات يرتضيها الجميع . وبذلك يزول سوء التفاهم الواقع الآن . فاستحسن هذا الاقتراح ، ووعد بالبحث فيه مع جلالة الملك .

ثم سألنى هو ورشيد باشا الذى كان مندوباً لابن الرشيد بالأستانة عن علاقاتى بالخديو السابق فأجبتهما بأننى قطعت صلاتى به ، وأننى مستاء من تصرفاته معى فقالا : كيف إذن تنشر مذكرات فى مصلحته ، مما يجعل القارئ يفهم أن علاقتك به طيبة ؟ فأجبت بأننى أقف على الحياد فأنشر حسناته وسيئاته . ثم قال لى الطيب الهزاز : إن الملك فؤاد غير مستحسن لنشر هذه المذكرات لأنها دعاية للخديو وتذكير للناس به .

رأيى فى حل الخلاف بين الحجاز واليمن : ثم تحادثت معه فى الخلاف الواقع بين الإمام يحيى والملك ابن السعود ، فقال : إن احمد زكى باشا مندوب جمعية الرابطة لم يصنع شيئاً فى هذا الصدد . فقلت إن من الضرورى إيجاد حل لهذا الخلاف ، وإن لى رأياً فى هذا الموضوع . فطلب معرفته . فقلت : أن يعلن الطرفان حياد مملكة الأدارسة بحيث لا تضم لأحد الفريقين . وبما أن ابن السعود تعهد بصيانة استقلالها والإمام يحيى مستاء لبسط حماية السعوديين عليها فكلاهما سيجد فى اقتراحى ضماناً لمصالحه ، وحلا وسطاً لا يغضب الفريقين .

فقال الطيب : أرجوك يا باشا ألا تعلم أحداً بهذا الحل الذى لم يخطر على بال أحد وأن تبقى الكلام فيه إلى اجتماعك بجلالة الملك .

ثم ذهبت إلى منزل الضيافة وهناك حادثنى بالتليفون من مكة الشيخ ابراهيم بن معمر

الكاتب فى ديوان الملك ، وكان فى مصر قبل ذلك ، فسأل عن صحتى وعن أعضاء الرابطة ، وقد طلبت منه إبلاغ تحياتى وشكرى لجلالة الملك .

السفر إلى مكة : وفى يوم ٥ وردت إشارة تليفونية من مكة إلى القائمقام بأن أسافر فى سيارة ملكية مع عبد الله الدملوجى بك وكيل إدارة الأمور الخارجية إلى مكة فى الساعة العاشرة العربية ، وقد لاحظت أن الطريق غير ممهد ، وانغرزت العجلات فى الرمال مراراً ثم انكسرت السيارة عند المحطة الثالثة فطلب غيرها من مكة وبها واصلنا السير إلى هناك فوصلنا متأخرين .

وبعد وصولنا قابلت الأستاذ الشيخ حافظ وهبه مستشار الملك والشيخ ابراهيم بن معمر ، والمطوف محمد المدنى وتوجهنا إلى الحرم الشريف فطفت وسعيت . وتوجهت بعد ذلك إلى منزل الشيخ يوسف يس فى محلة جياد وهو الذى خصص لإقامتى وقد رافقنى إليه وهو مدير الإدارة الخارجية وعلمت من الأحاديث التى دارت بيننا أن الوفيات وصلت إلى ٨٠٠ فى اليوم ثم هبطت إلى ٥٠٠ ولكن الصحة لا تنشر الحقيقة .

وفى صباح يوم ٦ حضر الشيخ يوسف يس إلى الطابق الذى أقيم فيه ، وسألنى عما إذا كان قد حدد موعد لمقابلتى مع الملك ، فأخبرته بأن الشيخ حافظ وهبه كان قد وعد بالمرور علىّ فى هذا الصباح ليرافقنى فى الزيارة . فتحادث بالتليفون مع السراى ، ثم قال لى : إن الوقت المناسب أن تكون بعد صلاة العشاء .

الحالة الصحية والاجتماعية فى الحجاز : وقد نزلت معه وتوجهنا إلى مكان خصص لاجتماع مؤتمر يبحث حالة الحجاز . وهو فسيح ، وبه بهو كبير للاجتماع فى الدور العلوى وغرفة لمكتب المفتش العام ، سليمان شفيق باشا ، وكان غائباً . وفى هذا البهو يقوم بعض العمال بعمل الكسوة الشريفة التى ستوضع على الكعبة فى هذا العام ، نظراً لانقطاع كسوة مصر . وقد سمعت من بعض رجال الحكومة وكبار الأعيان اعتراضاً على منع الحكومة المصرية لها ، مع أن كبار المسلمين بمصر يتمنون إرسالها من أموالهم .

وبعد التفرج نزلنا إلى حديقة صغيرة تابعة للمكان أسسها سليمان باشا .

ثم قادنى يوسف يس إلى التكية المصرية . وهناك علمت أن ابن السعود يصرف بسخاء على القسم الطبى الذى تبلغ نفقاته نحو ثمانية عشر ألف جنيه . ولكن حالة المستشفى سيئة ، والأطباء يتناولون جنيهاً عن كل زيارة ، مخالفين فى ذلك أوامر الملك ، حتى إن

امرأة فقيرة لا تملك غير ريالين لم يرض الطبيب أن يعالجها ، وسحب منها تذكرة الدواء بعد كتابتها ، وحين توفيت بسبب إهمال علاجها لم يرخص بالدفن قبل تشريحها حتى تناول خمسة جنيهات .

وقال محدثى : إن الأطباء من السوريين ، وقد اتفقوا على هذه المعاملة ، كما أن الإدارة مختلة ، فمن دخل « الحميدية » يرى تقسيما لطيفاً ، ولافتات (يفط) على الغرف . ولكن إذا كان يبغى قضاء مصلحة فانها لا تحل إلا بصعوبة ، والسبب أنه لا مسئولية على أحد فالحال فوضى . وقد سمعت من سليمان شفيق باشا[1] عند حضوره هذه الانتقادات نفسها ، فتحادثت معه فى مساعدة الملك على تنظيم الإدارة ، وأنه يمكن الاستعانة ببعض النظم المصرية لاقتباس ما يصلح منها .

ثم تحادثنا فى جهل الوهابيين وتشددهم وفى العلاقات بين ابن السعود والإمام يحيى .

مقابلتى الملك : وبعد العشاء توجهت مع الشيخ يوسف لمقابلة الملك فى مسكنه الخاص خارج مكة . فشكرته على حفاوته وضيافته وأبلغته تحيات رئيس الرابطة الشرقية وأعضائها ثم أخذ يتحدث معى فى أغراضه التى يبغى تنفيذها وفى أولها الحكم حسب ما جاء فى الكتاب والسنة ، وكان يتكلم بقوة وحماسة . ولما ختم حديثه أبديت له اعتراضى على فتاوى الوهابيين الرجعية بخصوص المخترعات الحديثة ، وقلت : إن النبى صلى الله عليه وسلم قد أمرنا أن نطلب العلم ولو فى الصين ، مع أنها كانت فى ذلك الوقت وثنية ، فلا يفهم أن العلم المطلوب كان هو العلم الدينى ، بل العلم الدنيوى . فكيف مع ذلك يفتون بأن التلغراف حرام وكفر ؟ فأجاب الملك : بأنهم لم يقولوا عنه إنه كفر ولكن صرحوا بأنهم لا يعلمون أساسه ولهذا لا يقبلونه . قلت : حينئذ هم يفتون عن جهل . فقال : ما على علماء الدين إلا أن ينصحوهم بأنه ليس منافياً للشريعة وحينئذ يقبلونه . قلت : إن ذلك لا يتأتى إلا باجتماعهم فى هيئة مؤتمر إسلامى من مختلف البلدان ليقرروا ما يرونه بشأن الاختلافات المذهبية على أن يعمل الجميع بما يقررون . فقال : إننى أعاهدكم على ذلك . ومد يده ليدى وشد عليها .

وكان حاضراً هذه المناقشة ثلاثة علماء من معهد أسيوط فلم أسترح لطريقتهم فى

الحديث ، لأنه لم تكن لديهم الشجاعة الكافية لإبداء آرائهم ، فكان أحدهم يوافق على آرائى بهز رأسه والآخران يؤمنان على كلام الملك .

وعند انصرافى وعدنى باللقاء مرات أخرى لإتمام الحديث .

وقد سلمت الشيخ يوسف يس مذكرة بما أود الكلام فيه مع الملك فى المقابلة الآتية ، تشمل مسألة البنك ومسألة تعيين حبيب لطف الله بك سفيراً له فى روما وإنشاء شركة تقوم بتنفيذ ما يراه جلالة الملك من الإصلاحات . وقد قابلنى فى اليوم التالى فأخبرني أنه يحسن أن تكون المقابلة بعد الحج .

مقابلتى لولي العهد : وفى مساء يوم ٧ يونيو دعيت لتناول طعام العشاء فى منزل سمو ولىّ العهد وهو يقيم فى الدار التى كانت مقراً للشريف حسين وهى من آثار محمد على بالحجاز ، وقد توجهت مع الشيخ يوسف يس فقربنى سموه وأجلسنى بجانبه ، وكان عدد المدعوين يناهز الستين من كبار الحجاج والمأمورين ، ومن بينهم السيد أحمد الشريف السنوسى*[1] وبعض الأدريسيين والهنود والأفغانيين والمصريين ، وقد جلس إلى جوارى قاضى قضاة مكة فألقى كلمة دينية وهو جالس .

وبعد تناول الطعام ألقى الشيخ حافظ وهبه كلمة تناسب المقام شكر فيها الحاضرين على تلبية الدعوة ، للتعارف بين أبناء الشرق .

شعائر الحج : وكان الصباح موعد الوقوف بعرفات ، فقال لنا رجال البلدية إنه قد أعدت خيمة لتكون داراً للضيافة قريبة من مركز الملك لننزل فيها . وبعد أن سرنا ليلا ست ساعات وصلنا إلى عرفات بعد أن خصصت لى ولتابعى الركايب ومرشد لنا وأمامنا المشاعل وبحثنا عن الخيمة فلم نهتد إليها وقضينا الليلة فى العراء . وقد غضبت على المطوف معتقداً أنه هو الذى قصر فى معرفتها . ولكن ما كان أشد دهشتى حينما عثرنا فى الصباح على مأمور الضيافة نفسه تائهاً مثلنا رغم سؤاله رجال الشرطة عن مركز الملك ! فعلمت أن سوء النظام هو السبب فى هذا الخطأ واعتذرت للمطوف .

وقد أمر مأمور الضيافة فنصبت الخيمة ، ونزلنا وكان معنا وزير داخلية الأفغان فتعارفنا وتحادثت معه عن الرابطة الشرقية ، فسر مما سمعه ووعد بنشر الدعوة لها .

وقد وقفنا بعرفات وعنـد الغروب نزلنا إلى المزدلفة وقد شممت هناك ريحاً غير طيبة وكانت بعض الحشرات تلسعنا ولا نراها فلم أستطع الراحة فى دار الضـيافة ، وقد ذهبنا من المزدلفة إلى منى وكان التعب سبباً فى مرضى هذه الليلة .

وفى الصباح ذهبت مع وزير الأفغان وعيدنا على الملك ثم على الأمير فيصل .

معلومات شخصية عن ابن السعود : وقد سمعت من الأحاديث التى دارت بين الحجاج أن لجلالته سـتة عشر ولداً وست عشرة بنتاً وأنه تزوج بعدد كبير جداً من النساء . وأن له معرفة كبرى بثلاثة أمور : الطيب وأنواعه ، والنساء وصـفاتهن ، وعادات البـدو وأخلاقهم ، فلا يحتاج فى هذه الأمور إلى نصيحة ناصح .

وبعد حل الإحرام دارت أحاديث بين مأمورى الحكومة وبعض الحجاج فى إذاعة برقيات تحتوى على المسائل الآتية :

١ — ثبوت وقفة عرفات يوم الخميس الموافق ٨ يونيو .

٢ — توفر المياه الكافية للحجاج .

٣ — استتباب النظام والترتيب والأمن (فلم أوافق على النظام والترتيب لعـدم وجودهما) .

٤ — أن ابن السعود صنع كسوة للكعبة حينما رفضت الحكومة المصرية إرسالها . (فلم أوافق على هذا النص لما فيه من التعريض بسمعة مصر) .

٥ — أن الحجاج الشرقيين يعلنون شكرهم وارتياحهم لما لاقوه من العناية والراحة . ولما وجدتهم مصممين على نص البرقيات انسحبت من المناقشة .

معاملة الوهابيين للحجاج : وتركنا منى إلى رجم الجمرات . وكان الزحام شديداً ، وقد انقض علينا الإخوان الوهابيون على ظهور الهجن ، فكانوا يخترقون القوافل بدون مبـالاة ، ومن يقف فى طريقهم يعاملونه معاملة قاسية بالضرب والشتم . وكانت الروائح الكريهة تنبعث طول الطريق حتى وصلنا إلى محل إقامتنـا ، فغيرت ملابسى ثم توجهت إلى الحرم وطفت طواف الإفاضة . وبذلك تمت مراسم الحج .

آرائى فى المعاهدة بين الحجاز واليمن : فى يوم ١٣ يونيو علمت من الشيخ يوسف يس أن العلاقات بين ابن السعود والإمام يحيى تحسنت ، فأعددت مذكرة ضمنتها بعض آرائى

فيما يجب اتخاذه من الاحتياطات عند وضع المعاهدة بين الطرفين وسلمتها له لإبلاغها إلى جلالة الملك .

مؤتمر الحجاز : تعرفت بتوفيق الشريف افندى وهو شاب متعلم فى الأستانة وذكى وطيب الأخلاق . وقد أخبرنى أنه كان سكرتيراً للمؤتمر الذى تقرر انعقاده لبحث حالة الحجاز من وفود البلاد الإسلامية فى مكة . وأن لجنة المؤتمر المؤقتة رفعت تقريرها للحكومة بقراراته فى الميعاد المحدد ، ولكن الممالك الإسلامية التى قررت إرسال مندوبين عنها لم تف بالوعد . فسألته عن الأسباب ، فأجابنى بأن أفغانستان التى كانت واقعة تحت ضغط البلاشفة واستعانت بالنفوذ الإنجليزى للتخلص منهم ، لم يسعها إلا مراعاة اتجاه السياسة الانجليزية فلم ترسل مندوباً . وإيران فيها المجاهدون الشيعة وهم أصحاب النفوذ . والأتراك يتبعون طريقاً لادينياً . وهذه هى الدول الإسلامية المستقلة . أما الأمم الأخرى غير المستقلة تماماً مثل مصر ، فان الظواهر لم تكن تدل على مؤازرة فكرة المؤتمر إذ كان مندوبها لا يعضد نجاحه . والهند عمل مولاى محمد على وأخوه شوكت على إحباط المؤتمر بنشر الإشاعات حوله لعدم موافقتهما على آراء السعوديين فى القباب وغيرها وأخيراً اتضح للهنود ذلك فقررت المقاطعتان اللتان تحتويان أكبر عدد من المسلمين إلغاء جمعية الخلافة وهى التى كان مولاى شوكت على وأخوه يستمدان منها نفوذهما .

تدمير محطة اللاسلكى : وفى يوم ١٥ أخبرنى سليمان شفيق باشا أن الإخوان دمروا محطة اللاسلكى بالمدينة ، وهى التى أنفق عليها الألمان مائتى ألف جنيه .

ولما أردت أن أحقق هذه المسألة من أحد مأمورى الحكومة ، نفى هذه الرواية ، وقال : إن المحطة تهدمت من نفسها .

حديثى مع الملك والخرافات المذهبية : وفى ظهر هذا اليوم طلبت مقابلة الملك فحضر عندى فؤاد حمزه والشيخ يوسف يس ورافقانى بعد صلاة العشاء . وقد دار الحديث حول البنك الحجازى كما تقدم فى الفصل الخاص به . ثم عرضت مشروع إنشاء شركة إسلامية مؤلفة من السيد عبد الحميد البكرى ، والسيد رشيد رضا ، وإبراهيم راتب بك*[1] وأنا ، للبحث عن المعادن فى الحجاز وعن ينابيع الماء .

فأجاب بأن الوقت لم يحن للتحدث فيها ولكن عند اللزوم سنكون نحن المقدمين .

---

١٥ م . ج ٣

وتكلمنا عن مؤتمر الاختلافات المذهبيـة ، وأن تقوم الرابطة الشرقية بالدعوة له . فقال : لا بأس ولـكن يجب وضع أساس كبرنامج له ، وعرضه على الممالك التى تدعى إليه حتى إذا قبلتها أرسلت من ينوب عنها . فوافقت ؛ وتقرر أن أجتمع مع الشيخ حافظ وهبه ، ويوسف يس ، وفؤاد حمزه لوضع هذه الأسـس .

ثم تكلمنا عن برامج التعليم فى البلاد العربية فأبدى استحسانه للتفكير فى توحيدها ووعد بالاشتراك فى كل عمل يوصل إلى ذلك .

وتحادثنا فى شأن الرابطة الشرقية ، واشـتراك بعض الحجازيين فيها ، وأعمالها وبرامجها ، ولم نتخذ قراراً عنها بسبب ما أشيع عنها بالإلحاد .

ثم تناقشنا فى مسألة الخلاف الواقع بين مصر والحجاز بشأن المحمل ، فعلمت أن مطالبه هى منع دخول الجنود المصريين لمصاحبة المحمل ، حتى لا يقع ما يكدر صفو العلاقات بين البلدين كما وقع فى العام الماضى . وكان مستاء لأن الحكومة المصرية لم تبعث له شكراً على ما قام به من الجهد لحقن الدماء وفض المشكل ودفع الديات لأهالى القتلى .

ولما انتهى الحديث فى هـذه المسائل استأذنت وخرجت . وفى اليوم التالى حضر عندى تنفيـذاً لقرار أمس الشيخ حافظ وهبـه ، والشيخ يوسف يس ، وفؤاد حمزه لوضع برنامج المؤتمر .

وبعـد المناقشة تقرر ألا يدعى المؤتمر إلى الانعقاد إلا بعـد جس النبض لدى الممالك الإسلامية ، وتهيئـة الأفكار له بالدعاية الواجبة ، ويكون ذلك فى مصر والبلاد الشقيقة بواسطة الرابطة الشرقية والصحف المصرية ، وفى الهند بواسطة من يعتمد عليهم رجال الحكومة الحجازية ، وفى إيران بواسطة الإيرانيين فى مصر .

أما البرنامج فقد تذاكرنا فى النقط المهمة وأخـذ بها فؤاد حمزه مذكرة لتحضيرها على أن يرسل لى منها نسخة بمصر .

وقد رجوتهم إبلاغ الملك عذرى لعـدم إمكانى توديعه كما كنت أرغب ، وكذلك للأمير فيصل .

العـودة : وفى صباح يوم ١٨ حضرت سيارة ملكية فأنزلنا بها متاعنا ونزلت مع خادمى . وقد بعث لى جلالة الملك مع فؤاد حمزه عباءة من وبر الجمال مزركشة بالذهب وخنجراً صغيراً محلى بالذهب والفضة من صنع نجد ، هدية منه ، فتقبلتهما بالشكر .

ثم سافرت إلى جدة فى ١٩ منه . وهناك أرسلت برقية شكر للملك .

فأرسل لى الرد الآتى :

جدة — أحمد شفيق باشا

إنى ممنون جداً من برقيتكم لما حوته من العبارات اللطيفة والشعور الحسن وأتمنى لكم سفراً سعيداً ؟

عبد العزيز

ثم ركبت الباخرة إلى محجر الطور الصحى حيث أمضيت به المدة المقررة ومنه إلى السويس فالقاهرة ، وهناك قابلنى ميشيل لطف الله بك فقصصت عليه ما علمته بخصوص البنك والسفارة فشكرنى ، وقال إنه يرى الأصوب حينئذ ترك التفكير فيهما .

حول توحيد المذاهب : وفى يوم ١٠ يوليو وردت إلىّ مذكرة من فؤاد حمزه بالمناقشات التى دارت حول مسألة توحيد المذاهب فيما بيننا ؛ والبرنامج يتضمن :

١ — الحرية الفكرية وفتح باب الاجتهاد .

٢ — القبور والأضرحة وإشعال المسارج وزيارة المقابر .

٣ — النذور وطريقة التصرف فيها .

٤ — الاستغاثة والحلف بغير الله .

٥ — البحث فى تقرير أن العلم لا يناقض الدين .

الرقيب فى الحجاز : وعقب العودة كتبت لجلالته الرسالة التالية :

« من عبد الله الموفق إلى طاعته المتوكل عليه راجى عفوه العميم الأخ فى الدين أحمد شفيق .

إلى حامى حمى الحرمين الذائد عن حوض الإسلام حضرة صاحب الجلالة عبد العزيز ابن السعود ملك الحجاز ونجد .

« سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على ذى الجلالة . أما بعد حمداً لله والثناء عليه الذى وفقنى إلى تأدية الفريضة فى ظل جلالتكم . وأنالنى من عطفكم السامى ما لن أبرح أذكره مشفوعاً بالشكر طوال حياتى .

« أرجو أن يسمح لى صاحب الجلالة وأنا المخلص لجلالته الطامح إلى استكمال عظمة

الشرق والشرقيين ومجد الإسلام والمسلمين . بإبداء ملاحظة قد عنت لشخصى الضعيف لعلها تحل محل العناية والالتفات الساميين .

« ذلك إنى ، أثناء أيام تأدية الفريضة زرت بعض شوارع مكة المكرمة ، وردت بعض حواريها وأزقتها فلفت نظرى أثناء ارتيادى لها وجود محال بها أعدت لبيع ما يدعى رقيقاً .

« ولما كانت هذه المسألة الاجتماعية الكبرى مما يمس الدين الحنيف ، وكنت ممن يعنون بكل ما يمسه من الأمور ، أتشرف بأن أبعث لجلالتكم مع هذا بنسخة عربية من كتيب كنت عنيت بتصنيفه باللغة الإفرنسية عن الرق فى الإسلام ، وترجم إلى لغات شرقية عديدة منها العربية والتركية والأوردية على ما أذكر ، ليتصفحه مولاى ويأمر بعرضه على أئمة الدولة السعودية أدامها الله وأعلى شأنها لفحصه وتدبر ما به من النصوص التى استقيتها من الكتاب والسنة .

« وإنى أستلفت أنظار جلالتكم السامية إلى ما استخلصته من أبحاثى فى هذا الكتيب من أن الرق على حاله التى هو بها الآن فى الشرق ليس من الشريعة الحنيفية فى شىء . وهأنذا فى انتظار نتيجة أبحاث السادة علماء الحجاز ونجد لهذا الموضوع الهام .

« ثم إنى أتقدم لجلالتكم بأن رئيس تحرير جريدة « البورص إجيبسيان » التى تصدر فى القاهرة باللغة الإفرنسية قد حادثنى عقب عودتى من الحج حديثاً عن الحجاز وما فيه الآن وعن الحج فى هذا العام فأفضيت إليه بأمور نشرها فى جريدته . وقد رأيت أن أبلغ جلالتكم ما أفضيت به إليه فسلمت نسخة منه إلى معتمد حكومة الحجاز بمصر الشيخ فوزان لترجمته وإرساله إلى جلالتكم .

« ولى الشرف بعد ذلك أن أنبىء جلالتكم أننى قبيل سفرى من مصر لتأدية فريضة الحج تلقيت كتاباً من صاحب الجلالة الإمام يحيى يعتذر فيه عن إرسال مندوبين عن الأقطار اليمانية للاشتراك فى المؤتمر العربى الذى أقمناه بمصر فى الشتاء الماضى لتكريم اللغة العربية وآدابها فى شخص شاعرنا العبقرى أحمد شوقى بك لأن الدعوة لم تصل إليه إلا فى وقت متأخر .

« ولقد أجبت على كتابه بعد عودتى من الأقطار الحجازية ، فيما أجبت به ، أننى علمت أثناء وجودى بالحجاز بتحسن العلاقات بين جلالتكم وبينه بعد أن كانت تلك العلاقات

فى تراخ مما جعلنا هنا ، أعضاء جمعية الرابطة الشرقية ، نفكر فى إرسال وفد منا للسعى فى إصلاح ذات البين . فلما نقلت هذا الخبر السار لإخوانى أعضاء الرابطة ابتهجوا وحمدوا الله وأثنوا عليه على هذه المنة والتوفيق بين زعيمين عربيين كبيرين يتوقف عليهما مستقبل الأمة العربية الكريمة . وهم ، وإياى ، نسأل الله تعالى أن تظل تلك الروابط بينكما على أحسن ما تكون من المتانة .

« وفى النهاية أرجو أن تتنازلوا جلالتكم بقبول أجل تحياتى وأعظم احتراماتى . والحمد لله فى البدء والختام » .

توحيد المذاهب بين جلالة ابن السعود وفضيلة الأستاذ الأكبر : وفى أبريل سنة ١٩٣٨ قرأت فى أحد أعداد المصور حديثاً لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى مع الصحافى السورى « تيسير ظبيان » عن الشئون الدينية المختلفة فى البلاد العربية . وقد لفت نظرى فى هذا الحديث ما ورد عن تعدد المذاهب فى الأقطار الإسلامية والجهود التى تبذل لتوحيدها فكتبت فى عدد المصور الصادر فى ١٦ أبريل سنة ١٩٣٨ كلمة بعنوان « توحيد المذاهب بين جلالة ابن السعود وفضيلة الأستاذ الأكبر » ، فصلت فيه ما دار بينى وبين جلالته من الحديث فى هذا الموضوع مما تقدم ذكره وقلت فى نهايته :

« ولقد حال الخلاف بين الحكومتين المصرية والسعودية دون إتمام هذا المشروع الجليل . والآن ، وقد حل هذا الخلاف ، ثم اتجهت الأفكار إلى توحيد المذاهب الإسلامية ، كما يبدو من حديث فضيلة الأستاذ الأكبر ، فإننى أبسط هذه الذكريات المجهولة ، والذكرى تنفع المؤمنين .

العلاقات بين جلالة ابن السعود وبينى : وقد ظلت العلاقات بين جلالة الملك ابن السعود وبينى متصلة ، فكنت أكتب إليه فى الأعياد مهنئاً فيرد علىّ . ومن هذه المكاتبات أننى هنأته بعيد الفطر سنة ١٣٤٨ هجرية فجاءنى منه الرد التالى فى ١٩ شوال سنة ١٣٤٨ :

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى صاحب السعادة أحمد شفيق باشا المحترم

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد وصلنا كتابكم المؤرخ فى السادس والعشرين من شهر رمضان . وإنا نتقبل تهنئتكم لنا بعيد الفطر بالشكر ، ونسأل الله تعالى أن يعيد هذا العيد والمسلمون متمتعون بعزهم وسؤددهم فى سائر الأقطار ، واقبلوا احتراماتنا الفائقة » .

وفى سنة ١٣٥١ هجرية كتبت إليه الرسالة الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الضعيف الحاج أحمد شفيق إلى حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز المعظم والملحقات ونجد حفظه الله .

« مولاى صاحب الجلالة

« أتشرف بتقديم احتراماتى الفائقة وإجلالى لعظمتكم مع الدعاء بحفظ ذاتكم الشريفة وآل بيتكم الكرام .

« مولاى : كلما أقبل شهر الحج أذكر بالإعجاب ما رأيته بعينى رأسى فى حجى الأخير من استتباب الأمن ونشر العدالة فى الأراضى المقدسة ، وأذكر أيضاً الحفاوة التى تفضلتم بها علىّ . وكيف أنسى كل ذلك وأنا أرتدى الهدية الغاليـة التى تكرمتم بها على هذا الضعيف . فبارك الله فيكم ومد فى حياتكم الطيبة ، متمتعين بكمال الصحة والعافية ، موفقين دائماً فى أعمالكم لخير حجاج بيت الله الحرام .

« وأرجوكم أن تتنازلوا بقبول التهانى بعيد الأضحى والتبريك بالحج المبرور من المخلص لجلالتكم » .

فجاءنى من جلالته فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٥١ الرد التالى :

« من عبد العزيز بن عبـد الرحمن الفيصل إلى حضرة المكرم الحاج أحمد شفيق باشا المحترم .

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد تلقينا كتابكم الكريم المؤرخ فى غرة الحجة سنة ١٣٥١ ، وشكرنا عواطفكم الكريمة بتهنئتكم الطيبة بشهر الحج وعيده . نسأله تعالى أن يعيده على الأمة الإسلامية وهى متمتعة بالعز والسؤدد ؛ والتمكين والقيام بما أمر به الدين من الشرائع والأحكام .

« واقبلوا احتراماتنا الفائقة »

رحلتى إلى قبرص

أثر الحر الشديد فى بلاد الحجاز على صحتى فقررت أن أقضى بضعة أيام فى جزيرة قبرص . وقد علمت أن بها أماكن جبلية على ارتفاع ٢٠٠٠ متر و ١٤٠٠ متر ، فاخترت المكان الثانى واسمه « بلاترس » . وقد سافرت يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٧ إلى بورسعيد ، ومنها أخذت الباخرة التى أقلعت بنا من الميناء فى الساعة الخامسة بعد الظهر .

وفى يوم ٢١ وصلنا إلى ميناء « فماجوستا » . وكان البحر هادئاً ، والجو جميلا . وبعد الإجراءات المعتادة نزلت إلى البلد ، وقادنى أحد الحمالين إلى فندق سافوى الذى سمعت أنه أحسن فنادق هذه المدينة ولكنه كان من فنادق الدرجة الثالثة . وشوارع البلد متسعة ولكنها مملوءة بالأتربة ، ووسائل الحياة الرغدة فيها ليست متيسرة ، فالثلج مثلا لا يحصل عليه الإنسان إلا فى الساعة الخامسة مساء عندما يرد من العاصمة .

وفى صباح يوم ٢٢ أخذت سيارة لصعود الجبل ومعى زميلى إلى « بلاترس » ؛ وقد مررنا بلارنكة وليماسول ، ثم صعدنا الجبل ونزلنا فى فندق هلفسيا ببلاترس ، ونزلت مع زميلى فى حجرة مقسومة من الوسط . ولكن اتضح أن الفندق ليس جيداً . ولم نسترح فى الأكل ، فذهبنا إلى فندق مونت كارلو ، وهو فندق فخم وأخذنا ؛ حجرتين بينهما حمام ساخن .

وقد علمت أن حاكم الجزيرة ، مستر « ستورس » ، سيحضر للتعرف بالنازلين فى الفندق ، وأن هذه عادته مع السائحين كل عام ليرغبوا فى السياحة إلى قبرص .

ولما حضر وعرف بوجودى طلب مقابلتى ، فنزلت وسلمت عليه ، وكانت مقابلة لطيفة . وقد أوصى مدير الفندق بى ، ثم دعانى لتناول الشاى عنده يوم الأربعاء فى الساعة الخامسة فى مقر الحاكم العام فى تودس .

وقد سألت عن الملك حسين وعن أحمد زكى باشا[١٠] رئيس التشريفات الخديوية سابقاً فعلمت أن الأول يسكن « نيقوزيا » والثانى فى « لارنكة » ، فأرسلت له رسالة .

---

١٠ ج ١ ؟ ح ٢ ق ٢ ج ٣

٢٠ م . ح ٢ ق ١ ؟ ج ١

وقد أقيمت فى المساء حفلة راقصة حضرها كثير من النازلين فى الفنادق الأخرى . وفى الصباح قمت برحلة مع زميلى على الأقدام فى ضواحى بلاترس الجميلة .

وفى يوم ٢٥ بدأنا نراجع تقرير اللورد دوفرين تمهيداً لإعداد كتابى « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » .

وفى يوم ٢٧ صعدت بسيارة إلى « ترودس » إجابة لدعوة الحاكم العام . وقد حضر الحفلة سبعة من الإنجليز ؛ وبعضهم ممن كانوا فى مصر .

وسألنى مستر «ستورس» عن مدة إقامتى ، فأخبرته أننى أنوى قضاء شهر أغسطس ، فقال : حينئذ نتقابل .

وفى أثناء الحديث جاءت مناسبة فقلت : إننى أعلم أن الحكومة تعنى بتربية الدجاج والديكة الرومية ، وإننى أرغب فى شراء عدد منها ؛ فوعد أن تسهل لى الحكومة ذلك .

ثم سألنى عن علاقاتى مع الخديو السابق ، فأخبرته أنها قطعت من سنة ١٩٢٠ .

وفى يوم ٢٩ ورد إلىّ ظرف بداخله فهرست الكتب المختصة بجزيرة قبرص ، ومعه خطاب من مدير دار الكتب بها إلى مدير دار الكتب المصرية يطلب إكمال الفهرست بما يكون عنده من هذه الكتب . ومع هذا رسالة من حاكم الجزيرة يطلب منى فيها أن أتوسط فى طلب الرد قريباً . وقد أرسلت إلى مصر فى ذلك

وفى يوم ٣١ صعدت مع زميلى إلى الجبل فى سيارة إلى « كيكوز » على ارتفاع ١٥٠٠ متر . وقد وجدنا فى القرى التى مررنا بها بعض المسلمات يضعن النقاب على وجوههن وبعضهن سافرات ؛ ولكن عند مقابلة الرجال يجلبن طرف الرداء على وجوههن .

وفى كيكوز كنيسة قديمة شهيرة ، وقد علمنا أنها غنيـــة لأن لها أراضى زراعية وأملاكا ، ولهذا فإنها تضيف الزائرين من الأهالى أو الأجانب ، وقد طلب إلينا رئيسها فعلا أن ننزل فى الضيافة يومين فاعتذرنا وعدنا .

وفى أول أغسطس ورد لى رد على رسالتى من أحمد زكى باشا ، يخبرنى فيه أنه مريض وهو يستشفى بالقرب من « بلاترس » وسيعود إلى منزله الخلوى بالقرب من « لارنكة » وأنه يسر لو زرته لتناول الغداء . وقد حصل فى يوم ٧ ؛ وكان دليلى أحد الأروام الذى أخبرنى أن المسافة تستغرق ساعة ونصف ساعة على الأقدام ، وقد اخترقنا حدائق جميلة على الجبل . وبعد زيارته عدت ماشياً كذلك .

وفى يوم ١٠ حضر الملك فيصل إلى قبرص لزيارة والده الملك حسين . فرجانا صاحب الفندق أن نخلى الحجرتين يومين لينزل بهما الملك لأنهما أحسن غرف الفندق ، فوافقنا .

ولما نزلت إلى بهو الاستقبال وجدت الملك بين حاشيته ، فنهض وسلم علىّ وأجلسنى بجانبه ؛ وكانوا يتناولون الشاى ، ومن بين الموجودين عبد الحميد أباظه بك .

وقد ساقنا الحديث إلى شئون الشرق ، فتذاكرنا فى مسألة المؤتمر العربى القادم وتوحيد المناهج (وقد فصلت ذلك فى فصل آخر) .

وفى صباح يوم ١١ نزل الملك للتوجه إلى « نيقوزيا » لزيارة والده . وقبل ذلك تحادثنا فى بعض الشئون وطلب أن أوافيه ببعض مؤلفاتى وبمذكراتى التى كانت تنشر بالأهرام فقلت : إنها ستطبع فى كتاب وسأهديه إلى جلالته عند طبعه .

ثم تحادثنا عن الرابطة الشرقية ، فصارحنى بأن بعض الناس يعلن أنها — مع استثناء بعض الأعضاء — جمعية لادينية ، أو أنها فرنسية ، وأن لها باطناً غير ظاهرها . فقلت : إن أحداً لم يقل إنها فرنسية ؛ ولكن الذى ادعى أنها لادينية هو الشيخ محمد بخيت*١ ، وأعلمته بسبب هـذا ، وهو مسألة الشيخ على عبد الرازق . ثم قلت : وبعض الناس يعتقدون أن الدكتور منصور فهمى لادينى بسبب كتاب كان قد نشره كرسالة ينال بها الدكتوراه . فقال : وطه حسين*٢ ؟ فأجبت بأنه ليس عضواً بالرابطة . فقال : أنا أخبرك بما سمعت حتى تتلافوا هذه الإشاعات . فشكرته .

وفى يوم ١٤ قمنا برحلة على الأقدام إلى قرية « بيرابيدى » فسرنا إليها بين الجبال . وهناك جلسنا فى مقهى تحت ظلال الأشجار وتناولنا بعض المرطبات . والقرية مشهورة بكثرة بساتينها وبشجر التفاح ، وفيها معامل للنبيذ . وكانت بعض رحلاتنا على الأقدام تستغرق ست ساعات ذهاباً وإياباً فى الجبال .

وكنت قد كتبت إلى الحاكم العام بأننى سأسافر إلى « نيقوزيا » لشراء الطيور ، فجاءنى يوم ١٦ منه مدير الفندق ومعه تركي قدمه إلى ، وهو منير بك مدير الأوقاف بالجزيرة . وبعد التعارف أخبرنى أنه مكلف من الحاكم العام بتسهيل كل طلباتى .

وقد حادثته فى شئون الأوقاف فعلمت أن غلتها نحو ١٢ ألف جنيه ، ينفق منها على ٤٠٠ مسجد وعلى مساعدة التعليم .

---

١ م . ج ٢ ق ٢ ؟ ٣

٢ م . ج ٢ ق ٢

واستعلمت عن تربية الطيور وعن الفنادق فى « نيقوزيا » . واتفقنا على أن أمر به فى إدارة الأوقاف وهو يسهل لى كل شىء . ولما علم أننى سأقابل الحاكم طلب أن أخبره بزيارته لى لأنه شدد عليه فى مقابلتى .

وقد وردت إلىّ فى يوم ٢٠ تذكرة دعوة لمقابلة مستر ستورس يوم ٢٢ منه .

وفى يوم ٢١ خرجنا ومعنا عبد الحليم العلايلى بك (الذى حضر ونزل بالفندق) قاصدين شلال « كاليدونيا » عن طريق الجبل سيراً على الأقدام ؛ ولما قاربنا قمته سمعنا دوياً شديداً فنزلنا إلى مصبه حيث تسقط المياه من علو عشرة أمتار بقوة بين الصخور ، فجلسنا هناك معجبين بهذا المنظر ، وأخذنا صورة الشلال ثم صورتى وصورة عبد الحليم بك جالسين متقابلين على الصخور وبيد كل منا عنقود من العنب . وبعد تناول الغداء عدنا للفندق .

وفى يوم ٢٢ ذهبت لتلبية دعوة الحاكم . وبعد أن تحادثنا عن قبرص ومشاهداتى بها أخبرنى أنه كلف منير بك وآخر اسمه فؤاد افندى بمرافقتى فى كل الأمكنة التى أريد زيارتها ، كالمساجد ودار الكتب وحظائر تربية الطيور .

ثم تناول الحديث سكان الجزيرة ، فقال إنه يحب المسلمين ويميل إليهم أكثر من الأروام ، وأن الإنجليز يفضلونهم فى إدارات المصالح لأنهم أقلية فتجب مساعدتهم . فقلت فى نفسى : هذه هى سياسة إنجلترا فى كل مكان ، وهى تشجيع الأقليات .

وأخيراً سألنى عن يوم سفرى ودونه فى مذكرة ليصدر أمرا للجمرك بالتسهيلات اللازمة ، فشكرته وودعته .

وفى يوم ٢٦ قصدنا إلى « نيقوزيا » بالسيارة ، فتوجهت إلى إدارة الأوقاف وقابلت منير بك الذى ركب معنا وقصدنا حظائر الطيور فلم نجد إلا دجاجا إنجليزياً انتخبنا منه نوعين أبيض وأحمر ، واتفقنا مع المدير على إيصالهما فى قفص إلى «فاماجوستا» . ثم توجهنا إلى فندق جورج فتغدينا واسترحنا ، ثم طفنا بالمدينة ؛ وهى ذات طرقات متسعة وفيها كذلك طرقات ضيقة . والقسم الجديد بها مرتفع وجميل ، وبه مساكن الإنجليز ، ومن بينها مسكن الملك حسين . وقد شاهدنا فى نيقوزيا مسجد باسم أياصوفيا وكان قبلا كنيسة . وزرنا دار الكتب الموقوفة من السلطان محمود وفيها كثير من الكتب الخطية فى الفقه والتفسير وكتب دينية مطبوعة ومجلدة تجليداً فخما . وكذلك زرت دار الكتب الحديثة وهى فقيرة وصغيرة .

وفى يوم ٢٧ زرت الملك حسين ، فقابلنى أحسن مقابلة ، وقال إن أولاده بشروه بزيارتى له . وهو فى صحة جيدة وقد ابيضت لحيته . وبعد تناول القهوة دارت الأحاديث بيننا فأخبرنى بأنه لما تنازل لولده على ذهب إلى العقبة ليقيم بها ، ولكن الإنجليز أفهموه أن ابن السعود يدعى أنه يقيم هناك استحكامات ، ولهذا سيرسل جيوشه لمحاربته وأشاروا عليه بترك العقبة ، فطلب منهم أن يختاروا له بلداً غير مصر وتركيا وأوربا ، فانتخبوا قبرص . وهو مستريح بها ، وهواؤها يوافق صحته ، وأنه يدفع شهرياً ٢٠ جنيهاً فقط أجرة سكنه الفخم إذ به جناحان واحد للحريم والآخر للرجال ، كأنه سراى مستقلة .

ثم تكلمنا عن الرابطة الشرقية فقال : إن مصر قلب الشرق ، فواجبها أن تسير إلى الأمام لمنفعته ، ولا تلتفت إلى بقية الجهات لأن أهلها لا يفهمون معنى التعاون . ولكنه انتقد إرسال الشبان المصريين بكثرة إلى أوربا لأنهم يعودون إليها ضعفاء العقيدة والدين .

وفى النهاية ودعته واستأذنت فودعنى بحرارة وطوقنى بذراعيه .

وفى يوم ٢٨ ركبنا إلى « كرينيا » ، فوصلنا بعد ساعة وبضع دقائق ، فزرنا كنيستها الأثرية والقلعة بترخيص من قومندانها ورافقنا أحد الجنود الذين يعرفون التركية . وهى قلعة ضخمة ومجهزة بالأسلحة ؛ ومنها عدنا إلى « نيقوزيا » .

وفى يوم ٣٠ ذهبت لزيارة أحمد زكى باشا حيث ينزل بقرية « الكتريكو » قريباً من « لارنكة » . فاستقبلنى باشتياق وقدم لى زوجته وهى من أهالى قبرص . ولمنزله الخلوى حديقة متسعة بها كثير من أشجار الفاكهة وبها عين ماء . وقد طلب منى أن أرسل له كتاب الحوليات والمذكرات عند طبعها . وعلمت أنه منزو لا يقرأ إلا المقطم ولا يشتغل بشىء البتة لأن نظره ضعف ، وهو يتحاشى زيارة من يظن أنهم سياسيون .

وبعدها ذهبنا إلى « فماجوستا » لزيارة آثارها وأهمها كنيسة من طراز « الجوتيك » لها ثلاثة أبواب جميلة حافظة لشكلها ، وجزء منها حول إلى مسجد باسم « أياصوفيا » وعليه مئذنته .

وفى يوم ٣١ ركبت من « فماجوستا » الباخرة عائداً إلى مصر . وقد وجدت كل التسهيلات فى الجمرك لتسلم الدجاج الذى اشتريته . ووصلت بورسعيد يوم ٢ سبتمبر .

روضة شفيق

إنشاؤها وافتتاحها

اهتممت بإنشاء روضتى منذ سنة ١٩٢٦ ؛ وأخذت فى غرس الأشجار بها فى العام التالى . وفى بناء قصر الروضة عام سنة ١٩٢٨ حتى لقد استغرق هذا مجهودى فى هذه السنة .



En 1929

accueillera avec sourons et gros dos comme autrefois le 30 Mai à 5 heures pr. mc dans les jardins de son nouveau greniers Mesdames les souris et Messieurs les rats.

On dansera sur les toits

Choubras sur le Nil

صورة الدعوة

وفى ٢٣ مايو سنة ١٩٢٩ أرسلت أوراق الدعوة لافتتاح الروضة والقصر . وكانت الدعوة من صورتين : واحدة بالعربية وهى بسيطة . والثانية بالفرنسية وهى رمزية بشكل قط مربوط بأول الاسمين "A & C" وأمام فم القط "Fik" وهو صوت القط ، فيكون المجموع "Chafik" ، وقد وضع تصميمها رسام اسمه « رافون » ، ووقع بأن رسم فأراً واسمه بالفرنسية "Rat" وأمامه "Von" فيكون المجموع رافون . وكنت قد استعملت هذه الدعوة فى حفلة زواجى سنة ١٨٩٤ كما هو مبين بالجزء الثانى ، ص١٧٣ . فغيرت فقط صيغة الدعوة وأرسلتها إلى نحو ١٨٠ مدعواً .

وقد لاقت استحساناً ممن رأوها من المصريين والأجانب .

وفى يوم ٢٨ أوصيت ديوان الأوقاف على موسيقى الملجأ ، وهى مؤلفة من ٤٠ عازفاً لاستقبال المدعوين وتشنيف أسماعهم بألحانها .

وفى يوم ٣٠ لبى الدعوة مائة وخمسون يتقدمهم من رجال الشرق الرسميين حضرات السادة الشيخ فوزان السابق وكيل مملكتى الحجاز ونجد وملحقاتها ، ورشيد بك الخوجة قنصل العراق فى مصر ، ومن العظماء والكبراء والأعيان أصحاب المعالى والسعادة والعزة أحمد مدحت يكن باشا ، ومحمد طلعت حرب بك (باشا) ، وتوفيق رفعت باشا ، وأحمد زكى باشا ، وعثمان مرتضى باشا(١) ، ومنصور شكور باشا(٢) ، وأحمد عمر بك مدير التنظيم ، والدكتور سيد كامل بك ، وأحمد فهمى العمروسى بك ، وكامل غالب بك المفتش العام لرى قبلى ، والأستاذ حسن حسنى المحامى ، وأنطون الجميل بك ، والأستاذ نسيم صيبعة (٣) والدكتور منصور فهمى (بك) ، والدكتور عبد الرحمن شهبندر (المرحوم) ، ومحمود سالم بك والأستاذ يوسف أحمد ، والدكتور فريد رفاعى بك ، والدكتور عبد الحميد سعيد (٤) (المرحوم) رئيس جمعية الشبان المسلمين ، والسيد محمد الليثى ، وميرزا مهدى رفيع مشكى بك . ومن حضرات السادة العلماء : السيد عبد الحميد البكرى (المرحوم) ، والسيد محمد رشيد رضا ، والسيد محمد زبارة المندوب اليمانى ، والأستاذ مصطفى عبد الرازق بك (٥) ، والأستاذ على عبد الرازق(٦) ، والشيخ محمود أبو العيون ، والشيخ إبراهيم اطفيش ، والشيخ على سرور الزنكلونى (٧) وغيرهم . ومن السيدات والآنس : مدام شكور باشا ، والآنسة مي ، والدكتورة صيبعة ، ومدام سان بوان ، وغيرهن .

وقد ألقيت كلمة جاء فيها :

« سيداتى وسادتى :

أرحب بحضراتكم أحسن ترحيب ، وأشكركم على تلبية دعوتى لحضور هذه الحفلة المتواضعة بمناسبة افتتاح روضتى وقصرى على ضفة نيلنا المبارك ، بين سمع الطبيعة وبصرها.

---

١٠ م ج ٢ ق ٢ ؟ ج ٣
٢٠ م ج ٢ ق ٢
٣٠ م ج ٣
٤٠ م ج ٢ ق ٢
٥٠ م ج ٣
٦٠ م ج ٣ والحولية الاولى
٧٠ م ج ٣

أمّا الروضة فتبلغ مساحتها ثلاثة وثلاثين فدانا ونصف فدان تقريباً ، اشتريت ثلاثة منها بسعر الفدان الواحد ألف وثمانمائة جنيه زمن المضاربات سنة ١٩٠٥ ، ثم أضفت إليها ٢٠ فداناً تقريباً سنة ١٩٢٢ بسعر الفدان ٣٥٠ جنيهاً ، وفى العام التالى ابتعت الباقى بسعر ٨٠ جنيهاً تقريباً للفدان .

كانت هذه الأراضى تستخدم فى زراعة الخضر ، وكان إيجار الفدان ١٨ جنيهاً فى السنة . ثم زاد إلى ٢٠ ولما استعضت من السواقى بماكنة بخارية وصل إلى ٣٠ جنيهاً بما فى ذلك أجرة الرى .

فى هذا الحين أشار على صديق الشاب النابه السيد أحمد مراد البكرى أن أستبدل بزراعة الخضر زراعة شجر الفاكهة لما فيها من الفوائد المادية التى لا يستهان بها .

وكانت وزارة الزراعة تشجع أصحاب الأراضى على إنشاء البساتين بما تقدم لهم من المساعدات والإرشادات ، مما عاون على الإكثار منها . فاستعنت الله تعالى وبدأت عام ١٩٢٧ بزراعة أربعة أفدنة ونصف فدان موزا ومانجو وموالح من الأنواع الممتازة ؛ وفى العام التالى توسعت فأضفت إليها ٢٢ فداناً .

وصيانة للأرض من أكل النيل مدة الفيضان أقمت هذا الرصيف على شاطئه مما زاد فى جمال الروضة وموقعها .

وما ادخرت وسعاً فى جلب خير الأشجار إليها من قسم البساتين ومن أشهر جنائن مصر ، وخصوصاً جنينة المرحوم منشاوى باشا بالقرشية ؛ كما أننى جلبت أحسن أنواع الموز والمانجو من جاوة ومن الهند ولو أن أغلبه مات . وفى هذا العام زرعت باقى الأطيان فأخذت الأرض زخرفها وازينت . وفى الحق قد بذلت مجهوداً كبيراً ومصاريف كثيرة فى تنفيذ هذا المشروع ، إلا أننى مغتبط بسمعة روضتى الفنية وشهرة موزها فى أسواق العاصمة . وفى هذا المقام أذكر بالشكر والثناء رجال قسم البساتين ، فقد لقيت — ولا أزال ألقى — منهم كل العون فى تنظيم روضتى والإشراف عليها .

أما هذا القصر فليس فيه ما يستوجب الحديث عنه لأنه فى غاية البساطة . ويكفيه شرفاً أنه وسعكم ضيوفاً كراماً — بارك الله فيكم ، وحفظ لى مودتكم » .

فصفقوا طويلا . وبعد ذلك تكلم الأستاذ العمروسى بك شاكراً مثنياً على المجهود الذى تتجلى فيه همة الشباب وحكمة الشيوخ .

ثم أخذت صورة المدعوين على سلالملك القصر ؛ ودخلوا غرفة أعد فيها مقصف حوى أنواع الحلوى والمثلجات فتناولوها وهم مسرورون مبتهجون ، ثم عادوا إلى مجالسهم وصعد بعضهم إلى سطح القصر لمشاهدة غروب الشمس وجماله الفتان .

وقد نشرت الأهرام فى اليوم التالى كلمة عن الحفلة جاء فيها :

« قال الجمهور الكبير الذى لبى مساء أمس دعوة حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا ، رئيس الديوان الخديوى سابقاً ، إلى افتتاح قصره وروضته فى شبرا : لقد صدق سعادة الداعى فى دعوته ، فإن لشفيق باشا الآن قصراً فى شبرا بعد روض الفرج يشرف على النيل إشرافاً تاماً ، وتحيط به روضة مساحتها ٣٣ فداناً ممتدة على النيل حول ذاك القصر .

وقد كان هؤلاء المدعوون من الكبراء والعظماء والأدباء والعلماء ، والمدعوات من كريمات العقائل والسيدات المسيحيات نحو ١٥٠ شخصاً ، فلما اجتازوا جسر شبرا بين موقع قصر الأميرة زينب بنت محمد على وقصر الأمير حسن عرفوا أنهم دخلوا الروضة من الأعلام الخافقة على طريقهم ومن الموسيقى الجالسة فى السرادق على الجسر تعزف لتحيتهم .

فى الطريق الجميلة المؤدية إلى القصر بين أشجار الموز والبرتقال والمشمش والتفاح وسواها والأزاهر والرياحين وعلى مجرى الماء فى أقنية من جانبى الطريق سار المدعوون وهم يحسون بابتسام الروض لهم وابتسام الجو فوقهم إلى أن رأوا ابتسامة حضرة صاحب الدعوة أمامهم يرحب بهم معه أصدقاؤه وصديقاته ، ويرحب بهم كل شىء حتى ماء النيل لدى أطلوا عليه من قاعات القصر ورحباته ومدارجه إلى الحديقة الجديدة .

واتفق للمدعوين جميعاً إلى هذه الحفلة ماينذر أحياناً اتفاقه من رحابة الصدر والبشاشة وصفاء الجو والنسيم العليل المنعش ورفع الكلفة والتآخى والتهانى وعزف طلبة نادى الفنون الجميلة فى داخل القصر وموسيقى الأحداث فى خارجه ، فكان السرور شاملا ، والفرح كاملا ، وكانت ساعات هى من ساعات الجنة كما قال أحد الأدباء لأحد العلماء .

ويصعب علينا أن نذكر جميع المدعوين لأنهم جميعاً يستحقون الذكر ؛ ولكن الأحاديث الطيبة تذكرنا ببعضهم ؛ فرأينا معالى مدحت يكن باشا يحدثه صاحب العزة طلعت حرب بك (باشا) عن جمال المكان .

ولبنك مصر إلى جانب روضة شفيق غرباً ٢٧ فداناً ، وكان البنك قد عزم على بناء معمل للورق فيها لو لم نحل الشروط الصحية دون ذلك وقول طلعت بك : « لو أنا زدنا ثمن هذه الأرض خمسمائة جنيه لكانت كلها لبنك مصر » .

وإذا سمعت طلعت حرب بك يتحدث فقد أرسل بنظرك إلى المستقبل وإلى المشروعات النافعة كقوله : لماذا لا يكون غداً من أرض البنك وروضة شفيق « جاردن شبرا » كما وجدت « جاردن ستى » .

وإذا سمعتم شفيق باشا يرحب بضيوفه ويبسط كيف اشترى هذه الأرض من سنة ١٩٠٥ إلى اليوم أراك سلم الصعود والهبوط فى ثمن الأراضى وفعل المضاربات . ففى سنة ١٩٠٥ اشترى سعادته ثلاثة أفدنة هناك ودفع ثمن الفدان الواحد ١٨٠٠ جنيه ؛ وفى العهد الحاضر اشترى البقية ولم يزد ثمن الفدان على ٣٥٠ جنيهاً .

وإذا سمعته يتكلم عن الموز والأشجار التى أتى بها ، وعن إدارة البساتين وعملها ، فيخلص إليك من حضرة صاحب السعادة عثمان مرتضى باشا قوله : إن أخانا شفيق باشا ألف منذ الصبا البيان الشافى والتفصيل الوافى . فيؤمن عبد الرحمن فهمى بك ، وعلى الرفاعى بك على كلامه .

وإذا ألقيت نظرة على إحدى زوايا الفناء رأيت سماحة السيد البكرى ، وأحمد زكى باشا ، ومحمود سالم بك ، والدكتور منصور فهمى ، ومهدى رفيع مشكى بك ، والسيد على عبد الرازق ، والسيد مصطفى عبد الرازق — وبالجملة رجال الرابطة الشرقية يحيطون بالسيد محمد زبارة الرسول اليمانى والأستاذ الحرارى وغيره من اليمانيين فى مصر والدكتور شهبندر وإخوانه .

هكذا يجلس المتجانسون كل فى مجلسه كجلوس السيد رشيد رضا والأستاذ الزنكلونى والأستاذ أبو العيون ، وغيرهم من العلماء إلى الجانب الشمالى من الفناء .

كذلك ترى أنطون الجميل بك ، والأستاذ أميل زيدان[١٠] والعمروسى بك وغيرهم من الأدباء والكتاب والشعراء يتحدثون ويتسامرون .

وترى فى القاعة (قاعة السيدات) تغطيها المشربية وهن جلوس مع مدام شكور باشا ، والآنسة مىّ ، ومدام برتى وغيرهن وقد احترمن الحرم وعزلته إلا مدام سان بوان فإنها بين أعضاء الرابطة الشرقية تجالس السادة اليمانيين » .

---

١٠ م ٠ ج ٣

المهرجان السبعيني

وصف الحفلة . هدية الرابطة . قصيدة شوقي بك . كلمات الخطباء وردي عليها . رسالة الأمير عمر طوسون . أقوال الصحف . تحية الآنسة مي . شعوري في سن السبعين

* * *

في يوم ١٨ مايو سنة ١٩٣٠ بلغ عمري سبعين عاماً . وقد رأيت بهذه المناسبة أن أحتفل ببلوغي هذه السن في مهرجان بروضتي على النيل يضم الإخوان والأصدقاء .

وقد لبى الدعوة زملائي أعضاء الرابطة وجمع كبير من خلاصة أهل الفضل من الأصدقاء يقاربون المائتين . وكنت استقبلهم مع أعضاء الجمعية ومن بينهم من وزراء الدول المفوضين والقناصل الأجانب المسيو هنري جايار ومدام جايار والمستر شتورز وعقيلته وسفير إيران وسكرتيره وقنصل العراق وسكرتيره ومدير الكلية الأمريكية والدكتور مايرهوف طبيب العيون والمسيو فوشيه وعقيلته والمسيو برتيه وعقيلته والمسيو ادجار جلاد رئيس تحرير الليبرتيه والآنسة شقيقته والمسيو إراداشير والكونتس دي رافنيل ومسيو جورج خير وعقيلته والمسيو برنار ميشيل . ومن المصريين فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي[١] وتوفيق رفعت باشا وزير المعارف السابق ومحمود صدقي باشا محافظ العاصمة وإسكندر باشا فهمي[٢] وعبد الخالق مدكور باشا[٣] وحسن باشا سعيد وراغب بدر باشا وإسماعيل شرين بك وحفني محمود بك[٤] وأحمد شوقي بك أمير الشعراء والدكتور الشوربجي بك ومحمد بك وجيه[٥] وتوفيق اسكاروس بك والدكتور محجوب ثابت ومحمد بك ذو الفقار والسيد البلاوي[٦] وأحمد بك عمر والأستاذ إسعاف النشاشيبي ومحمد مسعود بك ومصطفى منير أدهم بك وفؤاد سليم بك[٧] ويوسف أوغسطين والآنسة سيزا نبراوي .

حتى إذا انتصفت الساعة السابعة من بعد الظهر أخذت صورة تذكارية وأديرت أقداح المرطبات على الحاضرين وكانت مختلف الموسيقات الشرقية تعزف أنغامها الشجية . فمن موسيقى القرب والطبل البلدي والمزمار ومن الربابة إلى مغني « المواليا » المشهور محمد

---

١ م ٠ ح ٣ ٣٠ م ٠ ح ق ٢ ٥٠ م ٠ ح ٢ ق ٢٠ ٧٠ م ٠ ح ٢ . ق ٢ ج ٣
٢٠ م ح ٣ ٤٠ الحوليات ٦٠ م ٠ ح ٢ . ق ٢

العربى — وقد أردت بهذا أن يكون المهرجان جامعاً لألوان الطرب الشرقى الذى اهتز له المدعوون وأعجبوا به وخصوصاً الأجانب .

وفى منتصف الساعة الثامنة افتتح الكلام حضرة صاحب السماحة السيد عبد الحميد البكرى مقدماً تذكار الرابطة الشرقية المنشورة صورته هنا



هدية جمعية الرابطة الشرقية

ثم تبعه الأستاذ أحمد فهمى العمروسى بك ، فالأستاذ صالح جودت بك ، ففضيلة السيد محمد رشيد رضا ، فالأستاذ نسيم صيبعة ، فسعادة أحمد زكى باشا . ثم ألقيت كلمة شكر انصرف بعدها المدعوون إلى المقصف الفاخر الذى كان معداً لهم فى منتصف الساعة التاسعة تقريباً . وبينما يتناولون ما لذ وطاب إذ وقف الأستاذ الفاضل إسعاف النشاشيبى بك فألقى كلمة أتبعها بالأبيات الآتية لأمير الشعر شوقى بك :

قصيدة شوقى بك :

طلع الشرق علينا من سماء المهرجان
هو فى روض شفيق معنا يهدى التهانى
وكما راق بنيه راقه طيب المكان
أنت يا « أحمد » فى مصر « جبرتى » الأوان
أنت قربت لنا أمس وما كان بدان
قد نسيناه وما مر به من حدثان
إن سبعين تقضت لم تكن غير ثوان
هى كاللحظة إن قيست إلى عمر الزمان
أنت فيها غارس مثلك فى العشرين بان
لم تزدنا كل يوم غير آثار حسان

كلمة السيد عبد الحميد البكرى : حضرات الإخوان ، أيها الصديق الكريم :

فى هذا اليوم السعيد الذى طلعت شمسه تؤذن ببلوغك السبعين من حياتك الطيبة المباركة ، وفى هذا الملأ الحافل بالبررة الأوفياء من الأصدقاء ، يسرنى أن أقدم لك من التحية أطيبها ، ومن الأمانى أصدقها ، ضارعاً إليه تعالى أن يمد فى عمرك عداد ما له من أثر نافع ، وعمل صالح . كيف لى فى هذا المقام أن أعرض لحياتك الحافلة بجليل الأعمال ، هذه الحياة التى تزداد على تطاول الأيام نمواً وإنتاجاً ، وعلى كر الأعوام همة وإقداماً ،

فإن كان لى أن ألم بطرف من عملك المجيد ، فهذه هى آثارك التى تشهد بنهوضك بجمعية الرابطة الشرقية واضطلاعك بأعبائها منذ تأسيسها إلى الآن .

من أجل ذلك كان حقاً على هذه الجماعة أن تذكر لك هذه اليد البيضاء ، شاكرة لك حسن صنعك وجميل عطفك ، راجية أن تقبل هذا التذكار الذى أوحى به عرفان الجميل . واهنأ أيها الصديق الحميم فى يومك هذا السعيد بما أولاك الله من فضل وتوفيق ، وبما ترعاك به الأصدقاء من حب وولاء واحترام .

كلمة الأستاذ احمد فريحى العمروسى بك : أيها السادة

ليس أحمد شفيق باشا من الرجال المجهولين فى مصر حتى نتكلم عنه طويلا . ولكنا نذكره فى ناحية واحدة من نواحيه الكثيرة . ذلك أنه من أفذاذ رجال مصر المعروفين بالعلم والعمل بما يبذله دائماً من جهود شخصية ، ونشاط فكرى ، وبما امتاز به من فهم الدنيا وإدراك معنى الحياة .

أما إدراكه لمعنى الحياة فيكاد ينحصر فى الجد والعمل . علم — أطال الله عمره — أن الإنسان خلق ليعمل ، وأن الدنيا مصنع من مصانع هذا الكون يديره العقل والتفكير . فإذا لم يلج الإنسان هذا الباب بقي على هامش الدنيا ، وخارج منطقة الحياة ، وكان مثله كمثل الآلة المتقنة الصنع ، المهيأة للعمل ، ولكنها تركت عاطلة ، فتراكم عليها الصدأ حتى أكلها فلا تلبث أن تفقد كل خاصة من خواصها النافعة .

لذلك كله وقف شفيق باشا نفسه على العمل منذ نشأته .

فلقد رأيناه فى إدارات الحكومة من أكبر العاملين المجدين المخلصين .

ورأيناه مؤلفاً نادر المثال فى البحوث الاجتماعية والسياسية . وأريد فى هذه العجالة أن أذكر علماء الدين والاجتماع بكتابه الجليل وهو « الرق فى الإسلام » .

ويحسن بى فى هذا الصدد أن أذكر لحضراتكم السبب الذى من أجله ألف شفيق باشا هذا الكتاب .

ذلك أنه بينما كان طالب علم فى باريس زار كنيسة سان سلبيس (Saint Sulpice)

فى أول يوليو سنة ١٨٨٨ ، فسمع كردينالا كان رئيس القساوسة فى الجزائر فى ذلك الحين يلقي محاضرة عن الرقيق قال فيها ما يأتى :

« إن الرقيق انتشر فى إفريقية منذ عشرسنين انتشاراً مروعاً حتى بلغ مليونى نسمة . وإذا استمرت الحال على هذا المنوال مدة خمسين عاماً فلن يبقى فى تلك الأرجاء إنسان حر » . إلى أن قال :

« لم يزل الرق موجوداً على حدود مصر ، وفى زنجبار ، وبلاد العرب ، وعلى ساحل البحر الأحمر » . وانتقل من ذلك إلى الطعن فى الدين الإسلامى الذى يبيح سوء معاملة الأرقاء حسب زعمه هو ، ونصح للمستمعين بمحاربة الرق وتحرير الأرقاء .

فلاحظ شفيق باشا ما فى هذا الكلام من المغالطة والتهجم على الدين الإسلامى ، فجالت فى نفسه فكرة لتأليف كتاب فى هذا الموضوع يبين حقيقة الرق فى الإسلام . وما زال هذا الرأى يغيب ويختمر فى نفس الباشا حتى أتم دراسته بأوربا ورجع إلى مصر وأخذ يكتب رسالته عن الرق فى الإسلام باللغة الفرنسية رداً على مزاعم ذلك الكردينال .

وقد لاقى ذلك الكتاب من جميع المقامات تشجيعاً عظيما حتى إن الدكتور أباته باشا ، وهو رئيس الجمعية الجغرافية المصرية إذ ذاك ، طلب إليه أن يلقى محاضرة عامة بدار الجمعية مقراً ما فى الرسالة من الآراء الصائبة مع أنه مسيحى كاثوليكى . فألقى المحاضرة الأولى فى هذا الموضوع فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩٠ على جم غفير من كبار القوم الذين كان من بينهم ذو الفقار باشا ناظر الخارجية ، والغازى أحمد مختار باشا ، وأعضاء صندوق الدين ، ويعقوب أرتين باشا ، وإسماعيل الفلكى باشا ، وونجت بك ، ولطيف سليم بك ، وحسن عاصم افندى ، وقاسم أمين بك .

وإذا كان لى أن أذكر حضراتكم بهذا الكتاب الذى ألفه سعادة الباشا منذ أربعين عاماً فلست بحاجة إلى أن أذكركم بكتاب له جليل الخطر ظهر جزء عظيم منه الآن يدل على مجهود الشباب وحنكة الشيوخ ، وهو كتاب « الحوليات » الذى جمع حوادث مصر الأخيرة بكل دقة ومهارة مع بعد عن التحيز وتحر للصواب .

وبالاختصار فإن شفيق باشا فى هـذا اليوم السعيد طوى سبعين عاماً نشر فى خلالها من صحائف الأعمال النافعة ما ينهض دليلا ناطقاً وبرهاناً ساطعاً على قوة حيويته ونشاطه ومثابرته على العمل حتى وهو فى إبان شيخوخته .

وليس شفيق باشا عالماً فحسب بل هو أيضاً رجل اجتماعى إنسانى ، شغوف بالعمـل لخير الجماعات . وإن أثره فى الرابطة الشرقية وفى غيرها وما يبذله فيها من جهود صادقة متتابعة معروف لدينا عموماً لا يخفى على أحد ولا يجحده أحد .

وإنى فى الختام أرجو أن تطول بنا الحياة حتى نحتفل بعيده الثمانينى والتسعينى والمئينى إن شاء الله تعالى ، والله على ما يشاء قدير .

كلمة الاستاذ صالح جودت بك : سعادة الباشا الصديق ، أيتها السيدات ، أيها السادة :

ليس احتفالنا اليوم احتفالا بسنين قضاها صديقنا الباشا ، ولا بأيام عمرها ، ولـكن بآثار حفلت بها أيامه ، ومآثر تحلت بها أعوامه . والمرء مهما طال عمره فذكره بجميل فعله لا بطول عمره ؛ ومهما طالت ثروته فقيمته بما اقتنى من أفعال لا بما خلف من أموال . مثله مثل الشجرة لا ينظر إلى طولها بل إلى ظلها الوفير وثمرها الـكثير .

ونحن إن عددنا حسناتك ، أيها الصديق ، وجدناها تربو فى العد على الأيام . ولا ندعى الإحاطة بها كلها فـكثير منها لا يعلمه إلا الله وحده ، وهى محفوظة فى كتابك ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا ما قدمت يداك لوجهه الـكريم . ولا نحاول تعدادها كيلا نكون من المقصرين ولـكن نكتفى بذكر ما شهد به الملأ لك ، فقد كنت فى جميع أدوار حياتك وفى جميع الوظائف التى وليتها العالم العامل ، والموظف المخلص ، والرئيس الحنون . وكنت لإخوانك ، وما زلت ، الصديق الوفى ؛ تسأل عنهم إذا غابوا ؛ وتقبل عليهم إذا حضروا ؛ وتواسيهم فى جميع ظروف الحياة . وإن كان رأسك قد علاه تاج المشيب فلست ، ياسعادة الصديق ، من الشيب ؛ فلك وإن ابيضت هامتك قلب الشباب نابض بقوة الإرادة وصدق العزيمة ؛ ولك نفس الشباب تواقة للمعالى فى المـكرمات وثابة إلى مجد الفعال الخالدات ؛ ولك صبر الشباب . فمن طول أناة فى البحث ، إلى صبر على مضض التأليف . وتلك حولياتك قد جاوزت مجلداتها الخمسة شاهدة بجلدك ، وتلك قامتك لم تحنها السنون بل قومتها العزيمة ، ورفع هامتها الشرف . وما بك من المشيب إلا خبرة السنين ، وحكمة الدهور ، وصبر الحليم ،

وسعة صدر الفيلسوف ، وبعد نظر الحكيم . وإن ينس الشرق لا ينس جهادك فى ضم أبنائه إلى رابطة تجمع شملهم ، وتلم شعثهم ، وتؤلف بين أقوامهم ، وتوحد بين مصالحهم تلك الرابطة الشرقية التى كنت وما زلت بيننا عمادها القوى ، وعميدها الفتى ، ورأس مالها الغنى ، وناصرها الوفى . فان احتفل بك اليوم بضع مئات من أصدقائك دعوتهم لروضتك العامرة فثق بأن الألوف بل الملايين من أهل بلادك وأهل الشرق يحيون معنا فيك هذا اليوم السعيد ، معترفين لك معنا بالفضل الجزيل ، وداعين لك معنا بالعمر الطويل .

كلمة فضيلة الشيخ محمد رشيد رضا : أيها الأفاضل

إن اسمى غير مدرج فى جريدة خطباء هذه الحفلة المباركة ، وإنما استأذن إخوانى الخطباء فى الاستدراك عليهم بكلمة حق لم يفطنوا لها وما أظن أن أحداً من الباقين يقولها ، وهى أن السبب الأول لبلوغ صديقنا أحمد شفيق باشا هذه السن المباركة التى نسأل الله تعالى أن يطيلها كثيراً ، ممتعاً بالصحة والهمة والنشاط الجسدى والعقلى وانكبابه على العلم والعمل والتصنيف هو الإيمان بالله عز وجل والاعتصام بعروة دينه الوثقى والتقوى ، فهو قد تلقى التعليم العالى فى أوربة (بل فى فرنسة) وسافر إلى أوربة مراراً ؛ وله أصدقاء وعشراء من الأوربيين والشرقيين المختلفى الملل والنحل كما ترون فى هذا الحفل المكرم ، كان مع هذا كله ولا يزال معتصما بحبل الدين يصوم ويصلى ويزكى ، وقد حج البيت الحرام ولم يتدنس بشىء من رذائل السكر والفواحش المفسدة لأجساد الجم الغفير من الشبان ولأنفسهم وأرواحهم بما يقترفون من معاقرة الخمور وغيرها من المنبهات والمخدرات التى هى أقتل منها ، وبما ينغمسون فيه من الفواحش والمنكرات التى لا يعصم منها إلا الدين .

فما نغتبط به ونحتفل له من صحة صديقنا الباشا هو ثمرة الهداية الدينية .

ولا يتم كمال الإنسان إلا بالجمع بين الدين والعلم . وسيرة الباشا العملية الماثلة فى هذه الحفلة حجة على أن الدين لا يمنع صاحبه من حسن المعاشرة مع الموافق له والمخالف فى عقيدته ، خلافاً لما يتوهمه من لا يعرفون من حقيقة الدين القيم شيئاً .

فعسى أن يعتبر بهذا أهل العقل والبصيرة من شبابنا الذين أعرضوا عن هداية الدين

فجنوا على صحتهم وعلى ثروتهم حتى إن أحمد شفيق باشا ليفضل — وهو فى سن السبعين — أبناء العشرين والثلاثين . أطال الله فى عمره ، وجعله قدوة صالحة لأولاده ونابتة أمته ووطنه .

كلمة الأستاذ نسيم صيبعه : سيداتى وسادتى ، قد سمعتم من حضرات الأفاضل الذين تكلموا قبلى شيئاً عما تحلى به سعادة أحمد شفيق باشا من الأخلاق الطيبة والصفات العالية ولكن فاتهم أن يقولوا لكم إنه شجاع وإن شجاعته قد دفعته لأن يسجل على نفسه بخط يده وفى رقاع الدعوة إلى هذه الحفلة الشائقة أنه قطع مرحلة الشباب وذلك فى زمن راجت فيه بضاعة العطار وكثر عدد الذين هم على شاكلتى والذين بالرغم من البياض الذى لعب برؤوسهم يحاولون مغالطة الزمن بالحساب ويريدون — رضى القدر أم لم يرض — أن ينطبق عليهم قول الشاعر العربى « والشيب من قبل الأوان تلثم » .

إذن كان واجباً على أن أذكر له هذه الحسنة أيضاً وأن أغتنم هذه الفرصة السعيدة وأنا فى روضة شفيق الجميلة وعلى ضفاف النيل الخالد المبارك وأمام سيدات وسادة هم من علية القوم لأحيى فيه رجلا يحمل على كتفيه سبعين عاماً من غير أن تقوسها السنون ومن غير أن يتوكأ على عصاه حتى ومن غير أن يعترف للشيخوخة الصالحة بحقها المشروع فى الراحة .

سيداتى وسادتى : استميحكم عذراً إذا سرقت من وقت تقضونه فى السمر وحلو الحديث بضع ثوان لأقضى واجباً آخر تفرضه علىّ ثمانى سنوات قضيتها وأنا أتتبع مجهوداته عن كثب فى جمعية الرابطة الشرقية ولأقول لكم ماذا رأيت !

رأيت فى سنة ١٩٢٢ جمعية الرابطة الشرقية تتكون وتنظم أمورها ويسن قانونها بعيدة عن الأهواء السياسية والنعرات الدينية ؛ ورأيتها تعقد اجتماعاتها وتلقى محاضراتها وتستقبل زائريها فى سراى الخرنفش حيث لقيت من رحابة صدر سماحة رئيسها السيد عبد الحميد البكرى ومن كرم ضيافته العربية ما أدخل فى روع الناس أن جمعية الرابطة الشرقية هى صاحبة الدار ، وأن سماحة السيد البكرى ضيف عليها !

ثم رأيت الجمعية تنتقل إلى دار سعادة شفيق باشا فى شارع سامى فلم يكن حظها فى الدار الجديدة أقل منه فى سراى الخرنفش . تأكدنا أن الرجلين فرسا رهان فى ميدان

العمل لانجاح الرابطة الشرقية ، ولكننا والحق يقال بقينا إلى اليوم لا ندرى أيهما السابق وأيهما الجواد .

تشرفت بمعرفة سعادة شفيق باشا بعد أن قطع سن الشباب ، ولكنى وجدته كما تعرفونه وكما هو الآن محتفظاً بهمة الشباب ونشاط الشباب . رأيته شيخاً جليلا متحلياً بكل ما فى حكمة الشيوخ من معنى . عرفته كل هذه السنوات فلم أسمعه يوماً يغتاب أحداً أو يذكر أحداً بغير الخير . بل كان يجد لكل إنسان مهما كان لونه ومهما كانت عقيدته حسنات يشفعها بالثناء المستطاب . وهذه الصفة الحميدة بل هذه الفضيلة النادرة وحدها كافية لأن تجعلنا ننظر إلى زميلنا وصديقنا سعادة أحمد شفيق باشا بعين التجلة والاحترام . وختاماً نطلب من الله تعالى أن يطيل فى حياته النافعة وأن يسبغ عليه ثوب الشباب الدائم والسلام .

كلمة أحمد زكى باشا : وقد وقف أحمد زكى باشا فألقى كلمة فكهة توفرت فيها خفة الروح وسمو المعنى ورشاقة الأسلوب مع حسن الأداء ، وتحدث عن السر فى تأليف كتاب الرق فى الإسلام وقال : إنه هو الذى نقله إلى العربية إعجاباً بفضل المؤلف الذى برهن بكتابه هذا على حذقه ونبوغه فى اللغة الفرنسية وإيثاراً لنفع أبناء العربية . وعاتب صاحب المهرجان على الاعتراف بالسن لأنه قد كشف عن أسنان زملائه ولداته الذين لايزالون يتظاهرون بالفتوة والشباب !

وانتهى زكى باشا من كلمته بين التصفيق والإعجاب .

كلمتى فى المهرجان : سيداتى سادتى ، قضيت سبعين حجة طويلة مررت فيها بأيام سعيدة وليالٍ هنيئة ، ولكنى أعد هذا اليوم أسعد أيامى فأنا فى جمع من خلاصة أصدقائى وإخوانى ليس فيهم إلا كل بر وفىّ يشاطرنى ما أحمل له فى أعماق نفسى من حب ووفاء .

زملائى الأعزاء رجال الرابطة الشرقية :

يسرنى أن أتوجه بالشكر إليكم على تذكاركم الذى يزيدنى قوة ونشاطاً وسأحفظه بقية حياتى عنوان الثقة الغالية .

كما أشكر حضرات الذين تفضلوا فأطرونى إطراء مبالغاً فيه وأشكر جميع الذين شرفونى والذين حالت أعذارهم دون إسعادى بوجودهم ، فأرسلوا تهانيهم بالبرق وبالبريد .

سيداتى وسادتى : سألنى صديقى الفاضل إسماعيل شيرين بك أن أبسط لحضراتكم ما أعتقده سر النشاط والصحة فى هذه السن المتقدمة . وعندى أن ذلك يرجع إلى أسباب منها اتباعى أوامر الله بابتعادى عن تعاطى المشروبات الروحية . ومما ساعد على ذلك أنه كان لنا جار مدمن لا يعود إلى داره إلا وهو نشوان تتأرجح رأسه بين كتفيه وتسلمها حائط إلى أخرى ولا يكاد يعى ما يقول . وذات ليلة ممطرة رأيته محمولا إلى داره بخفيرين أحدهما من يديه والآخر من رجليه وهو ملطخ بالوحل . انطبعت هذه الصورة البشعة فى ذهنى فزادت نفورى من الخمر وكراهيتى لها ..

ومنها أننى لم أدخن أبداً ، ولم أتعاط القهوة عادة إلا قليلا منها ممزوجاً باللبن ، وقد دهش بعض إخوانى لذلك ، فهمست فى أذنه عن السبب واسمحوا لى ألا أفصح عنه لأنه مما لا يقال إلا بين الرجال ! ومن ذلك أيضاً عدم الإسراف فى ملاذ الحياة فلا فى الأكل كنت نهماً ، ولا فى غيره كنت مسرفاً . وكانت البساطة، وما تزال، ملاك حياتى فاذا لم أصادف الفراش الناعم والخبز اللين رضيت مغتبطاً بالفراش الخشن والكسرة الجافة .

ومنها تعودى الرياضة فأنا مولع بالسير على الأقدام ، أمشى الساعة والساعتين والثلاث فى اليوم فإذا عدت إلى مستقرى أكلت بشهية ونمت براحة مبكراً كما أستيقظ مبكراً .

ومنها أننى لم أتعود التفريط فى وقتى ، فكنت منتظماً فى ساعات عملى وأوقات راحتى ورياضتى ولا أقتل وقتى فى القهاوى والملاهى .

تلك هى الأسباب الأولى التى أشكر الله تعالى عليها وأسأله المزيد منها حتى أتمكن من أداء ما يثقل كاهلى من دين علىّ للتاريخ ألا وهو « نشر مذكراتى فى نصف قرن » وبعد ذلك فعلى الدنيا السلام .

رسالة الامير عمر طوسون : وقد ورد إلىّ من صاحب السمو الأمير عمر طوسون الرسالة الآتية :

حضرة صاحب السعادة عزيزنا أحمد شفيق باشا

إننا نهنئكم ببلوغكم السنة السبعين من عمركم المبارك ونرجو أن يمد الله فى حياتكم الطيبة النافعة الحافلة بجلائل الأعمال حتى تبلغوا منتهى آمالكم وتروا كل آثار أعمالكم

فتقروا عيناً وتطيبوا نفساً . وقد كان بودنا أن نلبي دعوتكم ونحضر حفلتكم ونشارك المحتفلين بكم ونسمع ما يقال فيكم فنزداد بكم غبطة وسروراً ، ولكن حال دون بلوغ هذه الأمنية أننا أجبنا دعوة سابقة إلى حفلة أخرى فى نفس هذا اليوم ، وهى الحفلة النهائية للألعاب الرياضية التى سيقيمها الاتحاد الرياضى بملعب الإسكندرية فنعتذر إليكم ونحن آسفون لما سيفوتنا من شهود هذا الاحتفال العظيم ، ولكنا نعلل النفس بالآمال ونطلب منه تعالى أن يحيينا حتى نحضر حفلة بلوغكم الثمانين إن شاء الله تعالى ، وليس ذلك عليه بعزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٥ مايو سنة ١٩٣٠ عمر طوسون

رسالة أنطون بك الجميل : وجاءنى من الأستاذ الكبير أنطون الجميل بك الرسالة الآتية بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩٣٠ :

سيدى الأستاذ الباشا أعزه الله .

أقدم إليك أخلص التهانى بعيدك السبعينى ، وأبارك لك ولنا بسبعين حجة سلختها فى الجد والنشاط وجلائل الأعمال . فما أتممت من عمرك حولا إلا ازددت فى نفسك كمالا وفضلا حتى دارجت فضائلك سنيك فعقدت هذه تاجاً أبيض على مفرقك ونظمت تلك عقداً ثميناً على صدرك .

وإنى لأرجو أن تتم القرن بل تتجاوزه وأنت ماض فى « حولياتك » ، محكم عرى « رابطتك » ، متمتع بكامل الصحة وتمام الهناء والتوفيق .

ولكنت أتمنى أن أحمل إليك هذه التمنيات بنفسى لولا أن ظرفاً قاهراً قضى بحرمانى هذا المساء من أن أمرح فى الروضة الغناء ، فتفضل بقبول العذر والتهنئة .

حفظك الله وأبقاك ؟ المخلص

أنطون الجميل

وقد أرسلت السيدة مدام دى سان بوان ، الكاتبة الأديبة المعروفة ، قطعة شعرية بديعة نشرتها جريدة الليبرتى ، آثرنا إثباتها بالنص الفرنسى محافظة على روعتها :

A S.E. AHMED CHAFIK PACHA

Pour l'anniversaire de ses soixante-dix ans

Sonnet

En ce jour, grâce à vous, vos amis sont en fête,
La musique et les chants, le soleil et les fleurs
Accompagnent les vœux dont sont remplis les cœurs,
Pour que vous demeuriez longtemps ce que vous êtes.

Vous, votre activité et votre jeune ardeur,
Car votre œuvre est multiple et par elle s'apprête
L'union de l'Orient courbé par la tempête
Et que salue en vous le ***zélé Chef Ligueur.***

Que le temps vous oublie et vous garde du Styx...
Notre étonnement n'est pas de la flatterie
Que vous comptiez vos ans jusqu'à soixante-dix...

Cet aveu aujord'hui n'est que coquetterie
Car, Cher Pacha, quand vous ajoutez à vos ans,
Ce n'est pas un hiver mais toujours un printemps.

V. de SAINT-POINT.

De mon lit de malade 18 Mai 1930.

وهاك ترجمتها بالعربية .

شكراً لكم فإن أصدقاءكم اليوم فى فرح وسرور ، ودعواتهم الصادرة من أعماق القلوب ممتزجة بالموسيقى والأغانى والشمس والزهور ليحفظكم البارئ فى صحة جيدة أمداً طويلا .

إذ أنك بنشاطك وحماستك الفتية تنوعت أعمالك التى تساعد بها على اتحاد الشرق المنحنى أمام العاصفة ، والذى يحيى فى شخصكم المؤرخ الأمين الذى يخلد ذكريات السلف .

وإذا كانت السنوات لم تؤثر فى نشاطكم ولم تنل من شبابكم منالا ، وحفظتكم من حوادث الدهر فإننا لا ندهش إذا ما بلغتم السبعين .

ومهرجان اليوم ما هو إلا فاتحة عصر وحياة جديدة لأنكم ياسيدى الباشا العزيز كلما أضفتم سنوات إلى عمركم المديد فإنما تضيفون ربيعاً على ربيع .

من سرير المرض فى ١٨ مايو سنة ١٩٣٠ ف . دى سان بوان

مقتطفات من اقوال الصحف عن الحفلة

من جريدة الأهرام : احتفال شفيق باشا ببلوغه السبعين من العمر

« من الحفلات ما يحضره الإنسان إما مكرهاً بدافع العمل والمهنة وإما مسوقاً بداعى المجاملة ، ومنها ما يسعى إليه مرتاحاً طروباً . وعلى هذا قصدنا إلى حفلة حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا ، وعلى هذا كان جميع المدعوين وهم جمع كبير يمثل جميع هيئات مصر الراقية ، فكانت الحفلة النادرة التى حرص كل مدعو إليها على حضورها ليحيى فى هذه الشيخوخة المباركة فتوة الشباب وحكمة الشيوخ ، ومثال الجد والاستقامة . ففى الساعة السادسة من مساء أمس كان الجمهور من كبار القوم وأدبائه وأعيانه فى منزل شفيق المشرف على النيل وعلى الحدائق الغناء يهنئونه بعيده السبعينى . وقد زينت تلك الدار بالأعلام والزهور والرياحين ، وجلست فى ساحتها الغربية فرق الموسيقى الشرقية المختلفة وعلى مدخلها تحيى كل قادم وقادمة ، وعلى الباب هيئة الرابطة الشرقية تستقبل المدعوين باسم صاحب العيد بكل مجالى الحفاوة والتكريم . فكان كل واحد يشعر بأنه دخل بيته ووجد بين آله وعشيرته ، لا فرق بين المتبرنط والمتطربش والمتعمم ، وصاحب العيد جذل طروب يحيى الكل ويعمل على أن يكون الجميع فى أتم الراحة والسرور » .

وكتبت جريدة كوكب الشرق وصفاً للحفلة ورد به :

« حفلة حفيلة دعا إليها حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا خيرة أهل العلم والفضل لمناسبة بلوغه سن السبعين ، فكانت بهجة الحفلات ، وعنوان الأنس والسرور ؛ فقد امتلأت روضة شفيق وهى بستان سعادته الأريض وحديقته الغناء مساء أمس بكرام المدعوين وفيهم كبراء شرقيون وعقائل محترمات وكان يستقبلهم سعادة الداعى وزملاؤه

أعضاء الرابطة الشرقية بالإيناس والبشر ، وقد انتشروا فى الحديقة وغرف المنزل جماعات جماعات يستمعون إلى عزف الموسيقى المصرية والأغانى الشعبية ويبتهجون بمنظر النيل الجميل ويتنسمون هواءه العليل » .

ونشرت جريدة السياسة تحت عنوان الاحتفال ببلوغ أحمد شفيق باشا سن السبعين ما يأتى :

« بالأمس دعا سعادة أحمد شفيق باشا وكيل الرابطة الشرقية إلى حفلة سمر بمناسبة بلوغه سن السبعين ، دعا إليها نفراً كبيراً من عظماء الرجال من أجانب ومصريين .

« ثم دعى الحاضرون إلى مقصف فاخر ، وفى الأثناء وقف الأستاذ النشاشيبي وألقى قصيدة صغيرة لأمير الشعراء . ووقعت الآنسة إيفون راسى قطعاً شجية على البيان ، وكان سعادة شفيق باشا قد أعد للمدعوين بعض أنواع التسلية فأحضر فرقة « العربى » المشهور كما أحضر جوقة للطبل البلدى والمزمار ، وكما أحضر شاعراً بربابته كان من حين لآخر يشنف أسماع الحاضرين بقصائد من أبى زيد ، وعنتر ، ودياب بن غانم ، والزناتى خليفة . . وشاءت محاسن الصدف أن يجلس هذا الشاعر ويوقع أخبار العرب وفروسيتهم ملاصقاً لأمير الشعراء ، فكان منظراً أظن أنه ظريف للغاية . ويظهر أن سعادة المحتفل به وجد أن من دواعى سرور المدعوين من مصريين وأجانب بنوع خاص أن يحضر أمثال هذه الجوقات البلدية . ولكن هى فكرة شفيق باشا وهو الأسبق إلى ابتكارها .

« وظل المدعوون فى سمر إلى ساعة متأخرة وانصرف الجميع شاكرين للمحتفل به حسن لقائهم ويرجون الله أن يمد فى عمره عشرات السنوات ليجتمعوا بصديقهم مثل هذا الاجتماع السار » .

ومن كلمة لجريدة المقطم : « حفلت دار صاحب السعادة أحمد شفيق باشا أصيل الأحد بعدد عظيم من العظماء والأدباء فى مصر ونزلائها الشرقيين وعدد غير قليل من وزراء الدول المفوضين والقناصل والأجانب احتفالا ببلوغ رب الدار سن السبعين . وقد ازدانت الدار بالأعلام والأزهار ووقف ببابها أعضاء جمعية الرابطة الشرقية يشاركون المحتفل به فى الترحيب بالمدعوين والحفاوة بهم كما كانت فرقة الموسيقى الشرقية تستقبل بأنغامها المطربة القادمين وقد اختارت مكانها فى فناء الدار » .

وقالت جريدة الشورى تحت عنوان عيد شفيق باشا : احتفل سعادة الأستاذ الكبير أحمد شفيق باشا وكيل الرابطة الشرقية فى قصره بروضة شفيق بالقاهرة ببلوغه السبعين من عمره المديد وحياته الحافلة بالأعمال النافعة للناس . ففى مساء الأحد ١٨ مايو حفلت روضته فى شبرا بالمئات من إخوانه وصحبه والمعجبين بأعماله من العلماء والسفراء والقناصل والحكام والنواب وأساتذة الجامعات وأعضاء الهيئات وكرائم العقيلات ورجال المحاماة والصحافة والشعر والأدب والفنون الخ ، فكان سعادة الداعى يستقبل المحتفلين ويرحب بهم ويتنقل بينهم وهو جذل طروب ، وكانت الفرق الموسيقية تعزف بالألحان الشرقية والبلدية . وقد قدمت جمعية الرابطة الشرقية لسعادته تذكاراً لطيفاً وخطب سماحة رئيسها السيد عبد الحميد البكرى وفضيلة السيد رشيد رضا فالأستاذ نسيم صيبعة فأحمد بك فهمى العمروسى فصالح بك جودت وغيرهم ، فوقف الأستاذ شفيق باشا وألقى كلمة شكر فيها حضرات الخطباء وجميع الحاضرين ثم تطرق إلى ذكر السر فى حيازته الصحة التامة إلى الآن فقال : إنه لا يدخن ولا يشرب الخمر وإنه ينام مبكراً ويستيقظ مبكراً ويمشى كثيراً ويأكل قليلا ، أدام الله عليه نعمة العافية .

من كلمة جريدة الليبرتيه الفرنسية : احتفل سعادة أحمد شفيق باشا وكيل الرابطة الشرقية بعد ظهر يوم الأحد بعيده السبعينى فى قصره البديع بشبرا الواقع على ضفاف النيل فى نقطة تأخذ بالألباب .

وقد امتلأت الصالونات عند الساعة السادسة بجموع الخاصة .

وقد أخذت صورة فوتوغرافية للاجتماع وألقيت بعد ذلك خطب من السيد البكرى وزكى باشا ومسيو صيبعة وتليت مقطوعة لشوقى بك بين التصفيق والاستحسان وبعدئذ ألقى شفيق باشا خطاباً بديعاً قوياً ذكر فيه ، بعد أن شكر الحاضرين ، القواعد التى مهدت له الطريق إلى بلوغ هذه السن المتقدمة وهى تتلخص فى الامتناع عن المشروبات الروحية والتبغ والقهوة والاعتدال فى الأكل وقطع مسافات طويلة سائراً على الأقدام والإقلال من السهر . وهكذا استطاع الاحتفاظ بنشاطه وقوة جسمه . وفى الحق فإن نشاط شفيق باشا عجيب يظهر فى نواح متعددة : جمعية الرابطة الشرقية ، شركات مالية ، طبع مؤلفات تاريخية ، مجلة الرابطة الشرقية ومسائل اجتماعية للتعليم العام وخلافه .

وهو دائم النشاط ، وصديق للشبان ، الذين يقدم لهم ثمار تجاربه وحكمته .

وشفيق باشا مثل لما يمكن أن تثمره حياة منظمة دقيقة تقوم على العمل والاعتدال .

من كلمة جريدة الانفورماسيون : إنه موقع مقطوع النظير ذلك الذى أقام فيه سعادة أحمد شفيق باشا دار راحته فى شيخوخته . فإن لحوض النيل إلى جوار شبرا وعلى طول روض الفرج مزايا عظيمة . وهذه الفيلا ، وهى تقع فى جوف مزارع واسعة ، تطل على النيل من شرفة يلطف جوها هواء الشمال الذى جاز النهر . وهى فى الحق دار الحكماء .

فى هذا المكان اللطيف أقام وكيل جمعية الرابطة الشرقية الدائم النشاط الاحتفال بعيده السبعينى .

لم ينقطع سيل السيارات من الساعة السادسة فى الطريق الخصوصى الطويل الموصل إلى الفيلا تنقل الخاصة من المصريين والأوربيين على السواء .

ولم يكن شفيق باشا — يحيط به ولداه — يستقبل مدعويه فى ترحيب كريم فحسب بل فى بشاشة عجيبة حقاً من ابن السبعين ، ولقد أسبغت جوقتان موسيقيتان ومغنون وطنيون على الاحتفال روحاً خاصة طرب لها جميع الحضور وأولهم الأوربيون الحاضرون . وبعدئذ جاء دور الخطب ، فتعاقب السيد البكرى ، وزكى باشا ، ومسيو صيبعه ثم ألقيت أبيات فى الحفلة لشوقى بك ، وأخيراً ألقى شفيق باشا خطبة ظريفة كشف فيها عن سر احتفاظه بقوته فى شيخوخته الذى يرجع إلى حد بعيد إلى قناعته فى الأكل والشرب . على أن هذا لم يمنعه أن يدفع ضيوفه بعد ذلك تواً إلى ارتكاب خطيئة الشره . ذلك لأن مقصفاً فاخراً كان يغرى بالاختلاف إليه تعدد ألوانه .

ومن كلمة لجريدة الايماج : دعا حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا وكيل جمعية الرابطة الشرقية أصدقاءه العديدين للاحتفاء بعيد مولده السعيد فى قصره الصغير البديع القائم على ضفة النيل بروضة شفيق .

وقد لبى الدعوة جمع كبير ازدحمت بهم الدار والشرفة المطلة على النهر . وبعد أن ذكرت الجريدة أسماء بعض الحاضرين قالت :

« وكان شفيق باشا يعاونه ولداه يرحبون بالوافدين فى كرم زائد .

وقد ألقيت خطب لتكريمه من السيد البكرى رئيس جمعية الرابطة الشرقية ،

وزكى باشا ، ومسيو صيبعه ، ورد شفيق باشا فى تأثر ظاهر يشكر أصدقاءه فى كلمة قوبلت بالتصفيق الحاد من جميع الحاضرين .

وبعد إلقاء الخطب وقصيدة لشوقى بك ألقاها فى صوت جهورى أحد أصدقاء الباشا الذين حضروا من فلسطين ، ذهب الحضور لاستماع نغمات فرق موسيقى عربية يصحبها غناء بلدى فى هدوء الليل الرهيب فى مثل خلاء الريف إلى جوار مناظر النيل تعلوها صبغة سحرية من أشعة الشمس المائلة إلى الغروب .

وكان ختام هذه السهرة اللطيفة التى قضيناها لدى أعرق الأرستقراطية المصرية مقصف حوى ما لذ وطاب اختلف إليه جميع المدعوين .

ومن كلمة الاجبسيين : « عيد ميلاد »

وفد فى الثامن عشر من الشهر الحالى على روضة شفيق جمع كبير من الكتاب ورجال السياسة والعلماء للاحتفال بالعيد السبعينى لسعادة أحمد شفيق باشا ، وقد أراد أصدقاؤه العديدون من حضورهم تكريم حياة كلها عمل وكلها نشاط فى تأليف كتب تاريخية ، ودراسة المسائل الاجتماعية ، وإنشاء جمعية الرابطة الشرقية ، وقد وجدوا فى القصر الجميل القائم على شاطىء النيل أكرم ترحيب وأصدقه .

والاجبسيين تضم خالص تمنياتها إلى تمنيات أصدقائه الكثيرين الصادقة وترجو لسعادة شفيق باشا حياة طويلة من الصحة والنشاط .

تحية الآنسة مى : وكانت الكاتبة الأدبية الآنسة مىّ قد أرسلت إلىّ برقية تحوى الأبيات الآتية :

هنيئاً لهذا الشرق كم قد خدمته ... « برابطة » أحييت فيها أمانينا

هنيئاً بأن بلغت سبعين حجة ... وأنك باق كابن خمس وعشرينا

هنيئاً بما أحرزته من مكانة ... وعاد عليك العيد سبعين سبعينا

فلما نشرت بالأهرام كتبت هذه الكلمة الرقيقة بعنوان : رسالة على الهامش

سيدى الأستاذ رئيس تحرير الأهرام المفضال

« نشرتم فى «أهرام» الثلاثاء بين التهانئ المرسلة إلى سعادة شفيق باشا — بمناسبة

بلوغه السبعين عاماً — ثلاثة أبيات موقعة باسمى . ولما أن أبصرتها فى الصحيفة مطبوعة طبعاً لا شك فيه هتفت على طريقة النحاة : « واخجلتاه ! »

ولما كان طبيعياً أن يتوهم المرء — والمرأة ! — أحياناً أن طائفة من الناس تعنى عنايته بما يتعلق به من الشؤون ، أخذت أسائل نفسى عما قد يجول فى فكر بعض الذين يعلمون أنى لم أنظم حياتى شعراً عربياً ، عندما يقرؤون هذه الأبيات .



الآنسة مى

أتراهم يقولون إن احترامى لشفيق باشا ، وقد اقترن بالسرور ، قد فتح فوق رأسى أفق الشعر فأطلت على ملائكة الوحى لتمدنى بأسرار القافية والروى .

أم يظنون أنى اقتبست الأبيات من قصيدة اتفق أنها نظمت لمثل هذا الظرف ؟

أم يحسبون أن هذه الأبيات نظمت بناء على طلب منى فوضعت تحتها اسمى — وهذا هو الواقع ؟

أجل ، ياأستاذ ، الواقع أن لهذه الأبيات « قصة » كما يقول الدكتور طه حسين . وعلام لا يكون لها « قصة » ؟ علام لا يتفق أن يزورنا أحد الأدباء مثلا ، فنذكر الحفلة المقبلة فى « روضة شفيق » وأبدى أسفى لعدم تمكنى من حضورها ثم آسف لأنى لم أعط موهبة النظم فيتسنى لى أن أرسل تهنئتى واعتذارى فى أبيات شعرية .

وعلام لا يتناول الأديب الفاضل قلم الرصاص بينما هو يصغى إلى كلامى ، فيلقي على القرطاس هذه الأبيات عفو الخاطر دون مجهود ؟ وكيف بعد أن أجدها فلا أزفها إلى صاحب العيد بالتلغراف وفى النية أن أروى له حديثها عندما أجتمع به ؟

أفعل ذلك فلا أشعر بأنى جئت شيئاً فرياً . ولكن سامح الله الطباعة ! كان لى أن أرى تلك الأبيات مطبوعة باسمى لأشعر بأنى مختلسة لأتزين بريش الطاووس على نحو قول الفرنجة ، ولأهتف باللغة الفصحى التى لا غبار عليها : « واخجلتاه ! » .

ربما رأى بعضهم فى التمنى بأن يعود العيد على شفيق باشا « سبعين سبعينا » غلواً بديعاً موغلا فى التطرف . ولقد يكون ذلك لولا أن العلم الذى يأتى الآن بالمعجزات لإطالة العمر وتجديد الشباب يفتح باب الأمل الواسع . لا سيما لمن عاش كشفيق باشا عيشة بسيطة هادئة ، قوامها العمل والنشاط المعتدل فى زهد وقناعة وحكمة ، وكان مثله يمرح مرح الهناء على ضفاف النيل ، فى تلك الروضة الغناء ، فلا يغادرها إلا ليتلقى من سماحة السيد البكرى فيض الروحانية الصوفية فى جو « الرابطة الشرقية » .

مرجوى أن تتفضل بنشر هذه الكلمة فى « الأهرام » وأسلفك الشكر معتذرة عن شغل المكان والقراء بمثل هذا البيان . ولكنه بيان ليس بالتافه لأنه يمهد لى السبيل لتكرار التهنئة لصاحب « الحوليات » وتجديد التمنى بأن يعيش طويلا فى صحة وهناء وسعادة يريدها له جميع أصدقائه فى الشعر والنثر ، فى الكلام والصمت على السواء .

شعورى فى سن السبعين وآمالى الباقية : وفى يوم ٣١ مايو سنة ١٩٣٠ حضر إلىّ مندوب من قبل مجلة « كل شىء » ، وطلب منى الإدلاء بحديث عن شعورى فى سن السبعين وآمالى الباقية فأدليت إليه بهذا :

« لقد قطعت شوطاً من الحياة بعيداً ، وملئت لوحة وجودى بصور الحوادث الجسام ، ولكننى — والحمد لله — أعتقد أننى فى كل الأدوار لم أقصد إلى أحد بسوء ، ولا ألحقت بإنسان أذى . وهذا هو الذى زاد من عدد أصدقائى ، وجعلنى أفخر وأعتز بل أكاثر بهم . وأشعر حيثما يمت بعطف الكثيرين يطوقنى كباراً كانوا أم صغاراً .

والشىء الذى أحمد الله عليه أننى — وقد شغلت من مراكز الدولة مناصب خطيرة — لم أحاول استغلال نفوذى يوماً ما ولا جاهى فيما يعود علىّ بالنفع الذاتى .

على أننى طيلة حياتى لم أقصر فيما يعود على بلادى بالنفع ، وفى مكنتى أن أقوم به لها ، وهأنذا فى شيخوختى أنحنى على مكتبى ، وأحرر أو أملى — دون ملل أو فتور — كتبى التى يقرؤها الناس . وأنا مملوء إيماناً بعملى هذا بأنى إنما أؤدى حقاً لهذا الوطن العزيز . وأزود الناشئة من تاريخ مصر بخير زاد .

« لا غرو إذن أن يستطيب الإنسان العيش ويستلذ الحياة فى وسط لا يجد فيه

ما يكدره بل لا يرى إلى جانبه إلا كل من يعزه ويكرمه فشعورى نحو الحياة شعور المتفائل المنشرح الصدر .

« لقد كسبت فيما مضى ما يورثنى حسن الذكر . وكان فى مظهر الاحتفال ببلوغى السبعين ، وهذه الوجوه المتهللة بالبشر الطافحة بالأنس من حولى ، ما يطمئن على أننى إذا تركت هذه الدنيا تركتها وفيها الذاكرون لى بالخير .

«وكذلك أؤمل أن أنشر مذكراتى كما نوهت عن ذلك فى كلمتى بالاحتفال ؛ وسيكون لهذه المذكرات دوىّ لما ستتناوله من الشؤون المهمة وبعض أصحاب المقامات العالية والحوادث التاريخية .

« وسيرى القارئ من هذه المذكرات التى دونتها فى غضون خمسين عاماً بين سنتى ١٨٧٣ — ١٩٢٣ الفرق بين الحياتين التعليمية والاجتماعية فى ذلك العصر وفى عصرنا هذا ، ويقرأ تاريخ حوادث الثورتين العرابية والسودانية ، والجانب الذى يخص مصر فى تاريخها الحديث من الحرب الكبرى .

« وإنما أنا حريص على نشرها فى حياتى على عيون الناس حذراً من أن يصيبها شىء من التغيير أو العبث بعد مماتى ، أو خشية الكتمان والاندثار من ناحية أخرى ، ولينا قشنى فيها من يرى مناقشتى فأنا رجل أقدس الحقيقة ولا أحب إلى نفسى من تقريرها .

فإذا تم ذلك أسلمت الروح هادئاً مطمئناً معتقداً أن الموت شىء يسير . نعم شىء يسير ولقد ولد فى نفسى هذا الاعتقاد حادث وقع لى فى فينا بفندق أمبريال إذ أغمى علىّ ففقدت صوابى كله حتى إذا أحسست رطوبة الأرض تسرى فى جبهتى ابتدأت أستعيد الشعور بالوجود شيئاً فشيئاً ، فلما استيقظت آمنت بأننى مت موتة صغرى .

وإنى أرجو ألا يطول مرض موتى فيسأم أهلى وعوادى . وأتمنى أخيراً لو أجد إلى جانبى ساعة الاحتضار كاتباً أملى عليه صادق إحساساتى فى اللحظات الأخيرة ما استطعت ، ليبلغها مع تحياتى للآخرين .

« ومن أغلى أمانىّ أن أرى الرابطة الشرقية قد حققت ما يصبو إليه رجالها ، وانبثت شعبها تخدم مبادئها فى جميع البلاد الشرقية . وانخرط فى سلك عضويتها كل زعيم فى الشرق أو مصلح وحظيت بعطف أمراء الشرق وملوكه ومعاضدتهم لها .

وتأسست دارها على نحو فسيح بحيث يعد جناح لنزول الضيوف ووفود طلاب العلم ، والسائحين من الشرقيين ، وحتى تصبح « عصبة أمم شرقية » تفصل فى المنازعات بين الأمم ، وفى الخصومات بين أقوام الشرق » .

« وأتمنى لبلادى العزيزة (مصر) تحقيق آمالها ولأبنائها وئاماً واتحاداً . كما دعوت إلى ذلك فى عدة فرص . وما دام قصد الجميع واحداً وهو الاستقلال والحرية فلتتحد الجهود ولتلتئم الصفوف فى ساحة الجهاد للاستقلال والحرية . فإذا انصرفنا عن ذلك إلى الإصلاحات الداخلية ، فمرحباً فيها بالخلاف ، فما زال الخلاف محكا يظهر به الصواب من الخطأ .

وأرجو للأقطار الشرقية كافة ما أرجوه لمصر من خير وسعادة ورفاهية » .

يقظة الشعور القومى

وعلاقته بالأحزاب والصحافة منذ القرن التاسع عشر

ايضاح . تمهيد . عهد الاحتلال الفرنسى . عهد محمد على . عهد اسماعيل . عهد توفيق . عهد عباس . ظهور مصطفى كامل . حادثة دنشواى . ظهور الاحزاب السياسية . من أجل امتياز قناة السويس . مقتل بطرس باشا . قوة الروح الوطنى وأثرها . العدول عن مشروعات الاصلاح . انهاء سياسة الوفاق . الجمعية التشريعية . عهد الحماية والشعور المكتوم . بعد الهدنة . الانفجار والثورة الكبرى . الافتخار بالقومية المصرية . الافراج عن المعتقلين . لجنة ملنر ومقاطعتها . استقبال سعد وأعضاء الوفد . الانقسام . تكوين الاحزاب الحديثة . أثر هذه الاحزاب فى هبوط الشعور القومى . فضل الشباب . وزارة على ماهر باشا والمعاهدة المصرية .

***

ايضاح : حضر لمصر الأستاذ هالفورد هوسكنز رئيس قسم التاريخ فى جامعة تفتس ببوستن لأبحاث تاريخية ، وكان يظنها بلداً إفريقياً ، فإذا به أمام قطعة من أوربا الجميلة ذات حضارة عظيمة . عندئذ قام فى نفسه أنه لابد من إيجاد كتاب يعطى الأمريكان فكرة صحيحة عن « مصر الحديثة » التى لا يعلمون عنها إلا قليلا . وعند عودته إلى بلده اتصل بى عن طريق أحد الصحفيين السوريين الأستاذ « حبيب ابراهيم كاتبه » وفاتحنى بفكرته ، وبأنه كبير الأمل فى اهتمامى بمساعدته على إخراج هذا الكتاب بمعاونة بعض المصريين الإخصائيين، على أن أختص بكتابة فصل عن «يقظة الشعور القومى وعلاقته بالأحزاب والصحافة منذ القرن التاسع عشر » ، فقبلت نظراً لاستقلالى عن الأحزاب .

وبما أننى وإخوانى الذين اطلعوا على هذا الطلب اعتبرناه دعاية لمصر فقد تفضل أصحاب المعالى والسعادة والعزة الآتية أسمائهم بالمساهمة فى هذا الكتاب ، فاختص حسين سرى باشا بالرى والأستاذ مصطفى عبد الرازق بك بالتطور الإسلامى ، والدكتور على إبراهيم باشا بالصحة ، وجلال فهيم باشا بالزراعة ، ومصطفى الصادق بك بالتجارة والصناعة ،

والأستاذ الكبير عباس محمود العقاد بالأدب ، والأستاذ محمد ناجى بالفنون الجميلة ، والدكتور إبراهيم مدكور بالميول الفكرية والفلسفية ، ومن أساتذة الجامعة الأمريكية الأستاذ أمير بقطر بالتعليم ، والأستاذ كليلاند بالشؤون الاجتماعية ، ثم الأستاذ محمد شفيق غربال بالتغيير السياسى فى مصر الحديثة ، والمستر جارفيس بمسائل العمال والفلاحين ، والقاضى كرابينس بالاحتلال الانجليزى والعلاقات الخارجية .

وكنت قد أرسلت إلى المؤرخ الكبير الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك للاتفاق على كتابة « فصل معين فى الكتاب » فجاءتنى منه الرسالة التالية :

« سيدى العالم المحقق أحمد شفيق باشا

« تحية وسلاماً وبعد ، فقد تلقيت بيد السرور كتاب سعادتكم رقم ٩ الجارى وعلمت منه نبأ مشروع كتاب « مصر الحديثة » الذى طلب أحد أساتذة التاريخ مساعدة سعادتكم فى شأنه . وإنى بكل سرور أقبل أن أشترك فى وضع الكتاب وأن أختص بالقسم الذى تفضلتم بالإشارة إليه . وأغتبط كثيراً بالاشتراك مع سعادتكم فى هذا العمل . ولا غرو فأنتم تعدون بحق عميد العلماء والمؤرخين فى مصر . فإذا استوفيت الشروط التى اتفقتم على طلبها ورأيتم سعادتكم البدء فى العمل فأنا على استعداد للقيام بالقسط الذى تعهدون به إلىّ ؛ وأنتهز هذه الفرصة لأحيي سعادتكم تحية الاحترام والود ، راجياً أن ينفع الله البلاد بعلمكم عمراً مديداً ودهراً طويلا .

« والسلام عليكم ورحمة الله » .

ولما تخابرت مع الأستاذ هوسكنز بخصوصه علمت مع الأسف أنه اتفق عند وجوده بمصر مع آخر على كتابة هذا الفصل ، فاعتذرت لصديق المؤرخ الكبير .

وبهذه المناسبة لا أنسى معاونة صديقى الدكتور ما كلنهاين فى مخابراتى الطويلة مع الأستاذ هوسكنز ؛ ولهذا فأنا أذكره دائماً بالخير . ولظروف قهرية لم يتمكن الأستاذ هوسكنز من تنفيذ عزمه .

وفى سنة ١٩٤٠ اتفقت معى الجامعة الأمريكية على إلقاء محاضرة عن هذا الموضوع بقاعتها الشرقية ، فألقيت مقدمة عن سبب كتابته . أما المحاضرة فقد قام بإلقائها الأستاذ الفاضل محمد لطفى جمعة . وهذه هى :

تمهيد : يجد المؤرخ صعوبة كبيرة حين يتحدث عن يقظة الشعور القومى بمصر فى هذه الفترة لأنه يقف أمام حركات تتشابه فى ظواهرها، ولكنها تختلف فى ماهياتها وتحتاج إلى دقة ويقظة فى الفحص عنها . والموضوع يحتاج فى الإلمام السريع به إلى أضعاف الوقت المخصص لهذه المحاضرة ، لذلك كان لابد من الاختصار الشديد فيها . ولتيسير البحث قسمته حسب العهود السياسية .

عهد الاحتلال الفرنسى : كان حكم المماليك وحكم الأتراك قبلهم قد أخمد كل إحساس بالشعور القومى ، وذلك لأن الحكام لم يكونوا يحفلون بشعور الشعب ولا مطالبه. فلما جاء الفرنسيون لم يجدوا قوة تصدهم إلا جيوش المماليك ؛ وسرعان ما تغلبوا عليها . ومع هذا عنى الفرنسيون بتملق الشعور الدينى لدى الأهالى لأنه أكثر ظهوراً من الشعور القومى ، فاستقبلهم الأهلون على أمل أن يكونوا خيراً لهم من حكامهم السالفين . وكان المنتظر أن تكون ثمة علاقات حسنة بين الفاتحين والمصريين لو لم تتدخل السلطات الفرنسية فى شئون لا عهد للأهالى بها ، وتضطرهم لدفع بعض الضرائب التى لم يسمعوا



المؤلف يلقى تمهيداً لمحاضرته بالقاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية

عنها . ومما زاد الأمر سوءا تكليف العلماء تعليق شارات الحكومة الفرنسية على منازلهم ، فلم يذعنوا لذلك ، ومن هنا كانت ثورة القاهرة المشهورة .

عهد محمد على : أما أول حركة تذكر فى باب الحركات الشعبية فهى أنه فى شهر مايو سنة ١٨٠٥ اجتمعت الطوائف المختلفة من علماء وتجار وأعيان وساروا فى شوارع القاهرة إلى مقر محمد على بهيئة مظاهرة فخمة منادين بسقوط الأتراك ومعلنين تولية محمد على زمام أمورهم ، وأرسلوا إلى الباب العالى يطلبون إقرار ذلك فأقره .

والواقع أننا لا نستطيع القول بأن مبعث هذه الحركة هو الإحساس بالعزة القومية ، فقد كان الدافع عليها هو إحساس المصريين فى القاهرة بظلم الأتراك والمماليك وإيذائهم للمصريين ، وسلبهم أرزاقهم فضلا على ما لمسوه من عطف محمد على عليهم وتقربه منهم ولا سيما من السيد عمر مكرم نقيب الأشراف ورجال الأزهر .

عهد اسماعيل : ويعتبر عهد إسماعيل تتمة لعهد جده فى كل شىء . وقد حدثت فى أواخر عهده بعض حوادث يبدو عليها طابع اليقظة القومية ولكنها فى الواقع كانت بعيدة عن ذلك . من هذا قيام الضباط فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ بمظاهرة ضد النظارة المختلطة التى ألفت لضمان الديون المطلوبة للأجانب ولم يكن إسماعيل راضياً عنها .

فقد كانت حالة هؤلاء الضباط سيئة جداً من الوجهة المالية لتأخر مرتباتهم ثمانية عشر شهراً ؛ وزادت النظارة آلامهم باستدعاء ضباط إنجليز من الهند للقيام بمسح الأراضى المصرية . ورأى ضباط الجيش أن هذا لا يتفق مع مصلحتهم وأنه اعتداء عليهم وهم أعرف بطبيعة البلاد فوق ما هم فيه من ضنك ، فقاموا بمظاهرتهم هذه متأثرين بتلك الدوافع واعتدوا على نوبار باشا رئيس النظارة وعلى ريفرس ولسن ناظر المالية . وفضلا على أن السبب لم يكن إلا شخصياً ، فقد كان المفهوم أن الخديو يؤيدهم فى هذه الحركة بدليل أن البكباشى لطيف سليم بك رئيسها أفرج عنه بعد يومين ، وكانت له علاقة مصاهرة مع شاهين باشا صديق إسماعيل وناظر الحربية .

وبعد ذلك شكلت نظارة محمد توفيق باشا وبينها الناظران الأجنبيان اللذان كانا كل شىء فى الحقيقة . وعز على إسماعيل أن تشل سلطته بعد أن كانت مطلقة ، فعزم على معاكسة هذين الناظرين وقام أتباعه بقيادة السيد على البكرى وشاهين باشا وكتبوا عرائض وقع عليها العلماء والأعيان والتجار وبطريرك الأقباط وحاخام اليهود ، يطلبون

فيها عزل الناظرين الأجنبيين ، ويتعهدون بضمان ديون الحكومة بأملاكهم الخاصة . وقالوا إن هناك حزباً وطنياً يمثله هؤلاء الموقعون ، وسموا عريضتهم « باللائحة الوطنية » .

والواقع أن هذه الحركة إنما كانت بإرادة إسماعيل ، وتحت بصره ، لأن الشعب كان لا يزال بعيداً عن مثل هذه الحركات .

وربما تكون هذه الحركة سبباً من أسباب يقظة الشعور القومي بعدها ، ولكنها فى ذاتها لم تكن منبعثة عن هذا الشعور .

وفى أواخر عهد إسماعيل قدم مصر السيد جمال الدين الأفغانى المعروف بشدة التحمس فى دعوته ، والتف حوله جماعة من المستنيرين ، يتلقون تعاليمه ، ويسمعون خطبه التى تحضهم على الشعور بشخصيتهم ، والانتباه لقوميتهم .

وقبيل عزل إسماعيل قام السيد جمال الدين على رأس وفد من مريديه الذين أشربوا تعاليمه ، وطلبوا من قناصل الدول ومن شريف باشا رئيس النظار تنازل الخديو إسماعيل وتولية توفيق الذى كان متصلا بالسيد جمال الدين .

ولقد قال السيد إن وفده الذى ذهب به يمثل « الحزب الوطنى فى مصر » ، فى حين لم يكن هناك حزب ، بل جماعة يتلقون إرشاداته الوطنية .

على أن قوة أخرى تناصر جمال الدين فى دائرة أوسع بين الشعب ، تلك هى جريدة « أبو نضارة زرقا » ، أنشأها فى مصر رجل يهودى اسمه « جيمس صنوعه » ، وكان يحررها باللغة العامية ويضمنها تنديداً بسياسة إسماعيل وبالهيئة الحاكمة ، وانتقاداً لتصرفات الحكومة ، وتنبيهاً للجمهور نحو حقوقه بصورة فكهة جذابة. وكان ما فى هذه الجريدة من الفكاهات يعمل عمله فى نفس الشعب ويوقظ شعوره .

ولقد أحس إسماعيل بخطر الصحيفة ، فأبعد صاحبها ومنع صدورها فى مصر .

عهد توفيق : وفى أوائل عهد توفيق وقعت الثورة العرابية . وهى أكبر حركة عرفتها مصر حتى ذلك العهد ، ولكنها على اتساعها لم يكن مبعثها الحقيقى اليقظة فى شعور الأمة بل سببها شعور الضباط المصريين بمحاباة عثمان رفقى الجركسى ناظر الجهادية لبنى قومه على حساب المصريين ، وذلك بسنه قانوناً يمنع الضباط المتخرجين « تحت السلاح » أن يكونوا أمراء ألايات .

وكان معظم المصريين من هؤلاء ، فقاموا بمظاهرة فى أول فبراير سنة ١٨٨١ طالبين عزله . فأجاب الخديو ملتمسهم ، مما قوى الأمل فى نفوسهم .

وكانت هذه الحركة مقصورة على من فى القاهرة وضواحيها من ضباط الجيش .

ولما تحرجت الحالة بين الضباط والخديو بسبب غلوهم فى مطالبهم فكروا فى أن يدعوا إليهم عناصر أخرى من العلماء والأعيان والتجار لشد أزرهم ، فأعلنوا فى مظاهرة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ أنهم يعبرون عن أمانى الأمة ويريدون مجلساً نيابياً ؛ وادعوا أن فى مصر « حزباً وطنياً » يطالب بذلك ، فى حين لم يكن هناك حزب بهذا الاسم .

ولكن هذه الحركة التى بدأت لأسباب شخصية كان لها أثر قوى فى إيقاظ الشعور القومى بعد ذلك ، مما جعل الشعب يتصل بالأحوال العامة ، وشجع الصحف على الكتابة فى الموضوعات التى تهم الأهالى بلهجة لم تكن تستطيعها من قبل .

إلا أن الاحتلال الإنجليزى سنة ١٨٨٢ لم يبق على شىء من هذا ، بل ختم على كل شعور ، وقضى على الوطنية الوليدة ، فنام الشعب تحت تأثير الضغط الشديد من الأيدى الأجنبية فى الإدارة المصرية .

واستمر الحال كذلك فى العشر السنوات التى قضاها توفيق بعد الاحتلال .

عهد عباس : تولى عباس والمصريون يعرفون أنه تربى تربية حرة فى معاهد أوربا ، وأنه غير مستريح لسياسة والده مع المحتلين ، ويروون فى هذا الصدد حادثة معينة .

ذلك أنه حينما حضر من دراسته فى أجازة العام الذى سبق توليته سأل بعض رجال الحاشية عن سير الأمور العامة ، فعلم منهم أن الأمور تجرى وفق سياسة المعتمد البريطانى التى ينفذها رئيس النظارة مصطفى فهمى باشا بدقة .

فاجتمع بوالده ولاحظ على هذه السياسة ، فأجابه توفيق « يا ابنى ، أنت لاتزال صغيراً لا تدرك مثل هذه الأمور » .

هذه الرواية وأمثالها جعلتهم ينتظرون خيراً من الأمير الجديد ، ويتحمسون له . وعندما ذهب أول مرة لتأدية الجمعة فى مسجد الحسين تزاحم الناس فى الطرقات المؤدية إلى المسجد ، وتهافتوا عليه مصفقين ، وفكوا الخيول من العربة وقادوها إلى الجامع .

وقد كان الأمير عند حسن ظن شعبه به ، فما كاد يتولى الحكم حتى بدأ خطة جديدة مع المحتلين .

وكان أول اصطدام لهم معه فى عام ١٨٩٣ حينما أقال مصطفى فهمى باشا من رياسة النظارة لما كان يعلمه فيه من شدة ميله للإنجليز ، وأقام بدله حسين فخرى ، فهاج اللورد كرومر وطلب من حكومته أن تطلق يده فى التصرف ، فأجابته لما أراد ، وواجه الخديو بشدة مؤيداً بخطاب من وزير خارجية إنجلترا ، فاضطر سموه إلى التقهقر ، واستبدل بفخرى باشا رياض باشا .

وكان الاصطدام الثانى فى السنة التالية ، حينما ذهب الخديو للحدود الجنوبية ، واستعرض فرق الجيش المصرى فانتقد بعضها ، بصفته قائداً أعلى للجيش ، وكان هذا البعض تحت قيادة الإنجليز ، فثار كتشنر باشا السردار ، وأيده كرومر بأوامر وردت له من حكومته وطلب الترضية ، فاعتذر الخديو بعد أن لم يجد بداً من ذلك .

وما كانت هاتان الحادثتان إلا لتزيدا الخديو قوة على قوته . وذلك أن الشعب أحس بعداء الإنجليز لأميره ، فالتف حوله وقوى شعوره بالوطنية ضد المحتلين . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن جماعة من ضباط الجيش فى السودان ألفوا جمعية سرية لمعاضدته وإيصال أخبار الجيش إليه باسم « جمعية المودة » .

ظهور مصطفى كامل : ولما زار عباس مدرسة الحقوق ألقى الطالب مصطفى كامل بين يديه خطبة ترحيب ظهرت فيها وطنيته وفصاحته فأعجب به . ولما كانت أوجه التشابه بين الاثنين متوفرة مال كل منهما للآخر ، وكان هذا من حظهما معاً .

وقد سافر مصطفى كامل إلى فرنسا لإتمام دراسته بتشجيع من الخديو ، وعاد منها فى سنة ١٨٩٥ ، وكان فى سن العشرين ، فقربه عباس إليه وعاضده بنفوذه وساعده بالمال ، وتعهدا سراً بالعمل للوطن ، واجتمعا مراراً فى مسجد الشيخ التبرى بالقرب من سراى القبة ليرسما الخطط الوطنية .

ولمساعدته شكل الخديو لجنة سرية من بعض الشبان الممتازين بالوطنية ممن تخرجوا فى المدارس العالية بفرنسا وهم :

إسماعيل الشيمى بك ويوسف صديق بك ومحمود سالم بك القضاة بمحكمة المنصورة

المختلطة . وانضم إليها كاتب هـذا الفصل وزميله مسيو « روليه بك » السويسرى السكرتير الخاص للخديو ومسيو « جافيو » نائب الجالية الفرنسية بمصر الذى كان على اتصال بممثل فرنسا المركيز « دوريفرسو » المعضد لسياسة الخديو ضد الاحتلال عملا على استرداد النفوذ الفرنسى بمصر .

وقررت هذه اللجنة القيام بالدفاع عن مصالح مصر ضد الغاصبين بالنشر فى الصحف وبالخطب التى كان يلقيها مصطفى كامل بمصر وأوربا ، فأعجب به السياسيون وشجعوه فى مطالبه ، ولا سيما مدام « جولييت آدام » الكاتبة الشهيرة فى فرنسا التى اعتبرته ابناً روحياً لها .

ولا عجب فإن مصطفى كامل كان شاباً ملتهباً مملوءاً قلبه بالغيرة الوطنية ، وعلى استعداد تام للعمل بجرأة وتعقل — كل هذه الصفات كانت تثير الحماسة وتجتذب إليه القلوب .

حادثة دنشواى : ومما ساعد مصطفى كامل فى جهاده ، وهز الشعور القومى هزة عنيفة ، تلك الحادثة التاريخية المشهورة « حادثة دنشواى » ، فقد اعتمد عليها فى تشهيره بالسياسة الإنجليزية ، وطاف بلاد أوربا حتى إنجلترا منددا بسياسة الإنجليز مظهراً شناعة هذا الحادث الذى جاء مناقضاً لدعاوى الإنجليز من أنهم حماة الإنسانية ودعاة العدالة . وتفتحت عيون الفلاحين لهذه القسوة ، وغلا مرجل الغضب فى نفوسهم ، وقللوا بعدها من رفع الشكاوى والالتماسات لدار العميد البريطانى .

وقد أثرت جهود مصطفى كامل بتأييد عباس فى مدى اثنتى عشرة سنة ، فاضطرت إنجلترا إلى سحب عميدها فى مصر اللورد كرومر واستبدلت بسياسة العداء القديمة مع الخديو سياسة الوفاق الجديدة على يد غورست .

ظهور الاحزاب السياسية : وقد استمر مصطفى كامل فى جهاده منفصلا عن الخديو ، ولكن تحمسه الشديد جعل جماعة من كبار الرجال الذين يسمون بالمعتدلين أصحاب المصالح الحقيقية يفكرون فى تأليف حزب يعمل بسياسة معتدلة هادئة ، وسمى « حزب الأمة » . ولم يكن هؤلاء الرجال على وفاق كذلك مع الخديو ، بل كان يعزى إليهم أنهم من أصدقاء اللورد كرومر كما أنهم من أصدقاء سعد وشقيقه فتحى .

وكان لسان حال الحزب هو « الجريدة » ، ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد بك لطفى

السيد (باشا). ولكن هذه الجريدة لم تكن تتأخر عن نقد ما لا تستحسنه، ولو كان من عمل الإنجليز أنفسهم. فمثلا نشرت بقلم رئيس تحريرها سلسلة مقالات نقداً لدانلوب وسياسة التعليم فى وزارة المعارف.

وعقب ذلك انتهز الشيخ على يوسف هذه الفرصة، وكان منافساً لمصطفى كامل، وحسن للخديو إنشاء حزب جديد يعمل فى ظل سياسة الوفاق، فتم تأليف « حزب الإصلاح » على المبادئ الدستورية فى ديسمبر من السنة المذكورة، وكان لسان حاله جريدة « المؤيد ».

وكان مصطفى كامل يعمل حتى ذلك الوقت مع جماعة من أنصاره، ولكن ظهور الحزبين السابقين وميل الخديو إلى سياسة غورست استفزه إلى تشكيل « الحزب الوطنى » رسمياً، وتم ذلك فى الوقت نفسه، وعقدت الجمعية العمومية فى تياترو زيزينيا بالإسكندرية، فقوبل تأليفه بالرضاء العام والتحمس العظيم، واتخذ جريدة « اللواء » لسان حال له.

وقد كان لهذا المجهود المتواصل العنيف أثره فى صحة مصطفى كامل، فقضى وهو لا يزال فى عنفوان شبابه فى فبراير سنة ١٩٠٨، فاهتزت مصر لوفاته. وكانت جنازته مظهراً من مظاهر الوطنية الرائعة.

من أجل امتياز قناة السويس : وبعد ذلك عرضت هذه المسألة الهامة التى تعتبر مقياساً لتقدم هذا الشعور، وهى من الحوادث الفذة فى تاريخ الحياة النيابية بمصر. فعندما عرضت الحكومة، بإيعاز من الإنجليز، هذه الفكرة هاج لها الرأى العام هياجاً شديداً دل على يقظته واهتمامه بالشئون العامة، ومنحت النظارة الجمعية العمومية حق البت فى هذا المشروع بصفة استثنائية على أن يتولى سعد زغلول، ناظر المعارف إذ ذاك، عرض اقتراح الحكومة والدفاع عنه، وذلك نظراً لقوة تأثيره وإقناعه، ووضوح شخصيته واعتباره من الرجال الوطنيين.

وقد قبل المغفور له سعد باشا هذه المهمة، وعرف فى هذا الوقت أنه قبلها ليكسب للجمعية هذا الحق، اطمئناناً منه إلى رأيها الذى كان واضحاً بالرفض. وبعد عدة مداولات وبحوث قررت الجمعية بالإجماع عدم الموافقة على المشروع، فكان ذلك انتصاراً للوطنية المصرية والكرامة القومية، ودليلا على يقظة الشعور.

قوة الروح الوطنية وأثرها : وكان الشعور القومى قد أخذ يزداد شدة منذ انفصال مصطفى كامل من الخديو وظهور الأحزاب بواسطة ما كانت تنشره الصحف فى هذا الوقت بلهجة شديدة ضد المحتلين وضد الخديو نفسه ، حينما مال لسياسة الوفاق . وكان أشدها فى ذلك صحف الحزب الوطنى . وفى هذا الوقت صدر ديوان شعر بعنوان «وطنيتى» لصاحبه الأستاذ على الغاياتى ، فقدم للمحاكمة من أجله ولكنه استطاع الهرب إلى سويسرا فحكم عليه غيابياً . وحكم على محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى لتقريظه الديوان .

ولما كثرت الكتابات بهذه اللهجة الشديدة رأت نظارة بطرس باشا باتفاق مع غورست أن تقيد حرية الصحافة ، فبعثت قانوناً للمطبوعات كان قد سن فى سنة ١٨٨١ وكان شبه مهمل فى أيام كرومر . ولكن بعث قانون المطبوعات لم يزد الصحف إلا شدة فى لهجتها ودعوة إلى فك هذه القيود .

مقتل بطرس غالى باشا : وقد كان لهذه الحوادث الهامة أثرها فى البلاد ، فقام شاب متحمس هو « إبراهيم ناصف الوردانى » ، واعتدى على حياة بطرس غالى باشا رئيس النظارة . ومما يدل على تمكن الروح الفدائية فى نفس هذا الشاب وتغلغل الدعاية الحزبية فى عقله أنه لم يهرب بعد الاعتداء ، ولم يحاول عند محاكمته إنكار الدوافع الحقيقية التى دفعته إلى ارتكاب ما ارتكب .

العدول عن مشروعات الاصلاح : وقد كان مقتل بطرس باشا وعدم الموافقة على مد أجل قناة السويس سبباً فى عدول غورست عن مشروعاته التى جاء لينفذها ، كتوسيع اختصاص مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، لاعتقاده أن الإقدام على هذه الخطوة يشجع المصريين على طلب ما هو أكبر منها فى وقت التهيج والالتهاب ، وأن المماطلة تميت هذه الروح أو تضعفها — والواقع كان غير ذلك . فزاد الوطنيون شعوراً بحقهم وطلبوا دستوراً وبرلماناً كالذى كان فى عهد توفيق قبل الاحتلال البريطانى . وقدمت هذه المطالب لنظارة محمد سعيد باشا الذى خلف بطرس باشا .

انتهاء سياسة الوفاق : وفى سنة ١٩١١ توفى « السير الدون غورست » ، وخلفه اللورد كتشنر . وكان لهذا التعيين معناه ، وهو التحول من سياسة الوفاق إلى سياسة الشدة ، فاستبد بكل شىء ، وكان يطوف بالأقاليم كأنه الحاكم الشرعى ، وانزوى الخديو فى قصره .

وقد ظلت هذه الحال حتى سنة ١٩١٤ ، فحدثت أزمة وزارية ، إذ استقالت نظارة محمد سعيد باشا ، فطلب كتشنر من مصطفى باشا فهمى أن يؤلف النظارة . وأشار عليه بأن يأخذ فيها أحمد حلمى باشا لأن كتشنر وعده بها نظراً لسوء حالته المالية . فأبدى مصطفى باشا رغبته فى أن تترك له الحرية فى اختيار زملائه ، وكانت هذه مفاجأة للورد كتشنر بعدما أصبح الحاكم بأمره ، ولا سيما من رجل الإنجليز مصطفى باشا ، فاضطر أن يطلب من الخديو التدخل لحل هذه الأزمة ، فتقدم سموه وأشار بتعيين رشدى باشا ، وبهذا انحلت الأزمة ، وظهر نفوذ الخديو كحاكم شرعى .

وعقب هـذا قام برحلة فى الأقاليم تجلى فيها الشعور الوطنى والالتفاف حوله ، وهب الوطنيون من جديد يرددون دعوتهم للحياة النيابيـة والدستور على صفحات الجرائد ، وخصوصاً جرائد الحزب الوطنى ، ويجدون من الخديو عطفاً على مطالبهم .

الجمعية التشريعية : ورأى الإنجليز مصانعـة الرأى العام وإجابة شىء من مطالب الوطنيين ، فعدل قانون مجلس شورى القوانين تمهيداً لانتخاب الجمعية التشريعية فى مجال أوسع من مجال المجلس السابق . ومن دلائل يقظة الشعور القومى فى هذا الوقت الاهتمام الظاهر من الشعب بالانتخابات اهتماماً لم يكن منتظراً .

وقد رشح سـعد زغلول باشا نفسه ونشر بيـاناً انتخابياً لأول مرة فى تاريخ الحياة النيابيـة بمصر موضحاً خطته ومبـادئه ، وحذا حذوه بعض المرشحين ، وتمت الانتخابات فى اهتمام ظاهر بها وحيوية كبيرة فى شعور الأمة . واختـير سعد باشا وكيلا منتخباً للجمعية ؛ ومن هذا الوقت اعتبر الوكيل عن الأمة والمعبر عن شعورها .

ومن الأدلة المشرفة أن خياطاً ساومه أحد المرشحين لإعطاء صوته له مقـابل عشرة جنيهات فأبى . ولما سمع سعد باشا بالخبر اصطحب معـه وفداً من النواب فى مقـدمته على شعراوى باشا ، ومحمود سليمان باشا وذهبوا لتهنئة هذا الخياط الفقير الذى أبى أن يبيع ضميره بالمال ، وضرب للشعور بالـكرامة القومية مثلا رائعاً فى هذا الوقت .

عهد الحماية والشعور المكتوم : وفى أواخر سـنة ١٩١٤ أحدثت إنجلترا بمصر انقلاباً خطيراً بسبب نشوب الحرب : فعزلت الخديو ، وأعلنت الحماية على مصر ، وعينت الأمير حسـين كامل سلطاناً عليها والخديو غائب فى أوربا . وقد قوبل هـذا الانقلاب بالامتعاض من الشعب .

ولما كانت الاجتماعات محظورة ، والأفواه مكممة ، والصحف لا تنشر شيئاً إلا ما ترى الرقابة نشره ، وسيف الأحكام العرفية مصلت على الرقاب ، فإنه لم تصدر إشارة من أحد بالاستحسان لما وقع أو الاستهجان .

غير أنه عندما أخذت السلطة العسكرية تمس كيان الفلاح الاقتصادى ، وأخذت قطنه وحبوبه بأسعار محددة ، وأضافت إلى ذلك جمع الرجال بطرق إجبارية باسم التطوع — غلت مراجل الاستياء واستعدت للانفجار .

بعد الهدنة : وكان المصريون ينتظرون اليوم الذى تضع فيه الحرب أوزارها لترد إليهم بريطانيا الأمانة التى تحت يدها وهى الاستقلال .

ولكن وقعت الهدنة وظلت الأحكام العرفية باقية ، ولم يبد ما يدل على قرب إجابة الأمانى المصرية .

وقبل ذلك كان جماعة من كبار رجال مصر قد اتفقوا على تأليف وفد ينوب عن المصريين للمطالبة بحقوقهم ، وعلى رأسه سعد باشا . وتم التوقيع على وكالة هذا الوفد من عدد كبير جداً من الأمة رغم وجود الأحكام العرفية ومحاربة السلطة الإنجليزية للحركة ، وجمعت له الأموال فى فترة قصيرة على طريق التبرع ، مما يدل على يقظة الشعور القومى بدرجة عظيمة . وقرر الوفد السفر إلى فرنسا لحضور مؤتمر فرساى ، وانتدب ثلاثة من أعضائه هم : سعد زغلول باشا ، وعلى شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك لمقابلة السير ونجت القومسير البريطانى فى دار الحماية للمطالبة بالحقوق المصرية .

وفى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ قابلوا السير ونجت لطلب الإذن فى السفر إلى مؤتمر فرساى . وعند مقابلتهم له قال على شعراوى باشا : « إننا نريد أن نكون أصدقاء للإنجليز صداقة الحر للحر ، لا العبد للسيد » ، فأجابه فى دهشة : « إذن أنتم تطلبون الاستقلال ! » فرد سعد باشا قائلا : « ونحن له أهل . وماذا ينقصنا ليكون لنا استقلال كباقى الأمم المستقلة ؟ » . وبعد حديث طويل صرح له بأنه سيستشير حكومته . وفيما بعد لم يرخص العميد البريطانى للوفد السفر رغم تأييد وزارة رشدى باشا لهذا الطلب .

فاستقالت الوزارة احتجاجاً على ذلك المنع . ولم يتقدم أحد لتولى الوزارة مدة فنفت إنجلترا أعضاء الوفد إلى مالطة وحملتهم تبعة بقاء البلاد بلا وزارة ، وكان هذا فى ٩ مارس سنة ١٩١٩ ، اعتقاداً بأن هذا الضغط يطفئ الشعور الآخذ فى التوهج والاشتداد .

الانفجار والثورة الكبرى : تردد نبأ اعتقال أعضاء الوفد فى أنحاء القاهرة يوم حدوثه ، فبدأت النفوس تهيج ، وانتشر الخبر بسرعة فى أنحاء البلاد والناس بين مصدق ومكذب . وكأنما كان نبأ اعتقال هؤلاء الزعماء ونفيهم لمالطة نذير الثورة العامة فى جميع أرجاء القطر ، أو شرارة ألقيت على مستودع من البارود فاشتعل دفعة واحدة وانفجر .

وفى وقت واحد قام الأهالى فدمروا خطوط السكك الحديدية وعطلوا التليفونات والتلغرافات منعاً لاتصال القوات الإنجليزية فى أنحاء البلاد ، كأنما كانوا على تفاهم تام ، وكأنما هى خطة مدبرة بين الجميع . ووصل الحال إلى أن بعض المدن والمديريات أعلنت استقلالها وألفت حكومة داخلية فيها ، وأضرب الموظفون والعمال فى السكك الحديدية وسواها من طرق المواصلات ، وامتنع المحامون عن مزاولة قضاياهم فعطلت أعمال المحاكم .

وخرج القضاة بملابسهم الرسمية وألفوا مظاهرة فخمة إعلاناً لاستيائهم ، فكان لهذا المنظر روعة فائقة وأثر فى النفوس عظيم .

وبرزت المرأة المصرية من خدرها ، فاشتركت فى المظاهرات الوطنية بشكل لم يسبق له مثيل ، تحت زعامة السيدة الجليلة والوطنية القديرة هدى هانم شعراوى .

وذات يوم كانت تقود مظاهرة كبيرة من السيدات . وعند وصولهن إلى منزل سعد وجدن هناك قوة مرابطة من الإنجليز لمنعهن من المسير . وقد حاصرتهن القوة وصوب أحد الجنود بندقيته لهن ، فتقدمت الزعيمة منه وقالت له : « ليكن لمصر اليوم مس كافل ثانية » ، فخجل الجندى . وبعد قليل انسحبت القوة . ولم يمنع المتظاهرين من شبان الوطن وشيبه وأطفاله رصاص الرشاشات التى كانت تحصدهم حصداً ، وكثيراً ما استشهدوا وهم يهجمون للاستيلاء عليها .

وبلغ من عظمة هذا الشعور أن المكارية ورعاع القوم كانوا يمنعون الطلاب من تعريض أرواحهم للهلاك ويفتدونهم بأنفسهم فى مقدمة الصفوف لأن الطلبة هم عدة الأمة .

وكان سكان البلاد ، من مسلمين وأقباط ، متضامنين فى هذا الشعور القومى ، فنسى الجميع الفوارق الدينية فى يوم الهول العظيم .

الافتخار بالقومية المصرية : وفى هذا الوقت بلغ الشعور بالقومية المصرية ذروته العليا ، ورفع المصريون رءوسهم مباهين بمصريتهم ، مفتخرين بانتسابهم لوادى النيل .

وأذكر أننى فى هذا الحين كنت فى السويسرة مع جماعة من المصريين ممنوعين من العودة إلى الوطن ، ولما وصلتنا أخبار الثورة المصرية منشورة فى جريدة الديبا الفرنسية طفرت الدموع من عينى ؛ ولم أكن أدرى أهذه دموع الأسى على القتلى والجرحى من المصريين أم دموع الفرح بهذا البعث الجديد فى روح الشعب القومية .

الافراج عن المعتقلين : ولما لاحظت السلطة البريطانية أن وسائل الشدة لا تكبح هذا الشعور الجامح ، ولا تميت هذه النفوس التى لا يزيدها التقتيل إلا استبسالا — رأت أن تفرج عن الزعماء المعتقلين بمالطة ، وتسمح لهم بالسفر لأوربا ، لعل ذلك يرضى شعور الأمة ويطفئ من حدة هذه الثورة ؛ وقد تم ذلك فى أبريل سنة ١٩١٩ .

لجنة ملنر ومقاطعتها : وبينما الوفد فى أوربا قائم بالمدافعة عن حقوق مصر كانت الحالة فى داخل البلاد مضطربة غاية الاضطراب . لذلك أرسلت إنجلترا لجنة برياسة اللورد ملنر لفحص أسباب الثورة .

وكان مما دهش له اللورد أن الأهالى — بما فيهم الأمراء — قاطعوه مقاطعة تامة . وقد ظن أن هذه المقاطعة لا بد أن تكون مدبرة ؛ ولكن الواقع كان غير ذلك إذ أن الشعور القومى الفياض هو السبب فى توافق الناس جميعاً فى تصرفاتهم .

ولم يستطع اللورد أن يحصل على أية معلومات إلا من بعض الوزراء وبعض كبار الموظفين .

وقد راجت إشاعة بأن اللورد مر فى طوافه بفلاح فى الحقل ، فقرب منه متلطفاً وسأله « ماذا تزرع » ؟ ولما أخبر باسم اللورد وعرف سؤاله كان جوابه : « عندك سعد باشا اسأله فأنا مقاطعك » .

وقد أحس ملنر ولجنته بعظمة هذا الشعور ، فعرفوا عن المصريين ما لم يكونوا يعرفونه ، وعادوا لبلادهم بعقيدة جديدة .

وبعد عودته أرسل إلى سعد باشا فى باريس يطلب حضوره إلى لندن للمفاوضة فى المطالب المصرية . وقد انتهت المفاوضات بمشروع ملنر المعروف ، فأرسل به سعد مع بعض أعضاء الوفد إلى مصر لعرضه على الشعب الذى أظهر تفوقاً فى فهم المسائل السياسية

بإبداء التحفظات على هـذا المشروع . وعنـدئذ رفض ملنر النظر فى هـذه التحفظات فانقطعت المفاوضات .

استقبال سعد باشا وأعضاء الوفد : ومما يدل على بلوغ هذا الشعور ذروته الاحتفال الهائل الذى استقبل به سعد باشا ورفاقه عند عودتهم من أوربا بعـد مفاوضات سعد وملنر . ومن الفكاهات ذات المغزى الـكبير أن الشطار « النشالين » أعلنوا فى هـذا اليوم أنهم ، ابتهاجاً بعودة المنفيين ، وحتى لا يعكر على المحتفلين أى معكر ، قد قرروا عدم مزاولة مهنتهم فى هـذا اليوم ويومين بعده . ومن الغريب تنفيـذ قرارهم بحيث لم يعرف أن أحداً فقد نقوده مع الازدحام الشديد .

الانقسام : ولقـد ظلت الأمة كلها كتلة واحدة فى شـعورها حتى شهر مايو سـنة ١٩٢١ . ولـكن مما يؤسف له أن هـذا الإجماع الرائع الذى أجبر الإنجليز على احترامه سرت فيه عوامل الانشقاق حتى انتهت بانفصال بعض أعضاء الوفد عنه .

تكوين الاحزاب الحديثة : كان قد بقى من الأحزاب الثلاثة القـديمة — الحزب الوطنى وحده ، ولـكنه فى أثناء الثورة كان مندمجاً فى كتلة الأمة التى كانت مجموعة واحدة . فلما بدأت المفاوضات اعتزل الحزب الوطنى برأيه القائل بعدم المفاوضة إلا بعد الجلاء . ولـكن كتلة الأمة كانت وراء الوفد سليمة قوية ، مقتنعه بمبدئه القائل بالعمل لاستقلال مصر والسودان بكل الوسائل المشروعة .

ولما انشق بعض أعضاء الوفد على سعد باشا فـكر عدلى باشا وثروت باشا فى تأليف حزب جديد يسمى « حزب الأحرار الدستوريين » ، يتحد مع الوفد فى الغاية ويختلف عنـه فى السبيل إليها ؛ وتم تأليفه فى ١٣٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢ .

وقد كان هم هـذا الحزب معاضدة وزارة ثروت باشا الذى جاء بتصريح ٢٨ فبراير من السنة المذكورة ، وألف لجنة من ثلاثين عضواً ليس بينهم أحد من الوفديين لوضع الدسـتور . وكان الوفد يعتـبر التصريح نكبة على مصر ويسمى لجنة الدسـتور بلجنة الأشقياء ، إذ كان الخلاف على أشده بين الفريقين .

ولـكن الأمة فى مجموعها كانت ممثلة فى الوفد ، فلما أجريت انتخابات سـنة ١٩٢٤ فاز فيها الوفديون بأغلبية ساحقة ، تـكاد تكون إجماعاً .

وفى ١٠ يناير سنة ١٩٢٥ تألف حزب « الاتحاد » وكان من أهم أغراض مؤلفيه إضعاف نفوذ الوفد وتقوية نفوذ بعض الجهات الرئيسة التى كانت تخشى توسع الوفد فى السلطان .

وفى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٠ تألف حزب الشعب بعد ما استبدل إسماعيل صدقى باشا دستوراً جديداً بدستور سنة ١٩٢٣ يضيق من سلطة الأمة . ومهمة هذا الحزب مناصرة الدستور الجديد وتأييد النظام الذى قام على أساسه .

أثر هذه الاحزاب فى هبوط الشعور القومى : إذا كان للحزب الوطنى عند تأليفه سنة ١٩٠٧ أثر طيب فى إثارة الشعور القومى ، فقد كان لهذه الأحزاب الجديدة عكس هذا الأثر ، وذلك لتفرق مجهود البلاد ورأيها على جملة جهات . ومهما تكن كتلة الأمة قد ظلت ممثلة فى الوفد إلا أنها لم تعد بالنسبة التى كانت عليها سنة ١٩٢١ قبل الانقسام أو سنة ١٩٢٤ عند أول انتخاب .

وقد أضعفت المناوشات الحزبية حدة الشعور الوطنى ، وظل راكداً إلا فى فترات قصيرة كان يعود فيها إلى الاشتداد . ومن هذه الفترات :

أولا — يوم اجتماع المؤتمر الوطنى سنة ١٩٢٦ ، ذلك المؤتمر الذى اجتمع فيه الوطنيون والوفديون والدستوريون ورجالات البلاد وكبراؤها تحت رياسة سعد باشا لمناهضة حزب الاتحاد ، الذى كان يتولى الحكم إذ ذاك ، وللدفاع عن الدستور المهدد والبرلمان المعطل .

وقد أفلح هذا المؤتمر ، واضطرت الوزارة إلى النزول على إرادته ، فارتفع « ترمومتر » الشعور القومي على أثر هذا الانتصار .

ثانياً — وكذلك ارتفعت حرارة هذا الشعور عقب استقالة المغفور له ثروت باشا سنة ١٩٢٧ ، وتولى النحاس باشا الوزارة ، وتقديم « قانون الاجتماعات والمظاهرات » للبرلمان ، وكان يراد به توسيع حرية الشعب فى القيام بهذه الاجتماعات ، فعارض المندوب السامى ذلك ، وأرسل بلاغاً للوزارة بسحب القانون ، فرفضت أول الأمر ، فابتهج الوطنيون بهذا الموقف ، وغلا الشعور العام ، ولكنه هبط بعد ذلك حين تراجع النحاس باشا وعمد إلى تأجيله .

ثالثاً — وفى سنة ١٩٣٠ ، عندما أجرى صدقى باشا الانتخابات فقاطعها الوفديون والدستوريون ، عندئذ اصطدمت قوات الحكومة بكثير من المظاهرات ، فقتل بعض المتظاهرين وجرح عدد منهم ؛ وكانت البلاد جميعها تغلى فى أيام هذه الانتخابات ، حتى اضطرت الحكومة إلى تدخل الجيش بكامل هيئته للمحافظة على النظام .

رابعاً — فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، وكان المغفور له نسيم باشا فى الوزارة تؤيده الأغلبية الوفدية ، وقد ألغى دستور سنة ١٩٣٠ الذى أصدره صدقى باشا ، وكان المفهوم أن هذا مقدمة لإعادة دستور سنة ١٩٢٣ ، ولكن الإنجليز ظلوا يقيمون العقبات فى طريق إعادته . وفى يوم ١٧ نوفمبر ألقى وزير خارجية إنجلترا « مستر صمويل هور » تصريحاً فى مجلس النواب البريطانى يفهم منه أن الظروف لا تسمح بإعادة هذا الدستور فى الوقت الحاضر .

فصل الشباب : عندئذ انفجرت الثورة مبتدئة من ساحة الجامعة المصرية والجامعة الأزهرية ثم بقية المدارس على اختلافها ، وخر الشهداء صرعى من الطلبة يهتفون باسم الوطن . وكادت تمتد الثورة إلى طبقات الشعب الأخرى كما حدث فى سنة ١٩١٩ لولا أن الأيام لم تطل ، فسرعان ما ضغطت جموع الطلبة على زعماء الأحزاب المتنافرين المتخاصمين فاضطروهم لترك التنابز بينهم وإعلان استعدادهم للوفاق . ثم ازداد الضغط حتى اضطر الإنجليز إلى تبليغ نسيم باشا أنهم لا يعارضون فى عودة الدستور ، وعلى أنهم على استعداد للمفاوضة مع جبهة متحدة من الأحزاب المصرية لتسوية المشاكل المعلقة بين البلدين ، وعقد معاهدة ومحالفة صداقة .

« **وزارة على ماهر باشا والمعاهدة المصرية** : عندئذ أوحى إلى نسيم باشا بالاستقالة ؛ وتقلد الوزارة على ماهر باشا الذى بذل جهوداً جبارة موفقة فى جمع الكلمة بين الأحزاب ، ووضع تقليد وحدة نظر السراى إلى الهيئات المصرية جميعاً ، فتألفت الجبهة المتحدة من الأحزاب كلها ومعها الحزب الوطنى .

وبعد هذا دارت المفاوضات بين الجبهة المتحدة وبين ممثلى إنجلترا حتى انتهت بعقد المعاهدة فى لندن بعد عجز كل حزب عن عقدها منفرداً منذ أيام الثورة الأولى .

وفى هذه الفترة كانت الحماسة بالغة أشدها ، فنظمت القصائد وألقيت الخطب وأنشدت الأناشيد والأغانى الحماسية .

كلمـــة عن مصطفى كامل باشا

عهد الفاروق وزعماء النهضة . الشعور القومى قبل مصطفى كامل . تعارف عباس ومصطفى . اللجنة السرية . حديث مصطفى كامل مع الكولنيل بارنج . عبقرية مصطفى كامل فى الدعاية وعريضته لمجلس نواب فرنسا . تعرفه الى مدام جوليت آدم . أول خطبة له بالاسكندرية . انفصاله عن الخديو . حادثة دنشواى وحسن استغلاله لها . تأليف الحزب الوطنى . وفاته . كلمة عن أخلاقه الفقيد .

* * *

فى يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٠ ، بمناسبة إزاحة الستار عن تمثال الزعيم الوطنى الأول ، نشرت بالأهرام هذه الكلمة :

عهد الفاروق وزعماء النهضة : بارك الله فى عهد الفاروق ، فهو عهد تكريم بناة الوطن وأبطال الاستقلال .

ففى أول هـــذا العهد المبارك رفع الستار عن تمثال سعد باشا قائد النهضة المصرية وممثلها . وها نحن أولاء ، ولم تنقض ثلاثة أعوام على تولى الفاروق ، نحتفل برفع الستار عن تمثال مصطفى كامل خالق النهضة الوطنية وباعثها ، بعد أن طال احتجابه ، وكاد النسيان يجر عليه أذياله .

وإننى إذ أتحدث اليوم عن الزعيم المصرى الأول فإنما أتحدث بعاطفة حب الوطن ، وأرتدى لباس التاريخ الذى وهبت حياتى له ، وكرست جهودى فى سبيله .

والمؤرخ لمصطفى كامل يجد مجال القول متسعاً أمامه ، لأن حياته القصيرة حافلة بجلائل الأعمال ، وصفاته وأخلاقه موضع شرح وتفصيل . غير أن الوقت محدود فلا مناص من الاكتفاء بالإشارة إلى بعض مواقفه الخالدة فى تاريخه وتاريخ البلاد .

الشعور القومى قبل مصطفى كامل : ولكى ندرك عظمة الجهود التى بذلها مصطفى فى حياته ، ومقـدار الأثر الذى أحدثته هذه الجهود فى يقظة الشعور القومى ، يجب أن نعرف شيئاً عن حالة هذا الشعور قبل ظهور الفقيد .

لقد ظل الشعب أجيالا طويلة فى عهـــد الترك والمماليك خامد الشعور ، فلم يبـدأ فى التيقظ الخفيف إلا فى أواخر عهـد إسماعيل ، حينما قدم إلى مصر السيد جمال الدين الأفغانى ، فالتف حوله جماعة من المثقفين يبث فيهم مبادئه الملتهبة ، ويحضهم على الشعور بشخصيتهم ، وينبههم إلى حقوقهم تجاه الحكام . وعاونتـه فى بث هذا الشعور فى دائرة أوسع جريدة « أبو نضارة زرقا » التى كان يصدرها صاحبها « جيمس صنوعه » باللغة العامية ، وهو صحفى يهودى متمصر ، ويضمنها التنديد بإسماعيل وحكومته فى قالب فكه يسهل فهمه على العوام .

وجاءت الثورة العرابية فى أيام توفيق فنبهت هذا الشعور حينما اتسع مداها واشترك فيها الكثيرون من الشعب ، وكثرت الكتابة فى الصحف بلهجة شديدة ، والخطابة فى المحافل . وكان عبد الله نديم خطيب الثورة العرابية يلهب الشعور بخطبه الحماسية .

إلا أن فشل هذه الثورة ، والاحتلال الإنجليزى بعدها ، أخمدا كل شعور ، وأسكتا كل لسان ، وفتا في عضد النهضة ، وملآ النفوس باليأس من الجهاد الوطنى ، حتى أن الخديو توفيق عاش مدة حكمه منزوياً فى قصره ، وكان وزيره الأول مصطفى فهمى باشا أداة منفذة للسياسة الإنجليزية ، دون أن يجرؤ إنسان على انتقاد هذه الحالة الشائنة .

فى هذا العهد نشأ مصطفى كامل ، فلم تضعف عزيمته ، ولم ييأس مع اليائسين من مستقبل بلاده ، وكان من حسن الطالع تربع خديو شاب على عرش البلاد وهو الأمير عباس الثانى . وقد عرف الناس عنه قبل توليته عدم رضاه عن سياسة والده وميله إلى استرداد حقوق وطنه ، فاستقبلوه مستبشرين بعهده ، متحمسين له سنة ١٨٩٢ .

تعارف عباس ومصطفى : فى هذه السنة زار الخديو مدرسة الحقوق ، وكان مصطفى كامل طالباً بها ، فألقى بين يدى سموه كلمة ترحيب تفيض وطنية وفصاحة ، فأعجب به الخديو . وبعثت جامعة الشباب والحماسة الوطنية بينهما عطفاً متبادلا ، وكان ذلك مما يدعو إلى الغبطة ، فقد كان الطالب الشاب يمثل الوطنية المصرية بأسمى معانيها ، وكان الأمير الشاب يريد أن يحاط عرشه بسياج من الوطنية .

ولما عزم مصطفى كامل على إتمام دراسته فى أوربا سافر إلى تولوز ، وعاد إلى مصر سنة ١٨٩٤ بعد أن أتم دراسته ، واختصر عامين فى عام ، لأنه كان فى لهفة على الإسراع بالعمل لوطنه ، كأنما كان يحس بقصر أيامه عن المهمة العظيمة التى يتصدى لها .

اللجنة السرية : ولما كان الخديو فى حاجة إلى الاستعانة على الإنجليز بالقوة الوطنية ، وخصوصاً بعد حادثة إقالة النظارة الفهمية وتعيين حسين فخرى باشا مكانه ، وبعد مسألة الحدود فقد اتفق مع مصطفى كامل على تشكيل لجنة سرية من بعض الشبان الممتازين بالوطنية ممن تلقوا التعليم العالى فى مصر والخارج ، فكان ذلك . وكنت من أعضاء هذه اللجنة أنا وزميلى فى المعيـــة « روليه بك » السويسرى أحـد أساتذة عباس فى فينا و « إسماعيل الشيمى بك » ، و « يوسف صديق بك » ، و « محمود سالم بك » القضاة بمحكمة المنصورة المختلطة ، وموسيو « ارستيدو جافيو » نائب الجالية الفرنسية بمصر ، وقد كان على اتصال بممثل فرنسا المركيز « دو رفرسو » الذى كان يعاضد سياسة الخديو ضد الاحتلال وكذلك مسيو « آن مارى » و موسيو « جوردان بيترى » المستشاران القضائيان ، وموسيو « برنت » العضو الفرنسى للسكك الحديدية .

وقررت هـذه اللجنة القيام بالدفاع عن مصالح مصر بالـكتابة فى الصحف الفرنسية فى مصر وباريس بأسماء مستعارة وبالخطب التى أخـذ مصطفى كامل يلقيها فى أوربا معبرة عن الأمانى المصرية .

ولما كنا فى حاجة إلى الدفاع عن وجهة نظرنا فى أوربا على يد شركة هافاس ، فقـد اتفقت السراى مع مسيو « لوسيير » وكيلها على أن يتخلى عن خدمتها مقابل مبلغ دفع إليه من الخديو بواسطة يوسف صديق بك ، وخلفه مسيو « جورج فسييه » الذى انتخبه المعتمد الفرنسى ، وكان يعاوننا ، بإرسال البرقيات التى تؤيد آراءنا . ثم أصدر بعد ذلك جريدة « دوكير » للدفاع عن القضية المصرية ، وكنا نكتب فيها فى أحيان كثيرة .

حديث مصطفى كامل مع الكولنيل بارنج : وقد كنت دائم الاتصال بمصطفى كامل فى أثناء وجوده بفرنسا للدعاية . وفى ٢٥ يناير سنة ١٨٩٥ وردت إلىّ منـه رسالة عن حديث دار بينه وبين الـكولنيل بارنج شقيق لورد كرومر ، جاء فيها :

« جمعتنى والـكولنيل بارنج صدفة من أحسن صدف الحياة ، استطلعت فيها رأيه بشأن المسألة المصرية ، وما ينويه لها الإنجليز من النيات « الحسان » ! ! فأرسل لك نص الحديث إظهاراً لرأى رجل من كبار رجال الإنجليز ، فضـلا على أنه أقربهم إلى معتمد الدولة البريطانية فى مصر » .

وهذا الحديث طويل لا يستطاع نقله هنا بنصه . وخلاصته أن الكولنيل بارنج يرى ضرورة الاحتلال والفقيد يرى ضرورة الجلاء ، ويتمسك بأن هذا من حق مصر الذى تعهدت بريطانيا برده إليها فى مناسبات كثيرة ، وأن فى مصر رجالا وطنيين يعملون لصالح بلادهم ، فيجب ألا يغتر الإنجليز بوجود بعض المصريين الذين يمالئون الاحتلال ، وأن لمصر أنصاراً فى الخارج من أوربا التى تناديها مصالحها الكثيرة بأن تنصر المصريين على المحتلين .

وقد تجلت فى هذا الحوار براعة مصطفى كامل وشدة إيمانه بحقوق وطنه . فإنه ، وهو الشاب الصغير ، استطاع أن يحاور بصراحة شقيق المعتمد الإنجليزى ، ويسكته بالحجج القوية ، حتى يقول له الكولنيل فى النهاية : « إنى أقف معك فى الحديث عند هذا الحد ، فلقد رأيت أن حميتك تملى عليك القول ، ووطنيتك تحقق لك آمالك البعيدة ! »

وفى هذا الحوار درس لكل شاب مصرى يستطيع أن يتلقنه عن زعيم الشباب الذى نحتفل الآن بيوم من أيامه الخالدة .

عبقرية مصطفى كامل فى الدعاية وعريضته لمجلس نواب فرنسا : وقد استمر مصطفى فى جهاده للقضية التى آمن بها منذ نشأته ، وساعدته فى هذا الجهاد عبقريته الفذة فى ابتكار وسائل الدعاية التى تلفت الأنظار . ففى يونيو سنة ١٨٩٥ قدم نداء إلى مجلس نواب فرنسا فى شكل صورة رمزية سياسية تمثل مصر ترسف فى قيود الاحتلال وتستصرخ فرنسا لتعاونها على التحرر كما عاونت أمريكا وإيطاليا واليونان وبلجيكا على نيل حريتها من قبل .

وقد قام بتنفيذ فكرة الصورة « مسيو فليبويونو » أستاذ الرسم الفرنسى بالمدارس الأميرية . وطبعت منها ستة آلاف نسخة وزعت على أعضاء مجلس النواب الفرنسى وعلى الصحف فى العالم ، وعلى كثير من السياسيين المشهورين ، فكان لهذا العمل دوى هائل فى صحف العالم ، نبه الأفكار إلى القضية المصرية التى اجتهد الاحتلال فى إخفائها عن الأنظار . وقد عرف الإنجليز أن للحاشية يداً فى تحريض المدرس الفرنسى على إخراج الصورة ، فغضبوا وهموا بنفيه من مصر .

تعرف الى مدام جوليت آدم : وقد كان من الحوادث البارزة فى تاريخ مصطفى كامل التى عاونتـه فى الجهـاد ، ومهدت له كثيراً من السبل فى أوربا لنشر دعوته ، تعرفه إلى مدام جوليت آدم التى اتخذته ابناً روحياً لها .

ولا أريد تفصيل المعاونة التى قدمتها هـذه السيدة البارّة له وللقضية المصرية التى يمثلها ، ولـكننى أقف باحترام أمام رسالته الأولى لها التى يتمثل فيها صدق إخلاصه لوطنه ، ومقدار إيمانه بحقه ، وعظمة استعداده للتضحية فى سبيله ، وهو يقول :

« سيدتى

«انى لا أزال صغيراً ، ولكن لى آمالا كباراً ، فانى أريد أنه أوقظ مصر النهضة ، مصر الفتاة . لهم يقولون انه وطنى لا وجود له ، وأنا أقول ، يا سيدتى ، انه موجود ، وأشعر بوجوده بما آنس له فى نفسى من الحب الشديد الذى سوف يتغلب على كل حب سواه ، وسأجود فى سبيله بجميع قواى ، وأفديه بشبابى ، وأجعل حياتى وقفاً عليه » .

فياشباب مصر ، هذه كلمات الزعيم الأول ، وهى كلمات كريمة تصور شعوراً نبيلا ، فليكن كل شاب مصرى « مصطفى كامل » فى عظمة هذا الشعور .

أول خطبة له بالاسكندرية : ولا بد للمؤرخ أن يسجل أول خطبة وطنية للفقيد فى أرض الوطن بعد أن ملأ أوربا خطباً وأحاديث ومقالات . فقد عاد إلى مصر فى سنة ١٨٩٥ وقلوب المصريين تتجه إليه ، وفى ٣ مارس سنة ١٨٩٦ ألقى هـذه الخطبة فى المسرح العباسى ، وكان الاجتماع حافلا بالمستمعين من المصريين وبعض الأجانب . وكانت الخطبة الأولى لزعيم وطنى بعد أربعة عشر عاماً من الاحتلال الإنجليزى ، فكان لها صدى عظيم فى صحف مصر وأوربا ، وتأثير شديد فى نفوس المصريين ، وقدم له أهالى الثغر عند عودته للعاصمة وساماً من الفضة رسم على أحد وجهيه صورة السعف المصرى ومسلة الثغر ، وكتب على الوجه الآخر : « برهان الاخلاص من أهالى الاسكندرية للوطنى الغيور مصطفى كامل » .

ومن هـذا اليوم ارتقى الفقيد من مجاهد شاب ينادى بحق بلاده ، إلى زعيم وطنى يلتف حوله الوطنيون فى بلده .

انفصال عن الخديو : ولقد ذكرت فى أول هذه الكلمة أن الخديو عاون مصطفى كامل وساعده ، ولكن من الواجب أن أقرر أن جرأة هذا الشاب وقوته فى جهاده كانت مستمدة من إيمانه بالواجب أكثر من أى عامل آخر .

ولذلك انفصل عن الخديو سنة ١٩٠٤ حينما رأى سموه يميل إلى اليأس من مجاهدة المحتلين ، عقب إبرام الاتفاق الودى بين إنجلترا وفرنسا ، وأرسل إلىّ رسالة بذلك فى أكتوبر سنة ١٩٠٤ لأقدمها للخديو . وكانت رسالته نموذجاً للتأدب فى الأسلوب مع وضوح موقفه . ويعتبر هذا الموقف من أخلد مواقف الفقيد ، وأشدها توضيحاً لقوة عزيمته ، وإيمانه بالله والوطن ، وحسن آدابه ، فإنه مع غضبه لم ينس حسن التعبير واحترام الأمير . وقد أبرزت هذا للخديو عند قراءتنا للرسالة . ومن هذا الحين أخذ ينقد خطة الخديو فى التسليم للإنجليز ، فندد بوقوفه تحت العلم البريطانى فى حفلة استعراض الجيش الإنجليزى ، وانصرافه إلى العناية بشئونه الخاصة وزيارته للندن ... الخ .

وعند ذلك سار مصطفى بالقضية الوطنية مستقلا عن الخديو معتمداً على الله وعلى نفسه والمخلصين من أصحابه ، وعلى الشعب الذى كان ينفخ فيه كل يوم من روحه ، ويحاول إثارة وطنيته بمختلف الوسائل : من خطب ، إلى مقالات ، إلى أحاديث تسير بها صحف العالم فى كل مناسبة .

حادثة دنشواى وحسن استغلاله لها : وقد ساعدته الظروف ، فهيأت له حادثة دنشواى الشهيرة سنة ١٩٠٧ التى استغلها فى دعايته ضد الاحتلال أحسن استغلال ، فطاف عواصم أوربا ومنها لندن نفسها ، منددا بشناعة الحادث ، مصوراً الاحتلال فى أبشع صوره ، حتى اضطرت الحكومة الإنجليزية أن تقيل معتمدها فى مصر ، الذى وطد قدم الاحتلال طيلة خمسة عشر عاماً ، وأن تستبدل بسياسة العداء للخديو سياسة الوفاق على يد المعتمد الجديد السير إلدون غورست .

وعند هذا سقطت الدعاوى التى كان يدعيها الإنجليز من أنهم حماة العدالة ورعاة الإنسانية ، وتفتحت أعين الشعب إلى هذه المخالفة بين الواقع والحقيقة ، فقلت العرائض التى كانت تقدم لدار المعتمد بكثرة . وكانت هذه أكبر صدمة أصيبت بها سمعة الإنجليز فى مصر ، كما كانت نصراً مؤزراً لمصطفى كامل فى جهاده ، وسبباً فى ارتفاع صيته وبعد شهرته فى مصر وأوربا .

تأليف الحزب الوطنى : وعندما أحس مصطفى بقرب أيامه ، بعد المجهود المضنى الذى كان يبذله غير مشفق على صحته ، أراد أن ينظم أنصاره فى حزب ذى برنامج معين ونظام خاص ، فدعا إلى تأليف الحزب الوطنى . وفى ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٧ ألقى خطبة كبرى بتياترو زيزينيا بالإسكندرية ، كانت أكبر خطبه السياسية وأبعدها أثراً فى إيقاظ الشعور القومى .

وأعقبها تأليف الحزب فعلا فى ديسمبر من السنة نفسها . وقد ألقى الفقيد فى الجمعية العمومية للحزب التى انعقدت لأول مرة خطبة عظيمة جاء فيها :

« اننا اذا دعونا الناس للدخول فى هذا الحزب لا ندعوهم باسم سلطة عالية أو حاكم نافذ الكلمة ، بل ندعوهم باسم وطنيتهم ، باسم شرفهم ، باسم حقوق وطنهم ، باسم كرامة الانسانية ، باسم ذكريات آبائهم وأجدادهم ، باسم مصالح أبنائهم وأحفادهم » .

وفاته : وكأنما كان الأجل المحتوم يتربص بمصطفى حتى ينظم حزبه ويضع أسس الجهاد ، فما انقضى شهران على تأليف الحزب الوطنى حتى كانت صحة الفقيد قد ناءت بالمجهود الشاق المتواصل ، فصعدت روحه إلى بارئها راضية مرضية ، مطمئنة لما قامت به من الواجب فى سبيل مصر والمصريين .

وكانت جنازته مظهراً رائعاً لسمو تقدير الشعب لباعث النهضة الأول ، وموقظ شعوره العظيم .

كلمة عن أخلاق الفقيد : ولعل هذا الاستعراض السريع لحياة مصطفى كامل الوطنية يبرز لنا أهم صفاته التى ساعدته على النجاح . وفى مقدمة هذه الصفات الكبيرة : الوطنية العميقة ، والإخلاص المتأصل ، والجرأة العظيمة ، والإيمان بالله ، والعبقرية السياسية والصحفية ، وقوة الحجة ، وحضور البديهة .

فياشباب مصر : ليكن لكم فى سيرة مصطفى كامل وصفاته درس لا ينسى ولتتشبع نفوسكم بهذه الصفات الكريمة . فإن الوطن لا ينسى من يؤثرونه على أنفسهم ؛ والعمل الصالح لابد أن يجد الإنصاف من التاريخ ، كما يجد الإنصاف من الناس ولو طال به الجحود والكفران . وليقل كل منكم كما كان مصطفى يقول فى إحدى رسائله :

« ألا إن وطناً غذانى بنباته وحمائه ، واستظللت منه بصفو سمائه ، لجدير أن أدافع عنه دفاع الأبطال . فاما الى الرفعة والاستقلال ، واما أن أقضى آمال أن يقوم من أبنائنا أو أحفادنا من يبلغه عظيم الآمال » .

متفرقات

معلوماتى عن عارف باشا والشيخ شاويش . الحالة السياسية بعد وفاة سعد باشا . النخيل العراقى فى مصر . بنك مصر واقتراح زيادة رأس ماله . حديثى مع مندوب مجلة الهلال . رد على تحويل تركيا برفض رد ما قد صرف لى فى مدة الحرب . رجل الساعة على ماهر باشا .

***

معلوماتى عن عارف باشا والشيخ شاويش : كان محمد عارف باشا*[1] بعد عودته إلى مصر قد طلب من المالية أن تصرف له المتأخر من مرتبه باعتباره كان موظفاً فى معية الخديو ، فطلبت المالية من إبراهيم أدهم باشا*[2] ياور الخديو سابقاً أن يدلى إليها بمعلوماته عن حالة عارف باشا ، فأحالها على باعتبارى كبير الحاشية ، فحررت لها الإجابة الآتية يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٢٤ .

معلوماتى عن عارف باشا : « رداً على إفادة القسم المالى بخصوص طلب معلوماتى عما إذا كانت الحكومة العثمانية صرفت شيئاً من النقود لمحمد عارف باشا رئيس الديوان التركى الخديوى سابقاً ، أقرر أن الحكومة التركية قررت حوالى شهر مارس سنة ١٩١٥ بمناسبة الحرب العامة ، واقتداء بالحكومات الأخرى صرف مساعدات مالية شهرية إلى اللاجئين إليها من مصريين وغيرهم ، ممن سدت فى وجوههم طريق العودة إلى أوطانهم من خزانة نظارة الحربية ، من باب المصروفات المستورة .

ولما كان الباشا المشار إليه بالأستانة فقد صرفت له خمسة وسبعين جنيهاً عثمانياً شهرياً باعتبار أن هذا المبلغ هو نصف مرتبه المقرر له من الخزانة المصرية ، وبعد أربعة أشهر تقريباً استرد النصف الثانى عن المدة السابقة ، واستمر على أخذ المرتب كاملا إلى شهر اكتوبر سنة ١٩١٧ ، حيث عاد سمو الخديو السابق إلى الأستانة وعندها تقرر له

---

*١ ج ٢ . ق ٢ م .

*٢ ج ١ ؟ ج ٢ . ق ٢ ؟ ج ٣ م .

١٧٥ جنيهاً عثمانياً « بنك نوت » إلى أن ترك سموه الأستانة فانقطع فى أواخر سنة ١٩٢١ على ما أذكر ، ولم يوظف عارف باشا فى تركيا بعد ذلك .

ولا يخفى أن قيمة الأوراق العثمانية هبطت كثيراً ، وأثمان الحاجيات فى مدة الحرب وبعد الهدنة صعدت كثيراً ، حتى بلغ ثمن أقة الخبز نصف ليرة عثمانية ، والسكر أربعة جنيهات ، وزيت البترول كذلك ، ويقاس على هذا بقية لوازم المعيشة وأجور السكنى ، وهذه حالة لم يوجد لها نظير فى أى بلد آخر » .

معلوماتى عن الشيخ جاويش : فى يوم ١٢ اكتوبر من السنة نفسها ، وكان الشيخ عبد العزيز شاويش*[1] متهماً فى قضية الاعتداء على سعد زغلول باشا*[2] ، حضر عندى ضابط نقطة حدائق القبة ، وطلب منى الحضور فى صباح الغد أمام نيابة الاستئناف ، للإدلاء بأقوالى أمام على سالم بك المستشار المنتدب لتحقيق القضية . وقد سألنى عما إذا كان الشيخ عبد العزيز شاويش كان يأخذ مرتباً من الخديو السابق وعما أعلمه عنه مدة وجوده فى ألمانيا (وكان الشيخ قال للمحقق : اسألوا شيخ المعية) فأجبت بأن الأستاذ ما كان يأخذ مرتباً من الخديو ، وسموه كان يتهمه بأنه كان شريكا لمظهر الذى اعتدى عليه وكان يرغب أن يتناوله التحقيق ، ولكن بدر الدين بك الذى حضر من مصر خصيصاً لهذا الغرض لم يتمكن من تحقيق غرض سموه .

وفى سنة ١٩١٧ تدخل بعض المصريين بالأستانة فى إصلاح ما بين الخديو والشيخ ، وقد أقام سموه له مأدبة غداء فى قصر چبوقلى ، ومع ذلك ظل يحس بأنه ليس مخلصاً ، وكان الشيخ قد طلب نقوداً من الخديو السابق قبيل الهدنة للقيام ببعض الأعمال فى صالح تركيا وحلفائها ، فوعده ولكن لم يف بوعده .

أما حالته فى ألمانيا فلا أعلم عنها شيئاً .

الحالة السياسية بعد وفاة سعد باشا : فى يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٢٧ قابلت ميشيل لطف الله بك فسألنى عن رأيى فى الحالة السياسية بعد وفاة المغفور له سعد زغلول ، وعمن سينتخب رئيساً لمجلس النواب بعده . فقلت بلغنى أن الجميع فى مصر ينتظرون عودة باقى الوزراء والنواب من الخارج ، وإنما سمعت من أحد الشيوخ أن فى النية

---

* ١ ج ٢ . ق ٢ ؟ ج ٣ م . والحولية السادسة

* ٢ فى الحوليات والمذكرات .

ترشيح محمد سعيد باشا أو مظلوم باشا . وأننى أستبعد ذلك بسبب اتهام الأول فى مسألة دائرة سيف الدين ، والثانى ليس له من الكفاية ما يلزم لإدارة مجلس النواب الحالى . أما الوكيل الأول مصطفى النحاس باشا ، فليس له من احترام النواب ما يمكنه من القيام بالرياسة كما يجب . وأعتقد أن هذا المركز فى حاجة إلى شخصية بارزة ، كعدلى باشا أو ثروت باشا .

النخيل العراقى فى مصر : أرسلت وزارة الزراعة بعثة إلى العراق سنة ١٩٢٧ لجلب بعض أنواع النخيل الشهيرة ، مؤلفة من عضوين هما حسن افندى مرعى ومحمود بك أباظه ؛ وقد زودتهما برسالة منى إلى جلالة الملك فيصل وأهديت إليه مؤلفاتى .

وقد سهلت لهما الحكومة العراقية مهمتهما ، وجاءنى من رئيس الديوان الملكى العراقى الكتاب الآتى :

حضرة العلامة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا المحترم

سيدى المحترم :

تحية طيبة ، وبعد فإن جلالة مولاى الملك أمرنى بأن أشكر سعادتكم على الهدية النفيسة التى تكرمتم بتقديمها عن يد حسن افندى مرعى الذى قدم العراق لدراسة النخيل .

إن الموماً إليه حسن افندى مرعى ورفيقه محمود بك أباظه قد قاما بجولتهما الفنية خير قيام ، ولقيا فى البصرة وغيرها من التسهيلات ما جعلهما — على ما نظن — مسرورين من نتيجة مهمتهما . وقد عادا إلى وطنهما ، الأول عن طريق البحر والثانى عن طريق سورية مصحوبين بالسلامة .

وتفضلوا سيدى بقبول فائق الاحترام ؟ .

رئيس الديوان الملكى

وقد رددت عليه بالشكر ، وبأن عضوى البعثة يعترفان بالمساعدات القيمة التى قدمت لهما ويشكران الحكومة العراقية لتسهيل مهمتهما .

بنك مصر واقتراح زيادة رأس ماله : بعد أن عدت إلى مصر سنة ١٩٢١ ساهمت فى بنك مصر بمائتين وخمسين سهماً . ولما اجتمعت الجمعية العمومية للبنك فى العام الذى

يليه وعلمت من التقرير الذى تلى عليها أن الأسهم قليلة ناشدت المصريين ألا تفوتهم هذه الفرصة للاكتتاب فى الأسهم الباقيـة فيندموا ، كما ندم الذين فاتهم شراء أراضى الدائرة السنية عنـد طرحها للبيع حينما رأوا مقـدار الـكسب الذى عاد على المشترين . ثم قلت إن تجاربى تؤكد لى أن نجاح كل شركة يتوقف على الأمانة والـكفاءة فى إدارتها ، وهذا ما يتوافر فى إدارة بنك مصر ، ولهذا فإننى سأضاعف مقدار الأسهم التى بيـدى الآن ، فصفق السامعون طويلا

وفى يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧ كتب عبد العزيز بك رضوان فى جريدة السياسة يقترح زيادة رأس مال بنـك مصر . وقد راقنى الاقتراح فكتبت كلمة فى الجريدة يوم ٢٢ منه جاء فيها :

« إني بعـــد اطلاعى على ما جاء فى المقال لم يسعنى إلا أن أكتب فى الحال فى « السياسة » مؤيداً هذا الاقتراح ، وداعياً الصحف وحضرات المفـكرين من الـكتاب إلى تناوله بالبحث .

وإنى إذا كنت أؤيده فإنمـا تأييدى هـذا مبنى ، كما أشار حضرة صاحب العزة عبد العزيز رضوان بك ، على أنى مصرى قبل أن أكون مساهماً فى البنك .

إنى كمصرى يهمنى ، كما يهم كل مصرى ، أن يكون بنـك مصر أقوى ما يكون فى مركزه المالى والاقتصادى والاجتماعى . وهذه القوة — وإن كان أسـاسها الثقة ، والثقة والحمد لله متوافرة فيـه — إلا أن مضاعفة رأس ماله محتم وواجب حتى تتناسب مظاهر قوته وأسبابها مع مجهوده العظيم الذى يبذله لخير المصريين ولخير الوطن .

وقد حضرنا الجمعية العموميـة للمساهمين فى سنى البنك العـدة ؛ وعلمنا من تقارير مجلس إدارته كيف يرتقى ويتقـدم فى جميع فروع أعماله ؛ وكنا نحس دائماً كمساهمين بأمنية كبرى وهى أن نرى رأس ماله أضعاف ما يحتمل أن يكون .

وإذا كانت الضائقة المالية قد منعت البنـك من زيادة رأس المال فى السنة الماضية فإنه لم يعـد من المرغوب فيـه أبداً أن تؤجل هذه الزيادة بل تتحتم فى القريب العاجل حتى يزداد الزيادة المناسبة ، وحتى يشترك المصريون الذين لم يسبق لهم الاشتراك فى هـذا العمل القومى الجليل .

كما أننا نود كثيراً أن تكثر الودائع في البنك . ونعتبر الودائع مظهر الثقة الكبرى بل نعتبرها فى مصلحة البنك ومصلحة المساهمين الحاليين أنفسهم ، لأن الوديعة تدفع عنها فائدة محدودة تتراوح بين ٢ و ٤ فى المائة وقد لا تدفع عنها فائدة مطلقاً ، بينما رأس المال يستلزم فائدة توزع فى آخر كل سنة بواقع ٨ر٥ فى المائة وقد تزيد ، إلا أنه نظراً لأن بنك مصر لا ينظر إلى منفعته وحدها بل ينظر إلى أن تكون أسهم البنك موزعة على أقصى عدد ممكن من المصريين حتى يكون لأكبر عدد منهم نصاب فيه لا يتأخر عن زيادة رأس المال ولو دفع عنه فائدة أكثر مما يدفعه عن الودائع . والمساهمون أنفسهم مدفوعون بإحساس من التضامن الجميل يجعلهم يفرحون إذ يرون أن الكثيرين من المصريين يشتركون فى عمل هم مشتركون فيه ويعلمون أن فى زيادة هذا التضامن وفى زيادة هذا التعاون زيادة فى الثقة المتبادلة وفى التعاون المالى الذى يجب أن يسود طبقات الأمة المصرية جميعاً .

يضاف إلى هذا أن أعمال البنك قد اتسعت اتساعاً يوجب هذه الزيادة ويحتم على أرباب الأعمال أن يركزوا ودائعهم فيه ، فإنه لم يعد محل لعذر ، معتذر أياً كان ، فى الإحجام عن معاضدة هذا المصرف القومى الصحيح .

ومما يسر أن البنك يشجع المشروعات الوطنية الصناعية ويخلقها خلقاً وفق برنامج اقتصادى منظم معقول . وهو من أجل هذا يدفع شيئاً من أرباحه لتحقيق هذه الغاية . فنحن إذا قويناه بالإقبال على أسهمه إن هو طرحها للاكتتاب وبزيادة العناية بإيداع الموفر من أموالنا فيه نساعد على زيادة أرباحه ونساعده على أن يخصص جزءاً منها للأعمال التى تعود على البلاد بأعظم الفوائد .

فليتفضل حضرات أعضاء مجلس إدارة بنك مصر وليقرروا عاجلا زيادة رأس المال وليتأكدوا من أنهم إن فعلوا فسيلقون أعظم تأييد من المصريين » .

مقابلتى مع مندوب مجلة الهلال : فى يوليو سنة ١٩٢٩ زارنى مندوب مجلة الهلال ودار بيننا حديث نشره فى عدد أغسطس كما يلى :

ذهبت لزيارة الأستاذ أحمد شفيق باشا فى منزله فرأيت شابا فى سن السبعين له حكمة الشيوخ ونشاط الشباب ، حوى بين جنبيه نفساً عالية يزينها تواضع رزين . وبعد أن

استقر بنا المقام سألته قائلا : « رأيتم أن مصر تطورت فى السنين الأخيرة تطوراً كبيراً ، فهل تسمحون بذكر موازنة بين حالة مصر الآن وحالتها فى عهد الخديو توفيق باشا من الوجهتين الأدبية والاجتماعية ؟ »

مصر الآن وفى عهد الخديو توفيق : فقال : مما يبهر كل من شهد عصر توفيق وعصر فؤاد الأول ذلك التقدم العظيم في الصحافة والترجمة والتأليف الذى نراه الآن . ولم تكن الصحافة قد بلغت بعض هذا الشأو فى العصر التوفيقى . وكانت الوقائع الرسمية لها جانب ذو صبغة أدبية يقوم على تحريره نخبة من المفكرين كالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده*[1] وكالشيخ عبد الكريم سليمان*[2] أحد أجلاء العلماء . وكانت هناك صحف نقدية ذات أسلوب رشيق لذاع أذكر منها « أبو نضارة زرقا »*[3] وكان محررها أديب مصرى يدعى « جيمس » بارع فى تصوير الحالة السيئة فى ذلك العهد خصوصاً علاقة الحاكم بالمحكوم ، يشرحها بمحاورة فكهة بين عمدة وفلاح ، أو بين مأمور وعمدة أو ما شاكل ذلك . وثقل هذا الصحفى « الخفيف » على بعض النفوس فأوحت بإبعاده ، وأمر بمغادرة البلاد فزايلها إلى باريس وهناك تابع إصدار صحيفته ووالى إرسالها لقرائه الكثيرين فى مصر .

« وقد ظهر فى إبان الثورة العرابية صحفيان أديبان هما عبد الله نديم صاحب*[4] « حمارة منيتى » والشمسى . ولدى نماذج من صحافة هذا العصر .

« وكانت الترجمة ركيكة سقيمة ، فلم يكن الأديب ليشعر بالاستقلال الأدبى الذى يجعله يتصرف فيما ينقل إلى اللغة العربية تصرفاً يضمن ما يريده المترجم عنه ، ويحفظ للأسلوب العربى استقامته وطلاوته .

« وكان التأليف كثيراً ما يحاكى به السلف . وكان السجع لا يزال ذا سلطان على الأسلوب العربى يخرجه عن جزالته وحسن بيانه . وكان التحرير فى الدواوين سقيما سخيفاً .

« أما من الوجهة الاجتماعية فلا أستطيع أن أقول إنها بجملتها اطردت فى التقدم وإن كانت بجملتها قد تغيرت تماماً — فقد كان تعليم المرأة غير مرغوب فيه ، بل كان

---

* ١ المذكرات كلها
* ٢ م . ج ٢ بقسميه
* ٣ م . ج ٣
* ٤ م . ج ١

المتمدينون يحاولون تعليم بناتهم القراءة دون الكتابة . ولم تظهر العناية بتعليم الفتاة المصرية بعض الظهور إلا فى أواخر عهد الخديو إسماعيل على يد زوجته الثالثة ، وكانت سيدة راقية الفكرة سامية الإدراك ، فأنشأت مدرسة السيوفية لتعليم البنات . ثم توسعت فى هذا الغرض فبنت داراً عظيمة تعدها لتعليم الفتيات (مكان وزارة الأشغال الحالية) ، ولكن سقوط إسماعيل حال دون تنفيذ الفكرة .

« واختمرت فكرة تحرير المرأة وتعليمها فى بعض الرءوس ، وهمّ « قاسم أمين »*١ بك بإخراج كتابه فى هذا الصدد ، وعرض علىّ أن أشاطره العمل فمنعنى عن تلبية طلبه سببان ، أولا : عملى الحكومى الذى لا يسمح لى بالتفرغ لمسألة أعلم أن تأليف كتاب فيها لا ينتج الثمرة المرجوة ، ثانياً : يقينى بأن الأفكار لم تتهيأ بعد لقبول مثل هذه الدعوة .

« أما الأخلاق فعندى أنها كانت فى بعض جوانبها أقوى منها فى عصرنا هذا ، فكانت القروض الصغيرة تقضى غالباً دون سندات ، وتوفى فى مواعيدها بذمة وصدق . أما الآن فمع الضمانات القانونية تراها عسيرة الأداء . . .

« حقيقة أن الرشوة كانت منتشرة ، وخصوصاً بين موظفى الرى الأصاغر ، ولكن ضآلة المرتبات كانت هى السبب القوى فى تلك الحال .

« وقد كان الحشيش فى ذلك العهد يشرب علناً . واشتهرت به « قهوة خليل » بشبرا ، وكان يؤمها بعض الظاهرين من الناس وقد قيل فيها :

كل شىء فى مصر يوجد ... إلا قهوة سى خليل
الكيوف فيها نضيفة ... والحشيش ما لوش مثيل

ذكريات الآستانة : قلت لسعادته : « هل لكم أن تدلوا إلينا بأهم ذكرياتكم عن الاستانة أيام مقامكم بها فيما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٢١ ؟ » .

فقال : « أحمل عن الاستانة ذكريات عدة . فمن أخطر هذه الذكريات ما حدث بين سمو الخديو السابق عباس الثانى وممثل إنجلترا فى الاستانة ، حين أحس هذا الأخير بقرب دخول تركيا الحرب إلى جانب خصوم الحلفاء . فقد خاطب ممثل إنجلترا

---

*١ م . ج ٢ . ق ١

الخديو عباس أن يتحول عن الاستانة ، ويقيم فى إيطاليا مدة الحرب ، فاستعظم الخديو ذلك ورأى عاراً عليه أن يترك بلاده ويبقى فى إيطاليا فى مثل هذا الظرف العصيب مما قد يؤدى إلى سخرية الإيطاليين به .

« وشاءت تركيا غزو مصر فحشدت لذلك جيشاً أرادت أن تبعث سمو الخديو على رأسه ، وذاع ذلك فى الدوائر الرسمية . ولكن تغيرت الحال فى اللحظة الأخيرة ، واستغنى عن قيادة الخديو خشية أن يغير على سورية إن هو انتصر فيستقل بها وبمصر .

« ومن أروع الذكريات التى لن أنساها ذكرى ما حدث عند ضرب الدردنيل ، ومضيق البحر الأسود . فقد قرر الحلفاء ضرب الجهتين فى آن واحد . وعند هجوم الأسطول فعلا ، استولى الرعب والذهول على الأهالى . وكنت أسكن بأسرتى فى « بيوكدره » القريبة من ميدان المقذوفات وكنا نرى القذائف النارية تخترق الهواء من البحر الأسود ويسقط أغلبها فى مياه البوسفور . وقد هاجر كثير من السكان واختارت بعض الأسر العالية (وفيها والدة الخديو) أن ترحل إلى داخل بلاد الأناضول . وقام سرب من طيارات الحلفاء بإمطار السكك الحديدية وابلا من القنابل فأتلفتها خصوصاً محطة « حيدر باشا » التى خربت تماماً .

« وكم حدث فى الاستانة من مجاعة وهلك كثير من الناس وغلا سعر المعيشة حتى صارت أقة البترول بجنيهين تركيين وكذلك أقة السكر .

« ولا أنسى أنه فى عهد انقلاب الحكم الأوتوقراطى فى روسيا إلى الحكم البولشفى فزع إلى الأستانة كثير من الجنرالات الروس والأمراء والأميرات فى حال تفتت الأكباد ، واشتغل أكثر هؤلاء خدماً فى المحال العامة » .

كيف ينهض الشرق : فقلت له : « ما هى الوسائل المهمة التى ترونها ضرورية لتقدم الشرق ؟ »

فقال : « أرى أن خير الوسائل لتقدم الشرق ونهضته أن يكون التضامن سائداً بين شعوبه حتى يكونوا إخواناً فى السراء والضراء . وأن يعقد بينهم تحالف معنوى اقتصادى يدنى آمالهم . ولكى ينهض الشرقيون نهضة شاملة يجب أن يتحدوا ، ولكى يتحدوا يجب أن تتدانى أفكارهم بتوحيد ثقافتهم العامة .

« وإن جلالة ملك الحجاز يستعين الآن بالإخصائيين من المصريين والسوريين فى نواحى النهضة العلمية والاجتماعية التى يقوم بها فى بلاده ، وإن فى ذلك ضماناً لتوثيق عرى الألفة والود بين الأمم الشرقية . فلو نحا نحوه أمراء الشرق استطعنا أن نتعارف ونتآلف ، ونصبح بنعمة الله إخواناً ، وضمنا لنهضتنا أن تكون قوية تؤتى أكلها بعد حين » .

ابن السعود والخلافة : قلت له : « قرأنا أخيراً أن ابن السعود يرفض الخلافة ، فهل تعتقدون أن فى ذلك فائدة للشرق ؟ »

فقال : « كان لى شرف التعرف إلى حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى أثناء أدائى فريضة الحج للمرة الثانية عام ١٣٤٥ هـ فرأيت منه رجلا حازم الرأى ، عميق الفكر بعيد النظر . فإذا كان صحيحاً ما نسب إليه من انصرافه عن ولاية خلافة المسلمين ، فليس ذلك ناشئاً عن النظرة العجلى والرأى الفطير .

« ولعل جلالته رأى أن اضطلاعه بأعباء الخلافة الاسلامية يسبب له قلقاً وينفر منه بعض المسلمين وأمرائهم ، فنأى بجانبه عن مواطن الخلاف .

« على أن مسألة الخلافة من حيث حقيقتها الشرعية خضعت للبحث العلمى الحر وصارت موضوع خلاف العلماء . ولست إخصائياً فى الفقه الإسلامى حتى أصدر حكمى فى هذا الموضوع . ولكنى أرى من الوجهة الاجتماعية أن نصب خليفة تجتمع حوله كلمة الأمم والشعوب الاسلامية الآن أصبح من العسر والصعوبة والتعقيد بمكان عظيم » .

حوادث الأفغان والرابطة الشرقية : قلت له : « ما هو موقف الرابطة الشرقية إزاء حوادث الأفغان الأخيرة باعتبارها بلداً شرقياً ؟ »

فقال : « إن الشعب الأفغانى ما يزال فى حالة لا تسمح له بتقدير نصائح المصلحين ، فيأخذ منها ما يتفق وتعاليم الدين الإسلامى وينبذ ما يأباه عن بصيرة مستنيرة لا عن مجرد التعصب والجمود والانقياد الأعمى .

« إن حوادث الأفغان الأخيرة أدمت أكبادنا كشرقيين يتمنون لإخوانهم أن تخمد نار الفتنة الملتهبة بينهم والتى كادت تأتى على قوة هذا الشعب الباسل .

« إن كل صيحة بالقوم ، وهم فى خصامهم العنيف وحربهم الضروس ، كانت تذهب عبثاً

خصوصاً والبعد بيننا وبينهم سحيق ، لهذا لم تستطع مع الأسف « جمعية الرابطة الشرقية » أن تبذل لهم نصحاً .

« لا شك أن الملك أمان الله بدأ قومه بإصلاح لم تكن طبيعتهم قد تهيأت لقبوله . لذلك توقع له كثير من المفكرين ما آل إليه أمره ، وإنا لنرجو الله له اليسر ، وللشعب الأفغانى الرشد والهداية » .

قلت لسعادته : « متى أنشئت الرابطة الشرقية وما الغرض منها ؟ »

الرابطة الشرقية والغرض منها : قال : « جالت فكرة الرابطة الشرقية فى خواطر بعض ذوى الفضل من أهل مصر ومن المشارقة المقيمين بها ، واختمرت فى اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤١ هـ (السادس من شهر نوفمبر سنة ١٩٢١) بمناسبة اجتماع نفر منهم بمنزل حضرة صاحب العزة ميرزا مهدى رفيع مشكى بك بالقاهرة لتوديع زميل لهم فى الأدب هو الحاج عبد المجيد خان مؤدب السلطان وصاحب جريدة جهرنماه الفارسية إذ عزم على رحلة فى أنحاء الشرق الأقصى وبلاد فارس . ولكن لم يتم تأليف جمعية الرابطة الشرقية ووضع نظامها إلا فى رجب عام سنة ١٣٤١ هـ (فبراير سنة ١٩٢٢) واشترك فى تأسيسها كل من حضرات أصحاب السماحة والفضيلة والسعادة والعزة : السيد عبد الحميد البكرى ، والشيخ محمد بخيت ، والشيخ محمد رشيد رضا ، والسيد محمد الغنيمى التفتازانى ، وأحمد زكى باشا ، وميرزا مهدى رفيع مشكى بك ، والمرحوم نورالدين مصطفى بك ، والدكتور محجوب ثابت بك ، والأستاذ صالح بك جودت .

والغرض من تأليف الجمعية نشر علوم الشرق وآدابه ، والبحث فى شئونه ، والسعى إلى ترقية شعوبه وتكوين صلة تعارف بين أرباب الرأى والقلم فيه ، ثم لتكون الجمعية رسول سلام وتعارف بين الأمم الشرقية » .

ما أدته الرابطة من خدمات : قلت : « وما هى الخدمات التى قامت بها الرابطة الشرقية منذ إنشائها » .

قال : « فى سبيل تحقيق غرض الجمعية قام أعضاؤها بإلقاء طائفة من المحاضرات العلمية والاجتماعية ، ونشرها فى الصحف العربية ليقرأها ويطلع عليها فى أقطار الشرق من لم يتمكن من استماعها . وفوق ذلك كلفت الجمعية بعض حضرات أعضائها برحلات

مختلفة إلى جهات متعددة فى الشرق كان لها تأثير حسن فى بث دعوة الجمعية ، وتحبيذ أغراضها ، إذ بذلك يمكن تقريب ما بين الشعوب الشرقيـة وتدانى الأفكار . والجمعية حريصة على تكريم عظماء الشرق الذين يفدون إلى مصر وبذل ما فى طوقها لخدمتهم وتيسير مهماتهم ، ولها فى ذلك سابقات حسنة نوهت عنها الصحف فى أحيانها .

وقد شملت الجمعية بعنايتها من تقدم لها من طلبة البعثات الشرقية كبعثة جاوه حيث أمدت الطلبة بإرشاداتها ، وهيأت لهم سبيل الإقامة والتعليم بمعاهد مصر العلمية . وتبرع بعض أعضائها بإعطاء دروس خصوصية لهم فى اللغة العربية والديانة الإسلامية . وألفت من أعضائها لجنـة لإرشاد القادمين من طلاب العلم الشرقيين إلى المعاهد العلميـة التى تتفق مع أغراضهم .

ومن أجل الأعمال التى قامت بها الجمعية اشتراكها فى إصدار نداءات فى مختلف الظروف الاجتماعية التى تدعو إلى استنهاض الهمم ومواساة المعوزين . وهكذا نادت المحسنين لإعانة منكوبى الحروب فى الريف ، ومنكوبى الثورة فى سـورية ، ومنكوبى الزلازل فى فلسطين وشرق الأردن . وتولت بنفسها — فى كثير من الأحـوال — جمع الاكتتابات لهؤلاء المنكوبين . وكان لصوتها صـدى مجاب حتى أن سمو « نظام حيدر آباد الدكن » تبرع بألفى جنيه إنكليزى لمنكوبى سورية .

ولم تقتصر إعانة الرابطة الشرقية على المادة بل كان لها أثر حى فى ظروف أدبية جمة . فإنه ما كاد يبلغها خبر الخلاف القائم بين الأحزاب فى جاوة حتى بادرت وأرسلت تناشدهم الوئام . ولما تلمست موضع الفتنة من رسالة نشرها بعض المبشرين الإنجليز فى بلاد العرب رفعت صوتها بالاحتجاج وحذرت الطوائف من الوقوع فى الشرك .

وقد وجهت رسالة إلى الجمهورية الفرنسية ترجو فيها من الحكومة أن تحسن معاملة السوريين استبقاء لود الشرقيين . وعملت على حقن الدماء بين الفريقين المتحاربين : ملك الحجاز السابق وصاحب الجلالة عبـد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد الحالى ، فناشدتهما الصلح احتفاظاً بالأرواح وصوناً للبقاع المقدسة ، إلى غير ذلك . »

ردى على ممثل تركيا برفض رد ما صرف لى فى مدة الحرب : جاءنى من المفوضية التركية بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٣٣ الكتاب الآتى :

« حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا

حكومتى أمرتنى بأن أطالب سعادتكم برد مبلغ ٣٧٤٤ جنيهاً ونصف تركياً مجموع المبالغ التى صرفت لسعادتكم فى إبان الحرب بصفة إعانة ، لأنه غير ممكن لكم الحصول على نقود من مصر .

فأرجوكم أن ترسلوا لى هذا المبلغ الذى كان صرف لكم من المصاريف السرية لنظارة الحربية .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتى » .

فرددت عليه بتاريخ ١٠ فبراير بما يأتى :

« صاحب السعادة المفوض لأشغال تركيا بالقاهرة .

لى الشرف أن أعرفكم بوصول خطاب سعادتكم الخاص بطلب إعادة مبلغ قدره ٣٧٤٤ جنيهاً ونصف تركياً الذى تدعى حكومتكم بأنه صرف لى بصفة إعانة مدة الحرب .

فاسمحوا لى بأن ألفت نظر سعادتكم إلى أنه فى إبان الحوادث التى حصلت فى مدة الحرب كانت وزارة طلعت باشا تعهدت بأن تعطى لسمو الخديو عباس حلمى باشا مرتباً له ولحاشيته . لذلك أخذت هذا المبلغ لا بصفة إعانة لكن بصفة أننى موظف طرف الخديو شخصياً قبل الحرب إذ كنت مديراً للأوقاف الخديوية ومرتبى كان ١٧٥٠ جنيهاً سنوياً . وبما أننى التحقت بالخديو والدول المحالفة لتركيا وبهذا السبب فقدت مركزى ومرتبى .

فلذلك لا أظن أنى مجبر على إعادة هذا المبلغ .

أرجو سعادتكم أن تبلغوا حكومتكم بردى هذا .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتى » .

رجل الساعة على ماهر باشا : كان لاستقالة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا من الوزارة وبيانه فى مجلس الشيوخ عن أسباب استقالته فى يونيو سنة ١٩٤٠ صدى عظيم فى الرأى العام وقد كتبت هذه الكلمة فى جريدة البلاغ :

« مما لا شك فيه أن التاريخ سيخلد اسم على ماهر بين أعظم الأسماء فى تاريخ مصر الحديث . فقد برهن فى كل أدوار حياته على أنه يحمل نفساً عظيمة وعقلا كبيراً ويحس بإخلاص فائق لوطنه وقومه .

ويجد فى قلبه الجرأة على مواجهة الصعاب والجهر بما يعتقده حقاً . وهذه الصفات العظيمة هى التى مهدت لموقفه الأخير .

وقد عمل فى منصب رئيس الديوان الملكى فى أواخر أيام المغفور له الملك فؤاد على جمع الصفوف فاجتمعت الأحزاب المختلفة حول العرش وألفت الجبهة الوطنية التى تولت المفاوضة وانتهت إلى عقد المعاهدة .

ولما انتدب لمؤتمر الشعوب العربية الخاص بمسألة فلسطين حرص على التوحيد بين جميع المندوبين ليكونوا وحدة قوية ، ونجح فى هذا حتى اعترف له الإنجليز أنفسهم بالمقدرة على توجيه المؤتمر لمصلحة قضية العرب .

وفى وزارته الأولى واجه مشكلة معقدة بوفاة المغفور له الملك فؤاد ، فكان عمله سريعاً حاسماً ، ونادى فوراً بجلالة الملك فاروق الأول مستقلا .

أما فى وزارته الثانية ، فقد واجه مشكلة الحرب ، ووقف منها موقف الرجل الوطنى الذى يقدم مصلحة بلده على كل ما عداها وتناسى جميع الخصومات الحزبية وكان مثال التسامح والنزاهة مع الجميع . ومع وجود كتلة قوية معارضة له من الشيوخ فإنه لم يتوان عن التشاور معهم ومع النواب فى المسائل الهامة التى تخص مصر كلها لا حزباً من أحزابها .

وعندما قدم النحاس باشا مذكرته إلى السفير الإنجليزى وفيها تعريض بالوزارة القائمة لم يخرجه هذا عن طوره فقال إنه يحترم النحاس باشا كمصرى كبير .

وأخيراً ارتفع على ماهر إلى القمة وهو يخرج من الحكم مشيعاً بإعجاب المصريين جميعاً وأسفهم جميعاً .

هذا رجل ممتاز بين المصريين وسيذكرونه بالخير . أما أنا فأقول إنه رجل الساعة العصيبة كما أنه رجل التاريخ والخلود » .

مؤلفاتى وصداها عنـــد الصحف والقراء

قناة السويس مفخرة القرن التاسع عشر . مولدات مصر السياسية . مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها . مذكراتى فى نصف قرن . الروح فى الاسلام .

* * *

قناة السويس مفخرة القرن التاسع عشر : فى مساء يوم ٢ يناير سنة ١٩٢٧ اجتمع بنادى الرابطة الشرقية نحو مائة حضروا لسماع محاضرتى عن قناة السويس .

وقد شكرت للحاضرين تلبية الدعوة ثم ذكرت أننى اخترت هذا الموضوع لعلاقته بمدينة بور فؤاد التى وضع الحجر الأساسى لها قريباً أيام مؤتمر الملاحة الدولى فى العام الماضى ، وهو حادث يذكرنا بماضى القناة وحاضرها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أنه كان للقناة أثر فى ربط الشرق الأدنى بالشرق الأقصى ، فلها إذن علاقة ظاهرة بمقاصد جمعية الرابطة .

ثم ذكرت أن الموضوع متشعب ، ولذا قسمته إلى قسمين : الأول وهو محاضرة اليوم ويشمل تاريخ برزخ السويس من أيام الفراعنة إلى أن ضرب أول معول لحفر القناة فى العصر الحديث . والثانى يتضمن تاريخها حتى اليوم .

ثم استأذنت الحاضرين فى أن ينوب عنى صديقى الدكتور سيد كامل فى إلقاء المحاضرة .

وقد صفق الحاضرون عندما تلا كلمة دولسبس*[1] فى تقديم اللجنة العلمية التى حضرت لفحص المشروع إلى الأمير سعيد باشا ورده عليه . فقد قال :

يامولاى : « إنك تستقبل أعضاء اللجنة كأصحاب التيجان » فقال الخديو : « أليسوا رءوساً توّجها العلم ؟ »

وقد طلبت منى مادام دى سان بوان نص المحاضرة لتنشرها فى صحيفتها الفرنسية بعد

---

* ١ م . ج .

ترجمتها . كما أن نادى الموظفين بالمنيا طلب نسخة منها مستأذناً فى إلقائها بالنادى فأرسلتها ونشرت مجلة البورص إجبسيان بعض فصولها .

وفى يوم ٢٣ منه ألقيت القسم الثانى منها .

وبعد ذلك طبعت فى كتاب خاص بعنوان « قناة السويس مفخرة القرن التاسع عشر» .

حوليات مصر السياسية : فى أواخر عام سنة ١٩٢٦ ابتدأت فى إصدار حوليات مصر السياسية . وكانت الفكرة قد اختمرت فى ذهنى منذ كنت فى باريس للدراسة ، وكنت أقرأ حوليات مجلة العالمين الفرنسية ، وأتمنى لو كان لنا فى الشرق مثلها . فلما عدت إلى مصر أخيراً رأيت إصدار حوليات عن مصر ، تبقى سجلا لأهم الحوادث فيها . فلما فرغت من مهام أعمالى الرسمية بدأت تنفيذ الفكرة وصدر الجزء الأول من التمهيد حوالى أكتوبر سنة ١٩٢٦ .

وفى يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٦ اجتمعت بزيور باشا ، وعلى الشمسى بك ، ومحمد محمود خليل بك فى حفلة لأعضاء مؤتمر الملاحة الدولى ، فعلمت منهم مقدار اهتمام الناس بالكتاب وتطلعهم لما أكتبه .

وقال الشمسى بك (باشا) إننا خائفون مما ستكتبه عنا ، وقد استحسن طلعت حرب بك هذا الجزء وحضنى على نشر مذكراتى التى نشرت بعضها فى صحيفة الإعلانات .

جريدة البشير : وكتب الأب فردينان توتل اليسوعى فى جريدة البشير ٦ تشيرين الأول سنة ١٣٢٧ التى تصدر فى بيروت كلمة جاء فيها :

« تخرج صاحب الكتاب على أحد جهابذة علم التاريخ فى باريس المسيو البير سوريل . ومن النصائح الثمينة التى أخذها عنه الغيرة على الصدق فى سرد الحقائق التاريخية . قال : « عندما انغرست فى نفسى هذه الفكرة ونمت تطلعت إلى الاشتغال بتاريخ بلادى أتتبع الحوادث وأرصد الأخبار وأقيد الروايات وأستجمع الوثائق . وساعدنى على ذلك أننى تقلبت فى وظائف سهلت علىّ الوصول إلى تحقيق الغرض » فبادر إلى وضع مؤلفه ودعاه بالحوليات (جمع حولية ، أى كل ما تم فى حول) .

والإفرنسيون يدعونها (Annales) فهو كجريدة الجرائد يحوى حوادث العام فى مجلد واحد وصدره بالتاريخ السياسى لمصر من عهد محمد على إلى سنة الدستور ، يليه ذكر

الحوادث السياسية الواقعة منذ ذلك العهد إلى الحرب العظمى إجمالا ثم سرد الحوادث بالتفصيل منذ الحرب إلى سنة ١٩٢٠ وعندها ينتهى الكتاب وهو الجزء الأول من التمهيد ومما قال فيه : « على أننى لا أدعى أن هذا التمهيد هو صورة دقيقة تامة من تاريخ الأعوام التى كتبت عنها فإن الوقائع التاريخية ، فى الحقيقة ، لا تدون على الوجه الأكمل فى أثناء وجود المعاصرين » . فتوقى بهذه الملاحظة انتقاد الناقدين عليه إفراطاً أو تفريطاً فى إبراز الحقيقة . وأسلوب الكتاب اللغوى فصيح شائق تسوغ قراءته وتهنئ » .

وفى ٦ مارس سنة ١٩٢٧ كتب إلىّ الأستاذ أمين سامى باشا رسالة جاء فيها : « حيا الله منك يراعتك وإخلاصك ، فقد صورت فى كتابك الفريد فى بابه عواطفك الشريفة فأبدعت تصويرها حتى زهاها الحسن . فأهنيك بهذه المكانة السامية فى الأدب وأشكر لك على هذه الهدية الجليلة شكر المخلص الحميم » .

وجاءنى فى ٢٤ منه من الأستاذ محمد على علوبه باشا ما يأتى :

حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا المحترم

« تناولت بيد السرور مؤلف سعادتكم « حوليات مصر السياسية » . وإنى بعد أن قرأت منه جزءاً كبيراً لا يسعنى إلا الإعجاب بما بذلتم فيه من عناية وما كابدتم فيه من عناء حتى أخرجتموه للناس كتاباً سهل العبارة غزير المادة كبير الفائدة . أرجو الله أن يعينكم على إتمامه .

وأقدم لسعادتكم جزيل شكرى ووافر احترامى » .

الجرنال دو كير : وقالت الجرنال دو كير فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٨ عن حوليات مصر السياسية :

« لا يسعنا إلا الثناء على أعمال أحمد شفيق باشا حينما كان رئيساً للديوان الخديوى ومديراً للأوقاف الذى انتهز أول فرصة حينما سمح له الوقت فاشتغل فى تنظيم مذكراته التى لا شك ستكون ذات أهمية حيث إن صاحبها كان يشغل مراكز عالية وكان من العاملين فى سياسة البلاد قبل الحرب العظمى . هذا من جهة ومن جهة أخرى كان يدون أخبار الحوادث الهامة فى السياسة المصرية . وكذلك أخرج فى السنة الماضية أول سفر

لحولياته السياسية وعن قريب سيظهر السفر الثانى والثالث وهذه الأسفار الثلاثة ستكون تمهيداً للأسفار الآتية التى سيجمع فيها الوثائق كاملة عن تاريخ مصر السياسى .

« أول هـذه الأسفار ملخص لغاية سنة ١٩٢٠ وفيه انقطاع المفاوضات بين أعضاء الوفد الذى كان يرأسه سعد زغلول باشا ، وملنر فى لوندره ؛ والجزء الثانى من آخر سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٢ قبيل تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ويحتوى على المفاوضات الرسميـة بين عدلى يكن باشا ومنـدوب الحـكومة الإنجليزية « اللورد كرزون » وأما الجزء الثالث فيحتوى على الحوادث بعد تصريح ٢٨ فبراير وما تلاها إلى إعلان الدستور وانتخاب أول برلمان .

« وشفيق لا ينسى أن ينبهنا فى مقدمة الجزء الأول من حولياته السـياسية إلى أنه لا يدعى أن تمهيده صورة طبق الأصل تحتوى على جميع تاريخ مصر لهذه السنين الأخيرة ويذكر وهو على حق أن الحوادث التاريخيـة لا يمكن ذكرها بالتحقيق إذا كانت قريبة العهد بنا بل يلزمها طول الزمن ليمكن وضعها وترتيبها حسب أهميتها . وبهذه الطريقة فقط يمكن معرفة نتيجتها وقيمة الأشخاص الذين كانت لهم يد فيها . ولذلك نرى أن أعمال شفيق باشا هى اشتراك قيم فى تاريخ مصر السياسى وأنها محتوية على أقصى ما يمكن أن يجمع من الوثائق فى حالتنا الراهنة . والمؤرخون المقبلون سيجدون فيها وثائق ذات قيمة تساعدهم فى تتميم عملهم .

« فلذلك نبارك لشفيق باشا ونتمنى أن يتبع الذين كانت لهم صلة بالحوادث السياسية خطته المفيدة » .

ثم كتبت جريدة الجرنال دو كير كلمة أخرى جاء فيها :

« إن أعمال أحمد شفيق باشا لتحتاج إلى تهانينا وتمنياتنا . فمن يوم ما أتيح له وقت من الفراغ بعد ترك المناصب الحكومية أخذ يشتغل بالتأليف . ولقد ظهر للآن الجزءان الأولان من كتابه « حوليات مصر السـياسية » . وبالإجمال فإن هذا الـكتاب يكون مدخـلا مهماً للمؤلف الضخم الذى خيـل لسعادته والذى سيكون فى المسـتقبل مجموعة شاملة للأحوال التى تتصل بتاريخ مصر السياسى .

« بالرغم من هذا كله يقول سعادته فى مقـدمة الجزء الأول من هذا المؤلف : إنه لا يقصـد من ذلك عملا شاملا ينطبق بالضبط على أحوال مصر السياسية فى هذه السنين

الأخيرة ، لأنه لا يمكن لأحد أن يصورها على حقيقتها وعلى أهميتها إلا بعد مضى وقت غير قصير وهذه حقيقة لا مفر منها لذلك لا يمكن أن يكون هذا المؤلف عملا نهائياً ولكنه سيكون أحسن عون للمؤرخين فى المستقبل .

« نهنئ سعادة شفيق باشا لقيامه بهذا العمل الشاق المفيد ، وأنه على كل حال يكون أحسن مثل يجب أن يتبعه الذين تدخلوا فى تقلبات السياسة المصرية فى السنين الأخيرة » .

جريدة لابورص إجيبسيان : وكتبت جريدة لابورص إجيبسيان فى ١٩ مايو سنة ١٩٢٨ ما يأتى :

« كتب حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا يوماً بعد يوم تاريخ السنين الهامة الأخيرة ، وكان سعادته قد تقلد أعلى المناصب الحكومية ، وعرف فيها أبرز الشخصيات الذين لعبوا أدواراً هامة فى السياسة المصرية ، ولهذه الأسباب يكون سعادته أقرب الناس لتأليف مثل هذا الكتاب ولتفسير الأحوال السياسية لإظهار أوجهها الخفية الغريبة .

إن كتاب الحوليات له ميزتان مهمتان :

أولا — أنه مجموعة شاملة للمستندات السياسية المهمة .

ثانياً — يوجد فيه حرية رأى لم ير مثلها فى مصر حتى يومنا هذا .

وهذا يرجع إلى عدم اشتغال سعادته بالسياسة العملية ، وإلى عدم انضمامه إلى أى حزب من الأحزاب السياسية » .

جريدة البلاغ : وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٩ كتبت البلاغ عند صدور الحولية الثالثة ما يأتى :

« ظهرت الحولية الثالثة من هذا المؤلف النافع الذى وقف له صاحب السعادة أحمد شفيق باشا أكبر وقته ، يسجل فيه حوادث مصر الحاضرة يوماً بعد يوم ، ويقيد فيه أنباء نشاطها ووثباتها نحو المجد والرفعة ، وما يحاوله لها الزعماء المخلصون من حياة حرة وعيش سعيد .

« والحولية الثالثة عبارة عن تاريخ سنة ١٩٢٦ وقد تضمنت أهم أعمال البرلمان بمجلسيه وسجلت خطب الزعماء وتصريحاتهم وأقوال الصحف وتعليقاتها على الشؤون الخطيرة ، وترجمة لحياة بعض الذين ماتوا فى هذا العام وكان لهم فى محيطهم أثر . وانتظمت نصوص

المعاهدات بين مصر وغيرها من الدول ، وأثبتت الوثائق الرسمية وغير الرسمية واشتملت على أنباء كبار ضيوف مصر وصور الحوادث .

« وعلى الجملة قد سد هذا الكتاب فراغاً كبيراً كنا بحاجة إلى سده » .

جريدة الأهرام : وفى ١٣ يناير سنة ١٩٣٠ نشرت الأهرام بتوقيع عبد الرحمن حلمى المحامى كلمة عن الحولية الثالثة جاء فيها :

« إلى شباب مصر الناهض ، طلبة اليوم رجال المستقبل أهدى مؤلفى هذا ، آملا أن يكون له فى نفوسهم أحسن الأثر ، وفى حياتهم المستقبلة أجل الفائدة » .

« بهذه العبارة صدر الأستاذ المؤرخ أحمد شفيق باشا « حوليات مصر السياسية » وهو الكتاب الذى عكف الباشا على تصنيفه فى العهد الأخير . يخرج إلى القراء منه فى الحين بعد الحين سفراً يسميه « حولية » إذ يؤرخ فيه عاماً كاملا ، شارحاً بوضوح وتفصيل ما عرضت له الحياة المصرية ونهضتها فى غضون العام .

«وقد بدأ حولياته — بعد تمهيد فى ثلاثة أجزاء — بالحولية الأولى عام سنة ١٩٢٤ ، ثم ثنى بالحولية الثانية عام سنة ١٩٢٥ ، وجاء بالثالثة — وهى التى بين أيدينا الآن — عام سنة ١٩٢٦ .

« وأنت تستطيع أن تطلق على كل جزء من هذه الأجزاء اسماً آخر هو « مصر فى سنة ١٩٢٤» مثلا . فالحقيقة أننى وأنا أطالع الحولية الثالثة وإذ فرغت منها مثلت أمامى مصر صورة حية فى سنة ١٩٢٦ فى نهضتها السياسية ، والعلمية ، والاقتصادية ، والاجتماعية . وفى علاقاتها مع غيرها من الدول الأجنبية . ثم هى فوق ذلك كما قال المؤلف « ... ... لم ندع وثيقة إلا أثبتناها ولا شاردة مهمة إلا قيدناها . أحصينا فيها على الزعماء ومن دونهم بقليل كل أقوالهم ، وعددنا على البارزين فى ميدان السياسة جميع حركاتهم وسكناتهم ، وعرضنا لما كان يبدو على ما بيننا وبين الإنجليز من ظواهر حسن التفاهم أو سوئه ، وما تترجم عنه صحفنا وصحفهم من عواطف تجيش بها هنا نفس شعب تواق إلى الحرية ، نزاع إلى الاستقلال . وتغلى بها هناك صدور طائفة من الساسة حريصة على ما اكتسبت من حقوق وإن كانت مغتصبة ضنينة بها أن تعيدها إلى أربابها .

« ونحن فى الحالين قد بسطنا للقارئين حجج الطرفين ، وجلونا كلا الرأيين نصفة للخصم من الخصم ما دمنا فى موقف الحكم » .

« وقد قسم المؤلف كل حولية إلى اثنى عشر باباً — عدد الشهور — كل باب يتضمن حوادث شهر ؛ والشهر ينتظم فصولا . فالفصل الأول مثلا فى المحادثات السياسية ، والثانى فى الحالة الداخلية ، أو الرحلة الملكية وهكذا . وفى نهاية كل باب « متفرقات » تتضمن جسام الحوادث الفردية كموت عظيم، أو زيارة كبير للقطر، أو تشييد عمل جليل ، أو عقد معاهدة مع أمة أخرى ، وهكذا . وفى آخر الكتاب يلخص المؤلف حوادث العام تلخيصاً غير مخل لمن أراد أن يلقى نظرة إجمالية على الحياة المصرية فى جلسة واحدة لسنة كاملة .

« هذا المجهود العظيم الذى يبذله شفيق باشا ، والذى انصرف له وعكف عليه فى شيخوخته . هو الأول من نوعه فى مصر بل فى الشرق . يعترف له بذلك خاصة العلماء ، أولئك الذين يقبلون على كتاب الشيخ فيطالعونه ثم يدخرونه ، وستعترف الناشئة التى كتب لها شفيق باشا والتى اختصها بإهداء حولياته بهذا الأثر النفيس .

« وفى الحق أن «حوليات مصر السياسية» معرض صادق ، وصورة واضحة لنهضة مصر ونشاطها فى العصر الحاضر ، وهى صورة مرسومة بقلم نزيه غير متحيز ولا متجانف .

« شكر الله والوطن يد شفيق باشا وزاده همة ليزيدنا فضلا وليتابع عمله العظيم فى سبيل الله والوطن ، وفى سبيل العلم والمتعلمين » .

جريدة المقطم : وفى ٣ يونيو سنة ١٩٣٠ كتبت المقطم عن الحولية الخامسة :

أصدر صاحب السعادة أحمد شفيق باشا الحولية الخامسة (١٩٢٨) من حوليات مصر وهو السفر الذى يجمع فيه سعادته حوادث مصر فى هذه السنوات الأخيرة مرتبة حسب تاريخ حدوثها سواء ما كان منها خاصاً بالمفاوضات فى القضية المصرية وما يقع فى داخل البلاد ، ولا سيما أعمال البرلمان والوزارات وما تكتبه الصحف الكبرى تعليقاً على هذه الحوادث . فكل ما يحتاج باحث أو كاتب إلى الرجوع إليه يجده فى هذا السجل الجامع مفصلا كما وقع ، أى أنه مرآة صادقة للحوادث السياسية فى هذه الحقبة من تاريخ مصر ومغن عن البحث فى شتى المصادر ، وتلك خدمة أخرى تضاف على خدمات سعادة شفيق باشا ، فنثنى على فضله ، ونرجو أن تكثر مآثره الأدبية والعلمية ليزداد الجمهور المصرى له شكراً » .

جريدة السياسة : وكتبت جريدة السياسة عن الحولية الخامسة كذلك ما يلى :

« تسجيل حوادث التاريخ السياسية وعدم التحيز فيها مهمة شاقة ، لأن المعروف عموماً أن التاريخ لا يكتب إلا بعد عصره ولا سيما إذا أريد إبعاد النزعات الحزبيـة والشخصية عنه ، غير أن حضرة صاحب السعادة البحاثة الكبير أحمد شفيق باشا أتى بما لم تأت به الجمعيات واللجان ، فتولى إصدار حوليات جامعة لحوادث مصر السياسية وجعل لكل سنة حولية خاصة سبق أن نوهنا بما صدر منها . وبين أيدينا الآن الحولية الخامسة وهى تحتوى على حوادث سنة ١٩٢٨ وهى أضخم حولية لأنها تقع فى أكثر من ألف وخمسمائة صفحة لأن ذلك العام كان له شأن فى تاريخ مصر ونهضتها القومية .

« ومما يجدر التنويه به هنا أن سعادة المؤلف رجع بالحوادث إلى أصولها ومنابعها ولم يكتف بالاعتماد على الصحف وحـدها فكون رأياً بسطه بصراحة من غير تحيز لأن سعادته يصدر فيما يكتب ويسجل عن عقيـدة واقتناع بعد تبصر واختبار . والكتاب ، على ضخامته ، لجأ إلى الاختصار فى كثير من المواطن حتى يستوفى كل ما يمكن استيفاؤه .

« إن حوليات مصر السياسية هذه ستكون أقوى دعامة لتاريخ مصر تاريخاً تفصيلياً ولذلك يجدر بكل عالم وأديب ومؤرخ أن يطلع عليها وأن يقتنيها لما حوت من شتات الحوادث والخطب والبيانات والصور ، فهى السجل الموثوق به فى هذا العصر وثمن هذه الحولية خمسون قرشاً ، وهو زهيد بالنسبة لحجمها ، وما تكبده سعادة مؤلفها من مجهود وعناء فى سبيل وضعها مما نشكره عليه كثيراً ونتمنى لحولياته سعة الانتشار لتعم فائدتها الجماعات والأفراد » .

وقد ظللت فى إصـدار أجزاء الحوليات حتى الحوليـة السابعة المتضمنـة حوادث سنة ١٩٣٠ ، ثم اضطرتنى حالتى الصحية للكف عن المضى فيها فأعلنت ذلك فى الصحف وتركت لمن يشاء الاضطلاع بعبء إصدار الحوليات التالية مع تقديم مساعدتى له ، ذلك العبء الذى لم يتقدم أحد للقيام به حتى الآن .

وممن امتازت به الحوليات أننى كنت أختتم عهـد كل وزارة فى التـدوين بتحليل شخصية رئيسها ، وأدون سجلا بالحسنات والسيئات وكنت أعرض عليه ما أكتب لإبداء ملاحظته قبل النشر .

مصر الحديثة ونفوذ الأجنبي فيها : ظهر هذا الكتاب بالفرنسية سنة ١٩٣١ ، وقد أردت به أن يكون سجلا لخطوات الامتيازات فى مصر لكل دولة من صاحبات الامتياز ، وضمنته خريطة يمكن لمن يراها أن يعرف تقدم وتأخر نفوذ كل دولة بمجرد النظر .

جريدة الأجبسيان غازيت : وقد كتبت جريدة الأجيبسيان غازيت فى عددها الصادر يوم ٢١ يناير سنة ١٩٣٢ ما يأتى « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » :

« إن هذا العنوان لا يتفق مع الواقع فإن الكتاب فى الحقيقة تاريخ سياسى لمصر من عهد نشوء الامتيازات الأجنبية إلى عهد تأسيس الملكية الحاضرة . ويحتوى هذا الكتاب على صور عدة من وثائق مهمة وجدير بأن يحفظ فى مكتبة كل إنسان . ولكنه يكاد يكون تاريخاً بالمعنى الذى يعطيه المؤلفون لهذا العنوان .

« سعى المؤلف أن يكون معتدلا ونجح فى أن يثبت أنه مشايع أمين غير أنه يظهر لنا أنه ليس من كبار مناصرى إنجلترا . فله الحق أن يحتفظ برأيه فيما قامت به من الأعمال التى أدت إلى سعادة وادى النيل ورفاهيته ، فإن المؤلف قد بالغ فى اشتراك مصر الحربى فى إعادة فتح السودان وقلل من أهمية نصيب إنجلترا فى ذلك العمل ، وأفرط فى تقديره لمصالح تركيا فى عهد إسماعيل والرسومات التى فى الكتاب مفيدة ولكن أغلبها ليس حسناً .

« ومما لا ريب فيه أن شفيق باشا يعرف شيئاً كثيراً عن تاريخ مصر الداخلى فإذا اندفع فى مذكراته الخصوصية التى يطبعها الآن باللغة العربية وأطلق لقلمه العنان ، أخرج للعالم كتاباً يلفت الأنظار إليه » .

وكتب الكابتن ألجود مقالة جاء فيها : إن « كتاب مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » جدير بالاطلاع عليه ، وذلك بسبب أن جزءاً منه يحتوى على تاريخ عصرنا الحالى . ولكن ليس هذا وحده كل قيمة هذا الكتاب لأن ما ذكره المؤلف من الآراء والأفكار خال من آثار غل أو حقد ، ولأن أسلوبه سهل من غير تكلف ، ولأن انتقاداته كلها بصراحة وجراءة . على أن المؤرخ يحتاج إلى أكثر من قلم سهل وذاكرة جيدة لأجل إقناع القراء بما يكتبه ، فإن نظرياته يجب أن تكون مؤيدة ببراهين وصكوك رسمية ، وحكمه على الحوادث يجب أن يكون منزهاً عن الميل والأغراض .

« أما إدراك شفيق باشا عن هذه المبادئ الجوهرية فيظهر أنه ضعيف ، فإنه نقل إلى كتابه رسائل مفيدة تبودلت بين الخديوين والوزراء ، وتجاهل التقريرات المطبوعة التى

صدرت من اللورد كرومر ومن خلفائه ولم يشر إلى أى كاتب ما عدا دوفرينيه وملنر . ومن المعلوم أنه لا يصح للمؤرخين أن يكونوا ميالين لجانب دون آخر . أما شفيق باشا فلم يتبع هذه الطريقة حتى أنه بسبب ذلك وقع فى بعض غلطات . وحسبنا دليلا على ذلك أن شامبوليون لم يكن من العلماء الذين جاءوا إلى مصر مع نابليون الأول (صفحة ١٧) وأن الأرقام التى ذكرها عن المال الاحتياطى سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩٠٩ ليست مطابقة للحقيقة ، ثم إن تأكيده أن إنجلترا عرضت عرش مصر على أغا خان يحتاج إلى إثبات ، وقوله إن إنجلترا أصدرت منشوراً رسمياً اعترفت فيه بأن الحماية هى وقتية وتزال بعد الحرب ، قد يكون ذا تأثير أعظم لو ذكر شفيق باشا نص هذا المنشور حرفياً .

« إنى لا أقصد بهذه الملاحظات أن أشك فى إخلاص شفيق باشا وحسن نيته ، ولكنى أقصد بها أن أظهر للمؤرخين ضرورة البحث والتنقيب فيما يكتبونه .

« وبالاختصار إن موقف شفيق باشا من جهة الاحتلال هو أن إنجلترا لم تقدم على الاحتلال إلا لمنافعها الشخصية ، وليس من المحتمل أن الأجيال القادمة توافقه على هذا الرأى أو توافقه على سوء تقديره لمجهودات اللورد كرومر فى مصر ، إذ من العبث أن يقال إن اللورد كرومر لم يكن ميالا بقلبه إلى سعادة القطر المصرى ورفاهيته ، فمثل هذه التهمة يجب أن تكون معززة بأدلة قاطعة لم يذكر شفيق باشا شيئاً منها فى كتابه . وقد قال المؤلف : إن إسماعيل باشا ، وعرابى ، وسعد زغلول هم الرجال الثلاثة المسئولون عن المصائب التى حلت بمصر . نعم إن الذين لهم إلمام بتاريخ هؤلاء الرجال قد تتفق آراؤهم بالنسبة للأولين من هؤلاء الرجال ، وقد لا تتفق بالنسبة للأخير منهم — كما يقول المؤلف — أن سعد زغلول كان عنيداً مغروراً ومع ذلك فإن المؤكد أن سعد زغلول كان يكون إنساناً أكثر بتخليه عن رياسة الوفد لعدلى يكن باشا ، فقد ذاق ذل النفى ومن الطبيعى أنه كان يتشوق لجنى ثمار نجاحه . وليس لدينا أسباب للاعتقاد بأن عدلى باشا كان ينجح فى لوندرا أكثر من زغلول سنة ١٩٢٣ لأن مصر لم تكن وقتذاك فى استعداد للمفاوضة .

« ومن الأسف أن شفيق باشا وجد من الضرورى الإمساك عن قلمه لأننا نحب أن نعرف أكثر مما نعرفه عن تردد الخديو عباس حلمى فى الأستانة فى خريف سنة ١٩١٤ . أما ما كتبه عن أيام إسماعيل وتوفيق فقد أظهر فيه الصراحة والجراءة .

« وفى الختام يجب علىّ أن أقول كلمة عن المطبعة التى طبعت هذا الكتاب . فالكتاب مطبوع طبعاً جيداً ومجلد تجليداً حسناً » .

مجلة لاجيبت (المصرية) : وكتبت مجلة لاجيبت (المصرية) كلمة جا فيها :

« إن سعادة أحمد شفيق باشا بصفته رجلا قانونياً وكاتباً ووكيلا لجمعية الرابطة الشرقية يعتبر من أبرز العقول بين قادة الفكر فى مصر الحديثة . بعد ظهور أول مؤلفاته باللغة الفرنسية « الرق فى الإسلام » لم يترك سعادته المسألة المصرية التى جعلها لا بحثاً وطنياً شرقياً بل بحثاً إنسانياً يشمل البشرية بأجمعها .

« إن كتاب مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها متأثر بهذه الروح الواسعة الفذة . والكتاب عبارة عن نتائج اختبارات وطنية عميقة ، وهو أيضاً ثمرة لحياة غنية بالحوادث والأعمال ، لذلك يكون هذا المؤلف من أصدق ما كتب عن تاريخ مصر الحديثة . وأخيراً يجب أن نذكر أن فى صفحات الكتاب الختامية عبراً وعظات وتشجيعاً للنشء الحديث وتنبؤاً بالمستقبل تدل على بعد نظر المؤلف » .

مجلة الايماج : وكتبت مجلة الإيماج فى ١٩ مارس سنة ١٩٣٢ عن مصر الحديثة :

« مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » ، كتاب مؤلفه سعادة أحمد شفيق باشا فى غاية من الإتقان جذاب من أوله إلى آخره يلخص بصفة تامة تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر.

« يسكن الآن الباشا فى شبرا بعيداً عن دوى المدينة بجانب كتبه العزيزة . وليس هذا الكتاب أول تأليف للباشا فإنه قد نشر قبل ذلك حوليات مصر السياسية ، والرق فى الإسلام ، ووعدنا أيضاً غير ذلك بمذكراته فى نصف قرن .

« ابتدأ المؤلف فى مصر الحديثة بأن يذكر لنا أن مصر بناء على موقعها الجغرافى كانت دائماً مطمح أنظار الدول وأن العلاقات بينها وبين الدول ابتدأت فى القرون الوسطى » .

ثم لخص الكاتب رءوس الموضوعات التى وردت بالكتاب ثم قال :

« ونقتصر على ما ذكرناه من الوثائق الهامة التى ضمها كتاب شفيق باشا وهى تعطى للقارىء فكرة عامة عن هذا الكتاب الثمين » .

شكر ملك إيطاليا للمؤلف : بتاريخ ٦ مارس سنة ١٩٣٣ أرسلت خطاباً لسر ياور ملك إيطاليا أخبره بأننى فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩١٤ تشرفت بمقابلة ملك إيطاليا مرسلا

بمهمة من طرف الخديو السابق ، وتذكاراً للمقابلة الحسنة التى وجدتها وكذلك لتشريف جلالته فى بلادنا رأيت أن أهدى إليه مؤلفى « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » . وقد بعثت به لسعادته رجاء تقديمه لجلالة الملك وإنى أشكره مقدماً .

وقد رد علىّ سعادته بخطاب فى ٣١ مارس سنة ١٩٣٣ جاء فيه أنه تسلم الخطاب والمؤلف الفرنساوى وقدم الكتاب لملك إيطاليا وجلالته كلفه إبداء شكره لى .

الأهرام : وفى ٢١ يناير سنة ١٩٣٥ نشرت الأهرام كلمة بتوقيع « محمد كرد على » استعرض فيها الحوادث الهامة التى وردت بالكتاب وقدّم لهذا الاستعراض بالكلمة الآتية :

« المؤلف من الرجال المشار إليهم فى مصر وغيرها تفرّد بأبحاثه السياسية والاجتماعية منها ما كتبه بالعربية ومنها ما كتبه بالفرنسية ، وآخر ما كتبه هذا الكتاب باللغة الفرنسية وأسماه «مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » وزانه بصور مشهورى ساسة مصر وهو سفر يحوى على صغر حجمه (٢١٣ صفحة) حقائق عن هذا القطر منذ احتك فى عهده الحديث بالغربيين مباشرة إلى أيامنا هذه . ولما كان المؤلف من كبار عمال القصر الخديوى مدة طويلة أصبح وقوفه على السياسة من أطرافها وقوف العارف بما وراء الستار وخارجه ؛ ويضاف إلى ذلك دراسة طويلة فيها كثير من الأناة والحكمة » .

مجله الأسبوع المصرى : وفى مارس سنة ١٩٣٧ كتبت مجلة لاسيمين أچيبسيان إن إمضاء المعاهدة المصرية الإنجليزية زاد من أهمية هذا المؤلف . مع الجبرتى يكون سعادة أحمد شفيق باشا المؤرخ المسلم الوحيد الذى أنجبت مصر إبان القرون الأخيرة ، وغير ذلك إن نزاهة سعادته فى رواياته ، وسليقته السليمة ، وشغفه بالاطلاع على أحسن المراجع وأصدقها ، هى من الأمور التى تلفت الأنظار .

«وفى هذا المؤلف يقص سعادته حوادث وتقلبات وطنه ابتداء من حملة نابليون بونابرت إلى ارتقاء حضرة صاحب الدولة إسماعيل صدقى*[1] باشا الوزارة . إن تطورات سياسات الدول الأجنبية وخصوصاً إنجلترا وفرنسا وتركيا قد قصت فى هذا الكتاب بدقة فائقة . وسعادته بصفته وطنياً صميما لا يرحم الأشخاص ولا الحوادث وخصوصاً إنجلترا التى عملت فى تأخير تقدم مصر .

---

* ١ م . ج ٢ ق ٢ والحوليات .

« ويجدر بنا أيضاً أن نلفت نظر القارئ إلى آراء سعادته السديدة فى الأمور الاقتصادية لهذا العصر التى بدون معرفتها لا يمكن لأحد أن يفهم الحوادث المتشعبة النواحى والتى أدت أخيراً إلى احتلال سنة ١٨٨٢ » .

مذكراتى فى نصف قرن : يرجع تفكيرى فى تدوين المذكرات إلى عهد دراستى الأولى ، فى هذا الوقت كان لى صديق من الوراقين ، ألجأ إليه لاقتناء الكتب الدراسية وسواها مما أجده ذا فائدة فى تثقيفى . ووقع فى يدى ضمن ما وقع « تاريخ الجبرتى » فراقنى ، ونبه فى نفسى ميلا طبيعياً للدراسات التاريخية ، ووجدت أن لم يقتف أحد أثره ، فأخذت أسائل نفسى : ترى هل أستطيع أن أسد هذا الفراغ بتدوين مذكرات لى أسجل فيها كل ما أعلمه أو أشاهده ؟ ثم ابتدأت أنفذ الفكرة فأخذت أدون تاريخ حياتى منذ الطفولة وشجعنى هذا على كتابة مذكرات منظمة كنت أجد فى كتابتها لذة وتسلية ، ولم أنقطع عنها حتى فى أيام مذاكرتى ورحلاتى وقيامى بمهام الأعمال بعد ذلك ، بل كنت أجد فى تدوينها ترويحاً عن نفسى من عناء الأعمال .

الجزء الأول من مذكراتى فى نصف قرن : فى أبريل سنة ١٩٣٤ ابتدأت فى إصدار الجزء الأول من « مذكراتى فى نصف قرن » وقد طبعت فهرس ما احتوى عليه من العنوانات وأرسلته للأهرام قبل ظهوره لتعريف القراء بما يحويه من الموضوعات . وقد كتبت بهذه المناسبة ما يلى :

جريدة الأهرام : أرسل إلينا حضرة صاحب السعادة الأستاذ المؤرخ الكبير أحمد شفيق باشا « فهرست » الجزء الأول من مذكراته فى نصف قرن التى ستظهر فى أوائل شهر أبريل ، وهو « فهرست » يدل تنظيمه وترتيبه على ما فى الكتاب نفسه من دقة وإحكام . وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم لبيان الموضوعات التى احتواها الكتاب والثانى للأعلام التى ورد ذكرها به ، والثالث للصور التى يحتويها وقد بلغت نحو المائتين والخمسين صورة .

وتدل العنوانات التى يحتويها هذا الفهرس على أهمية ما فيه ، ونحن ننشر فيما يلى المقدمة التى صدّر بها سعادة الباشا كتابه قال . . . (ونشرت المقدمة) .

جريدة السياسة : وفى ١٤ أبريل نشرت جريدة السياسة ما يأتى :

«عاد صاحب السعادة الأستاذ أحمد شفيق باشا إلى مصر فى سنة ١٩٢٠ بعد أن وضعت

الحرب أوزارها وانصرف عن المناصب والتطلع إليها وزهد فى السياسة والعمل فيها . ولكنه رجل عرف فى كل أدوار حياته بالنشاط والحركة فكان لابد له من ميدان يصرف إليه قوته ويبذل جهوده . واختار الباشا أن يكتب تاريخ مصر الحديث — وهو رجل متخصص فى التاريخ منذ كان يدرس علومه فى فرنسا ، وهو إلى جانب ذلك قد شغل من المناصب الكبيرة فى مصر ما يجعله بحق أدق مؤرخ يسجل أطوار مصر السياسية فى العصر الحديث .

أخذ الباشا يخرج للناس كتابه « حوليات مصر السياسية » وهو أشبه بدائرة معارف تاريخية سياسية وقعت فى عشرة أجزاء كبيرة ، أقبل عليها العلماء والخاصة حتى نفدت أو كادت أكثر أجزائها الأولى .

ونذكر أنه — مع الأسف الشديد — قد كلف هذا المجهود الضخم شفيق باشا نور عينيه ، فإنه لم يكد ينتهى من كتابه الحولية السابعة لسنة ١٩٣٠ حتى أعجز نطس الأطباء دفع القضاء عن بصره .

ولما كان الباشا حريصاً كل الحرص على أن يظهر للناس مذكراته التى دونها فى مختلف الأزمان والحوادث والمواقف وفى شتى الشئون فقد استقبل هذا العمل الجسيم بهمة لا تعرف الكلال ، وحاطه بدقته وبذل فيه غاية عنايته حتى ظهر للناس منذ أيام الجزء الأول من هذه المذكرات موسوماً باسم « مذكراتى فى نصف قرن » .

وهذا الجزء قدم فيه الباشا لنشأته وحياته فى بيئته ومدرسته — ونحسبه إنما عنى بذلك ليدل قارئه على ما كانت عليه الحياة فى سنة ١٨٦٠ وما يليها من السنين .

ثم خلص للكلام عن الخديو إسماعيل وعصره فوفاه حقه وانتقل منه إلى عهد توفيق حتى وفاته — وقد استغرق ذلك خمسمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير فى « بنط » الطباعة الصغير .

وكلما تكلم الباشا عن حادثة أو شخص وضع لذلك صورة حقيقية كانت أو رمزية بالنسبة للحوادث حتى تضمن الكتاب ما يزيد على مائتين وسبعين صورة منها ما لم يسبق نشره قط ، ومنها العزيز النادر الذى بذل الباشا غاية الوسع فى الحصول عليه .

أخرجت هذا الجزء مطبعة مصر فجاء آية على تقدم فن الطباعة وبرهاناً على الدقة والأناقة والضبط والوضوح على ورق مصقول .

فنهنىء الباشا بهـذا النشاط الذى أثمر هذه الثمرات النافعة ونرجو له سعة فى الأجل وتحقيقاً للأمل » .

جريدة الأهرام : وفى ٢١ منـه نشرت جريدة الأهرام بتوقيع « سيد قطب » كلمة جاء فيها :

«أخيراً ، وبعد جهاد سـنوات طويلة فى الجمع والترتيب ، والمراجعـة والتبويب ، وإعداد الصور والوثائق ... ظهر الجزء الأول من مذكرات شفيق باشا فى عشرين وخمسمائة صفحة من القطع الـكبير .

ليست هذه المذكرات غريبة عن قراء « الأهرام » ، وليست مجهولة لدى المصريين عامة ، والمتتبعين لسير الحوادث السـياسية فى مصر خاصة ، فقد نشرت « الأهرام » فى عام سنة ١٩٢٧ بعض هـذه المذكرات ، وقد أحدث نشرها إذ ذاك ضجة فى كثير من الأوساط ، وأثار اهتماماً شديداً .

ثم رؤى أن تجمع هذه المذكرات اليومية فى كتاب ، وأن تأخذ سمت الـكتب التاريخية المنظمة مع المحافظة على شخصيتها كيوميات متناثرة ، ومن هنا كان الجهد الطويل الشاق فى مذكرات عن « نصف قرن » من أواخر عهـد الخديو إسماعيـل إلى عهد الثورة المصرية . وكانت السنوات الـكثيرة تمر فى هذا الجهد الطويل .

ولقـد أتاحت لى الظروف خمس سـنوات كاملة ، كنت فيها بجانب هذا الرجل « صاحب المذكرات » أعاونه فى مجهوده الشاق العسـير . وقد أتاحت لى هذه السنون الخمس أن أقف على كثير من نواحى الرجل وكثير من نواحى مذكراته ، تبيح لى أن أتحدث اليوم عنها وأنا بها جد خبير ، كما تبيح لى أن أرسم جانباً من خلق صاحبها وأنا مطمئن لهذا الرسم الذى نحن فى حاجة شديدة إليه ، ونحن نستعرض مذكرات شخصية ، منبع اطمئناننا لها ، هو اطمئناننا لخلق صاحبها .

هذا الرجل حريص جد الحرص على مذكراته هذه ، وعلى ما يثبته فيها ، فليس لديه أعز منها حتى المال ، فقد استرخص الإنفاق على حفظها وجمعها وطبعها بسخاء غريب .

وهو حريص على أن تكون وافيـة شاملة حتى فيما لا يصح التصريح به من الشؤون الشخصية البحتة والسياسية الخطرة ، وكثيراً ما كنت أراجعه فى شىء من هذا فيكون جوابه : « يا ابنى هذا هو الذى حصل ! » ...

ثم إن الرجل يتمتع بذاكرة مدهشة وحافظة غريبة ، فهو يقص عليك أنباء الماضى البعيد أيام طفولته وصباه ، كأنما يقرأ من كتاب ، أو كأنما يقص عليك ما حدث بالأمس القريب . كما أنه يمتاز بجلد عجيب على العمل ، ولا سيما حين يعمل فى ترتيب المذكرات . وإنها لأيام كثيرة تلك التى كنا نقضيها من مطلع الشمس إلى الساعة التاسعة مساء فى مزاولة هذا العمل ما عدا فترات الأكل وتناول الشاى ؛ وأتعب ، أنا الشاب ، وتكل قواى العقلية والجسمية ، بينما الرجل الشيخ منتبه يقظ لا يكل ولا يمل !

ولئن كان قليل جداً مما احتوته هذه المذكرات قد احتفظ به لوقت آخر لأن ظروفاً خاصة لا تسمح البتة بنشره ، فإن الذى نشر أو سينشر فى الجزءين الثانى والثالث لوحظت الأمانة التامة فيه ، فلم يخفف ولم يلطف ، كما أنه لم يخبأ منه ما يقدم الكثيرون على تخبئته ولا سيما وهم أحياء !

ولعل هذه الجوانب التى لمستها فى صاحب المذكرات تعطينا فكرة صادقة عن المذكرات نفسها أو عن الروح التى كتبت بها ، والعوامل التى أحاطتها .

أما المذكرات فبحسبى أن أشير لبعض ما حواه الجزء الأول الذى تم طبعه الآن . فالكتاب مقسم إلى ثلاثة أبواب غير التمهيد ، كل منها يحتوى على فصول ، والفصول تحتوى على عناصر كبيرة ، وهذه تحتوى على عناصر صغيرة .

(ثم ذكر عنوانات كثيرة من الموضوعات التى حواها هذا الجزء) وقال :

ويطول الكلام لو شئت الحديث عن كل فصل ، أو عن العناصر الصغيرة التى في الفصل الواحد ، فتلك مهمة قراء الكتاب ، ولكنى سأكتفى بالحديث الإجمالى عن فصلين اثنين من الباب الأول من الكتاب ، وهما فصل الحياة الاجتماعية فى أواخر عهد إسماعيل ، وفصل الثورة العرابية .

ألفنا نحن فى الشرق ، أن نحفل بالتاريخ السياسى وحده ، وبجزء خاص من هذا التاريخ وهو الخاص بالملوك والفاتحين وحروبهم ، فى حين أن هذا الجزء ليس أهم الأجزاء ، وفى حين أن الجانب السياسى كله لا يصور الحياة ، وهو نفسه وليد عوامل أخرى اجتماعية واقتصادية لا محيص من الإلمام بها لمعرفة ذلك الجانب .

وفى فصل الحياة الاجتماعية يجد القارئ صورة واضحة لهذه الحياة ، وسيتمتع بمعرفة الجانب المهمل المجهول من تاريخنا ، الذى تعمدت اليد الأجنبية أن تحجبه عن عيوننا

فى جميع أدوار تاريخ مصر القديم والحديث لأنه هو الجانب الحى الذى يصلنا بماضينا والذى يشعرنا بأننا حلقة من سلسلة هـذه الأجيال المتتابعة ، نتم ما بدأت ، ونعمل لمن سيأتى ، وهذا الترابط الوثيق بين الأجيال هو أخشى ما يخشاه الاستعمار !

وفى الكلام عن الحياة الاجتماعية فى أواخر عهد إسماعيل صور كثيرة بعضها جميل ، وبعضها مسل ، وبعضها مستنكر ، ولكن ليس لنا من غنى عن استطلاعها والتملى منها والإمعان فى فحصها والتدقيق فيها ، وهى مجموعة من الصور ، قد نجدها متفرقة فى كتب شتى وفى الأحاديث المتناثرة والصحف المتباينة ، ولكنها لم توجد مجموعة مهيأة كما وجدت فى هـذا الكتاب ، فى اختصار وفى وضوح . ولا سيما أن الصور الفتوغرافية والهزلية تزيدها وضوحاً وهى صور كثيرة عنى صاحب المذكرات بجمعها ووضعها فى مواضعها .

أما فصل الثورة العرابية ، ومثله الفصول التابعة له كفصل الاحتلال وسواه ، فقد تكون معظم حوادث الثورة والاحتلال معروفة ، تحويها كتب التاريخ . ولكن فى هذه المذكرات جانباً آخر غير معروف إلا لعدد قليل هو جانب التيارات الخفية ، والعوامل المستترة التى سببت هذه الحوادث ، وهو كذلك جانب السراى — سراى توفيق — ووجهة نظرها للثورة ، وما كان يدور فيها ، والجو الذى كان يسودها ، والعقلية التى كانت تفكر بها ، والعوامل الموحية لها بهذا التفكير .

وكل هذا يؤلف جانباً هاماً من صورة الثورة العرابية التى لا تزال تقال فيها الأقاويل .

ولقد يجد القارىء فى هذه المذكرات ما يحسبه تحاملا على عرابى ورجال الثورة ولكن هذا فى الواقع ليس تحاملا ، وإنما هو وجهة نظر فريق من الناس الذين عارضوا الثورة وكانوا يعيشون بين عوامل الخوف والحذر وبين نيران الشك والظنون ، حقيقية أو غير حقيقية .

وهذه المذكرات إنما كتبت فى تلك اللحظات السريعة المتقلبة الرهيبة ، ولم يغير فيها صاحبها شيئاً بعد ذلك يمس جوهرها وروحها ، فهى أصدق صورة لها .

وأى مصرى لا يهمه الآن أن يطلع على تلك الصورة ، خصوصاً وموقف مصر اليوم إنما يقوم على أساس هذه الحوادث وعلى العوامل الخفية فيها ، أكثر من العوامل الظاهرية المعروفة للجميع .

فى الحقيقة لقد صنع شفيق باشا — بنشر مذكراته — شيئاً عظيما لمصر وللحقيقة والتاريخ ، ولولا ضيق الصحف اليومية عن البحوث الضافية لتوسعت كثيراً فى تحليل هذه المذكرات ، ولا سيما فصل خاص كان يهمنى ويهم كل باحث فى تاريخ التربية فى العصر الأخير وهو فصل التعليم » .

مجلة الايماج : ونشرت مجلة الإيماج فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٤ الكلمة الآتية تحت عنوان « مذكراتى فى نصف قرن للحاج أحمد شفيق باشا » :

«يجب أن نطأطئ رؤوسنا أمام هذا الرجل الذى لم يعقه كبر سنه ، ولا ضعف بصره عن العمل ، فلا يزال ينشر عن الحوادث التى شاهدها أو كان العامل فيها بسبب اتصاله بأكبر أكابر هذا العالم مذكرات فى غاية من الأهمية ، ولا شك أن التاريخ سيلتقط منها حوادث تنفعه .

« وأحياناً لم يمنع نفسه بأن ينصح مواطنيه بالاتفاق بينهم وحب الوطن .

« فالأجزاء التى نشرها والتى تبتدئ من حكم إسماعيل تستحق الحفاوة والاهتمام» .

جريدة الأجيبسيان غازيت : وفى ٢٤ مايو ، كتب سقراط ســـبيرو بك فى جريدة الأجيبسيان غازيت ما يأتى :

« إن سعادة أحمد شفيق باشا الذى كان رئيس الديوان الخديوى ونائب رئيس الجامعة الأهلية المصرية قد أخرج فى هذين اليومين الجزء الأول من مذكراته عن عشرين سنة أى من سنة ١٨٧٣ لغاية سنة ١٨٩٢ .

وتنقسم المذكرات إلى ثلاثة أقسام من الأيام الأخيرة لعهد إسماعيل باشا الخديو وحكم توفيق باشا ، وعهد عباس باشا آخر الخديويين لغاية الحرب العظمى .

والجزء الأول الذى نحن بصدده مملوء بالأخبار ومفيد جداً لأنه لا يحتوى فقط على الحوادث التى وقعت فى أثناء العشرين سنة المذكورة بل أيضاً على أمور اجتماعية لم تكن معلومة قبلا للجمهور الأوربى وحتى للجمهور المصرى فى الوقت الحاضر .

وبعد أن ذكر شفيق باشا فى المقدمة أسباب إخراجه هذه المذكرات قال إنه كان من عادته منذ صغر سنه أن يدون الأخبار اليومية وخصوصاً بعد أن أتم دراسته فى أوربا

ومن الأسباب الأخرى علاقته مع السراى ، فإن هذه العلاقة قد مهدت الطرق له ليعلم ما كان يجرى وراء الستار .

وقد اعترف الباشا أن هذه المذكرات وحدها لا تكفى لتكوين تاريخ تام عن مصر لأن لهذا التاريخ نواحى أخرى كثيرة ، وأنه توجد وثائق خلاف ما نشره منها وتوجد كذلك تقارير الرجال الذين لعبوا بعض الأدوار فى هذه الحوادث . ولكنه يعتقد أن مذكراته هذه تشمل قسما كبيراً من هذا التاريخ وإنى أوافقه على هذا الرأى .

وقد بدأ شفيق باشا بذكر ما حدث له أيام دراسته وقد طبع فى مذكراته أنموذجاً من خطه العربى البديع وصورة المكافأة التى أعطيت له عند فوزه بالامتحان من المرحوم توفيق باشا وكانت عبارة عن تاريخ الهند باللغة الإنجليزية .

وفى الفصل الأول من هذا الجزء سرد المؤلف بإسهاب المسائل السياسية والإدارية ومطامع إسماعيل باشا الخديو وإسرافه . فإن الخديو إسماعيل لم يرغب فقط فى قطع العلاقات التى كانت تربطه مع تركيا بل أيضاً فى تأسيس إمبراطورية مصرية واتخاذه لنفسه لقب « إمبراطور أفريقيا » . وذكر المؤلف فى هذا الجزء تفصيلات وافية عن مصرع إسماعيل باشا المفتش*[1] أخيه فى الرضاعة وناظر ماليته .

وذكر كذلك تفصيلات مظاهرة الضباط فى عهد إسماعيل وكيفية عزله وسفره من مصر . كل هذه الحوادث قد وصفها بعض المؤلفين من المصريين والأجانب ولكنهم لم يصفوها بمثل هذه التفصيلات ولم يصفوا حالة مصر الاجتماعية فى ذلك العهد . وذكر شفيق باشا أيضاً شيئاً كثيراً عن حياة إسماعيل الخصوصية وعن زوجاته الأربع وعن الثالثة منهن التى لم تعقب أولاداً فتبنت فائقة هانم زوجة محمد عزت باشا ، وأنشأت مدرسة للبنات . وكتب عن أفراح أنجال إسماعيل باشا وهم توفيق*[2] ، وحسين*[3] وحسن**[4] وابنته فاطمة هانم*[5] وعن جهاز زوجاتهم الفخم وعن الأفراح التى استمرت أربعين يوما والمآكل التى كانت تقدم فى أطباق من الذهب الخالص . وقد أخذ إسماعيل باشا معه هذه الأطباق عند سفره من مصر للإقامة فى إيطاليا . وكذلك ذكر شيئاً عن خليل أغا الذى كان له نفوذ عظيم فى مصر فى ذلك العهد .

---

* ١ م . ج ١

* ٢ و * ٣ ؟ * ٤ ؟ * ٥ م . ج ١

ولما خرج إسماعيل باشا من سراى عابدين أخذ معه ابنه توفيق باشا فى العربة وفى وقت الوداع فى المحطة قال لابنه توفيق « كنت أود لو استطعت أن أزيل بعض المصاعب التى أخشى أن تسبب لك ارتباكا ، ولكنى واثق بحزمك ، وأملى أن تكون أسعد حالا من أبيك » .

وتبين لنا مما قاله شفيق باشا أن البرنس حسين (وقد أصبح بعد ذلك سلطاناً) كان يطمع أن يخلف أباه فى العرش لأنه ولد بعد ولادة أخيه توفيق بساعات معدودة ولكن إسماعيل أوصاه أن يكون مخلصاً لإخوته ، وأصبح مخلصاً لهم لآخر يوم من حياته .

ومن رأيى أن هذا الفصل يجب أن يترجم إلى اللغة الإنجليزية وأن ينشر على حدة لأنه يلقى نوراً ، ليس فقط على حالة مصر السياسية بل أيضاً على حالة الإدارة والمحاكم والحياة الاجتماعية والعقلية والتلامذة وتجارة الرقيق والآداب العمومية والتياترات والموسيقى وكبار المغنين من الجنسين والأفراح الوطنية وغير ذلك من المواضيع ، فيكون هذا الكتاب وصفاً لحالة مصر فى عهد إسماعيل مثل كتاب « المصريون الحديثون » الذى يصف حالة مصر منذ جيل مضى .

ويبدأ الفصل الثانى من هذا الجزء بوصف طريقة تكوين الرأى العام فى مصر وقد كان الرأى العام فى مصر لا وجود له من قبل . والظاهرة الأولى هى ثورة الضباط فإنهم قاموا بطلب إلغاء النظارة المختلطة وإلغاء المراقبة الثنائية على موارد البلاد . ووصف المؤلف الدور الذى لعبه الشيخ جمال الدين الأفغانى فإنه كان يحرض بجرأة الذين يترددون على منزله مثل الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وإبراهيم الهلباوى *[1] وسليم النقاش *[2] وغيرهم من الرجال المملوئين بالمبادئ الوطنية . وكان المصريون قبل ذلك يعتقدون أن حاكم البلاد هو سيدهم وأن من واجباتهم أن يطيعوه طاعة عمياء ، ولكن جمال الدين أراد بخطبه الحماسية أن يغير فيهم هذا الاعتقاد .

ثم إن شفيق باشا عند التكلم عن ثورة عرابى أظهر لنا أن هذه الثورة لم يكن لها فى بادئ الأمر برنامج معلوم ، ولم تكن فى الأصل حركة وطنية ، ولكنها نشأت من

---

* ١ م . ج ٢ . ق ٢

* ٢ م . ج ١

تذمر بعض الضباط المترقين من تحت السلاح لعدم ترقيتهم إلى مناصب القيادة العليا التى كانت محفوظة للأتراك والشراكسة . ثم بين المؤلف كيف كان قنصل فرنسا يشجع زعماء هذه الحركة ضد معتمد إنجلترا وكيف ذهب هذا القنصل لما استدعته حكومته إلى عرابى باشا وعانقه قبل سفره . ثم قال شفيق باشا إن نفوذ المعتمد الإنجليزى أخذ فى الازدياد مع الخديو من ذلك العهد وقال : إنه بينما كان القوميسير العالى العثمانى ينادى بتأييد سلطة الخديو كان أحمد راتب باشا *١ الجنرال العثمانى الذى حضر لمصر بحجة المرور إلى الحجاز يتقابل مع عرابى ويبلغه سلام السلطان ورضاءه . وعلى ذلك ظن عرابى أن لا خوف عليه من حكومتى إنجلترا وفرنسا ، خصوصاً وأن المستر ولفرد بلانت *٢ كان يشجعه على المضى فى خططه ومشاريعه . وبعد ذلك أخذ المؤلف يصف كيف وصلت الأساطيل الإنجليزية والفرنساوية إلى الإسكندرية وكيف قام الرأى العام ضد دول أوربا ولا سيما إنجلترا وكل ذلك بتأثير الخطب الحماسية التى كان يلقيها الشيخ جمال الدين الأفغانى ومن تأثير المقالات التى كانت تنشر فى الجرائد ومن الخطب التى كانت تلقى فى المساجد والأفراح ، فسارت الحوادث بسرعة وأطلقت القنابل على الإسكندرية فى ١١ يونيو وكان عرابى فى طابية كوم الدماس يترقب الأعمال العسكرية ولما استؤنف ضرب القنابل فى اليوم التالى رفع العلم الأبيض ودخل الإنجليز الإسكندرية فى يوم ١٣ يوليو . ثم ذكر المؤلف واقعة التل الكبير واحتلال القاهرة ومحاكمة الزعماء واستتباب النظام فى البلاد وعودة الخديو إلى العاصمة .

والقسم الأخير من الجزء الأول يبحث عن السودان وحملة هكس *٣ وتعيين غوردون *٤ والحملة الإنجليزية بقيادة الجنرال ولسلى *٥ واحتلال إيطاليا لمصوع ، ويحتوى على شىء كثير مما رآه المؤلف فى جهات عدة من أوربا .

وفى هذا الجزء كثير من الصور الفوتوغرافية . وقد يدرك القارئ عند اطلاعه على هذا الكتاب مقدار أهمية هذا التاريخ الكبير الذى أهداه شفيق باشا إلى آداب اللغة العربية .

---

* ١ م ٠ ج ١

* ٢ م ٠ ج ١

* ٣ و * ٤ و * ٥ م ٠ ج ١

وإنى آمل أن يخرج شفيق باشا الجزء الثانى والجزء الثالث من مذكراته حتى يضيف بهما مجموعة ثمينة لتاريخ مصر مدة الخمسين سنة الماضية » .

جريدة لوكريبه دى جيبت الفرنسية : وفى ٢٤ مايو سنة ١٩٣٤ نشرت جريدة لوكريبه دى جيبت الفرنسية كلمة جاء فيها :

« تحت هذا العنوان «مذكراتى فى نصف قرن» نشر سعادة شفيق باشا الجزء الأول من كتابه الجديد الذى يشمل الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ سنة ١٨٧٣ إلى وفاة الخديو توفيق باشا . وفيه أيضاً وصف أواخر عهد إسماعيل وإصلاحاته الإدارية وحياة القصور الخديوية وسخاءه الزائد وما ترتب على ذلك من فقر الفلاح وتدخل الدول .

ومن غرامه بتدوين الحوادث أنه لما كان فى باريس للدراسة موفداً من توفيق لتتميم دراسته مع أنه كان موظفاً فى الديوان الخديوى ما زال يدون كل مشاهداته الاجتماعية وغيرها فى باريس حتى رجوعه إلى الديوان الخديوى .

وفى هذا الكتاب ، بجانب أبحاثه التاريخية الجدية ، مباحث أخرى غريبة ومسلية جداً . وخلاصة القول أن هذا الكتاب فريد من نوعه » .

الجورنال ديجيبت : وكتبت جريدة الجورنال ديجيبت كلمة جاء فيها .

« إن سعادة أحمد شفيق باشا من المغرمين بالمذكرات . وهو لا يشعر بتعب ولا ملل بعد آثاره السابقة . وقد أصدر الآن مؤلفاً جديداً تحت عنوان «مذكراتى فى نصف قرن» ونحن عند الكلام على هذا الكتاب لا نحتاج إلى أن نذكر أهميته من ناحية الإنشاء والأسلوب ، ولكن من ناحية شخصية المؤلف فهو بحكم وظيفته بجانب الخديو (إذ كان رئيس الديوان الخديوى) كان متصلا اتصالا وثيقاً بكثير من الأمور والحوادث التى لم تعرف حتى اليوم على حقيقتها ، فكان قادراً على الاطلاع على أصدق المستندات التى قل أن يحصل عليها المؤرخون .

إن أهمية كتاب أحمد شفيق باشا ترجع إلى شخصية صاحبه . وإن هذه الأهمية لتعظم كلما رأينا — لسوء الحظ — أن أكثر رجال السياسة المصريين لم يتركوا مذكرات عن الحوادث التى شاهدوها . ومن هنا نرى أنه يرجع لسعادة أحمد شفيق باشا فخر ترك هذه العادة العقيمة المضرة . وأكثر من ذلك أن سعادته لم ينتظر الرحيل من الدنيا لنشر مذكراته وهذا للأسباب الآتية :

أولا — أنه ظهر لسعادته أن الأوفق له القيام بهذا شخصياً فى أثناء حياته خوفاً من ضياع أوراق أو نشرها ناقصة بعد وفاته .

ثانياً — لأن كثيراً من الأشخاص الذين تذكر أسماؤهم فى الكتاب لا يزالون أحياء ولذلك يجدر بهم أن يقوموا بتصحيح بعض الأخطاء التى يكون المؤلف قد وقع فيها .

وأخيراً لأن سعادته يرى أن نشر مذكراته مدة حياته شجاعة كبيرة من جانبه فيأخذ على عاتقه هذه المسئولية .

وخلاصة القول إن مثل هذا المؤلف لا يمكن أن يلخص فى بضع كلمات لكثرة ما به من الأخبار والحوادث غير أنه يجوز أن تكون هناك بعض الأشياء قابلة للتصحيح ، لأنه متى كان الإنسان متصلا شخصياً بالحوادث التى يقصها بعد فمن الطبيعى جداً أن يتأثر فى حكمه عليها بميوله الشخصية ، ومن ناحية أخرى أن الوقت غير كاف لكى يحكم الإنسان على تلك الحوادث .

ولكن رغم كل هذا نرى أن سعادته بذل جهداً عظيما فى اتباع الطريقة السليمة فى الجزء الأول ، ونحن نرجو أن تكون الأجزاء الباقية مشتملة عليها نفس الروح التى سادت على الجزء الأول » .

مجلة الرسالة : وكتبت مجلة الرسالة فى عددها الصادر يوم ٢٨ منه بتوقيع « ع » ما يأتى :

«لم يجتمع لكثير من رجال الدولة المصرية مثلما اجتمع لصاحب السعادة الأستاذ أحمد شفيق باشا من ظروف المشاهدة وفرص الدرس والاطلاع والتحقيق ؛ فقد عاصر هذا الشيخ النابه النشيط عدة عصور ومراحل من تاريخ مصر الحديث ، وشهد الحياة المصرية منذ أواخر عصر إسماعيل ، واتصل بالقصر وشئون الدولة العليا منذ حداثته ، وشهد حوادث الثورة العرابية وتتبعها بدقة ، وكان مرجع النفوذ والحول طوال أيام عباس . ولم يكن شفيق باشا يطوى هذه المراحل والعصور مشاهداً فقط ، ولكنه كان يقرن المشاهدة بالدرس والتدوين ، فكان يدون مذكراته تباعا عن الحوادث والشئون الخطيرة التى كانت تترى فى هذه الحقبة من تاريخ مصر ، ويدون إلى جانبها كثيراً من الملحوظات عن تطور الحياة المصرية الاجتماعية ، ثم عن حياته الخاصة التى كانت صدى ومثالا صادقا لهذه الحياة .

وقد أخرج لنا الأستاذ شفيق باشا الجزء الأول من هـذه المذكرات فى مجلد ضخم يتناول وصف الحوادث والحياة المصرية منذ أواخر عهد إسماعيل حتى عزله ، ثم عهد توفيق والثورة العرابية وأسبابها ونتائجها حتى استقرار الاحتلال الإنجليزى — وهذا هو القسم التاريخى العام . ويتناول القسم الثانى منه حياة المؤلف الخاصة فى أثناء دراسته فى باريس ، ومشاهداته العامة فى فرنسا ومختلف البلاد الأوربية التى زارها .

ولعله لم يصدر عن الحياة المصرية فى أواخر هذا القرن وصف أصدق ولا أمتع من ذلك الذى يتحفنا به شفيق باشا فى مذكراته . فقد تقلب شفيق باشا منذ حداثته فى مختلف البيئات والمجتمعات المصرية لهـذا العهد ، واتصل بالطبقات الاجتماعية الرفيعة اتصالا وثيقا ، وشهد بعينه من صورها وألوانها الشىء الكثير ، ووصف لنا جدها وهزلها ولهوها وسمرها وصفاً صادقاً شائقا ، ويجد مؤرخ الحضارة المصرية فى هـذا العصر فى مذكرات شفيق باشا مادة نفيسة تؤيدها المشاهدة الصادقة . وهـذه ناحية من الكتاب لها أهميتها وسحرها .

بيد أن لهذه المذكرات من الوجهة التاريخية ناحيـة أهم . ذلك أن المؤلف يقص علينا سيرة الحوادث السياسية الخطيرة التى وقعت فى عهد توفيق ، أعنى الثورة العرابية وما انتهت إليه من النتائج المشئومة . وقد كتب تاريخ الثورة العرابية وما إليها فى العصر الأخير غير مرة ، وصدرت عنها مذكرات كثيرة مصرية وأجنبية ، ولكن شفيق باشا ينفرد بمعالجة ناحية لم تعالج من قبل بمثل ما عالجها به من الإفاضـة والدقة ، ولم يكن ليستطيع معالجتها غير شفيق باشا نفسه — ذلك هو موقف القصر ووجهة نظره وحقيقة تصرفاته إزاء تلك الحوادث العصيبـة . وقد كان شفيق باشا يومئـذ من موظفى القصر ومن الرجال الذين يضع فيهم الخديو ثقته ، وكان بذلك فى مركز يستطيع أن ينفذ منه إلى بواطن الأمور وحقائقها وأن يعرف حق المعرفة ما يقع فى القصر وما يدبر فيـه وما يقال نحو الحوادث وتطوراتها ، وأن يقف على وثائق لا يقف عليها غير رجال القصر الأخصاء ، وهـذه الناحية تبدو واضحـة قوية فى رواية شفيق باشا عن الثورة العرابيـة وتلقى الضياء على مسائل وشؤون كثيرة فى تاريخ الثورة لم نقف عليها من قبل بمثل ذلك الوضوح . وهذه الميزة وحدها تجعل لمذكرات شفيق باشا قيمة كبيرة ، هذا إلى ما يتخلل ذلك كله من النبذ الاجتماعيـة والأدبية التى تمثل روح العصر وأحواله أصـدق تمثيل .

فنهنئ الباشا بمجهوده القيم ، ونرجو الله أن يمتعه بالصحة والعافية حتى يخرج لنا ما تبقى فى جعبته من ذلك التراث القومى النفيس » .

جريدة الجهاد : وفى ٢٩ منه كتبت الجهاد كلمة جاء فيها :

« لا شك أن صاحب السعادة أحمد شفيق باشا قد فتح بإصدار هـذا السفر النفيس فتحاً جديداً ، فهـذه المذكرات تنفرد بالصراحة التى لم يسبق لنا بها فى المؤلفات العربية عهد . ولهـذا لم يكن غريباً أن تقابل بالدهشة من كثيرين . كما تنفرد بالأسلوب الفـذ الذى تناول به سعادة المؤلف أحوال مصر السياسية والاجتماعيـة ، ومضى بالقارئ إلى رحلاته ومغامراته ودراساته فى أوربا . فلا تكاد تفتح صفحة من صفحات الكتاب حتى تقع على وصف طريف ، أو واقعة غريبة ، أو دعابة شائقة .

ونستطيع أن نقول فى ثقة ويقين إنه يكاد يكون مستحيلا أن يكون فى القراء من لا يجد لذة فى هـذا السفر النفيس . ففيه ما يشبع رغبـة المؤرخ السياسى والاجتماعى ، وفيـه ما تلذ مطالعته للقارئ الذى يطلب فرجة النفس فى المطالعة ، وفيـه من الطرف والنوادر ما كنا نود لو عرضنا منـه أمثلة عدة لولا الحيرة التى تتولانا حين نريد تفضيل طرفة أو نادرة على سواها وإيثارها بالذكر .

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن هـذا الكتاب لم يكد يظهر حتى أقام نادى القـلم المصرى حفلة لمؤلفه العلامة تكريماً وتقديراً لفضله » .

جريدة البلاغ : وجاء فى كلمة بجريدة البلاغ يوم ٧ يونيو ما يأتى :

« كان من حظ الحاج أحمد شفيق باشا أن عرف عصر إسماعيل وعصر توفيق وعصر عباس حلمى ، وقد عرفها معرفة من عاش فى قصور هؤلاء الخديويين الثلاثة ، فاستطاع أن يقف على كثير من أسرار الحوادث السياسية التى تقلبت على مصر فى هذه العصور ، وأن يخرج لنا الآن الجزء الأول من كتابه الذى سماه « مذكراتى فى نصف قرن » ، وهو جزء تشمل الحوادث فيه الحقبة الأخيرة من عصر إسماعيل باشا ، ثم الحقبة الأولى من عصر توفيق باشا .

والقارئ يدرك من تلقاء نفسه أن الحوادث التى تقلبت على مصر فى هاتين الحقبتين كانت وقوع مصر فى مهاوى الدين ثم فى براثن التدخل الدولى ثم فى الثورة العرابية ، ثم

فى الاحتلال البريطانى . وهذا كله تاريخ يهم المصريين إلى أعظم حد ، وقد كتب فيه كثير من الباحثين الأوربيين ، أما المصريون الذين هم أصحاب الشأن الأول فيه فلم يكتبوا ، وهذا غريب ، ولعل الذين قرأوا كلمة لنا قدمنا بها لكتاب « التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر » يذكرون أننا أخذناه على المصريين ، ورجونا أن يقوم منهم من يسد النقص ويرفع العيب ، ويثبت أن منهم من يعنون العناية الصادقة بتاريخهم الحديث . فالآن جاءت مذكرات شفيق باشا تسد بعض هذا النقص وتلقى الضوء أمامنا على أشياء لولاها لبقيت فى الظلام الدامس .

ومنذ ثلاثة أعوام ظهرت مذكرات لعرابى فقرأناها بشغف متوقعين أن نجد فيها غير ما نجده فى كتاب « مصر للمصريين » الذى وضعه الأخوان سليم النقاش وخليل النقاش ، أو فى كتاب « التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا مصر » الذى وضعه مستر بلانت ، فلم نجد مع الأسف ما يحقق الغاية ويروى الظمأ . ولهذا لما ظهرت فى هذه الأيام مذكرات شفيق باشا أكببنا عليها فوجدناها تختلف عن مذكرات عرابى فى أن فيها جديداً ، وأن فيها ما يستفاد ، وأن فيها ما يستحق أن يعنى به لتوضيح الحقائق التاريخية .

وبعد أن ذكر الكاتب جزءاً من المقدمة قال :

« فهذه هى الظروف التى دفعت شفيق باشا إلى كتابة مذكراته : استعداد نفسى أولا وظروف مؤاتية ثانياً — وهذان أمران خليقان بأن يجعلا من المذكرات ذخراً لا مثيل له . ونشهد أن مذكرات شفيق باشا ينطبق عليها هذا الوصف فى بعض أجزائها ولكن لا يسعنا مع ذلك إلا أن نقول إنه لا ينطبق عليها بسهولة فى بعضها الآخر .

ففى كل ما رواه شفيق باشا عن حياة إسماعيل باشا الداخلية ، وعن قصوره وعن أفراح أنجاله ، وفى كل ما رواه بعد ذلك عن ألم توفيق باشا من نفوذ الاحتلال وفى أشياء أخرى منثورة فى صفحات الكتاب — يقرأ الإنسان مذكرات كل ما فيها جديد ولذيذ . أما فيما عدا ذلك من الحوادث التى أدت إلى عزل إسماعيل باشا وحوادث الثورة العرابية وهزيمة عرابى فقد خيل إلينا أن شفيق باشا يدون التاريخ المعروف وأن أثر المذكرات الشخصية فى هذا التدوين قليل .

وما دمنا نذكر شفيق باشا ومذكراته فيجب أن نذكر أنه أصدر فى الأعوام الثلاثة

الماضية حولياته وأن هذه الحوليات سجل حسن لحوادث السنين الأخيرة فى تاريخ مصر . وفى إصدار هـذه الحوليات ثم إصدار المذكرات دليل على أن شفيق باشا مؤرخ يعنى بالتاريخ الحديث عناية يذكرها له الجيل الحاضر كما تذكرها الأجيال القادمة . فله منا ومن هذه الأجيال الشكر والثناء » .

جريدة الأهرام : وفى يوم ١٢ منه نشرت الأهرام بتوقيع « عبد الله حسين » كلمة جاء فيها :

« يعجبنى جداً تصدى القديرين لتدوين مشاهداتهم الشخصية . ويلذ لى أن أذكر ما كنت أراه فى أوربا من حفاوة بالغة بتسجيل المشاهدات . وأذكر من ذلك أننى فى صيف سنة ١٩٢٩ شهدت الجمعية العمومية لعصبة الأمم ، وعرفت سيدات ورجالا من زائرى « جنيف » من السفر والرحالة ، وبينهم كبار السن والشيوخ المرضى ، لا تشبعهم مناظر الطبيعة ، ولا يشفى غليلهم الحضور فى اجتماع الجمعية العمومية ، بل لا يقنعهم إلا تسجيل كل ما وقع تحت أنظارهم فى مذكرات تملأ جيوبهم وحقائبهم .

وكنت أظن أن هؤلاء المستذكرين والمستذكرات إنما يحتملون عناء التدوين ، لأنهم يقومون بعمل مأجور — كأن يكونوا صحفيين أو مؤلفين . ولكن ما كان أشد عجبى إذ علمت أنهم يدونون ما يدونون ، ويكتبون ما يكتبون ، فى سبيل متعة شخصية ذاتية . وكان بينهم القائد المحال إلى المعاش ، والنائب المتقاعد الذى طلق السياسة أو طلقته ، والعجوز الشمطاء التى ليس لها بنون ، والتى أكبر همها فى حياتها الباقية أن تخلد إلى الراحة ، وأن تفعل البر ، لتلقى ربها راضية مرضية .

كنت آسف أن ساستنا وأدباءنا لا يحفلون بوضع المذكرات وتدوين المشاهدات . وطالما أهبت بكبار وزرائنا وزعمائنا السابقين والحاليين ألا يبخلوا على أمتهم بكتابة الحوادث التى عاركوها والشخصيات التى صادقوها أو نازلوها ، والمناظر التى شهدوها ، والملاحظات التى أملتها عليهم المشاهد والأسفار والاجتماعات .

أعلن سعادة أحمد شفيق باشا منذ شهور أنه قد أنجز طبع الجزء الأول من مذكراته ، فحقق بهذا النشر أمنيتى فى أن أرى الذين اشتركوا فى أعمال عامة وولوا مناصب سامية فى الدولة يكتبون لمعاصريهم وخالفيهم صفحة الحياة .

ومذكرات شفيق باشا تقدم لنا غذاء تاريخياً ، وتصف لنا الحوادث والشخصيات التى تلاحمت بها وصفاً صادقاً ، وغير مزخرف . والصدق فى مذكرات شفيق باشا مقروء فى كل سطر منها ، منطوق فى كل فصل . وسوف يجد مؤرخ هذا العصر فى هذه المذكرات مصدراً موثوقاً به من مصادر التاريخ .

ولو أن أقرباء المغفور لهم رياض باشا وشريف باشا وبطرس غالى باشا ومحمد سعيد باشا وحسين رشدى باشا وسعد زغلول باشا وثروت باشا وعدلى يكن باشا وغيرهم ممن أعرف وممن لا أعرف — قد عنوا بنشر المذكرات التى كتبوها ، لأسدوا لوطنهم خدمة وطنية فى جلاء الحوادث والإعانة على كتابة التاريخ ، فضلا عما فى هذا النشر من إكرام للموتى وتخليد لذكراهم . وأنا عليم أن لبعض من ذكرت مذكرات قيمة ، ومن جهة أخرى أنه إذا كان بعض الظروف والمجاملات الحاضرة تدعو ورثة أصحاب المذكرات إلى التريث فى طبعها وانتظار زمن آخر لإذاعتها ، فمما لا شك فيه أن فى وسع الورثة أن يذيعوا فصولا ومقتطفات من المذكرات ، وأعتقد أن الظروف الحاضرة لن تمنع من النشر إلا الجزء الأقل . ودليلى على هذا مذكرات شفيق باشا — فإن الجزء الأول منها الذى قرأته ليس فيه ما يدعو إلى رعاية أية مجاملة فى عدم إذاعته .

ولقد اغتبطت بصراحة شفيق باشا عندما قرأت فى مقدمة مذكراته أنه « قد جرت العادة ألا ينشر مثل هذه المذكرات إلا بعد وفاة صاحبها ، وربما يلوح غريباً أن أتولى بنفسى نشر مذكراتى . بيد أننى خشيت تناثرها بعد وفاتى ، أو نشرها مشوهة مبتورة ، ثم إن فيها ما يتعلق بشخصيات ما زالت على قيد الحياة ، فإذا نشرت اليوم كان ثمة مجال لفحصها ونقدها إن كانت محلا للنقد ، كما أنه كان من الشجاعة الأدبية أن تنشر مذكرات فى حياة مدونها ، فيحتمل — وهو على قيد الحياة — كل تبعة فيما تسجل من الحوادث والشؤون » .

وقد اشترك مع المؤلفات التى كتبت عن هذا العهد فى أشياء وافترق عنها فى أشياء : فمن الأشياء المشتركة ما جاء فى كتاب المؤلف عن عهد إسماعيل وسوء الإدارة فى آخر حكمه ، وتدخل الأجانب فى شؤون مصر ، وإنشاء المراقبة الثنائية ، والوزارات التى تعاقبت ، ومجلس شورى النواب الذى فتح ثم عطل ، والثورة العرابية ، والاحتلال الإنجليزى .

أما ما امتازت به المذكرات عن المؤلفات التاريخيـة ففيما قرأته عن حياة شفيق باشا الشخصية : ولادته ونشأته . وقد أعجبنى بصفة خاصة أنه ذكر والده ومنزله بشارع اللبودية بقسم السيدة زينب ، وذكر والدته وقال عنها : إنها شركسية من معاتيق السيد على البكرى وأنها هى التى عنيت بتربيته المدرسية . ونشر صورتها وهى تدل على أن شفيق باشا مشابه لها فى صورتها وقوامها وهدوئها ورزانتها وأناتها واهتمامها بالجـد وبعدها عن الزينـة والزخرف — تلك الصفات المشهودة فى نجلها البار شفيق باشا ، والتى تدل على أن سعادته ورث والدته مادة ومعنى .

ثم ذكر لنا شفيق باشا المدارس التى تعلم فيها وامتحاناتها ، واهتمام الخديو توفيق . ووقفنا من المذكرات على أن أول مرتب تقاضاه شفيق باشا كان مائة قرش عندما عين فى وظيفة معيـد « مدرس مبتـدئ » فى مدرسـة القبة — أى أن مائة قرش كانت مرتباً محترماً !

ومما امتازت به المذكرات أنها حدثتنا عن الحركة الفـكرية فى عصر إسماعيل وحالة التأليف والترجمـة والصحافة وعلائق الأسرة ، وأزياء السـيدات ، والعادات المتبعـة فى فى الأفراح ، وحالة الفنون والملاهى ، والحفلات الدينية ، والحياة فى قصر عابدين .

أما الثورة العرابية فهو إن كان قد عالجها متأثراً بالبيئة التى كان يعيش فيها الباشا ، بيئة المعية الخديوية ، وعاطفـة الولاء التى كان يحملها سعادته لولى نعمتـه الخديو توفيق الذى رعاه تلميـذاً وموظفاً ورئيساً كبيراً — إلا أن القارئ يشعر بأن الباشا لم يكتب ما كتب عن موقف توفيق باشا فى الثورة العرابيـــة — عن محاباة أو مجاملة ، وإنما كان الباشا محدثاً عن اعتقاده وشعوره ورأيه فى الحوادث وأشخاصها . ولا شك أن للناحية التى عالج بها سعادته حوادث الثورة العرابيـة والاحتلال الإنجليزى — وجهتها التى يجب أن تؤلف عنـد المؤرخ الصادق — عنصراً من العنـاصر العدة التى يكتب على أساسها تاريخ الثورة — ليجىء صادقاً .

وحدثنـا شفيق باشا فى مذكراته عن أسفاره فى أوربا ، ووصفه لباريس ، والمدن الفرنسية والإيطالية والألمانية . ففهمنا أن الحياة اللاهية والاجتماعية والعملية فى أوربا لم تـكن تختلف كثيراً عما شهدناه نحن المتأخرين .

وهكذا تجىء مذكرات أحمد شفيق باشا مثالا يجب أن يحتذيه المعاصرون فى تدوين الحوادث وتسجيل مراحل الحياة » .

الأهرام : وفى ١٩ منه نشرت أيضاً كلمة بتوقيع عبد الرحمن الرافعى بك جاء فيها : « للمذكرات التى يدونها المعاصرون للحوادث فضل كبير فى إظهار الحقائق وكشف الستار عن كثير من الحوادث التى يتألف من مجموعها التاريخ القومى لكل أمة . وهى مرجع هام لكتابة التاريخ فى كل عصر ، وخاصة إذا كان صاحب المذكرات معروفاً بالأمانة والدقة فى تدوين الحوادث . فلا غرو أن نعد ظهور مذكرات المؤرخ المحقق سعادة أحمد شفيق باشا فتحاً جديداً فى عالم التاريخ المصرى .

كنا إلى عهد قريب ولا نزال نشكو افتقار تاريخنا إلى مذكرات يدونها رجالنا عما شهدوه من الحوادث . وأذكر أننى لمناسبة ظهور الجزء الأول من كتابى فى تاريخ الحركة القومية سنة ١٩٢٩ أعربت عن تألمى من وفرة مذكرات الأوربيين حتى عن حوادث تاريخنا ، على حين نجد فراغاً وجدباً من الناحية المصرية .

ولولا الجبرتى وما دونه عن حوادث مصر وأعلامها فى القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر لغابت عنا حوادث مصر فى تلك الحقبة الطويلة من الزمن .

فالآن نحمد الله على أن وفق عالمنا الجليل « جبرتى هذا الزمان » الحاج أحمد شفيق باشا إلى إظهار مذكراته عن تاريخ مصر فى نصف قرن من سنة ١٨٧٣ إلى نهاية الحرب العظمى . وهذه المذكرات تقع فى ثلاثة أجزاء : الجزء الأول وقد ظهر أخيراً يتناول مشاهدات المؤلف من سنة ١٨٧٣ فى عهد إسماعيل إلى وفاة الخديو توفيق باشا سنة ١٨٩٢ . والجزء الثانى يشتمل على عهد الخديو عباس الثانى . والثالث عن عباس الثانى والحرب العظمى .

وإذا لاحظنا أن شفيق باشا قد ولد سنة ١٨٦٠ ودون من الحوادث ما أدركه أو سمع عنه فى طفولته وصباه من حوادث عصره ، كانت مذكراته صورة واضحة جلية لتاريخ مصر لا من سنة ١٨٧٣ فحسب بل من سنة ١٨٦٠ أى أنها تتناول أكثر من نصف قرن . وإذا أضفنا إلى ذلك أنه أخرج من قبل مؤلفه الكبير « حوليات مصر السياسية » فى عشرة أجزاء من قيام الثورة المصرية سنة ١٩١٩ عقب انتهاء الحرب العظمى إلى سنة ١٩٣٠ كان لنا أن نحيى بإعجاب ذلك المجهود العظيم الذى أنتج تاريخاً

حياً لحوادث مصر وتطوراتها فى نحو ثمانين عاماً من سنة ١٨٦٠ إلى اليوم .

ولمذكرات شفيق باشا ميزتها لصدورها عن عالم درس العلوم التاريخية وعرف أصولها وأسرارها منذ صباه ؛ ولا غرو فهو خريج مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس . فهو من هذه الناحية يكتب المذكرات بأسلوب المؤرخ العارف بما يعنى القارئ من الحوادث التى يكتب عنها ؛ ولذلك جاءت مذكراته سجلا ناطقاً عن أحوال مصر السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية ؛ فهى مذكرات خصبة يرى فيها القارئ ما كانت عليه مصر من مختلف النواحى . ويعجبنى منها أنها لا تتناول الكلام عن الحكام وأصحاب السلطان وحدهم بل تعنى كثيراً بالشعب وتصف أحواله وأطواره فى أفراحه وأحزانه وميوله وعواطفه وعلومه وآدابه وحياته الاجتماعية والعائلية .

وخير المذكرات والمؤلفات ما يكشف عن أحوال الشعب وتطوراته على مدى السنين ، وهى ناحية يهملها كثير من الكتاب والمؤرخين ؛ وقد وفاها شفيق باشا حقها فى مذكراته .

وثمة ميزة أخرى فى هذه المذكرات وهى أنها صادرة من شخصية بارزة اتصلت ، بحكم المناصب التى شغلها ، بأسرار الحوادث وتطوراتها ، فجاءت مصدراً هاماً يعتمد عليه فى تدوين الحوادث على صحتها . هذا إلى ما اتصف به مؤرخنا الجليل من الصدق فى الرواية والأمانة والنزاهة والبعد عن المطامع السياسية ، فهو يدون ما شاهده وما يعتقده فى غير تحيز ولا محاباة .

وبحسبك أن تطلع على الجزء الأول من المذكرات لتقف منه على وصف دقيق لحالة مصر فى أواخر عهد الخديو إسماعيل والنقط البارزة فى ذلك العهد كمطامع إسماعيل وإسرافه واصلاحاته الإدارية ، ثم الأزمة المالية التى أصابت البلاد فى عهده وما استتبعته من حضور لجنة التحقيق الأوربية وتأليف الوزارة المختلطة ثم مظاهرة الضباط وإقالة الوزارة المذكورة ثم تأليف وزارة شريف باشا الوطنية وما أعقبها من عزل إسماعيل . وتجد فصولا ممتعة عن الحياة الاجتماعية والعائلية والحركة الفكرية والعلمية والنظم الإدارية والقضائية ومراسيم الحفلات والأفراح فى ذلك العصر .

والقسم الثانى من الجزء الأول يشتمل على صفحة هامة من تاريخ مصر القومى وهى الثورة العرابية . وقد أفاض مؤرخنا المحقق فى سرد مقدمات هذه الثورة وحوادثها

وملابساتها ، كما رآها وشاهدها ؛ وذكر أسرارها ودخائلها ، كما عرفها وتحققها ، مما يلقى ضوءاً كبيراً على كثير من الوقائع التى لا تزال موضع الخلاف فى الرواية .

والحق أن شفيق باشا قد خدم تاريخ الثورة من هذه الناحية خدمة كبيرة لأن القليل من معاصريها هم الذين دونوا مشاهداتهم عنها وليس لدينا فيما أعلم سوى مذكرات عرابى باشا وهى لم تنشر كلها ورسالة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وهى لم تكمل إذ لم يكتب الأستاذ الإمام سوى الفصول الأولى منها ؛ ثم كتاب مصر للمصريين لخليل النقاش وظاهر فيه التحامل على الثورة والتحيز للخديو توفيق . وشفيق باشا وإن كان كما يبدو من مذكراته من خصوم الثورة وزعمائها ؛ لكنه فى ذكر الوقائع قد سلك سبيل الصدق والدقة فى الرواية فمذكراته تعد مرجعاً هاماً من مراجع تاريخ الثورة العرابية .

ومما يزيد فى فضل هذه المذكرات وصاحبها أنه لم يقصد من نشرها تحقيق أطماع شخصية أو التقرب إلى أمير أو عظيم أو ذى جاه بل قصد خدمة مصر وتاريخها . ويعجبنى منه إهداء مذكراته إلى مصر وقوله فى هذا الصدد « إلى مصر ، إلى الوطن الذى فيه نشأت وإياه أحببت وله أخلصت ووفيت أقدم هذه المذكرات لأشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل الغابر فى غير تزييف ولا التواء وما أخشى غير الله وهو حسبى » .

جميل جداً هذا الإهداء ؛ وأجمل منه أن شفيق باشا قد وفى حقيقة بعهده فى إخراج مذكراته فأطلع أبناء جيلنا الحاضر على صفحة بل صفحات هامة من تاريخ الجيل الماضى . فله من الجيل الحاضر ومن الأجيال المقبلة عظيم الشكر والثناء على جليل خدمته لتاريخ مصر القومى .

ويعجبنى من شفيق باشا نشاطه العجيب ومثابرته على العمل وإنتاجه المتواصل ، رغم ما اجتازه من المراحل فى حياة عمره المبارك ؛ فهو قد تجاوز السبعين ومع ذلك تراه أبداً دائب العمل والحركة والنشاط ، حتى فى مشيته وخطواته يبدو لك فى قوة الشباب ونشاطه كما يبدو كذلك فى إنتاجه العملى وتأليفه ، بل هو فى اعتقادى أكثر نشاطا من كثير من الشباب ؛ وهو من هذه الناحية خير قدوة للشباب والشيوخ فى المثابرة على العمل لخير مصر . أقول هذا فى غير مبالغة أو إغراق فى الثناء ، فإن السن التى بلغها شفيق باشا هى عادة (وخاصة فى الشرق) سن الراحة والإخلاد إلى الخمول والدعة

والسكون ، ولكنه حفظه الله يزداد إنتاجا كلما تقدمت به السنون ، فهو يحاكى علماء أوربا الذين مهما تقدمت أعمارهم لايملون العمل والإنتاج . هذه فضيلة يجب أن نعترف بها لعلماء الغرب ولا يضيرنا أن نقرر الحقيقة وهى أن سن القعود والجدب عندنا تبدأ مبكرة ، وتلك نقطة ضعف فى حياتنا العملية والسياسية والاجتماعية يجب ألا نتجاهلها بل علينا أن نعالجها . على أن شفيق باشا قد برهن بإنتاجه بعد السبعين أن مصر تستطيع مجاراة أوربا فى نشاط علمائها ومواصلتهم العمل رغم تقدمهم فى السن . فهو من هذه الناحية جدير بكل إعجاب من الناحية القومية والأخلاقية .

وإنى أهنىء سعادة شفيق باشا بما أسداه لمصر وتاريخها من جليل الخدمات بإخراج الجزء الأول من مذكراته ، وأسأل الله أن يبارك فى عمره المديد حتى يتم إخراج الجزءين الثانى والثالث ويخرج من بعدهما ما شاء الله من الكتب والمؤلفات » .

جريدة الأهرام : وفى ٢٥ منه نشرت كلمة بتوقيع « عبد العزيز عتيق » جاء بها :

« يسمع الناس عن عبد الرحمن الجبرتى وتاريخه ، ويرجعون إليه فى شؤون كثيرة عن الفترة التى كتب عنها مذكراته .

وفى الأعوام الأخيرة سمع الناس عن « مذكراتى فى نصف قرن » لصاحب السعادة المؤرخ الأستاذ أحمد شفيق باشا فكانت هذه المذكرات ، تتمة لما بدأه الجبرتى ، وأكملت حلقة هامة من حلقات التاريخ المصرى الحديث .

وتمتاز مذكرات شفيق باشا بالتنظيم والتبويب ، وعلو الأسلوب ، وحسن الطبع والدقة ، فإن الظروف جميعها تهيىء لهذه المذكرات تلك الميزات .

ذلك أن شفيق باشا صاحب المذكرات ، هيأت له الظروف أن يكون مطلعاً على دخائل هذا العهد ، وخفايا أسراره . فلقد كان فيه كما يقول : « موضع عطف خديو ، وموضع ثقة خديو » وقد اتصل بحكم مركزه فى السراى برجالات هذا العهد وحوادثه اتصالا مباشراً ، وكان بالسراى فى الوقت الذى كانت تحيط فيه بالسراى الأخطار ، وتملؤها كذلك الأسرار !

ولذلك جاءت مذكراته عن « الثورة العرابية » دقيقة قيمة ، فكشفت عن أسرار كثيرة ، لم يكن يعرف بعضها حتى العالمون ؟

وليست هـذه وحدها ميزة المذكرات ، فقد حدثنا فيها صاحبها الفاضل عن مناح شتى ، وصور لنا فيها جيلا كاملا لا نعرف عنه إلا القليل .

صور لنا الحياة الاجتماعية فى أواخر عهد إسماعيل ، بتفصيل دقيق ، حتى لكأنك تراه ، كما زادت الصور هذه الحياة وضوحاً .

كذلك صور لنا حالة العلوم والفنون ، وحالة التدريس والتلاميـذ فى هـذا العهد تصويراً رائعاً جذاباً ، فـكان ذلك وثيقة قيمة عن تاريخ التربية فى هذه الفترة .

ولقد سافر صاحب المذكرات عام سـنة ١٨٨٥ إلى باريس ، فلم تنسه الرحـلات أو تشغله الأسـفار عن تدوين مذكرات عن فرنسا وسـواها من المدن والبـلاد التى زارها — جاءت غاية فى الدقة والطرافة .

وكما كان أميناً فى تصوير الحياة فى مصر ، كان كذلك أميناً فى نقـل صورة عن الأمم الأوربية التى طاف بها ، وارتحل إليها ، وفى تصوير حياته الخاصة فى هذه الديار .

وبعد فنى هـــذه المذكرات سيجد كل قارىء أو باحث بغيته ، فطلاب التاريخ ، والحقائق التاريخية ، سيجدون وثائق هامة قلما اجتمعت فى غير هذه المذكرات .

وطلاب العلوم الاجتماعية ، سيجدون كذلك بغيتهم ، فى هذا التصوير الدقيق للحياة فى مصر ، وفى فرنسا بوجه خاص .

وطلاب اللذة والتفكهة سيجدون نصيباً وافراً فى هذه الفكاهات الراقية التى رسمها المؤلف ، مما لقيه فى حياته .

وكلما مر الزمن ، وتقادم العهد على هذه المذكرات ، سيشعر الناس بقيمتها أكثر مما شعروا حتى اليوم ! ولا شك أن التاريخ المصرى الحديث قد كسب كسباً عظيما بهـذه المذكرات القيمـة ، وأن مهمة المؤرخ لهذه الفترة من حياة مصر ستكون سهلة بهـذا الغذاء القيم الذى قدمه له شفيق باشا .

وإذا كان لنا رجاء نتقدم به لسـعادة الباشا المؤرخ ، فهو أن يعجل بطبع الجزءين الباقيين من هذه المذكرات ، حتى يتم ذلك العمل العظيم الذى بدأ به . والله يجزيه عن مجهوده الموفق خير الجزاء ، ويطيل فى حياته ، ويمده بالصحة والعافية حتى يكمل ما بدأ به من ذلك العمل الجليل إن شاء الله » .

جريدة السياسة الأسبوعية : وفى ٢٤ أغسطس كتب الدكتور هيكل (باشا) مقالة كبيرة بالسياسة الأسبوعية أوضح فيها محتويات هـذا الجزء ملخصة ومما جاء فيها قوله :

« كثيراً ما قرأنا من كتب فى تاريخ مصر الحديث . قرأنا مما كتب فيه باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية . وبعض الذى قرأنا يكاد يعتبر مذكرات لأصحابه كالتاريخ السرى للاحتلال الإنجليزى لواضعه الفرد بلنت ، ومصر الحديثة لكرومر ، ومذكرات عرابى عن الثورة وما سبقها ، وكالمسألة المصرية لدفريسينيه . وكنا نلاحظ دائماً فيما نقرأ من ذلك ميول المؤلفين وتوجيهها الحوادث وتفسيرها إياها على النحو الذى يريدون . و بين أيدينا الآن كتاب سعادة الحاج أحمد شفيق باشا « مذكراتى فى نصف قرن » يتناول الحوادث التى تناولها أولئك الكتاب ويتأثر بميول مؤلفه الذى كان موظفاً بالقصر تأثر وفاء للخديو توفيق باشا ولأبيه إسماعيل وولده عباس . لكنه مع ذلك يمتاز على غيره من الكتب بحرصه على عدم الاسترسال مع ميوله فى توجيه الحوادث قدر المستطاع ، وإن بقيت ميوله المصرية الوطنية واضحة فى مذكراته كل الوضوح . وهو ليتغلب على ميوله ليؤرخ مذكراته فى نزاهة تامة يلجأ أغلب الأحايين إلى الوثائق والمستندات يضعها تحت نظرك ويسرد الوقائع التى أحاطت بهذه الوثائق والأسانيد ويترك لقارئه الحكم والاستنتاج فى أغلب الأحايين والظروف » .

جريدة الأهرام : وفى ٢٣ مارس ١٩٣٥ نشرت الأهرام كلمة بتوقيع « محمد كردعلى » جاء فيها :

« وهذا أيضاً كتاب جديد للأستاذ أحمد شفيق باشا وهو الجزء الأول من مذكراته بدأها من سنة ١٨٧٣ وانتهى بها فى سنة ١٨٩٢ والجزآن التاليان يتمان هذه المذكرات المفيدة إلى أيامنا هذه ، بمعنى أن الجزء الأول سار به من أواخر عصر « إسماعيل » إلى وفاة « توفيق » والثانى « عهد عباس الثانى » خاتم الخديويين والثالث « عباس الثانى والحرب العظمى » وهذه المذكرات مجموعة من أحسن المجاميع لوضع تاريخ مصر العصرى من قلم رجل خاض معمعان السياسة بحكم وظيفته . وهى رياسة الديوان الخديوى مدة طويلة وعرف ما وراء الستار وما أمامه . وقد أحسن بنشرها فى حياته وإن كانت مثل هذه المذكرات لا تظهر فى العادة فى عالم المطبوعات إلا بعد ذهاب صاحبها من الأرض ، واعتذر عن ذلك بقوله : « بيد أننى خشيت تناثرها بعد وفاتى أو نشرها مشوهة مبتورة

ثم إن فيها ما يتعلق بشخصيات ما زالت على قيد الحياة فإذا نشرت اليوم كان ثمة مجال لفحصها أو نقدها إن كان محل للنقد كما أنه من الشجاعة الأدبيـــة أن تنشر مذكرات فى حياة مدونها فيحتمل — وهو على قيد الحيـاة — كل تبعة فيما يسجل من الحوادث والشؤون » .

وبعد أن سرد الموضوعات التى وردت بالـكتاب قال :

« هذه أمهات المسائل التى جرى فيها قلم مدون هذه المذكرات والقارىء يتنقل فيها كما يتنقل فى حديقة أنيقة فيها أكثر الأزهار وأطيب الثمار وألطف الأطيار فلا يزال بين لذة النظر والشم والذوق واللمس والسمع حتى يخرج من بابها وتبقى مخيلتـه تذكر أياماً متعاً تمتعت بها نفسه ساعات . وقد أوتى المؤلف قدرة على الوصف بعبارة سهـلة لا بأس بها لو خلت من بعض ألفاظ عامية شاعت فى الحـكومات المصرية إلى اليوم . وما رأى المؤلف مندوحة عن استعمالها ولـكن هذه الـكلمات العامية على ركاكتها طبعت الـكتاب بطابع العصر الذى كتبت فيه .

وياحبذا لو يدون كبار أعلام مصر ما يقع لهم فى حياتهم من الحوادث وما تأثرت به أنفسهم من أدوار السياسة وسير العلم والآداب ، إذن لما أتى جيل إلا وقد تألف من هذه المذكرات التى تعلم الناس وترشدهم إلى الطريق السوى ـ مجموعة يكتب فيها تاريخ مصر الحديث على طريقة الأمم المحدثة وتقتبس البلاد هـــذا الضرب من الثقافة النافعة فى تعلم السياسة والسياسة واسطة عقد العلوم البشرية ولا ترقى أمة لا تعرف مالها وما عليها » .

جريدة الدفاع السورية : وكتب الأستاذ إسعاف النشاشيبى فى جريدة الدفاع السورية كلمة جاء فيها :

« مذكراتى فى نصف قرن » كتاب قل : لا يأتى بمثله ، لا يصنف تصنيفه ، إلا من ضارع صاحبه فثقفته العـلوم والآداب تثقيفه ، وكان (دخلل) ملوك وأمراء قد استبطن أمورهم استبطانه ، وعرف دورهم وقصـورهم وخفاياها عرفانه ، وبلغ فى الجاه والدنيا مكانه .

وهـــذه حال ذات خصائص وحظوظ ومزايا ، الدهر بأقل منها — على الملأ الأوحدين — ضنين .

وبعد فقد قرأت كتاب : مذكراتى فى نصف قرن ، فحمدته ، وشكرته ، وذكرته بالصالح ، وقلت ما قال « شوقى » فى عيده السبعينى ، فى قصيدة كتبها بنانى وأنشدها ليلة العيد — لأجل « الأحمدين » وودهما — لسانى :

« أنت يا أحمد فى مصر جبرتى الأوان »

« لم تزدنا كل يوم غير آثار حسان »

مجلة الراديو : وكتب الأستاذ محمد سعيد لطفى فى مجلة الراديو المصرى الكلمة التالية :

« كتب المقريزى يصف مصر والقاهرة فى عصره فأجاد الوصف وأتى على تاريخ كل شىء شاهده بقلم أستاذ يعلم جيله والأجيال القادمة واقتدى به على باشا مبارك[١] فى خططه وقد أحسن وأجاد هو ومعاونوه .

وكتب الشيخ عبد الرحمن الجبرتى تاريخ عصره كتابة رجل يحب المصريين ويعطف عليهم فقص علينا أحوال « المماليك المصرليه » كما يسميهم وأحوال الجند العثمانية من دلاة ومغاربة وچركس وألبان . وروى ما شاهده من الحملة الفرنسية وأتى بنصوص أوامر نابليون وكليبر فلما قتل كليبر نشر محضر التحقيق من أوله إلى آخره .

ثم تناول محمد على الكبير بقلم رجل يحب الحق ولا يخاف فيه لومة لائم ومات فى حياة الوالى فترك بقية تاريخه لغيره من الكتاب والمؤرخين .

واقتدى الحاج أحمد شفيق باشا بالجبرتى ، كما اقتدى على مبارك باشا بالمقريزى فكتب مذكراته عن خمسين عاماً من أحوال مصر أى عصر إسماعيل وتوفيق وعباس وقد أهدانا الباشا هذه المذكرات فى أجزاء ثلاثة قرأناها بما تستحق من عناية .

الباشا صادق فى جميع ما روى لأنه بطبيعة مركزه فى القصر كان يعلم من حقائق الأمور ما لا يعلمه غيره ولأنه كان يكتب يوميات للتاريخ لا دفاعاً عن عمل اشترك فيه ولا اتهاماً لأخصامه ومناظريه . وقد أبدع فى وصف السلطان عبد الحميد[٢] وحاشيته وصور لنا السلطان على حقيقته ، وكيف كان يخاف الشيوخ والشبان على السواء ، بل كيف علم الخديو السابق نقطة الضعف فيه فأهداه زرداً يرد الخناجر ، ويمنع الرصاص ،

---

* ١ م ٠ ج ١

* ٢ م ٠ ج ١

وكيف استراب السلطان فترك الصندوق الذى يحوى الهدية ساعات خارج القصر ! كما أعطانا فكرة عن تحسين باشا[1]* ومقدرته السياسية ، وصور أبا الهدى[2]* بالصورة التى كان عليها أبو الهدى .

وكان المؤرخ قديراً فى وصفه لبطرس باشا غالى ، والشيخ محمد عبده ، ولحسن باشا عاصم[3]* مع ما كان بين عاصم وشفيق باشا من خلاف . ووفى إسماعيل أباظه باشا ، والشيخ على يوسف ، ومصطفى كامل باشا حقهم .

ولكننا نلاحظ على أستاذنا المؤرخ بعض نقط ، ولعلنا نكون فى ملاحظتنا مخطئين :

لم يشرح الباشا أسباب الثورة العرابية بالتفصيل ولكنه نظر لعرابى وجماعته نظرة القصر لهم أو نظرة السياسة الإنجليزية لمبادئهم . ولئن كان له العذر كله فى أول شبابه فرأى الجيل الحاضر أى جيل سنة ١٩١٩ فى الثورة العرابية غير ما ذكره المؤرخ . ولو انضم الخديو إلى الجيش ونواب الأمة لما حلت بالبلاد هذه الكارثة وتلك الهزيمة بل كان من المؤكد أن تتخذ فرنسا وإنجلترا سياسة أخرى .

ونلاحظ أيضاً أن الباشا تناول السياسة العليا ولم يتناول الحركات الاجتماعية التى حررت المرأة وغيرت نظام المعيشة وهيأت الظروف للمطالبة بإلغاء الحماية بعد وضعها بسنوات والتشبث بنظام دستورى ترتضيه البلاد . كذلك نلاحظ أنه كان ينظر إلى سعد زغلول باشا بإحدى عيون الخديو ؛ والذى نعلمه أن الوزراء بعد رياض باشا وقبل سعد باشا كانوا أداة تنفيذ لا أكثر ولا أقل . وستبقى مذكرات الحاج أحمد شفيق باشا خالدة لأنها تاريخ لهذه الخمسين عاماً يرجع إليه محبو التاريخ وبالأخص محبو السياسة العليا بقصرى عابدين ويلدز مصدرى الحركات والسكنات فى هذين الجيلين ومن أراد أن يختبر شجاعة شفيق باشا فليقرأ ما كتبه مراراً عن بيع الرتب والنياشين وليقرأ ما كتبه عن الدسائس التى كان يحركها أصدقاء القصر ضد المرحوم الشيخ محمد عبده . أما وفاء الباشا للخديو فظاهر بعد عزله إذ أبت الشهامة على الباشا أن يترك مولاه قبل انتهاء الحرب بل استمر فى خدمته وبإخلاص وكفاية وشهامة تشهد لصاحبها بالنبل وكرم الأخلاق » .

---

* ١ م . ج ٢ ق ١ و ق ٢

* ٢ م . ج ٢ ق ١

* ٣ م . ج ٢ ق ٢

الرد عليه : فكتبت رداً على ملاحظاته ما يأتى :

« عندما أخرجت الجزء الأول من « مذكراتى فى نصف قرن » أعلنت على صفحات الجرائد والمجلات أننى أضعها موضع النقد ، وأننى أرحب بملاحظات النقاد ، خدمة للحقيقة والتاريخ .

وكان من حسن الحظ أن أول من اهتم بمذكراتى هو صديقى الجليل حضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسن ، فقد قرأها بإنعام نظر وأرسل إلى ملاحظاته القيمة التى أقدرها حق قدرها ، وأشكره كل الشكر عليها .

وتشاء المصادفات أن تصل إلىّ ملاحظات سموه على القسم الأول من حكم عباس فى رسالة كريمة منه جاء فيها :

« بناء على ما جرت به عادتنا من إبداء ما يعن لنا من الملحوظات على مؤلفكم القيم « مذكراتى فى نصف قرن » حسب رغبة سعادتكم ، نرسل إليكم اليوم ملحوظاتنا على القسم الأول من الجزء الثانى من هذا المؤلف ، راجين أن نكون قد وفقنا فيها » .

أقول تشاء المصادفات أن تصل إلى هذه الملحوظات فى الوقت الذى أقرأ فيه النقد الحر الذى كتبه حضرة الناقد الفاضل الأستاذ محمد سعيد لطفى بعنوان « خدام التاريخ » يدل على أنه من القليلين الذين يهتمون بالتاريخ الذين كنت أنتظر الكثيرين منهم .

ولا يسعنى بعد أن قرأت هذه الكلمة القيمة ، إلا أن أشكره على ثنائه ، كما أشكره على نقده وملاحظاته ، بل ربما استحق شكرى على النقد أكثر من الثناء ، لأننى ما نشرت مذكراتى فى حياتى ، مع ما فيها من أسرار وحوادث ، تتعلق بأشخاص ، الكثيرون منهم أحياء ، إلا وأنا على استعداد للنقد ، وإبداء الملاحظات .

وإنه ليهمنى أن أوضح وجهة نظرى فى الملاحظات التى أبداها حضرة الكاتب الفاضل ، جلاء للبحث ، وتكملة للبيان .

يلاحظ الأستاذ :

أولا — أننى لم أبين أسباب الثورة العرابية بالتفصيل ، وأننى كنت أنظر إليها بعين السراى أو الإنجليز . فأما أسبابها فأذكر أنى أوضحتها فى صفحات ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ من الجزء الأول ، وهى تتلخص فى إحساس الضباط المصريين الذين ترقوا

من « تحت السلاح » بأن حقهم مهضوم وأن عثمان رفقى باشا يحابى الضباط الجراكسة والأتراك ، وأنه سن قوانين تحرم الضباط المصريين الذين ترقوا من تحت السلاح حقهم فى الترقى فى الوقت الذى علم فيه هؤلاء الضباط أن الخديو يعطف عليهم بدليل ترقية ثلاثة منهم إلى أمراء آلايات ، ولما بلغهم بعد تقديم شكواهم إلى رياض باشا*[1] وما رأوا منه من الاشمئزاز لجرأتهم علماً منهم أن الخديو يعطف على مطالبهم ، ولكن رياض هو الذى يمانع فيها ولا يهتم لهذا الحادث ، واستنتجوا من ذلك أن هناك خلافاً بين الخديو ورئيس النظار ، فكان ذلك داعياً لجرأتهم وإلحاحهم فى شكواهم واتخاذهم طريقاً ليس له سابقة .

وهذه هى الأسباب الحقيقية فى مبدأ الحركة . أما ازديادها بعد ذلك وانضمام الشعب إليها ، فأمر آخر لا يتعلق بأسبابها . وأما أننى كنت انظر للحركة بعين السراى فهو طبيعى ، لأن السراى ومن فيها كانت فى كل وقت مهددة من العرابيين .

وأنا أشك كثيراً فى أن النهاية كانت تكون خيراً ، لو أن توفيق ألقى بنفسه فى أحضانهم ، لأن تدخل إنجلترا فى شؤون مصر كان قد ابتدأ قبل الحركة العرابية ، ولو انضم توفيق للعرابيين ، لوجدت إنجلترا سبباً قوياً للتدخل باسم حماية الأجانب من الثائرين المعضدين من الخديو فى الوقت الذى انسحبت فيه فرنسا ، لأن موقفها من ألمانيا فى ذلك الحين هو الذى دعاها إلى الانسحاب . وكانت النتيجة بذلك تكون شراً على مصر وعلى العائلة الخديوية .

أما الملاحظة الثانية : فتختص بعنايتى بالشؤون السياسية العليا ، دون الأحوال الاجتماعية . ولكنى أذكر حضرة الناقد الفاضل بأننى خصصت فصلا طويلا عن هذه الأحوال فى الجزء الأول من المذكرات ، يبتدئ من صفحة ٤١ وينتهى بصفحة ٨٦ . وخصصت مثل هذا الفصل للحياة الاجتماعية فى باريس مدة دراستى بها من ص ٣٣٨ إلى ص ٣٦٧ ، وهذا وحده يدل على عنايتى بهذه الناحية ، على أننى لم أغفل تدوين كل ما صادفنى أو وصل إلى علمى من هذه الأحوال .

ومهمة المذكرات اليومية هى تسجيل ما يصادفه صاحبها شخصياً أو يصل إلى علمه من الحوادث دون كثير من التعليق عليها .

---

*[1] م . ج ١

ولاحظ الأستاذ أخيراً ، أن حديثى عن سعد زغلول كان مصبوغاً برأى الخديو ، وهذا صحيح إلى حد ما ، فالواقع أننا فى السراى ، كنا نرى فى موقف سعد باشا من عباس فى حادثة مدرسة القضاء الشرعى ودقه بيده على المنضدة اعتداء على كرامة الخديو ، ولكننى كنت أنظر إليه فى الوقت نفسه نظرى إلى رجل وطنى ، ترجو البلاد منه خيراً كثيراً . وقد ذهبت إليه موفداً من الخديو نفسه عند توليه نظارة المعارف لأطلب منه الا ينسى الجامعة المصرية التى كان يتولاها بعنايته قبل اختياره للنظارة . وكذلك أوفيته حقه عند الكلام عن انتخاب الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ واختياره وكيلا منتخباً لها وبعد إعلان الحرب فى سنة ١٩١٤ وقد بعث الخديو نفسه إليه ببرقية تعزية عندما توفى صهره مصطفى باشا فهمى غضب لها الإنجليز ، وبذلك زال الجفاء .

أما موقفى منه بعد الحركة الوطنية فسيأتى تفصيله فى الجزء الثالث الذى يطبع الآن ، وهو موقف كله تقدير لوطنيته وشجاعته وقدرته على لمّ الصفوف .

وبعد فأشكر للأستاذ الفاضل أن أتاح لى هذه الفرصة للكلام عن وجهة نظرى « فى مذكراتى » ، وأرحب بكل نقد لهذه المذكرات يجلو وجه الحقيقة التى تهمنا جميعاً ولا يهمنى غيرها » .

اشتراكي فى نادى القلم المصرى وتكريمى بمناسبة صدور المذكرات : أنشئ فى مصر ناد أدبى باسم « نادى القلم المصرى » ، وقد ورد فى برنامجه أن أغراضه هى العمل على توثيق الصلات الأدبية والاجتماعية بين أهل التفكير والأدب داخل القطر المصرى وبينهم وبين أهل التفكير والأدب خارج القطر وكان مؤلفاً من حضرات الآتية أسماؤهم :

جعفر ولى باشا*١ ، الدكتور طه حسين (بك)*٢ ، الأستاذ على عبد الرازق ، الأستاذ محمد عبد الله عنان ، الدكتور محمد كامل حسين ، الأستاذ مصطفى عبد الرازق (باشا) ، الأستاذ أحمد أمين (بك) ، الأستاذ عبد العزيز البشرى ، الأستاذ خليل ثابت (بك) ، الآنسة مىّ زيادة ، الآنسة سيزا نبراوى ، السيد على راتب ، الأستاذ فكرى أباظه ، الأستاذ أميل زيدان (بك) ، الأستاذ محمد توفيق دياب ، الدكتور عبد الرزاق السنهورى (بك) ، الأستاذ أحمد حسن الزيات ، الأستاذ محمود تيمور ، الدكتور محمد عوض محمد ، الأستاذ خليل مطران*٣ ،

---

* ١ الحوليات

* ٢ م . ج ٢ ق ٢

* ٣ ج . م ٣

أنطون بك الجميل ، مدام آمى خير ، الأستاذ ممدوح رياض ، مسيو دى لموا ، مسيو فوشيه ، مدام فوشيه ، مسيو رنار ميشيل ، مستر سكيف ، مستر ينتل ، مستر هتشن مستر فيرنس ، مسيو دومانى .

وفى ٣ أبريل سنة ١٩٣٤ وردت لى منه رسالة جاء فيها :

« لجنة مكتب نادى القلم المصرى ترجو تشريف سعادتكم مأدبة العشاء التى سيقيمها النادى فى يوم الجمعة ٦ أبريل الجارى بمطعم سنت چيمس بشارع ألفى بك الساعة الثامنة ونصف مساء وسيتولى أحد الأعضاء التنويه بمجهود سعادتكم الأدبى والتاريخى ولسعادتكم إذا شئتم الرد ولكل خطيب نحو خمس دقائق » .

وفى الموعد المحدد حضر أعضاء النادى وسعادة وزير بلغاريا المفوض وبعد تناول العشاء ألقى الأستاذ مصطفى عبد الرازق (باشا) الكلمة التالية :

« إخوانى :

كان أحمد شفيق باشا فى الصدر الأول من هذا القرن إلى نشوب الحرب العامة من أظهر الأسماء وأرفعها ذكراً يتبوأ فى المعية السنية منصباً من أسمى المناصب ويتمتع بثقة الخديو ، وما يتبع ثقة الخديو من جاه وسلطان ، ويمتاز بين رجال الدولة بنشاط دائب ونزاهة لا تعلق بها الريب ويمتاز بثقافة عالية ظهرت آثارها فى كتاب « الرق فى الإسلام » الذى نشره بالفرنسية بعد أن ألقاه محاضرات فى الجمعية الجغرافية الخديوية سنة ١٨٩٠ .

كنا حين ذاك شباناً نطلب العلم فى الأزهر متأثرين بمنازع الإصلاح والحرية الفكرية التى كانت تتوثب فى جوانب ذلك المعهد العتيق ، وكانت تترامى إلينا أنباء أحمد شفيق صاحب الكلمة المسموعة والجاه العريض .

كان الأزهر شديد العلاقة بالقصر الخديوى لكن النزعات الحرة الجديدة لم تكن لتجعل هذه العلاقة خلواً من التجاذب ، وكان شفيق باشا بحكم مكانته فى المعية ممن يديرون سياسة الأزهر أو ينفذون سياسة القصر فى الأزهر فكنا نتبع آراءه وحركاته المتصلة بمعهدنا وبآمالنا فى الإصلاح .

وهكذا عرفنا أحمد شفيق باشا رجلا ممتازاً من رجال الدولة فى العهد الخديوى

محترماً وجيهاً يهتف الناس بحسناته حين يحسن ، ويهمس الناس بالعتب همساً حين لا يرضون بعض ما يأتى من الأمر ضناً به على ما يستحق العتاب .

وقامت الحرب العامة فشرد شفيق باشا بسبب صلته بالخديو فيمن شرد فى الأرض وزال عنه الحكم وجاهه وتضعضعت صحته وضعف بصره ثم تنكر له عباس الثانى وانبت ما بينهما من أسباب .

وسارع شفيق باشا إلى مصر عندما استطاع أن يعود إليها فحسب الناس أن هذا الشيخ سيركن إلى راحة تنسيه ما لقى من فتن وأوصاب .

لكن الناس لم يلبثوا أن وجدوا شفيق باشا يقتحم ميدان الحياة الاقتصادية والفكرية والاجتماعية نافخاً من روحه همة ونشاطاً حيثما سار .

فهو يتولى إدارة بنك ويشتغل فى مجالس الإدارة لعدة شركات ، أو يشيد القصور وينشىء الحدائق للاستثمار ، وهو يسير الرابطة الشرقية ويدير أمر مجلتها ، وهو يقيم مهرجان شوقى ، وهو يحيى فى قصره الأنيق على شاطىء النيل حفلات تجمع بين الذوق والفن والأدب ولا يخلو منه احتفال ولا يقصر فى مجاملة .

لا جرم أن شفيق باشا قد بعث انتعاشاً فى جوانب من حياتنا الاجتماعية كانت راكدة وكانت الحرب العالمية قد زادتها ركودا .

ولم تقف همة الشيخ الجليل عند كل هذه الجهود بل نهض للكتابة والتأليف أيضاً ، فأخرج « الحوليات » فى عشرة أجزاء ضخمة تشتمل على عشرة آلاف وأربعمائة واثنتين وستين صفحة ، فيها مجمل تاريخ مصر من عهد محمد على إلى قيام الحرب ، وفيها تفصيل شامل للأحداث السياسية منذ نشوب الحرب إلى غاية سنة ١٩٣٠ ، وألف كتابا فى تاريخ قناة السويس وكتاباً بالفرنسية فى تاريخ مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها .

وها هو ذا ينشر الجزء الأول من كتاب له جديد أزمع نشره فى ثلاثة أجزاء بعنوان «مذكراتى فى نصف قرن» . وبمناسبة ظهور هذا الكتاب القيم أردنا أن نوجه للحاج أحمد شفيق باشا تحية نادى القلم .

قال جولد زيهر فى كتابه « عقيدة الإسلام وشرعه » :

« عرض أناتول فرانس فى روايته على « الحجر الأبيض » جماعة من المتأدبين يعنون

بشؤون العالم القديم وجعلهم يتبادلون آراء جليلة متعلقة بتاريخ الأديان فى صورة سمر مما يسمر به الناس ، وقد نطق أحد المتحدثين فى ثنايا الحوار بهذه الحكمة « إن الذى ينشىء ديناً ليس يدرك مدى فعله » . ومعنى ذلك أنه قلما يشعر مؤسس دين بما سيكون لصنعه من أثر فى تاريخ العالم .

ويوشك أن يكون هذا المثل منطبقاً على شفيق باشا حين ينشر مذكراته فى سكون وتواضع يكاد يكون حياء ، لا يقدر ما سيكون لتلك المذكرات من أثر فى التاريخ .

وهل التاريخ إلا مستندات صحيحة وشواهد صادقة ؟

وقد يظن الناس أن المستندات التاريخية تكون عزيزة عسيرة كلما بعد العهد ، فإذا دنا العهد كانت ميسرة دانية ، لكن الواقع أن العهود القريبة لاتصالها بالأحياء وتحكم الشهوات والأهواء فيما يتعلق بها تكون مستنداتها السليمة نادرة جدا .

ولا شك أن مذكرات شفيق باشا مستندات تاريخية صحيحة كتبها الرجل حين كتبها تدويناً لما مر بين يديه من حوادث وما تأثرت به نفسه من ذكريات من غير مطاوعة لهوى ولا جنوح إلى غرض ، وهو ينشرها حين ينشرها لمصر « ليشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل الغابر فى غير تزييف ولا التواء » .

يمهد لنا أحمد باشا شفيق بمذكراته فهم حقبة خطيرة من تاريخنا لا نستطيع فهم حاضرنا حق الفهم إلا على ضوئها ، ومتى فهمنا حاضرنا على ضوء ماضينا استطعنا أن نوجه أمرنا وجهة صالحة مقدار ما يملك الإنسان توجيهه من مجارى التاريخ .

فصاحب المذكرات إذ يكشف الأستار عن تاريخنا القريب يهدينا إلى مسارب الضعف فى حاضرنا ، وينبه الأجيال الآتية إلى الحذر من أخطاء ماضيها .

وليس أجدى على الأمة ولا أشرف غاية فى خدمتها من هذا الذى ينهض به شفيق باشا جاهداً لا يبالى بما يحق لشيخوخته من راحة ، ولا يبالى بما أنفق من جهد ومال ولا بما استنفد من نور عينيه .

لا يريد نادى القلم بهذه التحية تشجيعاً للباشا ، فإن للباشا عزيمة لا تنى ولا تحتاج للتشجيع ، ولا يريد نادى القلم مظاهرة تكريم لرجل تقلب فى مظاهر المجد حتى أصبح لا يبغى بعمله مظهراً من مظاهر المجد .

إنما شفيق باشا اليوم بين رجال الفكر والعمل ، مثل عزيز من أمثلة الشيخوخة الفياضة بالنشاط ، المثمر فى إخلاص وتواضع ، فحق على نادى القلم أن ينوه باسمه تحية للمثل الصالح »

وبعد ذلك وقف الدكتور طه حسين (بك) فترجم خلاصة هذه الكلمة إلى الفرنسية ، ثم تكلم الأستاذ توفيق دياب مرحباً بصاحب المذكرات . وبعد ذلك وقفت فألقيت فى تأثر كلمة شكر للنادى جاء فيها :

« لقد واصلت العمل الحثيث لإخراج ما أخرجت من التآليف والكتب وأصبحت أرجو الله أن يتم علىّ صحتى ونعمته حتى تتم أعمالى التاريخية بإصدار الكتابين الباقيين . حتى إذا تمّ لى ذلك قلت : « على الدنيا السلام » ، وأنا مطمئن وآمن بما قدمت لوطنى من خدمات »

ثم نهض سعادة وزير بلغاريا المفوض ، فشكر نادى القلم فى مصر باسم نادى القلم فى بلغاريا ، ورجا أن تتعاون أسرة القلم على تأدية واجبها السامى نحو بلادها فى الحاضر والمستقبل .

وانفض الاجتماع حوالى منتصف الليل .

رسالة النشاشيبي : وقد كتب إلىّ الأستاذ إسعاف النشاشيبي رسالة جاء فيها :

« سعادة سيدى الأستاذ أحمد شفيق باشا المعظم .

قرأت فى الصحف أن القوم فى مصر أرادوا أن يتقربوا إلى العلم والفضل ومكارم الأخلاق باقتفائهم العلامة المفضال الأستاذ أحمد شفيق باشا ، فياليت أنى كنت فى ذلك اليوم الكريم فى القاهرة لأشايع السادة المحتفين بنبيل من الرجال الكرام العاملين .

حيا الله من عرفوا للفاضل فضله ، ومن على الناس بطول بقائكم » .

ونوهت الصحف المصرية والمحلية بهذا التكريم ودلالته .

أقوال الصحف عن الجزء الثانى من المذكرات : وقد صدر القسم الأول من الجزء الثانى من المذكرات فى أبريل سنة ١٩٣٦ وقبيل ظهوره دعوت جمهرة من الصحفيين فى روضتى لتناول الشاى بهذه المناسبة . وقد كتبت المقطم يوم ٤ منه ما يأتى :

حفلة الصحافيين : لبى أمس دعوة حضرة صاحب السعادة الأستاذ الحاج أحمد شفيق باشا جمهرة من الصحافيين والأدباء المصريين والأجانب لشرب الشاى فى روضته على ضفة النيل بشبرا بمناسبة فراغه من طبع الجزء الثانى من مذكراته فى نصف قرن نذكر منهم حضرات الأساتذة : عبد الرحمن فهمى بك*[1] وعبد الرحمن الرافعى بك ، والمسيو إدجار جلاد ، وحسين افندى شفيق المصرى ، ومحمود غنام افندى ، والكاتبة مدام سان بوان ، والآنسة سيزا نبراوى ، وتوفيق حبيب افندى ، وعبد العزيز أمين الخانجى افندى ، والمندوبون الكاتبون والمصورون للصحف العربية والأفرنجية . واعتذر حضرة الأستاذ خليل بك ثابت ثم دعى الحاضرون إلى موائد الشاى والحلوى والفاكهة وكان من طرائف ما قدم للمدعوين « حلوى العاشوراء » المصرية المعروفة بمناسبة يومها المبارك .

وارتجل سعادة المؤرخ الكبير كلمة نشرناها فيما بعد . وبعد ما تنزه المدعوون على النيل وأخذت لهم عدة صور انصرفوا شاكرين للداعى دعوته وحسن وفادته ولأنجاله الكرام كمال أدبهم ولباقتهم .

كلمة المؤلف : حضرات السيدات والسادة :

« يسرنى جداً تشريفكم لروضتى . وإنى لأنتهز هذه الفرصة الثمينة لأعرب لحضراتكم عن جزيل شكرى على المقالات الشائقة التى تفضلتم فاستقبلتم بها الجزء الأول من مذكرات زميلكم فى نصف قرن .

نعم زميلكم ، فإننى مارست الصحافة فى أوائل حكم عباس فكنت أراسل بعض الصحف الفرنسية فى باريس وكنت أكتب من وراء ستار فى جريدة « حورنال دى كير » مدافعاً عن حقوقنا المهضومة وستقرأون فى القسم الأول من مذكراتى عن حكم عباس شيئاً من ذلك .

ولما رجعت من منفاى فى سنة ١٩٢١ التحقت بتحرير « لا ليبرتيه » لأنها كانت تدافع عن مصالحنا بجرأة ومهارة ، وكانت كلماتى الأسبوعية تنشر فى صدر الجريدة . ومع أن هذه الكلمات كانت فى موضوعات تاريخية بريئة إلا أننى اضطررت فجأة لاعتزال التحرير لأسباب لا داعى لذكرها الآن .

---

* ١ م . ج ٢ ق ٢ و ج ٣

وبعد ذلك أصدرت « صحيفة الإعلانات » بالعربية والفرنسية فى وقت كانت الأمة على بكرة أبيها مغمورة فى السياسة ، ولكننى فضلت الخوض فى الموضوعات الاقتصادية لأن هـذا الأمر ينقص النهضة المصرية . وبدأت مقالى الأول فيها بهذه الجملة « لا استقلال سياسى بدون استقلال اقتصادى » وكان هذا بمناسبة هتاف الوفديين « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » .

أخذت أجول فى المراكز التجارية والصناعية فى البلاد عاملا على لفت نظر المصريين إلى العناية بهذه الشؤون . والآن أحمد الله الذى وفق رجال بنك مصر لسد هذا الفراغ بكل نجاح .

وبعد سنة من جهودى فى صحيفة الإعلانات اتجه فكرى إلى عمل آخر ينقص الشرق كله وهو إصـــدار مجموعة سنوية تسجل الحوادث السياسية فى مصر فدونتها فى عشر مجلدات ضخمة وهى التى تعرفونها باسم « حوليات مصر السياسية » . وقد بذلت فيها من الجهود ما أثر تأثيراً شديداً فى بصرى .

وأخيراً أردت إخراج ما سجلته منذ حداثتى فى مذكراتى ، وهذا العمل كذلك كان ينقص الشرقيين عامة ولم يكن يوجد من نوعه إلا تاريخ الجبرتى .

لهذا كله استبحت لنفسى أن أدعى زمالتكم وانضوائى تحت علم صاحبة الجلالة الصحافة .

واليوم أقدم لحضراتكم فهرس القسم الأخير من مذكراتى عن حكم عباس . ولا أبالغ إذا قلت « إننى أعرف المصريين بأسرار هـــذا العهد » وقد كنت فى تسجيلها مراعياً جانب التاريخ أكثر من كل شىء فسجلت الحسنات والسيئات بصراحة وسترون ذلك كله واضحاً فى أقرب وقت لأن قسمى المذكرات عن حكم عباس على وشك الظهور وما منعنى من إصدارها إلا انتظارى مقدمة حضرة صاحب العزة الكاتب القدير الحاج الدكتور محمد حسين هيكل بك (باشا) الذى أرجو له سلامة الوصول للوطن العزيز ، وإننى أضع ما كتبته عن عباس فى ميزان النقد وأطلب إليكم أن تعالجوه بصراحة تامة كما أنه كتب بصراحة تامة . وإذا سمحتم فإننى أعرض عليكم بعض المفكرات القديمـــة وملحقاً للأخبار لتتأكدوا من أننى كنت منذ الصغر معتاداً على تسجيل الحوادث بدقة .

هـذا ولم يبق أمامى إذا مد الله فى أجلى إلا إخراج الجزء الأخير من مذكراتى من داخل جعبتى « المحشوة » الثقيـلة التى لا يعرف ما بها من المفرقعات إلا صـديقى البطل عبد الرحمن بك فهمى ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

وكتبت الأهرام والصحف الأخرى وصفاً مماثلا للحفلة .

جريدة الجهاد : وقد كتبت جريدة الجهاد بتاريخ ١٥ أبريل كلمة جاء فيها :

« الحاج أحمد شفيق باشا علم من أعلام السـياسة المصرية شغل بها صغيراً وتقلب فى أعطافها يافعاً ، وكان من رجالها المبرزين كبيراً ؛ ولقـد كان بحكم مركزه فى المعيـة الخديوية شـديد الاتصال بالخديو عبـاس والمغفور له السلطان عبـد الحميد ، وكانت له جولات فى بلاد تركيا وأوربا شهد فيهـا من الحوادث ما لا يتسنى لغـيره أن يشهده ، فتجمع له من كل هـذا مذكرات كان يدونها فى حينها تمشياً مع تاريخها ويذكرها على علاتها من غير تعليق أو إبداء رأى ، وقد تجمع له من كل هذا سفر قيم أخرجه للناس فى جزءين أحدهما مختص بعهـد الخديو توفيق والثورة العرابية ، وثانيهما بعهد الخديو عباس وما وقع فيه من حوادث جسام وتقلبات فى سياسة مصر . وقد أهدى إلينا الجزء الثانى فتصفحناه فألفيناه كتابا جميل الترتيب ، محكم الطبع ، جزل العبارة ، برع فيه فى تصوير الحوادث من غير تكلف ولا إعمال فكر ، قدمه للقراء الكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل بك (باشا) بمقدمة قيمة ثم أهداه المؤلف إلى مصر التى غذته بنباتها وروته بمائها ، وبدأه بذكر حوادث كل عام على حدة مبتـدئاً بوفاة الخديو توفيق مثنياً بعودة الخديو عباس من النمسا وكيفية استقباله وتوليته عرش مصر وموافقة الباب العالى عليه ثم سار فى ذكر الحوادث التاريخية من تأليف الوزارات المتعاقبة وإقالة وزارة مصطفى فهمى باشا وما تلا ذلك من وقوع أزمة سياسية بين الإنجليز والخديو كان لها صداها فى أوربا ، وتنقل بالقارئ فى لطف من حوادث مصر إلى حوادث تركيا إلى ما جرى فى سياحة الخديو فى أوربا من أحاديث وما ظهر فى تلك الأيام من مناصرين لسياسـة الخديو من الأجانب ، وبينا هو يحدث بإسهاب عن تلك الوقائع إذ به يعود إلى مصر فيذكر ما كان للخديو من أعمـال ومواقف وزيارات وخبرة بشؤون حكمه كانت سبباً فى مضايقة إنجلترا منه وإنذاره الإنذار تلو الإنذار . ثم يتحين الفرصـة الملائمة فيذكر من ظهر من الرجال فى كل فن مصريين وأجانب فيحلى بصورهم صفحات مؤلفه ويتكلم عن كل واحد منهم بما يناسبه وما يستحقه .

ولعل أروع ما يوجه النظر إلى هذا المؤلف ما تنم عنه سطوره من سعة اطلاع وعظيم إخلاص فى العمل ، وإنصاف لإصـــدقائه وأعدائه على السواء ، ومعرفة دقيقة بواجب المؤرخ وعدم انتصاره إلى صـديق أو تحامله على عدو واختيار الأسلوب الذى لا يمله القارئ ولا يمجه السامع ، ولا تزهق منه النفس أو يكل الفكر .

وفى ظننا أن هـذا المؤلف سد نقصاً كبيراً فى تاريخ مصر الحديث فإن كثيراً من الحوادث التى تقع أمام سمع الناس وبصرهم ولا يدونها واحد ممن لهم صلة خاصة بها تمحى بإمحاء الرجال المعاصرين وتبقى أثراً بعد عين ، وما أخلقنا ونحن فى عصر نطلب فيه التقدم السياسى والعلمى والأدبى أن نستعين بأمثال هـذه الأسفار التى تصور لنا أعمال رجالنا الذاهبين بصور حقيقية غير مشوهة ولا مبترة فنتخذ منها منوالا ننسج عليه ، ونبراساً نستنير به ، ويحفزنا إلى أن نحذو حذوهم أو نسبقهم فى هذا المضمار .

وإن مؤلفاً كهذا السفر القيم الجليل يحوى بين صفحاته حقبة من تاريخ مصر وقد رتب وطبع على ورق صقيل طبعاً متقناً جيـداً لا تفيه حقه هـذه العجالة ، ولا يقوم بواجب مؤلفه المفضال هـذا القلم العاجز ، وإن فى شهرة مؤلفه وما يحتله من مكانة بين قلوب المصريين على اختلاف طبقاتهم والأجانب الذين عرفوه أو قرأوا له وما أكثرهم لغنية عن إطراء أو ثناء ، وكل ما نتمناه لهـذا السفر الجليل أن ينال ما يستحقه من ذيوع وانتشار لينتفع به أبناء الجيل الحاضر وأن يتبعه مؤلفه االفاضل بأسفار أخرى تتم ما بدأ وتملأ فراغاً ما أحوجنا إلى ملئه فى هذه الأيام » .

جريدة الأجيبسيان غازيت : وكتب موسيو سقراط اسبيرو الكلمة الآتى تعريبها فى جريدة الأجيبسيان غازيت فى ٣١ يوليو سنة ١٩٣٦ عن القسم الأول من الجزء الثانى :

« إن شفيق باشا الذى كان يشغل منصب رياسة الديوان الخديوى المهم وكان محل ثقة الخديو السابق فى عدة مسائل سياسية قد أخرج الآن الجزء الثانى من مذكراته .

وشفيق باشا ليس غريباً عنه هـذ الجريدة لأنها قرظت فى أعمدتها الجزء الأول منذ سنة مضت . وقد كان الجزء الأول عن تاريخ مصر لغاية وفاة المرحوم الخديو محمد توفيق باشا . أما الجزء الثانى الحالى فيخبرنا عن كل الحوادث التى وقعت مدة العشر السنوات الأولى من حكم الخديو السابق عباس باشا أى من سنة ١٨٩٢ لسنة ١٩٠٢ .

ومقدمة هذا الكتاب بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك (باشا) رئيس تحرير جريدة السياسة . وقد قال فى المقدمة : « إن الجزء الحالى ذو أهمية خاصة نظراً للحالة السياسية الدقيقة . وقد كان الخديو توفيق باشا — كما يقول شفيق باشا — فى أيدى الإنجليز تماماً بسبب أنهم عضدوه وساعدوه فى الثورة العرابية . ولكن لما تولى الخديو الشاب عرش مصر فى سنة ١٨٩٢ لم يكن مديناً للإنجليز بشىء ما بل أدرك أهمية حقوقه وحقوق بلاده وسعى فى التمسك بهذه الحقوق ، لذلك قامت الأمة وراءه وساعدته على أغراضه وهى عدم الخضوع للإنجليز ما دام قادراً على صيانة هذه الحقوق . ونظراً لمركز المؤلف يمكنه أن يميط اللثام ويسرد لنا كل ما حدث فى ذلك العهد » .

كانت السنوات العشر الأولى من حكم عباس باشا مملوءة بحوادث سياسية ، وفى مقدمتها حادثة الطور حيث أرادت تركيا حرمان مصر من الطور . وعملا بالتعليمات التى وردت من اللورد سلسبورى رفض السير إفلنج بارنج أن يقرأ فرمان السلطان بتعيين الخديو قبل أن يترك الطور لمصر ، ولو أن مندوبى فرنسا والروسيا فى مصر نصحوا للخديو أن يترك الطور لتركيا مؤقتاً . والحادثة الثانية كانت حادثة الحدود لما استعرض الخديو الجنود المصرية فى وادى حلفا فقد لاحظ طاهر باشا أن حالة الأورطة الثانية والأورطة الحادية عشرة كانت سيئة النظام ثم إنه لاحظ ذلك بطريقة أرق فى التعبير لقائد الأورطة الأولى الإنجليزى وكذلك لكتشنر*[1] بالنسبة للأورطة الأخرى . وعند عودتهم لأسوان قال كتشنر لعباس باشا إن ضباط الأورطتين قد عزموا على الاستقالة من مناصبهم فأجابه الخديو أنه فعل ما فعل فى دائرة حقوقه الشرعية فقال اللورد كتشنر : « يامولاى ، إننا لا ندرى ما هى حقوق سموكم ومع ذلك فإننى سأعمل كل جهدى لتهدئة الضباط » .

ولما عاد الخديو إلى القاهرة احتج بشدة المعتمد الإنجليزى لدى رئيس النظار وقدم له التلغراف الذى وصله من اللورد سالسبورى*[2] الذى يقول فيه إن فى حالة عدم إذعان الخديو ستتخذ إجراءات صارمة لوضع قيادة الجيش المصرى تحت قيادة الجيش الإنجليزى ومن حسن الحظ أن الخديو أذعن لمطالب الإنجليز وأبرق للسردار مبدياً إعجابه بحالة الجيش المصرى الذى استعرضه فى الحدود .

---

* ١ م . ج ٢ ق ٢ ج ٣

* ٢ م . ج ٢ ق ١

يقول شفيق باشا إنه بعد خمسة أيام من الانتصار فى واقعة العطبرة اقترح المستشار المالى الإنجليزى لدى الحكومة المصرية بيع سكة حديد السودان لشركة إنجليزية للحصول على مصاريف حملة السودان ، ولكن عباس باشا رفض هذا الاقتراح فقدم له اللورد كرومر نص التلغراف الذى ورد له من اللورد سالسبورى يقول فيه : « إن إنجلترا أصبح لها بعد واقعة التل الكبير نفوذ على مصر أكثر من أية دولة أخرى وأن نصائحها يجب أن يعمل بها » . ثم تكلم معه بخصوص بيع سكة حديد السودان غير أن الخديو تشبث برأيه وعرض المسألة على السلطان فأجابه السلطان بأن مصر يمكنها الحصول على قرض فى تركيا إذا كانت فى حاجة إلى المال . وبعد مفاوضات مع إنجلترا سحب هذا الاقتراح .

والحادثة الأخيرة كانت بخصوص معاهدة السودان التى تكلمت عنها الجرائد الفرنسية والروسية بلهجة شديدة . وفى الحقيقة أن الجرائد الروسية ألحت على الدول بشدة بأن تقاوم هذه المعاهدة . أما من جهة الخديو عباس فقد رفع الأمر إلى الباب العالى الذى لم يعمل شيئاً سوى احتجاج أرسله لحكومة إنجلترا عن يد سفيره فى لوندرا . ففى يوم ١٥ يونيو من تلك السنة (سنة ١٨٩٩) بعث عباس باشا بواسطة شفيق باشا مذكرة إلى السلطان بشأن بيع سكة حديد السودان وبشأن رفع العلم الإنجليزى بجانب العلم المصرى على سراى حاكم السودان العام وتعيين قاض شرعى لمحكمة مصر .

ولما وجد سكرتير السلطان أن هذه المذكرة طويلة لم يهتم بها وطلب من شفيق باشا أن يعود إليه فى اليوم التالى . فذهب شفيق باشا ولكن لم يسمح له بمقابلة السلطان ولو أنه ذهب المرة بعد الأخرى ؛ ولكن كان يقال له فى كل مرة إن شواغل السلطان حالت دون قراءته لهذه المذكرة . وأخيراً غضب شفيق باشا من هذه المعاملة وقال للسكرتير إنه مستعد بأن يتخذ إجراءات أخرى إذا امتنع عن تقديم مذكرة الخديو للسلطان . وفى يوم ٢٥ يونيو قيل لشفيق باشا إن من رأى السلطان أن مسألة المحكمة الشرعية قد انتهت ولكنه لم يسمع شيئاً عن المسألة الأخرى ؛ ولما لم يجد شفيق باشا فائدة من هذه المحادثات قابل سفير فرنسا الذى قال له : « إننى واثق من أنه لا يمكن عمل أى شىء فى تركيا من غير نقود ، فلو كنتم فكرتم فى استمالة رجال السراى بإعطائهم رشوة لكانوا قدموا المذكرة للسلطان » .

وقد ذكر شفيق باشا فى هذا الكتاب أموراً كثيرة عن علاقات الخديو مع السلطان والأدوار التى لعبها فى تلك العلاقات ؛ وكذلك عن مساعدته لمصطفى باشا كامل فى مكافحته ضد الإنجليز . ولو أن الجزء الأكبر من الكتاب مخصص للحوادث السياسية غير أنه مملوء بأمور أخرى ؛ وقد ذكر فيه تاريخ حياة حسين رشدى باشا وعزيز باشا عزت عضو مجلس الوصاية الآن ، والسيد توفيق البكرى الذى كان شيخ الطريقة الصوفية وغيرهم ؛ ويقول لنا كيف غضب الخديو من أحد رجال حاشيته لأنه تعاطى الخمور فى أوربا وكيف غضب من الأمير على حيدر لأنه تزوج بغير رضاه من سيدة مسيحية . ويقول شفيق باشا إن الخديو إسماعيل باشا ترك كل ممتلكاته لزوجاته الثلاث وأن مجلس النظار صدق على هذه الوصية غير أن الأمير فؤاد (الملك فؤاد) عارض ضد هذه الوصية ولما لم يلتفت لمعارضته قدم استقالته من منصب كبير الياوران فى السراى . ويقول أيضاً إن والدة الخديو كانت تريد أن يتزوج من إحدى أميرات العائلة السلطانية وأنها لهذا الغرض اشترت بواسطة الدكتور فرمانوس باشا ستة من الجوارى من الشركس ودفعت مبلغ ٤٠٠ جنيه ثمناً لكل منهن ، ولكن هذا المشروع حبط لأن الشيخ أبو الهدى أفهم السلطان أن الخديو لو رزق بولد يمكنه بمساعدة إنجلترا أن يعلن نفسه خليفة على المسلمين . وأخيراً تزوج عباس باشا من إقبال هانم المشهورة بجمالها الرائع وهى إحدى الجوارى المذكورة ، وقد تكدرت أم الخديو من هذا الزواج لأنها كانت تريد أن تكون زوجته من الأميرات التركيات .

وقد يلاحظ القارىء من هذه الفقرات أن المؤلف لم يفته أى شىء من الحوادث لأنه كان يدونها كل يوم . وهذا الجزء يحتوى على أكثر من أربعمائة صفحة وعلى صور كثيرة . ويجب أن يقرأه كل من يهتم بتاريخ مصر الحديث خصوصاً بالأمور المتعلقة بعلاقات عباس باشا مع الإنجليز والسلطان . ويقدم شفيق باشا هذا الكتاب لمصر التى وُلد فيها والتى يحبها ويخلص لها .

إننى لا أدرى ما هو عدد الأجزاء التى سيخرجها شفيق باشا بعد هذا الجزء ولكن يلوح لنا من التفصيلات المبينة بهذا الجزء وبالجزء الذى قبله وخصوصاً من الحوادث الخاصة بعزل الخديو والحرب العظمى أن شفيق باشا سيخرج لنا جزءين آخرين ولا بد أن يكونا ذوى أهمية كالجزء الحالى » .

ثم عادت فكتبت بمناسبة ظهور القسم الثانى ما يأتى بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٣٦ للمرة الثانية تحت عنوات مذكرات شفيق باشا :

« أصدر أخيراً أحمد شفيق باشا الذى كان رئيساً لديوان الخديو السابق وحائزاً لثقته قسما ثالثاً من مذكراته التى أسماها « مذكراتى فى نصف قرن » ويحتم الباشا أن يضاف لقب « الحاج » على اسمه لأنه أدى فريضة الحج للأراضى المقدسة الإسلامية وربما أيضاً لتمييزه من باشاوات آخرين أسماؤهم مشابهة لاسمه .

إن الجزء الأول من هذه المذكرات يشمل الحوادث التى وقعت فى المدة من سنة ١٨٧٣ إلى سنة ١٨٩٢ والقسم الأول من الجزء الثانى يشمل الحوادث من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٢ . والقسم الثانى الذى ظهر أخيراً خاص بما وقع من الحوادث من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩١٤ وهى السنة التى أعلنت فيها الحرب الكبرى . وفى هذا الجزء نجد شيئاً كثيراً عن دسائس الخديو فى الإستانة فى أثناء الحرب وعن الحملة العسكرية التى جهزتها تركيا بقصد إخراج الإنجليز من مصر . وقد ذكر الباشا فى أول الكتاب مسألة النفور الذى حصل فى علاقة الخديو مع مختار باشا الغازى المندوب العالى العثمانى فى مصر بسبب تقرير قيل إن محمود مختار باشا بن الغازى رفعه إلى السلطان بشأن استياء عباس باشا من الاستقبال الفاتر الذى استقبل به فى الاستانة وبسبب هذا الاستقبال قد قرر الخديو بالاتفاق مع وزرائه أن أمراء العائلة الخديوية يتقدمون على الغازى فى المقابلات والاحتفالات الرسمية . ولما شكا الغازى لحكومته من هذا القرار أرسل الصدر الأعظم برقية إلى الخديو يقول فيها « إن رجلا فى مقام الغازى وعمره لا يصح أن يعامل بمثل هذه المعاملة » . ومختار باشا الغازى من جهة قد قابل الشر بالشر فإنه رفض الدعوة المعتادة لحضوره إلى المحطة لاستقبال الخديو عند سفره إلى الإسكندرية فى صيف تلك السنة .

وذكر الباشا ما حصل من الفضائح بسبب بيع الخديو للرتب والنياشين وفى الحقيقة أن ألقاب الشرف فى ذلك العهد كانت تباع فى الأسواق لمن يشتريها من أصحاب الأموال الكبيرة والوسطاء فى ذلك هم الشيخ على يوسف محرر المؤيد وأحمد شوقى بك شاعر المعية ومصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطنى فكانوا يتقاضون ٣٥٠ جنيه عن الرتبة الثالثة مع لقب بك و ٤٠٠ جنيه عن الثانية و ٥٠٠ جنيه عن رتبة المتميز . وقد توسل الباشا

إلى بطرس باشا غالى أن يوقف بيع الرتب والنياشين ولكنه رفض التدخل فى هذا الأمر فاضطر الباشا أن يكلم عباس باشا بنفسه فرد عليه قائلا : « إنى أعرف ما أعمل وعندى رجال يعرفون الأعيان الذين يستحقون الرتب لذلك لا أتأخر عن منحها لهم » .

وفى سنتى ١٩٠٢ — ١٩٠٣ جاء رجل اسمه إسماعيل كامل إلى الخديو وأخبره أن جمعية سرية تشكلت لخلع السلطان . فأعطاه الخديو تحويلا بمبلغ أربعة آلاف جنيه على أحد المصارف فى لوندرا وصرف له نفقات إقامته فى مصر ولكن الخديو وجد بعدئذ أن بعده عن هذه المؤامرة خير له ، وأراد — بعد فوات الوقت — أن يمنع صرف قيمة التحويل .

وفى الصيف زار عباس لوندرا بصفة غير رسمية وهناك حضر حفلة زواج السير إلدون جورست المستشار المالى وقدم للعروس هدية كانت أجمل وأغلى هدية قدمت لها فقد كانت مركبة من حلق وأساور وكردان وخاتم مرصعة كلها بالماس والزبرجد .

وأولم له ملك الإنجليز مأدبة دعى إليها البرنس أوف ويلز ولى العهد والدوق أوف كونوت والدوق كمبردج واللورد لانسداون والمستر بلفور . وشرب الملك نخبه ولما لم يكن عباس متوقعاً شرب نخبه ومستعداً للإجابة قال فقط « أشرب فى صحة جلالتكم » ثم قال بصوت منخفض بعض كلمات لم يفهمها أحد من الحاضرين .

وقال الباشا أشياء كثيرة عن حادثة القضية التى وقعت فى أوائل سنة ١٩٠٦ لما منعت العساكر التركية محافظ سينا من وضع بوليس مصرى فى تلك الجهة لمراقبة الحدود المصرية ومنع المهربين للأسلحة من اجتيازها وكان غرض الحكومة العثمانية من ذلك حرمان مصر من تلك الأراضى ولكنها عادت فسحبت جنودها عندما احتجت الحكومتان المصرية والإنجليزية وخصوصاً عندما أرسلت الحكومة الإنجليزية قسما من أسطولها إلى المياه العثمانية .

وفى صيف عام ١٩٠٧ لاحظ رجال السراى أن الخديو أصبح فجأة سريع التهيج والغضب من أقل شىء مهما كان تافهاً فسأل الباشا بطرس باشا غالى عن السبب فى هذا التغيير الفجائى فى أخلاق الخديو ؛ فقال له : إن عباس كان كلف رجلا أرمنياً أن يحمل على اللورد كرومر حملة عنيفة فى الجرائد الإنجليزية وأن الرجل قام بما كلف به مدة من

الزمن ثم هدد بإفشاء أسرار علاقاته مع الخديو إلى الوكالة الإنجليزية وبتسليمها الرسائل التى وردت له منه إن لم يدفع له مائة ألف جنيه ، على أن هذه المسألة قد سويت بعدئذ مقابل مبلغ من المال قبضه الرجل من عباس . غير أن عباس بقى مدة بعد ذلك وهو سريع الغضب حتى أنه كان يستعمل ألفاظاً شديدة مع رجال سراى رأس التين ، وقد حدث مرة أنه أمر بشد وثاق أحد الموظفين لكى يتمكن من ضربه بالكرباج .

فى يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ أطلق شاب الرصاص على بطرس باشا غالى وهو خارج من وزارته فعاده الخديو فى اليوم نفسه بالمستشفى قبل مماته ، وربما كان بطرس باشا غالى الوزير الوحيد الذى يثق به الخديو ويحبه حباً صادقاً .

وفى شهر أغسطس سنة ١٩١٢ قبض على ثلاثة أشخاص بتهمة المؤامرة على قتل عباس ومحمد باشا سعيد واللورد كيتشنر وحكمت عليهم محكمة الجنايات بأحكام صارمة .

وفى يوم من أيام شهر سبتمبر سنة ١٩١٣ فى أثناء حرب البلقان تداول الخديو مع محمد باشا سعيد وحسين باشا رشدى وإسماعيل باشا أباظه فيما إذا كان من الممكن لمصر أن تنتهز فرصة انشغال تركيا فى تلك الحرب وتعلن استقلالها فأرسل حسين باشا رشدى إلى اللورد كيتشنر ليسأله عن رأيه فى هذا الموضوع فقال اللورد كيتشنر : « إننا على الدوام من أصدقاء تركيا فلا يصح أن نصبح ضدها وقت محنتها » .

فى سنة ١٩١٤ فكر عباس جدياً فى تنازله عن العرش وقد قال مرة للمؤلف : « إننى أفكر من مدة فى النكبات والمصاعب التى ألاقيها فى سبيل المساعى التى أبذلها لتخليص بلادى من نير الظالمين . ولما كنت أرى أن هذه المصاعب آخذة فى ازدياد فيجب علىّ أن أتنازل عن العرش » . وبعد ذلك استدعى إليه الدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم وطلب إليه أن يعرض رغبته هذه على الحكومة الإنجليزية على شرط أن يعين هو على عرش سوريا وأن يعين ابنه على عرش مصر ، فقال الدكتور فارس نمر : « إذا كنتم مصممين على هذه الرغبة فالأحسن أن تتباحثوا أولا مع اللورد كيتشنر الحائز لثقة حكومته » . ولكن اللورد كيتشنر امتنع عن التداخل فى هذا الأمر فكلف الخديو الدكتور نمر أن يسافر وبرفقته يوسف باشا صديق إلى لوندرا ليعرض هذه الرغبة على وزارة الخارجية ، غير أن هذه المأمورية فشلت ولم تنتج منها ثمرة .

وقد أسهب الباشا فى الكلام عن المؤامرة التى دبرت فى الاستانة لاغتيال الخديو كما سمعها من الخديو نفسه . والظاهر أن سفير تركيا فى باريس أسرّ للخديو بأمر هذه المؤامرة ولكنه لم يلتفت إلى كلام السفير وبينما كان عباس ذاهباً إلى الباب العالى لزيارة الصدر الأعظم أطلق عليه شاب مصرى الرصاص ولكن أحد العساكر المرافقين للخديو قتل هذا الشاب فى الحال بدلا من القبض عليه ، واتهم عباس الصدر الأعظم البرنس سعيد حليم بتدبير مؤامرة اغتياله لأن البرنس كان يكرهه ويحب التخلص منه .

ويقول الباشا فى أثناء كلامه عن الحرب إن سفير إنجلترا فى الاستانة طلب إلى الخديو أن يترك الاستانة ويسافر إلى إيطاليا ولكنه رفض هذا الطلب خشية القبض عليه فى أثناء سفره وإرساله إلى مالطة . وقد روى عباس أن ألمانيا أعطت تركيا ثلاثة ملايين جنيه وكثيراً من الذخائر و ٦٠٠ رجل من رجال المدفعية ووعدت أن تعطيها أيضاً جزء من الغرامة التى كانت تنتظر أن تدفعها لها فرنسا بعد الحرب .

أما عن الحملة التركية فقد كان من المتفق عليه أن يرافقها كل من عباس باشا وقنصل جنرال ألمانيا فى مصر الذى أبعدته إنجلترا عنها . وأخيراً رفض عباس أن يتسلم قيادة تلك الحملة خوفاً من الأتراك إذا احتلوا القطر المصرى جعلوه إيالة تابعة لتركيا واستعبدوا المصريين ، ثم سافر إلى فينا وهو حانق على الأتراك لأنهم استعملوا معه كل أنواع الغش والخداع مع أنه مسلم مثلهم . والظاهر أن عباس تكدر من مصادرة أملاكه فى مصر أكثر مما تكدر من فقدان عرشه .

وهنا انتهى الكتاب ولكن هذا ليس كل ما ذكره الباشا فإن فى هذا الكتاب أشياء أخرى كثيرة مثل عباس وولفرد بلانت وعباس ومدام جوليت آدم وعلاقة الخديو مع مصطفى كامل ومدام أفرينو وظهور الأحزاب السياسية فى مصر الخ .

ويقول الباشا فى ختام الكتاب إنه سيلقى فى الجزء الأخير ضوءاً كبيراً على الوقائع الخاصة بالجمعيات السرية التى تألفت ضد الإنجليز وبمساعى بولو باشا فى عقد الصلح بين فرنسا وألمانيا وبالمخاطبات التى دارت بين عباس والحكومة الإنجليزية بواسطة ملك البلجيك وعودة الخديو إلى الاستانة .

وعند ظهور هذا الجزء نأمل أن يقوم أحد الناشرين بنقل الكتاب إلى

اللغة الإنجليزية وطبعه فإنه تاريخ مصر السياسى فى مدة خمسين سنة بقلم رجل كان على اتصال تام مع ثلاثة من الخديوين » .

جريدة روزاليوسف اليومية : وبتاريخ ٣ يوليو نشرت جريدة روز اليوسف اليومية الكلمة الآتية :

« ترى أى طراز من الشباب كان الطراز الذى لبسه صاحب الروضة ، وصاحب الحوليات ، وصاحب المذكرات بل وصاحب . . . . مصر الحديثة وقناة السويس والرق فى الإسلام . . . . من المحقق أن طرازهذا الشاب كان يتألف من الخصوبة فى الذهن ، والدقة فى الملاحظة ، والعمل الجاد فى سبيل الإحاطة بكل شىء إحاطة استقصاء وتبصر ثم التوفر على تسجيل هذا كله بالعقلية التى تتأمل الهدف البعيد والتى تعلم أن التاريخ من حقه على من يدرى بعض وجوهه ألا يفقد هذه الوجوه .

كان هذا بعض ما يتألف منه طراز الشباب الذى لابس شفيق باشا ، وكان هذا بعض ما صحبه فى مراحله كافة ، وهو فى هذا الطراز يتميز عن نظائره الذين اقتعدوا مثل أريكته وكانت لهم مثل الحظوة التى كانت له فى موطن الحاكم المصرى ، فكثيرون هم ولا ريب أولئك الذين أسندت لهم رياسة الديوان الخديوى ، أو أسندت إليهم رياسة الديوان السلطانى ، أو الديوان الملكى فيما بعد ، والحوادث التى يعرفها هذا الديوان فى شتى صوره ، وفى مختلف مراحله هى الحوادث المتلاحقة الكبيرة الفعالة فى تحوير الوجوه وتبديل الأساليب وكشف الستار عن كل خافية .

وتوضيح الحق فى كل جانب لا يبدو فيه الحق صريحاً كاملا . . ولكن الذين استقام لهم الأمر الذى استقام لصاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا قد مات منهم من مات ، وحوادث عهده ملء ذهنه وحده فإن يكن سجلها فقد راض نفسه على أن يهيء لها المستقر الذى يستودعه كبريات أسراره . وقد عاش منهم من عاش ، ومن لا تزال لقمة الخبز تجد طريقها إلى جوفه ولكنهم هم الآخرون قد لجأوا إلى الصمت المزمن يلابسون به حوادث الزمن التى كانت تلابس مصر وهم على مقربة من مصدرها الأول لأن هذا المصدر هو حاكم مصر الأول ، ذلك أن خصائص أولئك وهؤلاء لم تكن من طراز الخصائص التى تميز بها صاحب المذكرات التى توضح التاريخ المصرى فى نصف قرن .

---

* ١ م . ج ٢ . ق ١

وقد يكون لدراسة شفيق باشا فى باريس أثرها فى نزوعه إلى الأخذ بأسلوب الغربيين فى مكابدة الحياة ، ذلك أنه يعترف بأن هذه الدراسة الباريسية قد مهدت له الدخول فى أبواب جمهرة من المبادئ العصرية ، وهو يعترف بهذا الميل الجانح به إلى منطق الغرب وأسلوبهم فى قصة زواجه المرة الثانية — وهى على ما نرى قصة تتناوله قبل أن تتناول غيره من الناس — وفيها ما أظهرنا على أنه كان ينشد رؤية زوجته قبل أن يمد يده إلى أهلها ، وفى هذا النزوع — لو أننا لبسنا معه ثوب عهده — خروج بالغ على تقليد أصيل . . . فإذا كان هذا الخروج البالغ على التقليد الأصيل قد سايره فيما يتصل بنفسه فمن المحقق أنه حين ساير التاريخ المصرى فى المرحلة التى كانت أذنه فيها أدنى أذن يصلها صوت الحاكم الأول للبلاد ، إنما ساير نزوعه إلى التجديد فى تلوين التاريخ المصرى بهذا التجديد الذى تمثله مذكراته الصادقة تمثيلا صادقاً .

وإنه ليطيب لى أن أقول عن مذكرات شفيق باشا إنها مذكرات صادقة ، لا لأننى عاصرت العهد الذى عاشت حوادثها فيه ، ولا لأن لى من الصلة بوقائعها ومواطنها ما توفرت معه على عملية من عمليات « التطبيق » التى أكدت لى فيما بعد أنها مذكرات صادقة — ولكنى أستمد الدليل الأقوى من جنوح شفيق باشا إلى تسجيل وقائع مذكراته تسجيلا هو أبعد ما يكون عن إرسال عواطفه وراءها إرسالا يحتمل رأياً معيناً ، أو فكرة معينة ، أو توجيهاً معيناً . . . . إنه يعتمد على الوثائق أكثر مما يعتمد على ذاكرته . والوثائق وحدها هى السناد الذى لا يحتمل الشك تحتمله الكلمات المرسلة دون تدليل رسمى وبركزها ويضفى عليها أثواب الجد ، ثم إن شفيق باشا يخرج «مذكراته» بينما يتمتع بطلها الأول — سمو الخديو السابق — بالحياة أصح حياة . . . . وهو يتناول فيها سموه من كل جانب ، فلو أن فيها ميلا أو اضطراباً أو انحرافاً عن جادة الصدق لكان على الخديو السابق أن يردها من هذه الجوانب إلى الصواب .

وفى هذا — لو أنه كان — ما يفقد مذكرات شفيق باشا قدرها كمصدر صادق من مصادر التاريخ المصرى الحديث .

وهذا الاعتبار وحده — ونعنى به وجود الخديو السابق على قيد الحياة — هو الذى يؤكد لنا أننا من مذكرات شفيق باشا حيال المصدر الدقيق الذى يظهر على جانب رجراج من تاريخ مصر الحديث .

أما المذكرات فقد وعت بين دفتيها مراحل الأشخاص ، ومراحل الأعمال حتى لتغنى القارىء عن مزاولة الصحف التى صدرت فى السنوات التى فصلت هذه المذكرات أنباءها كما يقول الأستاذ الدكتور هيكل فى تقديمه لها ...

وهى مزودة فى جزئها الثانى الذى نحن بصدده بفهرس دقيق وفهرس آخر للأعلام وجيش من الصور التى تساير ما تعيه الصفحات من اللطيف العجيب » .

المقطم : وفى تاريخ ٢٩ أكتوبر كتبت المقطم كلمة ضمن افتتاحيتها تحت عنوان « كيف يكتب » التاريخ الحديث جاء فيها :

« إن الذين يعرفون أحمد شفيق باشا وأنه فى سن الشيخوخة وأنه فى غنى عن التأليف والتحبير وأنه أهل لأن يقضى شيخوخته فى راحة وهناء جزاء ما أجهد نفسه فى شبابه وكهولته يشاطروننا إعجابنا بهذا المؤلف الذى وقف نفسه على أن يكتب تاريخ مصر الحديث ويسدى إلى الذين يضطلعون بهذه المهمة الخطيرة معلومات ومحفوظات ووثائق تعينهم على التدوين والاستنتاج والحكم .

وقد كان التاريخ قبل هذا العصر فى الغالب عبارة عن سرد حوادث قد لا تكون بينها صلة وإيرادها مجردة عن السبب والمسبب والعلة والمعلول حتى لقد عابوا على ابن خلدون وقد وضع فى مقدمته المشهورة قواعد صحيحة صالحة للكيفية التى يكتب بها التاريخ أنه لم يراع هذه القواعد نفسها فى تاريخه الضخم وعلل بعضهم ذلك بأن المقدمة كتبت بعد ما صنف التاريخ نفسه .

وقد يظن أن كتابة التاريخ الحديث أو المعاصر عمل هين . فلبيان عدم صحة هذا الظن نقول : إن قراء الصحف يطالعون فى اليوم الواحد وفى صحف متعددة وصف واقعة من الوقائع فيشهدون فيها خلافاً يذكر بين رواية ورواية .

وقد صار من أهم فنون النقد تقدماً ما انحدر إلينا من كتب التاريخ فى عصور البشر القديمة والمتوسطة والحديثة وهو النقد الذى حذقه الألمان واقتبسته الشعوب الأخرى منهم وخلاصته أن يستعان بما هو مدون فى كتب التاريخ نفسها على تكذيب بعض الروايات أو تصحيحها أو تأييدها . وبالأمس كنا نطالع كتاباً للكونت سفورزا من أشهر وزراء إيطاليا فى العصر الحديث عالج فيه أموراً شتى مما وقف عليه بحكم المناصب الوزارية

التى تقلدها . وقد ذكر فيه شيئاً عن السر أوستن تشمبرلين وميثاق لوكارنو فأذاع السر أوستن بعد صدور الكتاب فى صحف إنجلترا قولا قال فيه : إن الكونت سفورزا أخطأ فيما نسبه إليه .

فهذا الذى تقدم هنا بالإيجاز يدل على صعوبة المهمة التى اضطلع بها أحمد شفيق باشا والنجاح الذى أوتيه بتعزيز رواياته بالوثائق الرسمية والوقائع فأسدى إلى تاريخ مصر الحديث والمهتمين به فضلا عظيما وأعد ثروة علمية كبيرة ينتفع بها قراء التاريخ ورجال الحكم والساسة فى مصر ولولاه لضاع كثير من هذه الحقائق والمعلومات ولاقتضى البحث عنها جهداً عظيما وفره أحمد شفيق باشا بما دون بهمة ونشاط وثقة وعناية تبعث على الإعجاب بهذا المصرى الكبير العامل » .

الأهرام : وفى يوم ٨ فبراير سنة ١٩٣٧ نشرت الأهرام كلمة بتوقيع « سيد قطب » جاء فيها :

« لست أدرى كيف كان يمكن وضع تاريخ صحيح لهذه الفترة من عهود مصر التاريخية لو لم توضع أمثال مذكرات المؤرخ الدقيق سعادة أحمد شفيق باشا . ذلك أن الذى يقرأ هذه المذكرات ، ثم ينظر لما كان بين يديه قبل قراءتها من معلومات عن عهد عباس ، سواء أكانت هذه المعلومات من الأحاديث المروية أو الكتب المؤلفة ، يجد ما كان بين يديه ضئيلا ، قليل الغناء ، ويرى أن هناك أسراراً لم تكن لتتاح له ، بل يتصور لهذا العهد صورة أخرى جديدة ، تختلف عن صورته التى كان يعهدها .

الواقع أن هذا العهد — كما تصوره المذكرات وكما هو فى الحقيقة — كان عهداً غريباً ، يكاد لا يكون شبيه فى عهود مصر كلها . ولكى يتصور القارئ مقدار غرابته نرسم له صورة تقريبية :

كانت مصر فى هذا العهد محتلة بالإنجليز ، وقد كان من استسلام الحكومة لهم أن تغلغل نفوذهم فى كل ناحية ، بحيث أصبح لا يقضى فى مصر أمر إلا بإذنهم . ومصر — مع هذا — تابعة لتركيا ، يتلقى خديويها فرمان توليته من الباب العالى ، ويوجد للسلطان مندوب فى مصر برتبة « غازى » وهو كما قال مختار باشا « احتجاج حىّ على الاحتلال الإنجليزى » .

هـذا وجه من وجوه الغرابة ، وبجانبه وجه آخر ، فالشعب غير مطمئن لتغلغل النفوذ الإنجليزى ، ولـكنه مكتوم الأنفاس لا يجد متنفساً :

ويجىء الأمير الشاب « عباس » فيرى هـذه الحالة ، ويعز عليه أن يخضع لها وهو كان من قبل توليته ناقماً عليها ، وعلى سياسة والده ومعيته . ويقول صاحب المذكرات عن ذلك ما يأتى (ص ١٦) :

« فى صيف سنة ١٨٩١ عند وجود عباس فى أجازته المدرسية بالإسكندرية أقيم فى سراى رأس التين المرقص الصيفى السنوى ، وقد حدث أن انتقـد سموه على يوسف ضيا بك وبعض رجال المعيـــة وجودهم فى المقصف بحالة غير مرضـية ، فلما انفرد بى أبدى استياءه وقال لى :

« ياشفيق بك أنا غير ممنون مما ألاحظه عن الحالة ، فقد استسلم والدى للإنجليز وكبار حاشيته سائرون على سياسته وموظفو المعيـة يأتون أعمالا لا تليق بكرامتهم والرقابة عليهم غير متوفرة » .

بهذه الروح يبتدىء عباس عمـله فيغير فى رجال المعية ونظام الديوان ويعقد مجلس النظار برياسـته ، ويتعرف بالموظفين والأهالى . ويهتم بالحوادث التى تقع بين الموظفين والإنجليز والمصريين ليحرص على كرامة الوطنيين . . . الخ .

وكان الشعب يجد فى الأمير الشاب متنفساً لآمال فيستقبله بالحفاوة حيثما حلّ وارتحل ، بينما الإنجليز يرقبون هـذه الحالة بحذر ، ويتربصون بالخـديو الدوائر ، ثم يقع بينـه وبينهم ما يقع من المصادمات بعد ذلك .

وهنـاك وجه ثالث لغرابة الموقف وتعقده ، فليس الباب العالى وإنجلترا والخـديو وحدهم فى مصر ، إنمـا هناك فرنسا التى أضاعت نفوذها يوم تخلى أسطولها عن العمل المشترك مع الأسطول الإنجليزى سنة ١٨٨٢ ثم ندمت على ذلك ، وهى اليوم ترى فى الأمير الشاب وخطته مجالا لاستعادة هذا النفوذ ، فهى تؤيده فى مواقفه ولـكن بالقول دون العمل ؛ ثم هناك الدول صاحبات الامتياز وصاحبات الجاليات الـكبيرة والمتاجر العظيمة فى مصر ، وما يضطرب بينها جميعاً من المصالح المشتركة والسياسات المتداخلة . وهناك أيضاً نظارة يكفى فى تصوير استسلامها للإنجليز ما ننقله هنا من المذكرات (ص ٥٧) :

« كان الخديو يعلم عن مصطفى فهمى باشا استسلامه للسياسة الإنجليزية وكان يسوؤه أن يكون رئيس نظاره أداة فى يد الإنجليز ، فانتهز فرصة إصابته فى أواخر ديسمبر سنة ١٨٩٢ بمرض خطير فى الرئتين ، وتحدث مع نخرى باشا*١ ، وتيجران باشا*٢ ومظلوم باشا ، ودومرتينو باشا ، ومحمود شكرى باشا ، ورولييه بك السكرتير الخاص فرادى ومجتمعين ، فاستقر الرأى على تغيير النظارة الفهمية ، وترشيح تيجران باشا للنظارة الجديدة ، وأبلغ اللورد كرومر هذا الترشيح فلم يقره ، لأن تيجران باشا مسيحى ويجب أن يكون رئيس نظاره مسلماً . فاستخلص الخديو من ذلك أنه يستطيع اختيار رئيس نظاره من المسلمين حراً دون استشارة العميد الإنجليزى ، ورأى أنه يستطيع بذلك أن يسن سنة جديدة غير سنة والده الذى كان تكتنفه ظروف أخرى فى علاقاته مع الإنجليز وخضوعه لهم ، لأنهم عاونوه فى توطيد عرشه . أما هو فلم يكن مديناً لهم بشىء وكان جلوسه على عرش أبيه طبقاً لفرمان الوراثة .

وعلى ذلك أرسل الخديو محمود شكرى باشا إلى مصطفى فهمى باشا ليطلب منه الاستقالة ، نظراً لاعتلال صحته . فأجاب بأن الأوفق لسموه أن يستشير اللورد كرومر قبل أن يقر أمراً نهائياً . فرد الخديو بأن أرسل إليه فى ١٥ يناير كتاباً بإقالته ، وفيه أن جنابه يعطف على دولته ، وأنه مراعاة لحالته الصحية اقتضت الإرادة السامية إراحته من إعباء النظارة مع الشكر على سابق خدماته . وفى الوقت نفسه أرسل الخديو سكرتيره العام مسيو روليه إلى اللورد كرومر يبلغه أنه أقال فهمى باشا وعين مكانه حسين نخرى باشا ومعه مظلوم باشا ، وبطرس باشا ، وتيجران باشا ، ومحمد زكى باشا*٣ ويوسف شهدى باشا . فهز اللورد رأسه وأجاب بأنه سيتوجه لمقابلة الخديو .

وقد كبر هذا على الإنجليز الذين كانوا مستأثرين بجميع السلطة تقريباً قبل عهد عباس ، ورأوا أنهم إذا تركوا الخديو الشاب فى طريقه فقد ينتهى الأمر بضياع نفوذهم . ولذلك ما كاد اللورد كرومر يعلم الخبر حتى أبرق إلى وزير الخارجية يبلغه ما حدث ، وأن النظارة الجديدة تألفت دون رأيه ثم جاء إلى السراى فى اليوم التالى وأبدى لسموه اعتراضاته على الخطة التى جرى عليها فى التغيير ، فأجابه الخديو بأنه يصعب عليه العدول

---

* ١ م . ج ٢ ق ٢ . ق ١ ؟ ج ١
* ٢ م . ج ١ ؟ ج ٢ ق ١
* ٣ م . ج ٢ ق ١

عن قراره ، ولكنه وعد اللورد بناء على طلبه بأن تعيين النظارة الجديدة لن ينشر فى الجريدة الرسمية إلا بعد أن يمر الوقت الكافى لمفاوضته مع اللورد روزبرى وزير الخارجية ولقد بر الخديو بوعده ولكنه سمح للنظار الجدد بأن يذهبوا لنظاراتهم ويباشروا أعمالهم . وقد أمر اللورد كرومر الموظفين الإنجليز بألا يعترفوا بالنظار حتى يسمح لهم بذلك . فكان لهذا الأمر وقع سيء لدى الخديو وأنصاره » .

هذه نبذة تبين لك مقدار استسلام النظار ، حتى ليقول رئيسهم لخديويه بأن الأوفق لسموه أن يستشير اللورد كرومر ، ثم هى تبين مقدار اعتماد الانجليز على هذا الاستسلام فى تشددهم مع الخديو ، حتى ليأمر اللورد الموظفين الإنجليز بألا يعترفوا بالنظار الجدد .

فى هذا الذى أسلفنا ذكره صورة عامة عن حكم عباس ولكن هذه الصورة على غرابتها ودقتها وتعقدها ليست كل شىء فى المذكرات ، فهناك التفصيلات الدقيقة لجهاد هذه القوى المختلفة التى مر ذكرها ، ولتدبيراتها الخفية ولتدرج خطواتها فى سياساتها المختلفة .

وقليل منا من يعلم الخطوات الأولى لجهاد مصطفى كامل مثلا ، ولكن صاحب المذكرات يجلوها فى الكلمات الآتية ، بعنوان ظهور مصطفى كامل فى ميدان السياسة ، (ص ١٩٠) :

« ولما زار الخديو مدرسة الحقوق ألقى الطالب مصطفى كامل بين يديه خطبة ترحيب تفيض وطنية وفصاحة فأعجب به الخديو ، وبعثت جامعة الشباب والحماسة الوطنية بينهما إلى عطف متبادل . وكان ذلك مما يدعو إلى الغبطة ، لأن الطالب الشاب كان يمثل الوطنية المصرية بأسمى معانيها ، وكان الخديو يريد أن يحاط عرشه بسياج من الوطنية . ولما عزم مصطفى كامل على إتمام دراسته بأوربا سافر إلى تولوز بتعضيد الخديو ، وعاد إلى مصر فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٤ وكان يومئذ فى سن العشرين ، فقربه عباس إليه وساعده بالنفوذ والمال وتعاهدا سراً على أن يعملا لخلاص البلاد من الاحتلال ، فكانا يجتمعان بمسجد الشيخ التبرى بزمام سراى القبة . وقد عملا معاً أعواماً طويلة ، حتى فرقت بينهما الدسائس ، كما سنفصل خلال هذه المذكرات .

« ولما كان الخديو فى حاجة للاستعانة على الانجليز بالقوة الوطنية خصوصاً بعد حادثتى إقالة النظارة الفهمية والحدود ، فقد اتفق مع مصطفى كامل على تأليف لجنة سرية من

بعض الشبان الممتازين بالوطنية ، ممن تلقوا التعليم العالى فى مصر والخارج ، فكان ذلك وكنت من أعضاء هذه اللجنة أنا وزميلى روليه بك وإسماعيل الشيمى بك ويوسف صديق بك ومحمود سالم بك القضاة بمحكمة المنصورة المختلطة وموسيو ارستيد جافيو نائب الجالية الفرنسية بمصر ، وقد كان على إتصال بممثل فرنسا المركيز دو رفرسو الذى يعضد سياسة الخديو ضد الاحتلال لاسترداد النفوذ الفرنسى بمصر وكذلك مسيو آن مارى وجوردان بيترى المستشاران القضائيان ، وموسيو بورثت العضو الفرنسى للسكك الحديدية .

وقررت هذه اللجنة القيام بالدفاع عن مصالح مصر ضد الغاصبين بالكتابة فى الصحف الفرنسية فى مصر وباريس بأسماء مستعارة وكذلك بالخطب التى كان يلقيها مصطفى كامل فى مصر وأوربا والتى كانت تثير إعجاب الساسة وتشجيعهم ، وكان فى مقدمة أنصاره والمعجبين به مدام چوليت آدام الكاتبة الفرنسية الشهيرة ، وكانت بينهما مراسلات تفيض حماسة وإخلاصاً . وكان مصطفى كامل رسول الوطنية الحقة ، وكان يعمل بذكاء وحماسة وجرأة تثير إعجاب الجميع .

هذا ولما كنا فى حاجة للدفاع عن وجهة نظرنا فى أوربا على يد شركة هافاس ، فقد اتفقت السراى مع موسيو لوسير وكيلها على أن يتخلى عن خدمتها مقابل مبلغ دفع إليه من الخديو ، بواسطة يوسف صديق بك ، وخلفه مسيو جورج فسيه وهو الآن صاحب جريدة « سوريا » ببيروت » .

هذا مثل مما تكشف المذكرات خبيئته ثم تمضى فى قراءتها فترى كيف أراد الخديو أن يستعين بتركيا فى هذا النضال فخذلته فى عدة مواقف ، ثم تعرف شيئاً من أسباب هذا الخذلان فى بعض أحاديث رجال الدولة . ففى صفحة ٣٨٣ من حديث لصاحب المذكرات مع عزت بك العابد يقول .

« ثم حدثنى عن نوايا الخليفة نحو مصر والاحتلال الإنجليزى بما يفيد أن السلطان لا يعتمد على الخديو فيها ، وضرب لى مثلا على ذلك بأن السفير العثمانى بلندره كان قد طلب المخابرة فى شأن تحديد أجل الاحتلال ، وقبل طلبه ، واستحضرت السجلات المختصة بمصر ، ولكن السلطان طلبها وأبقاها عنده ، فأمر بقطع المخابرات . وقد

تأكدت ذلك من جلال الدين باشا ، وزاد على قوله بأنه مع وجود الاحتلال فإن جلالته لا يخشى قيام شخص يعيد سيرة محمد على باشا ضد السلطان » .

بمثل هذه السياسة القصيرة النظر ، كانت تركيا تعالج شؤون مصر المعقدة . ويزداد القارئ علماً بتبعة الدولة ومسئوليتها فى توطيد النفوذ الإنجليزى بمصر حين يعلم من المذكرات أن المسائل التى كانت تتمسك بحقها فيها ، كانت إنجلترا تضطر إلى التسليم بها خيفة تدخل الدول الأخرى لمناصرة السلطان ، وأن الدولة لو تذرعت بشىء من الشجاعة وبعد النظر لتغير وجه التاريخ فى مصر .

أما ما حدث بعد هذه المصادمات العنيفة بين عباس والإنجليز ، وبعد تخلى السلطان عنه ، وكذلك تخلى فرنسا عند اشتداد النزاع ، وما رآه من أن قوة الشعب لم تصل إلى الدرجة التى يمكن الاعتماد عليها — بعد هذا ، وبعد طول تردد بين التقرب لتركيا تارة وإنجلترا أخرى ، ابتدأ يسلك مسلكا جديداً ، ويبتعد عن السياسة رويداً رويداً ويهتم بالمسائل المالية وبتكوين ثروة شخصية ، فإذا به يهتم باستخراج معادن جزيرة طاشيوز ومعاصر الزيتون بها ، ويبذل فيها من الجهد ما كان يبذله من قبل فى الميدان السياسى بدون نجاح !

على أننى لا أختم هذا المقال دون أن أشير إلى أن تاريخ تركيا وخاصة فى عهد السلطان عبد الحميد كان بحاجة إلى هذه المذكرات ، فإنها تحوى معالم كثيرة منه وحوادث وأحاديث لها قيمتها فى تفسيره . وإذا كان هذا المقال لا يستطيع أن يشمل هذا كله ، فإنى أحيل القراء على المذكرات نفسها وهى خير من كل تلخيص » .

المقطم : ونشرت المقطم بتوقيع « محمد لطفى جمعه » يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٣٧ كلمة جاء فيها :

« لقد مثل شفيق دوراً مهماً فى تاريخ مصر ولكنه مثله من وراء الستار من بداية الثورة العرابية إلى أواخر الحرب العظمى . وكانت أخلاقه الفاضلة وطهارة ذمته ولسانه القصير ونظره البعيد خير معوان له على اختراق العواصف والزوابع واحتمال البروق والرعود التى يقتضيها منصبه — كاتماً لأسرار الخديو ورئيساً للديوان العربى والتركى ووزيراً مستشاراً لعباس الثانى ورسولا دائم الحركة دائب العمل بين القاهرة واستانبول

وباريس ولندن — ولم يخرج من وراء الستار إلا مدة ثلاث سنوات عندما كان مديراً للأوقاف ، ثم عاد برغبة أميره إلى الأوقاف الخاصة وهى أيضاً وظيفة وراء الستار .

ويظهر أن نشأة شفيق فى أحضان القصر وعناية الخديو توفيق به من أول أمره وتفوقه فى الامتحان على الأقران (كما شهد توفيق بذلك بخطه وتوقيعه) هى التى نبهته إلى أن مستقبله سيكون فى خدمة الأسرة الخديوية ، فتوافر على التدوين من صغره وساعده على الإتقان اختصاصه بدرس الصحف والمجلات وتنسيق النبذ المهمة المتعلقة بسياسة مصر وشخصية الخديو فى سجلات معلومة . فنبت على التنظيم وترتيب الحوادث ومعرفة مغزاها واحتك بالأمراء والوزراء والعلماء ورجال السياسة والصحافة من الشرقيين والغربيين بعد أن درس العلوم السياسية والقانونية فى باريس وهو رجل ناضج بعد الثورة العرابية ففتحت تلك الأطوار عينيه وأيقظت مواهبه وقوت فيه غريزة الملاحظة واستطلاع المؤرخ ، فجعل من أخلاقه القويمة ما يطابق تلك المسئوليات الضخمة ولا سيما ما كان يرغم عليه من حل المشكلات التى تعرض لمولاه صباح مساء فى كفاحه مع الاحتلال وللخصام مع العثمانيين ومع بعض أفراد رعيته المصرية ؛ وليس من المستغرب بعد ذلك أن يخرج شفيق من هذا المعترك طاهر الذيل واليد ، عفيف العرض واللسان ، حافظاً لكيانه المعنوى والمادى ، لأن عنصره الأصيل قوى وفطرته الأولى سليمة ، فطالما هلك رجال قبله وبعده فيما أنقذه الله من عواقبه ، وروى هو نفسه قصصهم فى كتابه أمثال : السلطان عبد الحميد نفسه ، والداماد محمود باشا صهر السلطان وولديه الأميرين ، والسيد توفيق البكرى والشيخ على يوسف ، وأبى الهدى الصيادى (من جبابرة المشايخ المتصوفة) ، ورولييه (أستاذ الخديو وسكرتيره الخاص) حتى لورد كرومر ذهب ضحية المعركة السياسية ومصطفى كامل مات فى مقتبل العمر ، ومحمد فريد ، وعبد العزيز شاويش ، والأستاذ الإمام الأعظم محمد عبده ، والسيد جمال الدين الأفغانى ، وإبراهيم المويلحى ، والسلطان مراد ، وغيرهم عشرات ذهبوا ضحية تلك الحقبة المشئومة من تاريخ الشرق العربى ومصر وهى التى تبدأ على التقريب من سنة ١٨٨٢ وتنتهى بنهاية الحرب العظمى حوالى ست وثلاثين سنة من أعجب سنوات الدهر في العصور الحديثة هى عندى بمثابة غرق التيتانيك ، أو أيام بومبى الأخيرة ، أو زلزال ليشبونه وسان فرانسيسكو . جائحة جامحة ، وعاصفة قاصفة ، وزوبعة مروعة حرقت الأخضر واليابس ، وأزعجت اليقظ والناعس

ووصلت إلى قمم الجبال وهم عظماء الرجال ، وطمت الأودية على القرى . فمن نجا من تلك الفتنة وعاش مثله كمن نجا من طوفان نوح بحمد الله على السلامة ولو كان حمامة .

وحق لشفيق إن سأله سائل ماذا صنعت فى أثناء الفتنة التى أرادت الأقدار أن تقرن اسمك وعملك وحظك بكواكب أفلاكها ؟ أن يجيب كما أجاب « دى سايس » الفرنسوى الشهير « لقد نجوت بجلدى » وهو الآخر والحمد لله نجا بحياته وصحته وكتبه ومذكراته وروضته اليانعة على ضفاف النيل . فهو إذن حسن الحظ كما كان حسن الخط .

إن لمصر وللشرق لسحراً وفتنة وجاذبية لا تنال الغرباء وحدهم بل والقرباء كذلك . ولم يقل القائل عبثاً « إن من يذوق ماء النيل يعود إليه » ونقول ومن يسير على ضفاف البوسفور يقع فيه . ما أعجب وأغرب وأبدع وأصدق وأبلغ ما نظم هوميروس على لسان أوذنسيوس فى معلقته الأوذيسية عندما وصف الجزيرة التى كانت تحكمها الإلهة سيريس التى تسحر الرجال بالعقاقير المخدرة والخمور المموهة ثم تلمسهم بعصاها السحرية فتجعل منهم خنازير سائبة وبهائم سائمة وفى الندرة تقلبهم أسوداً يحرسون قصرها المسحور أليست مملكة سيريس هى شواطىء البحر الأبيض وإن كانت هذه الإلهة قد توارت وصعدت إلى السماء أو هبطت إلى « هاديز » فإن أثرها لا يزال باقياً . وهى هى التى تسخط الأمراء والعلماء والعظماء وتجعل منهم ما تجعل تنفيذاً لإرادتها وغايتها وشهواتها ولا ينجو من سحرها وسمومها إلا من تحصنه الإلهة ضد عقاقيرها ومخدراتها وتسلحه بسيف يشهره فى وجهها . حينئذ تهابه الربة الفاتنة وتدعوه إلى مقصفها فتسقيه خمرها ثم إلى مخدع عرسها فيقهرها ويغلبها على أمرها . ومهما كان رضاؤها عنه وتعلقها به فلابد أن تبعث به إلى الجحيم ولو إلى فترة (وإن منكم إلا واردها) فيالها من فترة قصيرة العمر طويلة الآلام ، تمخضت عن حوادث جسام ... وهذه الفترة هى التى جازف شفيق بتاريخها وتدوين أخبارها . وقد سبقه إلى خوض معمعة مثلها المرحوم الأستاذ رشيد رضا صاحب المنار فى تأليفه الجليل « تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده » ولكنه لم يكن يدون مفكراته يوما فيوماً . فاعتمد على الوثائق المخطوطة ومقارنات المنار التى كان ينشرها بمناسبات ، وهذه طريقة لا بأس بها وإن كانت تعرض المؤرخ للنسيان فإن الزمان يعصف بصغائر الأمور ، وإن كان يصفى كبارها ويصقلها وينقيها من الأعشاب الطفيلية فيعطى المؤرخ فكرة عامة ونظرة إجمالية تكون فى الأغلب أوضح مما يستفاد من التفصيلات الجزئية .

يبدو لك صاحب المذكرات الماجد كالملوك أو كالنحلة لا يكل ولا يمل ذهاباً وجيئة وجدلا وحواراً واضطراباً أمام عظائم الأمور . ثم هو يدون ذلك ولا ينساه ويحتفظ بكل « قصقوصة » من الصحف وكل قائمة بألوان الطعام من يلديز « أقشام طعامى » إلى « الدينر » الملكى فى قصر بكنجهام حتى تذكرة الدعوة لزفافه السعيد التى اجتمع فيها فن « راڤون » وثكنة العرس ولم يكن متطيراً ولا متعلقاً بالخرافات فقد رسم « القط والفأر » على رقعة الدعوة السعيدة ... وما أصدق ما يوحى به الفن « والهيومر » بعض الأحيان . ألا توجد قصة القط والفأر فى الأدب الشعبى . وما أشبه الحياة بهذه القصة ولو كان القط معلقاً من رقبته بشريط من حرير إلى طرف الهلال . ولكن هذا الرجل الفاضل الميال للترفيه عن القارئ بعض الأحيان بوصف « رقصة القلة » فى معرض باريس أو قصة أبى الهدى الصيادى وشكيب (وهى من مجون أبى نواس) تراه يسلك مسلك الرجال فى كل الأحوال فهو يقف لمولاه وقفة الأسد عندما يراد اللعب به أو لمس رداء عفته وزهده فهو مدير أوقاف يعنى مدير أوقاف : لا مجاملة ولا محاباة ولا خضوع ولا تعيين فى الوظائف المحتاجة للكفايات بالتواصى والبطاقات ، ولا تفريط فى أموال الأوقاف ولا تهاون فى أعمال الديوان .

وإنه فوق ذلك رجل عادل ومؤرخ لا يميل مع الهوى » .

أقوال الصحف عن الجزء الثالث الأخير : وفى أغسطس سنة ١٩٣٧ صدر الجزء الأخير بمقدمة من قلم الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد .

السياسة الأسبوعية : وقد كتب حضرة الأستاذ عبد الرحمن الرافعى بك فى جريدة السياسة الأسبوعية الكلمة الآتية فى ٨ يناير سنة ١٩٣٨ :

« إن أهمية هذه المذكرات فى تاريخ مصر الحديث ترجع إلى الحقبة الطويلة من الزمن التى دوّن فيها صاحبها الحوادث ، ثم إلى شخصية مؤلفها فإنه قد شغل من المناصب الكبيرة المتصلة بأولى الأمر ما جعله يشهد الحوادث ويرقبها عن كثب ، ويقف على أسرارها وحقائقها . هذا إلى ما عرف عنه من الصدق فى الرواية وعدم الانحراف عن جادة الحق . فهو مؤرخ وراوية صادق لا يبتغى من تدوين الحوادث سوى خدمة الحق والتاريخ .

ولد أحمد شفيق باشا سنة ١٨٦٠ وتبدأ مذكراته عام ١٨٧٢ أى أنه دوّن الحوادث التى شاهدها منذ بلغ الثانية عشرة من عمره المبارك وهى سن يعى فيها صاحبها الحوادث

ويدركها حق الإدراك . فمذكراته هى رواية شاهد عيان يسجل ما رآه وحققه . وهى من هذه الناحية مرجع هام من أصح المراجع وأهمها ، وليس الخبر كالعيان .

تتألف هذه المذكرات الضخمة من أربعة أجزاء . وإن كان مؤلفها يعدها ثلاثة ولكنها فى الواقع أربعة . فالجزء الأول يبدأ فى عهد إسماعيل وقد أدركه شفيق باشا وكان فى نهايته شاباً يافعاً ودوّن ما شاهد من حوادث السنين الخمس الأخيرة من حكمه ، وصور الحياة السياسية ثم الاجتماعية والعائلية فى ذلك العهد تصويراً صادقاً دقيقاً . ثم دوّن الحوادث التى وقعت خلال حكم الخديو توفيق باشا ، ووصف مشاهداته فى الثورة العرابية والحرب العرابية التى انتهت بالاحتلال الإنجليزى ، وشفيق باشا وإن كان من أنصار الخديو توفيق باشا كما يبدو من تعليقاته إلا أنه روى وقائع الخلاف الذى شجر بينه وبين العرابيين على حقيقتها كما دوّن وقائع الثورة والاحتلال دون تغيير أو تحريف . ثم سرد الحوادث التى وقعت عقب الاحتلال إلى نهاية حكم الخديو توفيق .



عبد الرحمن الرافعى بك

وفى الجزء الأول أيضاً مذكرات المؤلف عن حياته المدرسية والعائلية كما يلقى شيئاً من الضوء على الحياة الاجتماعية فى ذلك العهد . ويقع هذا الجزء فى ٥٢٥ صفحة .

ويشتمل الجزء الثانى ٤١٥ صفحة دوّن فيها المؤلف مشاهداته وملاحظاته عن حوادث مصر فى السنوات الأولى من حكم الخديو عباس الثانى من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٢ وقد روى فيها حوادث هذه السنين سنة فسنة بتفصيل جعل من هذا الجزء والجزء الذى يليه تاريخاً كاملا لمصر فى عهد الخديو عباس . وقد شغل المؤلف فى خلال هذه السنوات مراكز ممتازة فى المعية والحكومة جعلته يتصل بالحوادث اتصالا وثيقاً ويتعرف تفاصيلها ويكشف عن أسرارها فيما دوّن عنها .

والجزء الثالث (أو القسم الثانى من الجزء الثانى كما يسميه المؤلف) يتناول حوادث السنوات التالية من حكم عباس أى من سنة ١٩٠٣ إلى نهاية حكم سنة ١٩١٤ ويقع فى ٤٤٨ صفحة وهو أهم أجزاء المذكرات إذ يتخللها اشتداد الحركة الوطنية وتطوراتها ومشاهدات المؤلف عنها .

والجزء الرابع وهو الذى ظهر أخيراً فى ٣٥٠ صفحة ويشتمل على حوادث السنوات التسع التى بدأت بالحرب العظمى سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩٢٣ وموضوعها (عباس والحرب العظمى) وبه نهاية المذكرات إذ اكتمل به نصف القرن الذى سجل شفيق باشا حوادثه ، وكملت به هذه الذخيرة العلمية التى أهداها المؤلف إلى الوطن ونوّه إلى هذا الإهداء فى مقدمة المذكرات .

وفى الحق إنها هدية ثمينة جليلة القدر تذكر لمهديها بالخير العميم وتشهد له بالفضل العظيم . فقد غذى التاريخ المصرى بمادة غزيرة من الحقائق والمشاهدات التى ما كان فى استطاعة غيره أن يستوفيها ويستوعبها بهذه الإحاطة وذلك الإسهاب . ومن يطالع هذه المذكرات بإمعان يدرك حقيقة قيمتها ولا يسعه إلا أن يقدرها حق قدرها ويهنئ صاحبها على تحقيقه أعظم أمانيه فى حياته كما يقول فى ختامها . فهى ليست عملا سهلا هيناً ولا هى وليدة يوم أو سنة بل هى نتيجة جهود ومشاهدات خمسين سنة .

ولا غرو أن يقول مؤلفها إنه عاش طول حياته معتزاً بها أعظم اعتزاز وكان يستصحبها فى أسفاره خوفاً عليها ويودعها إحدى خزائن البنوك مدة إقامته فى أوربا خوفاً عليها من أن تمتد إليها يد النسيان أو السرقة .

وعندما انقطعت المواصلات بين تركيا وسويسرا فى إبان الحرب العظمى وكان الباشا عائداً مع عائلته كان وهو يحملها حائراً بهذه المذكرات كحيرته بعائلته وأبنائه .

ولشفيق باشا الحق فى أن يعتز بمذكراته كل هذا الاعتزاز لأنها أثمن ما أداه لبلاده من خدمات . إن له مؤلفات ورسائل أخرى وضعها فى مناسبات مختلفة ولكن هذه المذكرات هى بلا مراء أجلها شأناً وأعظمها أثراً . لأن هذه المجلدات الأربعة هى صور حية تفصيلية لحوادث خمسين سنة متعاقبة من تاريخ مصر الحديث . وهى مع مكانها الحاضرة ستزداد مكانة وخطراً كلما تقادمت عليها السنون .

ليس من السهل تدوين المذكرات التاريخية بمثل الإسهاب والتمحيص والاستيعاب ى نراه فى مذكرات شفيق باشا فقد شغل الكثيرون من المناصب والمراكز أعظم مما غل شفيق باشا . وكانوا أكثر اتصالا بالحوادث وملابساتها ومع ذلك لم يدونوا عنها شاهداتهم وملاحظاتهم ، ذلك أن تدوين مثل هذه المذكرات يقتضى مزايا عدة اجتمعت فى شفيق باشا . ومن حقه علينا أن نسجلها تنويهاً بفضله وتقديراً لمذكراته .

فأولها أنه على حظ وافر من العلم والثقافة وسعة الاطلاع . ولولا ذلك لما استطاع أن يخرج هذه المذكرات الضخمة . ويلوح لنا أنه يعتز بهذه الثقافة كاعتزازه بمذكراته . ويبدو ذلك فى تنويهه فى كل جزء بأنه « خريج مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس » مع أن هذا التعريف لا يذكر إلى جانب مكانة شفيق باشا العلمية . ولكنه يدلل بهذا التنويه على أن دراسته للعلوم السياسية والحقوق قد مهدت له السبيل لتدوين المذكرات بأ "لكاتب والسياسى والمؤرخ .

وثمة ميزة أخرى وهى الصبر وقوة الإرادة والجلد على العمل ، فإن تدوين المذكرات هو عمل يومى أو شبه يومى ينقطع له صاحبه بعد الفراغ من أعماله العادية . ومن الصعب أن تجد من يثابر على هذا الجهد خمسين سنة متوالية دون أن يكل من العمل . وأصعب من ذلك أن يتولى صاحب المذكرات طبعها وإخراجها فى هذه السن المتقدمة التى يخلد فيها الشيوخ عادة إلى الراحة والسكون . ولكن شفيق باشا لم تقعده السن عن مواصلة الجهد والعمل . وهى لعمرى همة كبيرة تعد مضرب الأمثال للشيوخ والشباب فى النشاط والإنتاج .

وثمة ميزة ثالثة ، وهى قوة الذاكرة التى يمتاز بها شفيق باشا فإن استذكار الحوادث فى حينها وبعد وقوعها وتدوينها على وجهها الصحيح ، وربطها بعضها ببعض — كل ذلك يقتضى ذاكرة قوية تستطيع الإحاطة بكل هذه التفاصيل والدقائق . وشفيق باشا يحتفظ مع تقدمه فى السن بذاكرة قوية قل أن تجدها فى معاصريه بل فيمن هم أقل منه سناً . وقد اختبرت ذلك بنفسى منذ ثلاث سنوات ، حين كنت أعد كتابى عن « الثورة العرابية » فرجعت إليه فى بعض ما اختلفت فيه المراجع من وقائع الثورة . ومع انقضاء خمسين سنة على وقوعها فإنه رواها لى رواية صحيحة واضحة ارتاحت إليها نفسى أيتها منسجمة مع منطق الحوادث .

ويلزمنا أيضاً أن نقر لشفيق باشا بفضيلة أخرى ، وهى حبه الخير لبلاده . فإن مثل هذه المذكرات على عظيم قيمتها من الوجهة التاريخية ليست مما يغدق على صاحبها المكاسب والمنافع ، ولا ممن ينيله الزلفى والجاه . فما الذى حدا بشفيق باشا أن يبذل هـذه الجهود المتواصلة فى تدوينها وتنسيقها وتنقيحها ، ثم تبويبها وجمعها ، ثم طبعها ونشرها ، على ما يقتضيه هـذا الشق الأخير — على الأخص — من النفقات والتضحيات المالية ؟ وهو لا يقصد من ناحيـة أخرى أن يتقرب بنشرها إلى عظيم أو ذى سلطان . فما هو إذن إلى هـذا الجهد الكبير ؟ لا شك أن حبه الخير لمصر ومواطنيه هو الباعث الأكبر على إخراج هـذه المذكرات . ولعمرى إن شفيق باشا جدير من هذه الناحيـة من النواحى الأخرى بالتهنئـة الخالصة على هـذه الثروة العلميـة التى وهبها للوطن والتاريخ » .

الأجبسيان غازيت : وقد نشرت جريدة الغازت فى ٢٥ يونيه سـنة ١٩٣٨ مقالا طويلا عنه قال فيه كاتبه « سقراط سبيرو » :

« إن المؤلف حذا حـذو صموئيل بيبس الكاتب والمؤرخ الإنجليزى الشهير الذى دوّن مذكراته فى شكل يوميات عن كل ما حصل فى يومه .

إن مذكرات الباشا هى كتاب تاريخى عظيم تكلم فيه عن مصر فى عهدها الحديث . نعم إن لدينا الجبرتى ومؤلفات عبد الرحمن الرافعى ولـكن بينما هذان الـكتابان يحدثاننا عما حصل فى رابعة النهار يحدثنا شفيق باشا عما حدث وراء الستار من الأسرار السياسية والتدابير والخوف والأمل واليأس والمحادثات بل ومن أمور الغرام ؛ كل ذلك دونه الباشا فى المساء قبل أن ينام والحوادث ما زالت ماثلة أمام ذهنه .

يبتـدىء هذا الجزء من أوائل الحرب العظمى لما كان عباس فى استانبول وكانت الحـكومة التركية عازمة على إرسال تجريدة لتخلص مصر من السـيطرة الإنجليزية . نحن نعلم كيف خابت تلك الحملة ولـكن ما لم نكن نعلمه أن الصدر الأعظم قال : إنه إذا لم تفلح الحملة فحـكومته ستطلب من مؤتمر الصلح خلع السلطان حسين ، ولـكنها إذا نجحت فهى ستأتى به إلى استانبول وتشنقه أمام سراى ضوله باغجه .

ثم ذكر الـكاتب حكاية قتل مدام كايو للمسيو كالمت مدير جريدة الفيجارو وكيف توسط الخديو عند رئيس المحـكمة التى نظرت قضيتها وانتهى الأمر ببراءتها .

اراد مسيو كايو أن يؤدى خدمة للخديو فقدم له رجلا يدعى « پولو » ليساعده عند الإنجليز فذهب الرجل إلى لندن ولكنه لم يفلح فى مأموريته . ولذلك أدار الرجل وجهه شطر ألمانيا وتكلم الكاتب عن المبالغ الطائلة التى وضعتها ألمانيا تحت تصرف الخديو لعمل دعاية منفردة وصلح انفرادى مع فرنسا .

ولما كان الخديو يريد أن يعود إلى عرشه فقد كتب لملك البلچيك يطلب منه أن يتوسط له مع الحكومة البريطانية فأجابه الملك وذكر له شروط الحكومة البريطانية .

هذا من الجهة الواحدة أما من الجهة الأخرى فقد حاولت الحكومة التركية الخديو ووعدت بأن تكافئه إذا وضعت الحكومة البريطانية يدها على أملاكه فى مصر .

ثم ذكر الكاتب شروط الحكومة البريطانية ولكن الخديو رفضها مفضلا عليها شروط الحكومة التركية . على أن الخديو لم يثق كثيراً بالترك وهكذا وجد نفسه حائراً لا يعلم ماذا يفعل .

وقابل شفيق باشا البرنس محمد على الذى قال له : إن مفاوضات عباس مع الإنجليز ليست سراً مكتوماً وأن عباس يظن نفسه من أقدر الناس وهو يتلاعب مع الإنجليز والترك .

ثم ذكر الكاتب مقابلة عباس لأمبراطور ألمانيا فى استانبول ولكن الأمبراطور لم يعده بالمساعدة .

وقد أزاح المولف الستار عن سر قديم لم يكن يعرفه إلا القليلون وهو أن إسماعيل فاضل باشا الجنرال التركى أخبره لما تمرد عرابى وجيشه على الخديو توفيق أن الحكومة التركية كانت قد عزمت على إرسال تجريدة مؤلفة من حامية جزيرة كريت لقمع هذه الثورة وإحلال حامية استانبول مكانها لكن يوسف رضا باشا أرسل تقريراً للسلطان يحذره من إخلاء استانبول من الجيش خوفاً من أن تخلعه الأمة كما خلعت السلطان عبد العزيز . فخاف السلطان وبدلا من أن يرسل تجريدة أرسل درويش باشا ليصالح الجيش مع الخديو .

ثم تكلم سعادة المؤلف بالتفصيل عن أخلاق عباس وقال إنه لم يكن يريد أن يعطى البلاد دستوراً لأنه يكره كل ما يخالف رغباته الخصوصية . وفى هذا التاريخ القيم أشياء كثيرة يطول الكلام عنها » .

وأخيراً اقترح الكاتب اختصار الكتاب وترجمته إلى الإنكليزية لإطلاع العالم الأوربى على ما جاء فيه إذ هو تاريخ سياسى للبلاد مدة خمسين عاماً وضعه موظف كبير كان على اتصال وثيق بثلاثة خديوين .

مؤلفاتى بين يدى جلالة الملك

عطف ملكى كريم يتوج حياتى ومؤلفاتى . كلمة المقطم عن هذا العطف السامى

* * *

فى منتصف شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ كنت بمستشفى الإسماعيلية أعالج نفسى ، فرفعت مؤلفى باللغة الفرنسية « مصر الحديثه ونفوذ الأجنبى فيها » لجلالة الملك ، وكتبت لمعالى كبير الأمناء الرسالة الآتية :

« حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء

أتشرف بأن أرسل لمعاليكم مؤلفى باللغة الفرنسية « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » فى طرد صغير مع الرجاء بأن تتفضلوا برفعه إلى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم .

وبما أن صحتى معتلة منذ أكثر من شهر ، فإن شاء الله بعد رجوعى من مدينة الإسماعيلية (لمعالجتى بمستشفاها) أعد مؤلفاتى العربية « حوليات مصر السياسية » فى عشرة أجزاء و « مذكراتى فى نصف قرن » فى أربعة أجزاء لتقديمها لجلالته عند تشريفه للعاصمة .

ومنى لمعاليكم مزيد شكرى وعظيم احتراماتى » .

وقد تفضل معاليه وأرسل لى الرد الآتى :

« حضرة صاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا

رفعت إلى الأنظار العلية الملكية النسخة التى قدمتموها إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من مؤلفكم « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » الذى وضعتموه باللغة الفرنسية فنالت حسن القبول ؛ وإنى أتشرف بإبلاغ سعادتكم ذلك مع شكر جلالته السامى .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام » .

ولما عدت إلى مصر قدمت لجلالته مؤلفاتى المطبوعة .

عطف ملكى كريم يتوج حياتى ومؤلفاتى : ولما أعدت طبع كتابى « الرق فى الإسلام » باللغة العربية فى مارس سنة ١٩٣٨ رفعته كذلك إلى مقام جلالته فتشرفت بورود الرسالة الآتية من حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى :

« حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا

أحييكم أطيب تحية ، وبعد فقد رفعت إلى مقام مولاى صاحب الجلالة الملك المعظم النسختين الفرنسية والعربية من كتابكم الكريم « الرق فى الإسلام » ، فتقبلهما أعزه الله بأمثل الشكر وأطيب القبول .

ولقد كان تقدير جلالته لما أظهرتم فى هذا الكتاب من قوة البحث وروعة المنطق وحسن الاستنباط كتقديره لما أبديتم من أصدق آيات الإخلاص نحو ذاته المفداة ، وعرشه الكريم ؛ وإنه حفظه الله ليذكر بالثناء الطيب ما بذلتم من الجهود الحميدة فى خدمة بيته المجيد . بارك الله فى عمركم وفى عملكم ، ومتعكم بالهناء الشامل والصحة السابغة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وقد أثر هذا العطف الملكى الكريم فى مشاعرى فكتبت إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الديوان الملكى الرسالة التالية :

« بعد فائق الاحترام والإجلال أرجو أن ترفعوا إلى مقام مولاى حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم أصدق آيات الولاء والشكران الصادرة من أعماق نفسى على ما تفضل به جلالته من قبول مجهودى المتواضع وتقدير جلالته السامى لتفانى فى خدمة بيته العلوى الكريم .

وإننى لفخور بأن تتوج حياتى بتقدير مولاى العظيم الذى لا أستطيع له من وفاء بحقه من الشكر والاعتراف بالجميل إلا أن أخصص ما بقى من حياتى لخدمة وطنى ومليكى المفدى مستعداً للتضحية بها فى نيل رضاء جلالته وهو خير ما يتركه والد لأبنائه من الذخر الخالد تشجيعاً لهم فى حياتهم ومفخرة لهم فى جيلهم .

أبقى الله جلالة المليك المعظم راعياً كريماً لشعبه الوفى باعثاً للحياة الفتية فى نفوس العاملين المخلصين .

وتفضلوا رفعتكم بقبول وافر الشكر وعظيم الاحترام » .

كلمة المقطم عن هذا العطف السامى : وفى ١٦ مارس كتبت المقطم بهذه المناسبة الكلمة الآتية :

«طالع قراء الصحف فى المقطم وسواه رسالة صاحب المقام الرفيع رئيس الديوان العالى إلى صاحب السعادة أحمد شفيق باشا والعبارات الرقيقة والكلمات الكريمة التى وجهها إليه وتقدير جلالة الملك لكتبه ومؤلفاته وأعماله .

ولشفيق باشا طائفة كبيرة من المؤلفات النفيسة بالعربية والفرنسوية منها كتابه « الرق فى الإسلام » بالفرنسوية ورسالة عن قناة السويس وكتاب عن « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » وهو بالفرنسوية كذلك .

ولكن أهم ما أتحف به القراء والتاريخ هو كتاب « الحوليات » فى عشرة مجلدات ومذكراته فى أربعة مجلدات .

إن الذين يعلمون مدى اعتمادنا فى ذكرى حوادث التاريخ المصرى على المقريزى والجبرتى وأمثالهما يستطيعون تقدير الخدمة التاريخية الجليلة التى أسداها شفيق باشا لتاريخ مصر الحديث ، فقد كان له بحكم المناصب التى تقلدها ، واتصاله الوثيق بالسراى الخديوية ، ظروف نادرة أتيحت له فاطلع على حوادث ووثائق هامة دونها فى مذكرات يومية حتى إذا حانت له الفرصة عمد إلى كتابتها وطبعها ونشرها ، غير مكترث لما كلفته من جهد وتعب ومال .

ولم يكتف شفيق باشا بهذا فعمد إلى توزيع نسخ هذه الحوليات على الأفراد والجماعات والمكاتب العامة هدية منه ، وبلغ مجموع ما وزعه كذلك نحو خمسمائة نسخة من كل حولية ، وقد طبع من الحولية الأولى ألفى نسخة ، ومن التى تليها ألف نسخة . أما المجلدات الأخيرة فلم يطبع منها سوى خمسمائة نسخة ، وهذه كادت تنفد ولم يبق عنده منها سوى عدد يسير .

وقد خطر لنا بعد درس هذا الموضوع أن نحول إليه نظر وزارة المعارف ومعالى وزيرها المتصف بحب العلم ونشره ، فوزارة المعارف تبتاع الكتب والمجلات لمكاتب مدارسها ومعاهدها رغبة منها فى تعزيز الثقافة ونشر المعلومات .

أفلا يرى معالى الوزير أن حوليات شفيق باشا جديرة بأن تصيب مثل هـذه العناية فتكون فى المستقبل مصدراً عظيم القدر لعلماء التاريخ ودارسيه والباحثين فيه .

إننا لا نزال اليوم قريبى عهد من العصر الذى تنطوى هذه المذكرات عليه ولكن بعد خمسين عاماً أو مائة عام تصبح هذه الحوليات والمذكرات من أهم المراجع التاريخية فى مصر لذلك العصر الخطير .

وقد ضرب المغفور له الملك فؤاد مثلا بما أنفق من مال كثير وجهد عظيم فى إخراج المحفوظات الرسمية التركية وترجمتها إلى العربية فالفرنسوية لتكون منها مادة يستعين بها علماء التاريخ على وضع تاريخ صحيح لمصر الحديثة فى عهد محمد على الكبير وخلفائه .

ولا نحتاج إلى الإفاضة فى هذا البحث وحسبنا الآن أن نوهنا به بهذا الإيجاز ، فإن غيرة معالى وزير المعارف على العلم وأهله ، وشدة اهتمامه بترقية الأدب واللغة والتاريخ أشهر من أن توصف ؛ فلنترك الأمر بيده الآن ولننتظر » .

مرض المؤلف ووفاته

أيامه الأخيرة . وفاته ونعيه وتشييع جنازته . رثاؤه

* * *

كانت الصفحة السابقة خاتمة حديث « شفيق باشا » عن أعماله بعد مذكراته . وقد وافق ختام حديثه ختامَ حياته فَطُوِيَ فى كليهما سجل حافل بالعبر ، زاخر بالمعانى والعظات لكل من وعى من أهل مصر بل من أهل المشرق . تضمنت صحائفه تاريخاً كاملا لأمة ناهضة فى حقبة طولها سبعون عاماً كما فصّلت سيرة رجل فذ أدمج حياته فى حياة أمته فخفق قلبه جذلا فى هناءتها وألماً فى محنتها . رجل ظل عزمه ثابتاً كالصخر وجهاده مستمراً موصولا لا يتأثر بعاصفات الحوادث حتى خفت صوته بانطفاء سراج حياته .

* * *

أيامه الأخيرة : لم يطل المرض بالفقيد فقد كان قبل الوفاة بأيام قلائل نشيطاً يغدو ويروح ويباشر سائر شؤونه . وكان فى أيامه الأخيرة معنياً بجمع الوثائق والمستندات وأصول المذكرات التى تم طبعها ، لكى يودعها مكاناً أميناً تمهيداً لإهدائها إلى دار الكتب حيث تحفظ هناك أصلا خطياً لما كتب من مذكرات . بيد أنه كان حريصاً على سرعة إنجاز هذا العمل كأنما كان يحس باقتراب الأجل .

وفى أول شهر رمضان سنة ١٣٥٩ الموافق ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٠ توجه إلى سراى عابدين ليقدم فروض التهانى بشهر رمضان . وكان الجو فى ذلك اليوم شديد البرودة ونظراً لشيخوخته أصيب ببرد خفيف فلم يعبأ به .

وبعد إفطار اليوم الأول ذهب يحيى أقاربه ومعارفه فى مصر والمعادى كأنما يودعهم الوداع الأخير ، إذ أنه لم يلتق بهم بعد ذلك لاشتداد المرض عليه .

عندئذ عرض نفسه على طبيبه الخاص الدكتور محمد جعفر بك فأشار عليه بالاعتكاف عشرة أيام ووصف له الدواء . ولكن المرض ازداد شدة ، فاستحضر أنجاله بعض مشاهير الأطباء فقرروا أنه مصاب بالتهاب رئوى .

وقد كان مرضه هذا — وهو فى شيخوخته — مع إصابة سابقة بالسكر نذيراً مزعجاً فاضطرب أهله وأصحابه الذين اتصل بهم الخبر ونشرت الأهرام يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٩٤٠ فى هذا الصدد :

« كان سعادة الحاج أحمد شفيق باشا ، رئيس الديوان الخديوى سابقاً والمؤرخ المعروف ، يشكو فى المدة الأخيرة مرضاً ألمّ بصحته . وقد علمنا مع الأسف أن وطأة المرض اشتدت على سعادته .

نسأل الله أن يمن عليه بالشفاء ، وأن يرعاه بعنايته » .

ونشرت جريدة منبر الشرق كلمة جاء فيها ما يأتى :

« وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

ذهب فى أول رمضان حضرة صاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا المؤرخ المشهور ورئيس الديوان الخديوى سابقاً ، إلى قصر عابدين العامر مهنئاً مع المهنئين بحلول شهر الصيام الكريم ، فأصابه مع ضعفه وشيخوخته برد المساء فلزم الفراش . وقد علمنا منذ يومين مع مزيد الأسف أن وطأة المرض اشتدت على سعادته كثيراً حتى أصبح يخشى منها عليه . فنسأل الله أن يلطف به وأن يمن بشفائه ، حتى لا تحرم مصر والشرق من علمه وفضله ، وخدماته الجليلة .

وإذا كان بعض القراء من الشباب يجهلون تاريخ هذا الرجل الكبير ، فإنا موردون لهم فيما يلى ترجمة وجيزة لحياته كتبها هو بيراعه عند احتفاله ببلوغه السبعين من العمر منذ عشرة أعوام » .

قال :

(ثم ذكرت الصحيفة بعض ما كتبه الفقيد فى الجزء الأول من مذكراته عن نشأته وحياته) .

ثم ختمت كلمتها بما يأتى :

« هذا ما يقوله المؤرخ عن نفسه . وقد وفقه الله إلى ما أراد من نشر مذكراته ، فأتم منذ أيام طبع الجزء الأخير منها بعد تصحيح بعض ما وقع فيه خاصاً بسمو الخديو

عباس الثانى ، وبصاحب « منبر الشرق » . وفضلا عن ذلك فقد ألف الباشا كتاباً آخر باسم « أعمالى بعد مذكراتى » كاد يتم طبعه أيضاً .

وقد استمر المرض فى اشتداده فاستدعى « قومسيون » من الأطباء المصريين والأجانب وعلى رأسهم الدكتور « جروسى » المعروف فقرروا بأن الأمل فى شفائه قليل .

وفاته ونعيه وتشييع جنازته : وبقى رحمه الله بعد هذا يومين يعانى آلام المرض فى غيبوبة مستمرة حتى صعدت روحه إلى بارئها فى الساعة الحادية عشرة والنصف من مساء يوم ١٥ رمضان الموافق ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٠ وحوله أنجاله وأقاربه وبعض أخصائه .

وقد نعته الأهرام والمصرى فى صباح ١٨ أكتوبر وكتبت المقطم بعد ظهر ذلك اليوم النعى التالى .

« نعى إلينا شيخ جليل ورجل شهير من رجال مصر البارزين هو المغفور له الحاج أحمد شفيق باشا انتقل إلى دار البقاء عن ٨٠ عاما (فقد ذكر فى مذكراته أنه ولد فى العاصمة فى ١٨ مايو سنة ١٨٦٠ م) وقال إنه منذ حداثته ربى فى كنف الأسرة المالكة فأدخله الأمير توفيق باشا لما كان ولياً للعهد مدرسة المبتديان مع ١٩ تلميذاً من أبناء موظفى دائرته ونقله إلى مدرسة القبة التى أنشأها ولى العهد إذ ذاك وشمله برعايته بعد تخرجه فأسند إليه وظائف كثيرة ولما ارتقى الأمير توفيق الأريكة الخديوية عينه فى المعية ثم أرسل إلى أوربا لإتمام تعليمه وأدخل مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق فى باريس فنال منهما الدبلومات العالمية وعاد إلى مصر وظل فى خدمة الخديوين مرتقياً من منصب إلى منصب إلى أن عين رئيساً للديوان الخديوى ومديراً للأوقاف وبسبب علاقته هذه قضى مدة الحرب الكبرى فى أوربا ولما عاد أصدر « مذكراتى فى نصف قرن » وهى تصف عهد الخديوين الذين عاصرهم وصفاً دقيقاً حافلا بالطرف وهذه المذكرات هى من خير ما يرجع إليه فى معرفة أحوال ذلك العصر السياسية والاجتماعية .

تغمد الله الفقيد برحمته الواسعة وألهم ذويه جميل الصبر » .

ونعته جريدة البورص أجيبسيان بالكلمات الآتية :

« يسوؤنا أن نعلن بمزيد الأسف وفاة صاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا ، العالم

المؤرخ المصرى الكبير ، الذى كان رئيساً للديوان الخديوى ، ومديراً عاماً للأوقاف الخديوية .

وإنا لنتقدم لأسرته الكريمة بأصدق عزائنا » .

وقد شيعت جنازته فى الساعة الثالثة من يوم ١٣ أكتوبر فسارت فيها جموع غفيرة يتقدمها مندوب حضرة صاحب الجلالة الملك وكثير من الوزراء والعظماء والعلماء والصحفيين والأدباء وعارفى فضله ومحبيه وأصدقائه ، وصلى عليه فى جامع الكخيا ثم وورى جثمانه فى مقره الأخير بمدافن الأسرة .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

وفى يوم ١٩ منه نشرت جريدة الإچيبسيان غازيت الكلمة الآتية : بعنوان « أحمد شفيق باشا » .

« وافته المنية يوم الخميس بمنزله بالقبة عن ثمانين سنة . ولد المرحوم بالقاهرة فى مايو سنة ١٨٦٠ ونشأ وهو فى رعاية الخديوين منذ صغره وقد تعلم فى المدارس الخديوية وفاز فى امتحانه بتفوق حتى حصل على جائزة من الخديو توفيق وهى كتاب « تاريخ الهند » بالإنجليزية . وقد مكنه الخديو توفيق من إتمام تعليمه فى فرنسا .

وقد خدم الباشا الخديوين توفيق وعباس وكان رئيساً لديوان الأخير ومديراً للأوقاف الخديوية . كان فى أوربا مدة الحرب الكبرى وفى سنة ١٩٢٠ استقال من خدمة الخديو السابق . وفى السنوات الأخيرة نشر مذكراته فى عدة مجلدات وهى تبتدئ من الأيام الأخيرة لإسماعيل وتشمل عهدى توفيق وعباس وسرد فيها تفاصيل شائقة عن حياة البلاط الخديوى .

وشيعت جنازته بعد ظهر أمس فى حفل عظيم إلى جامع الكخيا » .

رثاؤه : نشرت الأهرام بتوقيع « سيد قطب » الكلمة الآتية تحت عنوان : « أحمد شفيق باشا مؤرخ مصر الحديثة » .

« إن اثنتى عشرة سنة قضيتها فى صحبة هذا الرجل الذى فقدته مصر أمس لتبيح لى أن أتحدث عنه حديث العارف البصير بأخص صفاته العقلية والنفسية ، بل تجعل من واجبى هذا الحديث .

وما من شك أن مصر قد خسرت أمس رجلا نادراً لا تعوضه أجيال فى ملكته التاريخية ، لأن أصحاب هذه الملكات نادرون فى جميع بلاد العالم ، وهم أندر من ذلك فى مصر ، إذ لا يعى تاريخها الحديث أحداً منهم إلا الجبرتى والفقيد .

والناس يقرءون « حوليات مصر السياسية » و « مذكراتى فى نصف قرن » مطبوعة ، ولكنهم لا يعرفون مدى الجهد الذى بذل فى تدوينها ، ثم فى تنسيقها ، ثم فى إخراجها على هذا النحو المرتب المبوب الذى ظهرت به .

والناس لم يطلعوا — كما اطلعت — على مقدار شغف الباشا بهذه المذكرات وإخلاصه لها ولهفته عليها ، وقد كان يخيل إلىّ فى بعض الأحيان أن الرجل يحس نحوها بإحساس الحب الأبوى ويتجه نحوها بعاطفة المحب الذى يتصل حبه بأعمق مشاعره .

وكانت هذه العاطفة تتجلى حين كنت أراجعه — رحمه الله — فى خبر أو حادثة دونها فى مذكراته الخطية ، مما تحول القيود الاجتماعية أوالقانونية دون تسجيله وطبعه فى الوقت الحاضر ، عندئذ كنت ألمح على أسارير وجهه ونبرة حديثه مقدار الألم الذى يخالجه لبتر ذلك الخبر أو تلك الحادثة من المذكرات المطبوعة ، كما يتألم الوالد الرحيم لبتر عضو من أعضاء ولد محبوب !

هذا الإخلاص للمذكرات والحرص عليها هو الذى كفل لها الصدق والحرارة والحياة ، وهو الذى جعل الفقيد بحق مؤرخ مصر الحديثة ، لأنه خلع على التاريخ حياة من روحه فلم يعد أخباراً جامدة ، بل حياة مصورة متحركة .

ولن يتصور أحد أن هذا الشيخ الذى نيف على الثمانين كان ينفق من ذخيرة الحياة القليلة فى كيانه شحنات كبيرة طوال ساعات النهار والليل فى عمله الذى أحبه ووهب له حياته . ولقد كنت أنا الشاب أكِلّ وأتعب وأنا أعاونه فى التنسيق والتبويب ، فيضحك فى رفق ويدع لى فرصة للنوم أو الراحة ، حتى إذا استيقظت وجدت ذهنه قد اشتغل طوال ساعات راحتى فى كل ما يكفل كمال هذا العمل وإتقانه ، فنعود للعمل من جديد . وإن مجرد النظر إلى حجم الكتب التى أخرجها وهى تقع فى نحو عشرة آلاف صفحة ليكفى لبيان هذا الجهد الجهيد .

والذين أتاحت لهم الظروف مجالسة الفقيد لابد أن يكونوا قد عجبوا أشد العجب لهذه الذاكرة القوية التى تستوعب من أخبار هذا القرن ما تفيض به على الجالسين

الساعات الطوال دون كلل أو ملل وكأنها تستعرض حوادث الأمس القريب . أما أنا فلم أعجب لشيء من هذا ، لأنى كنت أحس مقدار اللذة العقلية والنفسية التى يستشعرها رحمة الله عليه — فى تصوير ذلك الماضى الحبيب إلى نفسه ، وفى بعثه إلى صفحة الوجود كرة أخرى .

وتلك خليقة نادرة بين المؤرخين فى جميع العصور .

ولقد كان الفقيد [illegible] من وقته و[illegible] فى هذه السن المتقدمة فضلة — بعد اهتمامه [illegible] تمام بشتى شئون البلد الاجتماعية والسياسية ، فلم تكن [illegible] كار النافعة تبز المرحوم حتى تراه مسارعاً إلى معاضدتها ونشرها ، ولم يكن حادث من الحوادث [illegible] فى موقف الوطن السياسى يقع حتى يوجه إليه اهتمامه ويحاول أن يوجه الأنظار إلى استغلاله فى مصلحة البلاد ، ولم تكن شخصية تنبغ فى شتى الفنون والعلوم حتى يوجه إليها رعايته وعنايته .

على هذا الأساس ساهم فى جمعية الرابطة الشرقية وجمعية الدراسات الاجتماعية وفى تكريم النابغين وتأبين النافعين فى شتى ميادين الحياة .

وكان للفقيد آمال كبار حققها كلها تقريباً ، ولست فى حاجة إلى القول أنه كان من أول هذه الأمانى إخراج « حوليات مصر السياسية » و « مذكراتى فى نصف قرن » وقد تم له هذا . وإذا كان كتاب « أعمالى بعد مذكراتى » لم يخرج بعد إلى المكتبات ، فقد أتمه تبويباً وتنسيقاً وطبع الجزء الأعظم منه وباقيه فى المطبعة .

ولقد فكر فى أواخر أيامه أن يرصد جائزة كبيرة لمن يؤلف خير رسالة فى التاريخ الحديث ، غير أن الموت لم يمهله لينفذ إرادته التى كانت آخر رمز لإخلاصه الجم للتاريخ الذى وهب له حياته .

رحمه الله رحمة واسعة ، وعوض مصر عن فقده ، فقد خسر الوطن فيه أضعاف خسارة أبنائه وذويه » .

كلمة الدكتور منصور فهمى بك : وفى يوم ٢١ منه نشرت الأهرام ملخص كلمة للدكتور منصور بك فهمى ، قالت :

« تلقينا من صاحب العزة الدكتور منصور فهمى بك ، كلمة رثاء للمغفور له الحاج أحمد شفيق باشا ، ذكر فيها ما امتازت به شيخوخة الفقيد من إنتاج .

ثم نوه بجهود شفيق باشا ، داعية من دعاة المثل العليا ، حتى انضم إلى جماعة الرابطة الشرقية ، وعمل معهم فى إيمان ونشاط عظيمين ، فقال إن هذه الدعوة كانت تقترن دائماً فى نفس الفقيد بناحية لها مشروعيتها ، وسحرها ، وجما[illegible] اذ كان يرى أنه يجب أن تكون للشرق حضارة لها ذا[illegible] حضارة الغر[illegible] الحضارة — التى ينبغى أن تكون للشرق [illegible] ضامن [illegible] ة ، وشعوبه الناهضة .

ثم [illegible] و[illegible] الرغم من أن الدعوة للرابطة الشرقية كانت تجد من الكثيرين صداً ومناهضة ، لما يرون من تعسر طريقها ، وإبهام حددوها ، فإن عزيمة الفقيد — رحمه الله — لم تهن فى سبيلها ، اعتقاداً منه أن الجهر بها إذا لم يحقق عاجلا ما يطمح إليه دعاتها من شتى الغايات ، فلا أقل من أنه يذكر شعوب الشرق بوجوب الاحتفاظ بما تتحقق به مقوماتهم ، وتتأكد به مشخصاتهم .

واختتم كلمته بقوله : « ولعل فى هذه الأيام التى يلقي فيها شفيق ربه والأرض زاخرة بشحن من أحقاد شعوب الغرب وحفائظهم — قد يذكر الذاكرون لدعاة الترابط الشرقى بعض ما فى دعوتهم من جميل حين ينشد هؤلاء الدعاة حضارة شرقية تعلو على تلك التى ترخص فيها الدماء ، وتتنوع فيها المآسى . فالمرحوم أحمد شفيق ، الذى كان مؤمنا بالدعوة للرابطة الشرقية ، إيماناً اقتضاه وإخوانه من مالهم ، وأنفسهم ، وجهودهم غير قليل خليق أن يذكره الذاكرون بالرحمة الواسعة وأن يكون له فيهم الذكر الجميل » .

هذا ونثبت فيما يلى رسالة من صديقه الكبير السيد أمين الحسينى مفتى القدس جاء فيها :

« حضرة الوجيه الفاضل صاحب العزة عز الدين بك شفيق وإخوته المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد بلغنى الخبر المؤلم الذى حمل إلى نعى والدكم الجليل وصديقى الأعز المغفور له الطيب الذكر الحاج احمد شفيق باشا فوقع من نفسى أشد الوقع وأحزننى أشد الحزن ، فقد كانت تربطنى بوالدكم المرحوم روابط صداقة ثيقة مكنتنى من الإحاطة بما كان عليه الفقيد العزيز من رجاحة العقل ومكارم الأخلاق

وعظيم الفضل وجليل الصفات . ولا شك أن وفاته رحمه الله خسارة كبرى على مصر والأقطار الإسلامية . وإنى من صميم القلب أقدم إلى عزتكم وأشقائكم المحترمين وسائر الأسرة الكريمة خالص العزاء وأشاطركم الأسى فى هذا المصاب الكبير وأسأل المولى عز وجل أن يتغمد الفقيد الجليل بالرحمة والرضوان ويسكنه فسيح الجنان وأن يبارك فيكم جميعاً ويحسن عزاءكم ويجعلكم خير خلف لخير سلف . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » . محمد أمين الحسينى

بغداد — شارع الزهاوى . ٣٠ رمضان المبارك سنة ١٣٥٩

ونشرت مجلة المصور فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠ ما يأتى تحت عنوان : « المرحوم أحمد شفيق باشا يصف شعوره بالموت وأمانيه فى الحياة »

« توفى المرحوم أحمد شفيق باشا العالم المؤرخ ورئيس الديوان الخديوى سابقاً عن ثمانين عاماً وخمسة أشهر . فقد ولد فى ١٨ مايو سنة ١٨٦٠ فى عهد محمد سعيد باشا ، وكان من خيرة رجال مصر المعدودين . وقد عكف فى سنواته الأخيرة على خدمة التاريخ بتسجيل الحوادث المصرية ، كما عرفها واختبرها ، ونشر مذكراته النفيسة التى حوت كثيراً من الأسرار السياسية الدقيقة . وقد بقى دائباً على نشاطه حتى أوائل الأسبوع الماضى . وكان كاتب هذه السطور معه منذ أيام قبل أن ينتابه مرضه الأخير ، فجرى بينهما الحديث عن أمانيه فى الحياة وعن شعوره فى استقبال الموت ، وكان رحمه صريحاً لطيفاً ، فأجاب فى شجاعة وعزم :

« لقد سألتنى منذ عشر سنوات عن شعورى فى سن السبعين فأجبت أنه شعور المتفائل بالحياة ، فقد قطعت شوطاً من العمر مديداً وملئت لوحة وجودى بصور من الحوادث الجسام . وأعتقد أننى والحمد لله فى كل الأدوار لم أقصد إلى أحد بسوء ولا ألحقت أذى بإنسان ، وهذا هو الذى زاد من عدد أصدقائى ، وجعلنى أفخر وأعتز بل أكاثر بهم . فلا غرو إذن أن يستطيب الإنسان العيش ، ويستلذ الحياة فى وسط لا يجد فيه ما يكدره ، بل لا يرى بجانبه إلا كل من يعزه ويكرمه ، فشعورى نحو الحياة شعور المتفائل المنشرح الصدر .

وقد تمنيت وقتئذ أن أتمكن من نشر جميع مذكراتى ، فحقق الله لى هذه الأمنية ورأيت أن أستريح الآن بعد ما بلغت الثمانين ، غير أننى وجدت أن ألحق هذه المذكرات بكتاب سميته « أعمالى بعد مذكراتى » وقد أتممته وأرجو أن يصدر قريباً .

أما آمالى الباقية بعـد نشر مؤلفاتى ، فهى أن أشتغل بالإصـلاح الاجتماعى ، ولـكن صحتى الآن لا تساعدنى ، ويجب أن أعترف أن للسن حقهـا ، وأن الصحة فى الشيخوخة المتأخرة لا تسعف صاحبهـا على تحقيق ما يتمناه ، ولهـذا فأنا أرجو أن يقوم أولادى بخدمة الحياة الاجتماعية ، وهى الأمنية التى أحب أن ينوبوا عنى فيها .

وأهم ما يطمئننى الآن أننى أديت واجبى ، ولم أضع أوقاتى سدى ، بل قضيت حياتى فى العمل المتواصل لخدمة مصر وخدمة التاريخ وخدمة الشرق ، لذلك فأنا أستقبل الموت هادئاً مطمئناً ، معتقداً أن الموت شىء يسير .

وإنى أرجو ألا يطول مرض موتى ، فأسئم أهلى وعوادى ، وأتمنى أخيراً لو أجد إلى جانبى ساعة الاحتضار كاتباً أملى عليه صادق إحساساتى فى اللحظات الأخيرة ما استطعت ليبلغها مع تحياتى للآخرين » .

هـذا ما قاله وقد أجاب الله رجاءه ، فلم يمرض إلا بضعة أيام فلم يسئم أهله وعواده ، ولـكن لم يتنبه فيها إلا قليلا ، ولم يتحدث فيها إلا بغمغمة تقطعها سكرات الموت . رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عن جهوده الحميدة خير الجزاء .

وكذلك كتبت مجلة الاثنين فى عددها الصادر فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠ تحت عنوان : « آخر ما كتب المرحوم الحاج أحمد شفيق باشا — ٨ وصايا للنجاح » .

انتقل إلى رحمة الله فى الأسبوع الماضى ، الحاج أحمد شفيق باشا رئيس الديوان الخديوى السابق ، وكان إلى أواخر أيامه — برغم أنه جاوز الثمانين — يتمتع بذاكرة يقظة وصحة كاملة ، ويعد العدة لإخراج مؤلفه الجديد « أعمالى بعد مذكراتى » ولعل القراء يذكرون أنه أخرج ستة عشر كتاباً ضمنها تاريخ مصر الحديث ، وفيما يلى ننشر كلمة قيمة للفقيد الـكريم ، عن الوسـائل التى هيأت له النجاح فى الحيـاة ، وهى آخر ما خطته يراعته ، وصية للشبان المصريين . (ثم نشرت الفصل المنشور فى هذا الـكتاب فى فصل الاجتماعيات بعنوان « وسائل النجاح ») .

i 14235468
B 12733970